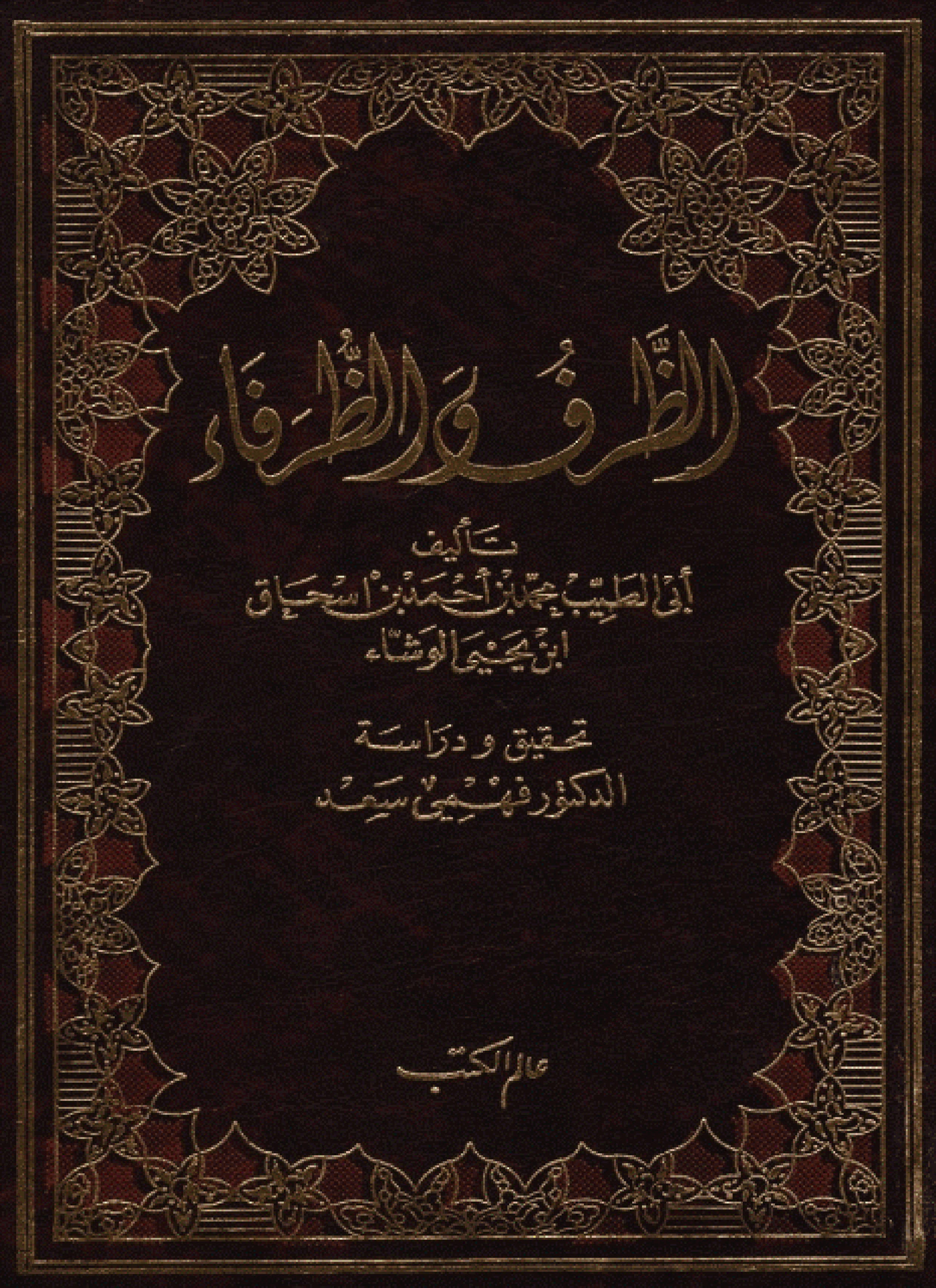

الظرف والظرفاء
تأليف
أبي الطيب محمد بن أحمد بن إسحاق
ابن يحيى الوشاء
تحقيق ودراسة
الدكتور فهمي سعد
عالم الكتب



الظرف والظرفاء



الظَّرْفُ والظُّرَفَاء

تأليف

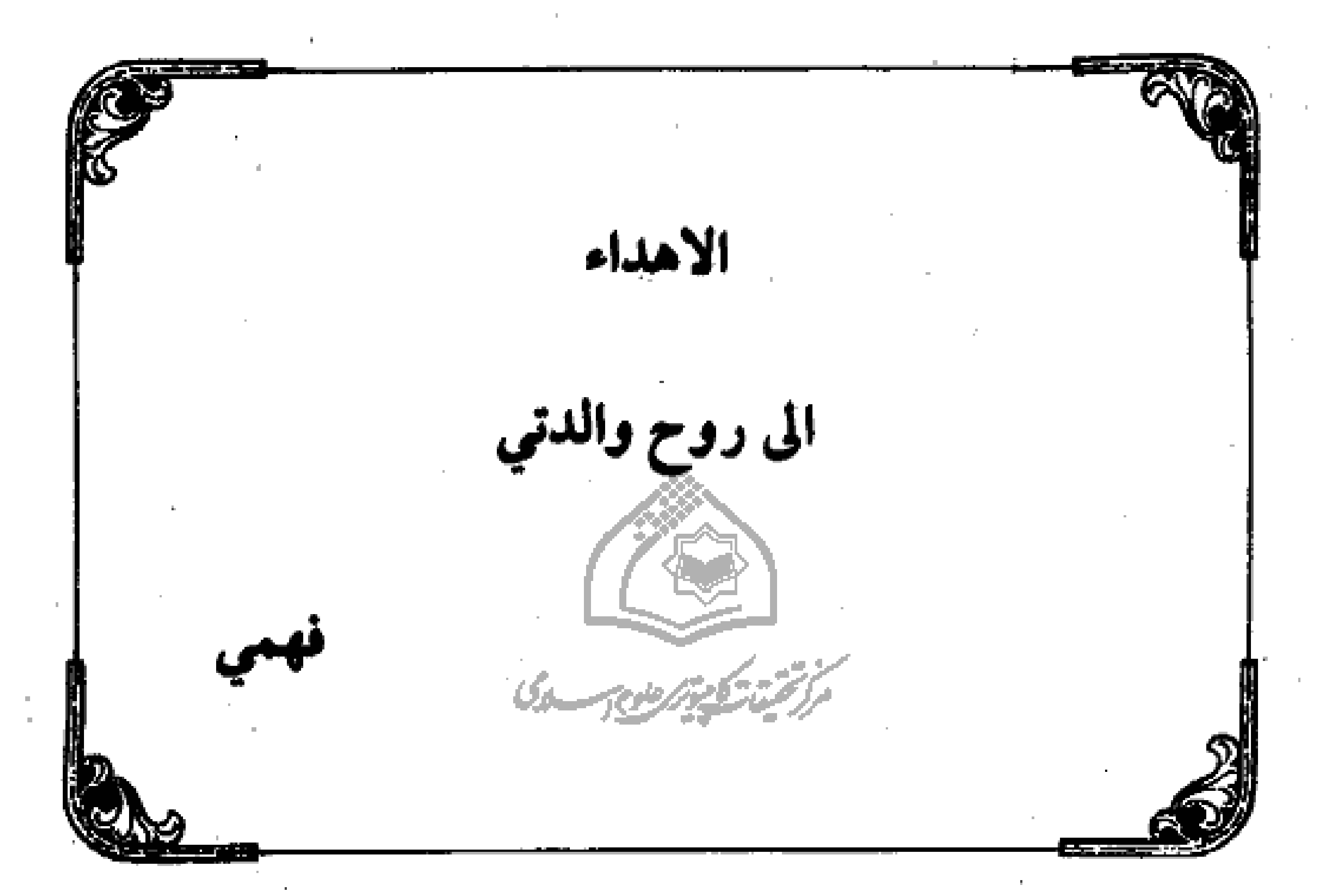
أبي الطيّب محمّد بن أحمد بن اسحاق
ابن يحيى الوشّاء

تحقيق و دراسة

الدكتور فهمي سعد

عالم الكتب

الطبعة الأولى
١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م



الاهداء

الى روح والدتي

فهمي


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بسم الله الرحمن الرحيم

الظرفاء، صغار النبلاء

اننا الآن مع نوع من أدب الخاصة. ويعكس هذا الأدب، عموماً، صورة من التوتر داخل المجتمع الاسلامي الوسيط في بغداد عاصمة الخلافة، ويبين إصرار الخاصة على التمايز عن العامة، حيث المجتمع ينقسم إلى فئتين رئيستين هما: الخاصة والعامة.

كان للغويين والأدباء دور في إبراز هذا التمايز. فالخاصة، الخليفة ورجال السلطة من معاونيه، امتازوا بأنهم يسوقون العامة. قالت الحرقة ابنة النعمان[1]:

بينا نسوس الناسَ والأمرُ أمرنا إذا نحن منهم سوقة نتنصّفُ

واستتبع هذا التمايز إصرار الخاصة على القول بفروق في الحياة الاجتماعية والقوى العقلية والنفسية، تؤكد هذا التباين، بعد أن افقدهم الاسلام السند القانوني بتأكيده على المساواة بين المسلمين، واعتبار التقوى معيار التفاضل.

وترك الواقع الاندماجي الجديد آثاره في المجتمع. فاختفت العصبية وضاقت الهوّة بين العرب وبين ما سمّي بالموالي، وكان لا بد للقيم الاخلاقية، التي تنعكس في مظاهر سلوكية، من أن تأخذ مكانها في اخلاقيات العصر الجديد.

ويسجل الوشاء هذا التغير الاجتماعي، بوصفه أديباً يكتب للخاصة، في مواقف عبرّ عنها في مؤلفات متخصصة[2]، عمادها الأدب والمروءة والمراسم (الآيين) أو

---

١ ـ صحاح الجوهري ١٤٩٩، العامة في بغداد ٦٦.

٢ ـ أورد الوشاء في (الظرف والظرفاء) مجموعة من مؤلفاته تلتقي والظرف في فصول عديدة، حتى يبدو أن المؤلف يريدنا أن نشعر بأن عمله هذا ما هو الا خلاصة لمؤلفاته تلك.

الاتيكيت ،تتمم بعضها وترتقي لتلتقي تحت عنوان رئيسي هو الظرف .وما يمكن أن نسميه (التنوع في الوحدة)، ضم الى جانب تنوع المادة والموضوع، تنوع المصادر، من الآيات القرآنية إلى الحديث النبوي إلى الأقوال المأثورة المنسوبة لبعض الصحابة والتابعين، والى شواهد شعرية وأمثال عربية واخبار شرقية واسلامية.

فالظرف، كما أراده الوشاء[٣]، من الخصال الفردية التي يتحلى بها الانسان ومن الخصائص التي طلبها من الظريف، يتبين لنا انها خصال تطلب لاستكمال خصائص ظرفه. وبعض هذه الخصال متعلق بالاخلاق الاجتماعية، من حفظ الجوار والوفاء بالذمار والأنفة من العار وطلب السلامة من الأوزار. ومنها ما يتعلق بوسائل الفرد وعدته، من الفصاحة والبلاغة والعفة والنزاهة[٤].

وهذه الخصال ـ المطالب التي تحدد الأبعاد الخلقية والاجتماعية للظريف، سوف تنتقل الى تراث العرب اللاحق للوشاء، وتتجلى بأشكال مختلفة حسب اهداف ومذاهب أصحابها، إلا أن الجوهري، وابن منظور حفظا لنا تعريفاً للظرف يكاد يشابه ما طلبه الوشاء. فالظرف، وهو البراعة وذكاء القلب، يوصف به الفتيان الأزوال والفتيات الزولات، ولا يوصف به الشيخ ولا السيد». قال الكميت:

قد صرت عماً لها بالمشيب زولاً لديها هو الأزوال

وأنشد ابن السّكّيت في الأزوال لكثير بن فَزَرّد:

لقد أروحُ بالكرام الأزوال مُعَدّياً لذات لون سملال

فالزول الرجل الخفيف الظريف يُعجب من ظرفه، والزولة المرأة البرْزة، أو الفطنة الداهية أو الظريفة[٥].

هذا التحديد يحمل في مضمونه تراتبية اجتماعية، فيفرّق بين السن والنسب من جهة، والأزوال من جهة أخرى، وهم الذين اكتسبوا ظرفهم. كما اكتسبوا مكانتهم

٣ ـ لنا عودة الى الظرف ما قبل الوشاء.

٤ ـ الظرف والظرفاء، باب سنن الظرف، ١١٢

٥ ـ لسان العرب، ظرف ٩: ٢٢٨، أيضاً صحاح الجوهري، ظرف وزول.

من أعمال وانجازات جديدة لا دخل للسن والنسب فيها، وربما كانوا ينحدرون من أصول وضيعة. هذه الفئة الاجتماعية، اعطيت مصطلحاً في القرن الرابع الهجري فعرفت باشباه الخاصة[٦].

وتتشكل القيم الاجتماعية للخاصة واشباهها حول محورين: احدهما معنوي، أو بما يعرف بمكارم الاخلاق. والثاني مادي، ويشمل حسن الهيئة والاهتمام بالمأكل والملبس والسلوك. وهذان الحدان يجب ان يكتسبا بطريق التمثل الثقافي، بحيث يكون الظريف خالياً من الصنعة، متصرفاً بعفوية خالصة، باطنها الميراث الحضاري.

ولا بد للظريف من معرفة تامة بأصول الظرف يكتسبها بالاطلاع على مجموعة من المعارف تعطيه نوعاً من المرونة والقدرة على التكيف مع طبقة الخاصة[٧]. وهذا يقودنا الى البحث في حدود الظرف الثلاثة: الأدب ومكارم الاخلاق، والمروءة، والحب العفيف.

١ ـ بدأ الاقبال على المعارف مع العصر الأموي، فاتخذ سبيله أدب المسامرة المعروف قبل الاسلام[٨]. وتكون هذا الأدب من قصص القرآن الكريم والقصص العربية القديمة وبعض القصص التوراتية[٩].

واصبحت اخبار الحروب العربية أو (أيام العرب) مادة مرغوبة في أدب السمر، وبرز رواة اشتهروا بمواهبهم القصصية، وواصلوا اسمار البدو القدماء، وتلقوا ميراث القدامى من الحكماء[١٠]، وفي أيام بني أمية، صنفت أيضاً أوائل كتب

---

٦ ـ العامة في بغداد، ٦٤.

٧ ـ أشير هنا إلى أن مصطلح طبقة، ، هو مطلع معاصر، فالاسلام لم يقل بطبقات اجتماعية.

٨ ـ أورد ابن حبيب في المحبر ١٧٣ـ١٧٨ عدداً كبيراً من الندماء، ويكتسب النديم عنده صفة السمير والجليس المكافىء.

٩ ـ قال الشاعر:

وجدنا في كتاب بني تميم ... أحق الخيل بالركض المعارُ.

١٠ ـ من هؤلاء: غسان بن ذهيل السليطي، ومحمد بن كعب القرظي، ودغفل النسابة، انظر: بروكلمان، تاريخ الأدب العربي ١: ٢٥٠ وما بعدها.

النصائح والمواعظ، مثل وصية الخطاب المخزومي لابنه[١١]. أما في اواخر العصر الأموي فقد عرفت شخصيتان هامتان هما: خالد بن صفوان التميمي، أحد فصحاء العرب وخطبائهم، واحد الحكماء ورواة الأخبار. والثاني كان عبد الحميد الكاتب، أشهر كتاب الأدارة.

ومع العصر العباسي، دخلت الثقافة الفارسية والهندية عن طريق عبد الله بن المقفع برسائله المشهورة، من كليلة ودمنة والأدب الكبير والأدب الصغير. وأدت حاجة الخلفاء الادارية إلى استخدام عدد من المثقفين من غير العرب، أسهموا في نقل تراث فارس الاداري والسياسي، وادى قيام مؤسسات ثقافية (بيت الحكمة أو دار الحكمة) الى دخول الثقافة اليونانية عن طريق المترجين من النصارى، كما أن هؤلاء كانوا مسرباً من مسارب العهد القديم الى الثقافة العربية.

على أن القصر كان المركز الأهم لاستقطاب رجال الفكر. فقد أقبل الخلفاء، لضرورات سياسية ودينية وثقافية، على شد رجال الفكر، إلى العاصمة الجديدة، مدينة السلام التي بناها أبو جعفر المنصور. فانتقل مثقفو البصرة والكوفة إليها ليشكلوا ما سمي بمدرسة بغداد. فاستقدم الخلفاء جماعة من اللغويين والاخباريين لتأديب الامراء وتأهيلهم[١٢] ومع هؤلاء ظهر الجاحظ، وابن قتيبة وكبار اللغويين أمثال سيبويه وثعلب ونفطويه والوشاء وغيرهم.

إن الازدهار الفكري ظاهرة محسوبة. فقد ألحّ الكثيرون على معرفة الأدب وتقويم اللسان وعدم الوقوع باللحن، وعلى الاقبال على المعارف والعلوم. وهذه الظاهرة لم تغب عن الوشاء الذي اعتبر طلب الأدب والعلم إحدى ركائز الظرف.

وبازاء اللغويين والرواة، استقبل القصر عدداً من الفقهاء والوعاظ. وازدهر نوع من الأدب ذي الدلالة الاجتماعية، نتيجة للتعقيد الذي أصاب الحياة العامة، غبّ

---

١١ ـ المرجع نفسه، المكان نفسه.

١٢ ـ التحق المفضل الضبي بحاشية المهدي، وقدم ابو زيد الأنصاري وابو عبيدة معمر بن المثنى، واتخذ الرشيد الأصمعي مؤدباً لبنيه وعمل النضر بن شميل في خدمة المأمون، وأبو عبيد القاسم بن سلام خدم طاهر بن الحسين في خراسان، والمفضل بن سلمة التحق بحاشية الفتح بن خاقان. وعمل ابن السكيت مؤدباً للمعتز.

انتشار النمط المديني في المجتمع الاسلامي. فظهرت مؤلفات تتناول الجانب الاخلاقي للانسان (١٣) بعضها أختار حقل الزهد ونشر المواعظ والرقائق، وبعضها أختار التأليف في مكارم الاخلاق، وبعضها جمع بين أدب الدنيا والدين، فضم مأثورات عربية قديمة من حكم وأمثال وأشعار وأقاصيص يتمثل بها، وقيماً اسلامية تستند إلى القرآن والحديث(١٤).

لقد كان الوشاء وفياً لهذا النهج. فعرض في القسم الأول من «الظرف والظرفاء» لحدود الظرف من قواعد اخلاقية. والحّ على ضرورة اكتساب العلم، ثم انتقل الى تبيين مكارم الاخلاق ومكوناتها من ذم الحسد والصمت والكلام والنهي عن المزاح، والأمر باتخاذ الاخوان واختيارهم، ومودة الأصدقاء والبشاشة بهم، والأمر باغباب زيارة الأحباب والنهي عن مداومة غشيان الأصحاب. اما مصادره فكانت مرويات من شعر الامثال ومأثورات عربية واسلامية.

٢ - اعتبر الوشاء المروءة عاملاً حاسماً في الظرف. ويورد في فصل مخصص لشرائع المروءة جملة من الأقوال القديمة ثم من عصر النبوة والعصرين الأموي والعباسي.

والمروءة، كما تبدو من عرض الوشاء، ويشاركه بالطبع هنا العديد من المؤلفين الذين اهتموا بهذا الموضوع(١٥)، تتمحور حول نقطتين: مادية ومعنوية. وهي بذلك متسقة مع مفهوم الظرف. فالجانب المعنوي يتصل بمكارم الاخلاق(١٦) والجانب

---

١٣ - إن القضية هنا ليست منعزلة عن التحول الثقافي، من ظهور تيارات دينية وسياسية وفكرية وليس هنا مجال عرضها.

١٤ - الجاحظ وابن قتيبة، وابن عبد ربه. ويضم فهرست ابن النديم عدداً طيباً من مؤلفات حول هذا الموضوع.

١٥ - الجاحظ: البيان والتبيين. ابن قتيبة: عيون الاخبار، باب السؤدد. المبرّد: الكامل، ابن حبان البستي: روضة العقلاء، الماوردي: ادب الدنيا والدين، الآبي: نثر الدر. الغزالي: إحياء علوم الدين. الحصري: زهر الآداب. عبد القاهر البغدادي: محاضرات الأدباء. الميداني: مجمع الأمثال. ابن حمدون: التذكرة الحمدونية. الوطواط: غرر الخصائص الواضحة، وغيرها.

١٦ - نذكّر هنا بكتب حول هذا الموضوع: الأدب المفرد، للبخاري، ومكارم الأخلاق، لابن أبي الدنيا، والزهد، للفضيل بن عياض.

الحسي يتصل بشؤون الحياة المادية[١٧]، التي قد ترتبط بالسيادة. قيل لبعض حكماء الفرس: أي شيء للمروة أشدّ تهجيناً؟ فقال: للملوك صغر الهمة وللعامة الصلف وللفقهاء الهوى وللنساء قلة الحياء وللعامة الكذب.

وقال آخر:

عادوا مروتنـا فضـلل سعيهم ولـكل بيت مروّة أعداء

لسنـا اذا عد الفخـار كمعشر ازرى بفضـل أبيهـم الأبناء

وترد المروة لدى ابن قتيبة في كتاب السؤدد.

وفي العهد الاسلامي اكتسبت المروة طابعاً دينياً اخلاقياً. قال رسول الله ﷺ لأحدهم: إن كان لك عقل فلك فضل، وإن كان لك خلق فلك مروءة، وان كان لك دين فلك تقى.

والمروءة أيضاً عندهم هي الصلاح في الدين، وهذا ما يذكرنا بمروءة ابن عباس التي ترتكز الى الاسلام[١٨] وقصة الزبرقان بن بدر حين بلغه هجاء الحطيئة[١٩] بقوله:

دع المكارم لا ترحـل لبغيتها واقصد فأنك انت الطاعم الكاسي

قال الزبرقان: أو ما تبلغ مروءتي إلاّ أن آكل وألبس؟

وقال عمر بن الخطاب: المروءة الظاهرة الثياب الطاهرة، يعني النقية من الذنوب. وقال أيضاً: حَسَب المرء ماله، وكرمه دينه وأهله عقله، ومروته خلقه. وقال محمد بن علي بن الحسين: كمال المروءة الفقه في الدين.

وتكتسب المروءة في العصر الأموي واقعاً معاشاً. فهي العفة والحرفة، واصلاح المال والرزانة في المجالس، والغداء والعشاء في الافنية، وهي الرياسة والفصاحة، وهي في مباكرة الغداء.

---

١٧ ـ كتب بشر فارس بحثاً رائداً في (المروءة)، مباحث عربية، القاهرة، ١٩٣٩.

١٨ ـ الاغاني، بولاق ٩: ١٤٣.

١٩ ـ الاغاني، بولاق ٢: ٥٥.

وفي العصر العباسي، احتملت المروءة الفضل وقابلت الدناءة[٢٠]. وهي لدى الفقهاء من فضائل الاسلام. إذ عقد ابن حبان البستي (توفي ٣٥٤ هـ) فصلاً في المروءة ضم الكثير من المرويات التي تجعل المروءة من فضائل الاسلام، وعلى ذلك سار الماوردي في أدب الدنيا والدين.

ولدى المعجميين يكتسب المصطلح شموليته حتى أصبحت المروءة تعني الانسانية[٢١].

وتناول الصوفية موضوع المروءة، وميزوا بينها وبين الفتوة. فالمروءة تقتصر على الرجل في نفسه وذويه وحاله، والفتوة تتعداه وإياها الى غيره[٢٢].

وفي كتاب الفتوة ميز ابن المعمار بين الفتوة والمروءة فقال: المروءة صفة باطنة والفتوة صفة ظاهرة من فعل الخير والكف عن الشر. وقال بعضهم: الفتوة وصف لازم، والمروءة وصف متعد[٢٣]. ويلتقي الوشاء مع البيروني وابن المعمار الحنبلي في الربط بين الفتوة والمروءة. فيقرر الوشاء أن ما يجب على أهل المروءة مثل الذي يجب على أهل الفتوة والأدب، ولن يعرف الفتى جميل مواهب الفتوة الا بسلوك طرائق الفتوة. وينقل كل من الوشاء والبيروني قولاً واحداً في وجوه اللقاء بين المروءة والفتوة[٢٤]. ويعتبر ابن المعمار ان المروءة تابعة للفتوة، أو أنها شعبة منها. واعتبر إبراهيم الخواص ان الفتوة أصل المروءة[٢٥]. وبيّن ابن المعمار بنجاح اوجه التشابه بين الفتوة والمروءة، فينقل قصصاً في فتوة الفتيان هي نفسها القصص التي أوردها الوشاء في مروءة أصحاب المروءة. وبعض الشواهد الشعرية التي أوردها الوشاء في سنن الظرف يوردها ابن المعمار أيضاً في أبواب الفتوة[٢٦]. إلا ان ابن المعمار يذكر

---

٢٠ ـ كليلة ودمنة، ٢٦٦، مصر ١٨٩٩، عيون الأخبار ١: ٢٩٦.

٢١ ـ المخصص، تعريفات الجرجاني، لسان العرب.

٢٢ ـ الجماهر في معرفة الجواهر، ١٠.

٢٣ ـ كتاب الفتوة ١٤٩.

٢٤ ـ الظرف والظرفاء، فقرة ١٩٩ ب، الجماهر ١٠.

٢٥ ـ الفتوة ١٤٩.

٢٦ ـ الفتوة: الصفحات ١٦٠، ١٦٥، ١٦٨، ٢٦٥، ٢٦٩.

الفرق الاساس بين الفتوة وما تشابه بها من المروءة ، ألا وهو لبس الخرقة وشد الثقاف[٢٧]. وهو بذلك يسجل تطور الفتوة من الظرف أو الفتوة القديمة الى الفتوة الجديدة التي هي مؤسسة لها حدودها وتقاليدها وطقوسها.

٣ ـ شكّل الحب أحد أركان الظرف. وللتعبير عن شديد تقديره للحب سلك الوشاء سبيل رواية القصص والمأثورات والآراء الشخصية المبنية على تجارب خاصة، حتى باتت المادة التي جمعها في هذا المجال، تشكل القسم الهام من عمله. بمايخدم اغراضه التي اعلنها في كتابه من انه يقدمها «لهواً لمن أراد سماعه، وعلماً لمن أراد اتباعه، وهدياً لمن أراد رشده. . . وطيباً لمن أراد شمه، وأدباً لمن أراد فهمه»[٢٨]. وكأنما أراد أن يجعله واحداً من متنزهات القلوب[٢٩].

وقصص الحب في (الظرف) مسبوقة بتراث عربي عريق. ولعل أهمها القصص الشائعة عن كبار المحبين مثل مجنون بني عامر وعبد الله القس وجميل بثينة وكثيّر عزّة وغيرها من قصص العشاق الذين أورد الوشاء اسماءهم. إلا أنّ الموضوع يدور حول الحب العفيف ونقض كل ما هو مخالف له. وهنا يلتقي الوشاء بأعمال من سبقوه، ولا بأس أن يكون هذا اللقاء سلبياً أو ايجابياً.

أ ـ وإذ كانت المرأة الطرف الرئيس في موضوع الحب، فإن الجاحظ كان سباقاً في هذا المضمار. فقد لفت نظره ما اعترى وضع المرأة من تغيير في مجتمع متغير، وبوجه أخص بعد أن أصبح للمرأة دورها باتساع تجارة الرقيق وانتشار الأندية والحانات التي تلتقي فيها القيان براغبيها. وفي هذا المجال وضع رسالة في «العشق والنساء»[٣٠]. ويبدو لنا التشويش الذي يشوب هذه الرسالة الذي تطالعنا به قراءة الفقرة الأولى منها. ولعل رسالته في «القيان»، تقوم بشكل أوفى، بدراسة القيان داخل الأندية وبدراسة القينة من داخل. وفي هذه الرسالة يضع الجاحظ القينة بين سلع التجارة السائدة،

٢٧ ـ الفتوة ١٤٩.

٢٨ ـ باب الحث على كتمان السر، ١١١

٢٩ ـ اعتبر الوشاء كتابه من متنزهات العقول. وفي معجم الأدباء ٦ : ٤٩٣ إن متنزهات القلوب هي عيون الأخبار للقتيبي، والزهرة لابن داود، وقلق المشتاق لابن أبي طاهر.

٣٠ ـ رسائل الجاحظ، ١٤٧، دار النهضة الحديثة، بيروت.

ويعتبرها ضحية الوضع الاجتماعي[٣١]. اما رسالة «المفاخرة بين الجواري والغلمان»[٣٢] فهي تعكس جانباً من حياة التهتك في مجتمع المدينة العباسية، كما تعرض لوناً من الجدال البارع بين أنصار كل من محبذي الجواري والغلمان، وتبين مدى المنافسة التجارية التي كانت قائمة بين هاتين السلعتين من سلع المتعة غير البريئة. وفي عمل أخير «المحاسن والأضداد[٣٣]» يتطرق المؤلف الى معالجة جديدة. فهو هنا يتناول موضوع المرأة بكليته، الحرة والأمة سواء. وفيه يعرض لما ينتابها من العفة والغيرة والقيادة والخيانة الخ..

هذا الشكل من المعالجة لموضوعات خاصة، إنما كان متنفساً للجاحظ للتعبير عن اعتزاله الذي لم يتركه[٣٤]، وبخاصة بعد أن قام المتوكل بابطال المحنة ورفع الغطاء السياسي عن المعتزلة، والسماح لأهل الحديث بممارسة نشاطهم بقوة. إلا أنّ هذه التقية سوف تعود لتظهر في أعمال المعجبين بالجاحظ، ولكن لتتناول هذه المرة الموضوع بشكل مباشر، وتحدد مدى النجاح الذي احرزته المدينة الاسلامية، ممثلة ببغداد، في تمثل مقومات حياة المدينة. فكانت «الرسالة البغدادية» المنسوبة لابي حيان التوحيدي وهي نفسها «حكاية أبي القاسم البغدادي» المنسوبة لأبي المطهّر الأزدي. نحن لا نعرف ما اذا كان ابو حيان قد اعتنق الاعتزال، ولكننا نعرف أنه عاش في العصر البويهي الذي شجع الاعتزال. وأن يكون اهتمام المعتزلة منصباً على المدينة، فذلك أمر طبيعي. اذ أن الاعتزال، بوصفه عقيدة جُلّ رجالها من ابناء المدن، كان بالتالي ابن البيئة الأكثر تقدماً في مجال الثقافة، وهذا يفسره انتقال مراكز الاعتزال من البصرة الى بغداد ثم إلى مدن المشرق مثل الري أونيسابور. وما لاحظه الرحالة العرب يبين انتعاش المعتزلة في المراكز الحضارية ويوضح العلاقة الوثيقة بين

---

٣١ ـ رسائل الجاحظ، باعتناء هارون ٢ : ١٣٩.

٣٢ ـ المصدر نفسه ٢ : ٨٧.

٣٣ ـ إن هذا العمل منسوب للجاحظ، والشك مصدره ورود بعض المعلومات التي قد تكون من عمل الناسخين.

٣٤ ـ أسوق هنا مثلاً على تستره على عقيدته في الاعتزال، وهي قصة المرأة التي قادته إلى نقاش لينقش لها على خاتمها صورة الشيطان الذي يشبهه الجاحظ. هذه القصة لا تدل على مذهبه في السخرية، كما يشاء البعض أن يقول، لكنها تدل على السخرية من المشبهة الذين هم في نظره من العامة. انظر مثلاً: (رسالة في نفي التشبيه).

المعتزلة وبين المدينة الاسلامية حيث تحتشد الطاقات الثقافية. وما يهمنا إيضاحه هنا، هو أن المعتزلة بمناداتهم بأهمية العقل كانوا يقفون صراحة ضد ما يشبه أعمال السحرة. وفي نظرتهم للمرأة تخلّو، كما رأينا عند الجاحظ ومن تأثر به، عن نظرية المرأة التابو، أو السر المغلق الذي لا يحل إلاّ بالسحر. وما الاحصاءات التي قدمتها «الرسالة البغدادية» أو «الامتاع والمؤانسة» عن عدد المغنيات والمغنين فى حانات بغداد إلا مساهمة في تثبيت نظرية الجاحظ في أن المرأة وعلاقتها بالرجل ليست سراً مغلقاً[٣٥].

ب ـ ويشارك أخوان الصفاء (حوالي ٢٦٠هـ) برسالة باهتة في مناقشة مسألة الحب[٣٦]. وفيها يبدو تأثرهم بالفلسفة اليونانية، سواء في عرضهم لماهية الحب، أو لأسباب العشق، أو في قبولهم لتأثير النجوم على أنواع النفوس، أو قولهم بتغيّر أحوال العشاق بتأثير الكواكب أو بدرجة الطالع في حدود الأبراج. وفي هذه الرسالة نلمس تبنّيهم للحب الافلاطوني، وجهرهم في تطبيق مقولات الفلسفة اليونانية في مجال دراسة النفس الانسانية على مجتمعات متباينة البيئات. ويقرر الأخوان أخيراً ان الأمم التي لا تتعاطى العلوم والصنائع والأدب، فإنه قلما يوجد فيهم ولا في طباعهم الرغبة في الغلمان والمردان.

وربما يمكننا أن نعز و عدم نجاح الاخوان في هذا الموضوع، كونهم أولاً أصحاب دعوة سياسية، لكن رغبتهم في بناء نظرية شاملة حول الكون جعلتهم يعالجون هذا الموضوع بمواد مستعارة من الفكر اليوناني، دون أن تكون لهذه المعالجة أصالتها وتراثها.

ج ـ وكان محمد بن داود معاصراً آخر للوشاء (توفي ابن داود ٢٩٧هـ عن اثنين وأربعين عاماً)، وهو صاحب عمل خصص القسم الأول منه للحب. كان فقيهاً ظاهرياً وهو ابن مؤسس المذهب الظاهري. ويتألف القسم الأول من «الزهرة» من خمسين باباً يذكر فيها جهات الهوى وأحكامه وتصاريفه وأحواله.

---

٣٥ ـ انظر مثلا، القصص التي يوردها الجاحظ حول اباحة الكلام مع المرأة أو الأحاديث عن أدب الفراش، ولا تخرج عن هذا الاطار مزاحمة الغلمان للجواري في العلاقات الجنسية.

٣٦ ـ رسائل اخوان الصفاء، الرسالة ٣٧، ٣: ٢٦٩ ـ ٢٨٦، طبعة صادر.

لقد سلك محمد بن داود طريقاً خاصاً، وحاول ايجاد اطار للحب، يضم البواعث إلى المظاهر أو العلامات الى النتائج، ليخلص الى بناء نظرية للحب[٢٧]. لكن هذه النظرية تبدو غير متماسكة، فهي مبنية على أقوال مأثورة، ربما كانت شائعة في أدب الحب، يسوق بعدها شواهده الشعرية.

ويبدو من عرض ابن داود أنه يرسم للحب صورة وجدانية راقية. ولعل هذا مرتبط بحياته الثقافية والفيزيولوجية والسلوكية. فهو فقيه ظاهري، إمام ابن إمام، يرفض القياس والاجتهاد. وذلك يعني أنه يعالج قضية الحب الثابتة، كما تصورها أو كما ورثها، أي بما يشبه مذهب الحب للحب. وهذا ما أرادنا أن نعلمه عنه إذ يقول: «ما انفككت من هوى منذ دخلت الكتّاب بدأت بعمل كتاب الزهرة وأنا في الكتّاب، ونظر أبي في أكثره». ويرتبط بهذا المفهوم، حبه كما قيل، لمحمد بن جامع أو ابن زخرف أو وهب بن جامع العطار الصيدلاني. أما الناحية الفيزيولوجية فتشير إليها المصادر التي تتحدث عن نحافته وصفرة لونه، والتي من أجلها لقب بعصفور الشوك.

ونلاحظ في مفهوم الحب عند ابن داود، اتصاله بآراء قديمة اعاد تنسيقها. ومن أركان هذا المفهوم قوله بأسباب بعيدة للحب يحكمها القدر: «الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تنافر منها اختلف». ثم يقترح تفسيراً فلكياً حيث تتحكم الأبراج في اتفاق الأرواح، كما يلجأ الى الطب ليدعم رأيه.

ويرى ابن داود مراتب للحب تبدأ من السماع والنظر وتنتهي بالوله الذي هو قمة الحب. والمطلب الرئيس في نمو نظرية الحب عنده، هو العفة.

وما افتقر إليه عمل محمد بن داود من التماسك النظري، سوف يقوم به فقيه ظاهري آخر، هو ابن حزم الاندلسي في «طوق الحمامة»، وفي هذا العمل يعيد ابن حزم بناء نظرية الحب استناداً إلى تجربة ذاتية يسجلها في عمل فني متكامل.

---

٣٧ ـ كتب محمد حسن عبد الله دراسة قيمة عن (الحب في التراث العربي)، عالم المعرفة، عدد ٣٦، الكويت، ١٩٨٠. وفي هذا المجال تستوقفنا مجموعة من أشعار العرب في الحب، جمعها أحمد تيمور (الحب والجمال عند العرب) وفيها ينحو منحى صاحب الزهرة في محاولة بناء نظرية متكاملة عن الحب.

د ـ إن النظرة الأولى على كل من كتابي «الزهرة» و«الظرف والظرفاء» تجعلنا نظن بوجود تشابه كبير بينهما. وبالفعل فانهما يقدمان عملين مصادرهما متشابهة ومتقاربة، لا سيما في موضوع الحب. فالعفة هي المطلب المسيطر في كل مراحل الحب. قال نفطويه:

ليس الظريف بكامل حتى يكون عن الحرام عفيفاً

ويورد الوشاء قصصاً في عفة المحبين مدعمة بآيات من القرآن الكريم. وهذه العفة تسمح بالمجالسة والمحادثة. من ذلك شاهد من العباس بن الأحنف، الشاعر الدافىء الذي يبدو شاعر الظرفاء الأول:

اتأذنون لصب في زيارتكم فعندكم شهوات السمع والبصر
اني أحبك حباً لا لفاحشة عف الضمير ولكن فاسق النظر

ويستتبع هذه العفة استخلاص نتائج في أهمية الحب. فهو للظرفاء من اوكد الفرض عليهم، وهو ينمي القدرة على حسن تركيب الطباع والغرائز وصفاء الجوهر، وهو من شيم الكرام. لأن الهوى، كما وصفته العلماء وكما قال فيه الحكماء هو أول باب تفتق به الأذهان وينفسح به الجنان، وقد يشجع الجبان ويسخي البخيل ويطلق لسان العيي ويقوي حزم العاجز. وبكلمة ان الإنسان اذا عشق نظف وظرف ولطف(٣٨).

وللهوى عند الوشاء علامات ودلالات. ومن علاماته نحول الجسم، وطول السقم، واصفرار اللون، وقلة النوم، وادمان الفكر، وسرعة الدموع واظهار الخشوع. وهو، كما وصفه أحد المرابطين في الثغور، نوع من الجهاد. ومن لم تكن له هذه الامارات فهو من الكاذبين والأدعياء. فالعرب، كما يقول الوشاء، تمدح بالضمر، وتذم بالسمن وتنسب أهل النحول إلى الأدب والمعرفة، وأهل السمن إلى

---

٣٨ ـ باب سنن الظرف ١٢١. وقارن أيضاً مع قول لارسطو في الحب نقله ابن الخطيب في: روضة التعريف بالحب الشريف ٣٥٧.

الفـدامة وقلة الفهم. وللفلاسفة في ذلك قول يثبت ما أدعت العرب.

وإذ كان العشق نوعاً من الضنى والسهر والكتمان، فلا بد من أن تكون نهـاية أصحابه الموت[٣٩] أو طلب الشهادة في الحب. وهنا يأتي الحديث المنسوب الى الرسول ﷺ عن ابن عباس: من عشق فعف فمات فهو شهيد[٤٠]. وحتى الذين قتلوا أنفسهم، فلهم المسوغ الديني، مع تحريم الاسلام قتل النفس، حين يستعين الوشاء مجدداً بابن عباس، كما يلجأ الى مرويات عن مالك بن أنس وسعيد بن المسيب وشريك القاضي.

ونقطة اخيرة يعالجها الوشاء وهي تتعلق بالوفاء. فبعد أن يتحـدث عن فسـاد الحب في عصره، والتنقل من حبيب الى حبيب، يعود ليقرر أن الوفـاء في الرجـال والغدر في النساء. وهنا يورد قصصاً في الوفاء والغدر، إلاّ أنه يصب جام غضبه على القيان اللاتي لا وفاء لهن، وجلّ همهن اقتناص أموال عشاقهن.

إن الشخصيات التي اختارها الوشاء في حديثه عن حالات الحب ودلالاته مؤلفة من نوعين: بعضها متصل بالاساطير والأوهام، وبعضها شخصيات تاريخية. وهي لا بد كانت معروفة قبله، ودون معظمها بعده أبـو الفـرج الأصفهانـي في كتابـه الأغاني. وبعض هذه الشخصيات أصبحت رموزاً لقضايا طرحها في الحب. وتأتي عروضه في إطار أدب الخاصة وسلوكها..

والأهمية الرمزية لهذه الشخصيات أنها كانت مورداً لمن عالج مسألة الحب الالهي الذي كان الحب الانساني مدخلاً ضرورياً له. يقول ابن الدباغ[٤١]: «واعلم ان المحبة تأثيرها في النفوس الانسانية اللطافة والصفاء والرقة وسائر الأوصاف المكملة التي تستعد بها للعروج الى الملأ الأعلى والاطلاع على أسرار عالم الغيب».

---

٣٩ ـ وضع السراج كتاباً في مصارع العشاق.

٤٠ ـ هذا الحديث مثار جدال. انظر حوله: الوافي بالوفيات ٣: ٦٠ في ترجمة محمد بن داود. وفي رأيي أن الأحاديث التي يرويها الأدباء تكتسب صفة خاصة والصنعة فيها بادية، وهـذا ينطبـق علـى بعض الأحاديث التي يوردها الوشاء.

٤١ ـ مشارق انوار القلوب ١٠٥، باعتناء رتّر، دار صادر.

«أما تأثيرها في صفاء النفس ورقتها، فدليله أنا نجد أجلاف العرب ورعاة البهم ومن جانبهم من اغشام الامم الذين لم يتصفوا قط بعلم ولاحكمة. إذا احبوا رقت طباعهم وصفت اذهانهم وشرفت نفوسهم وعلت هممهم ولطف ادراكهم، ومن جملتهم مجنون ليلى، فان المحبة انطقته بالحكمة نظرياً ونثراً، وبلغت به غاية لم يبلغها كثير من الناس بالرياضة، حتى صارت احواله حجة على المحبين، واقواله شاهداً على صحة دعواهم. ولولا المحبة التي اتصف بها لم يخرج عن أهل طبقته من الجهال».

ويذهب ابن الدباغ مذهب الوشاء في تخصيص العفة بالخاصة دون العامة ويصرح في مجال التعلق بالجهال بمفهوم معين بالعوام [٤٢]. ومثل موقف ابن الدباغ يقف محيى الدين بن عربي وابن الخطيب.

اما الشخصيات التاريخية التي يعرضها الوشاء، فهي تنتمي الى الخاصة مثل عاتكة ونائلة ابنة الفرافصة وحبيش وسلامّة. هذه الشخصيات مختلفة في تركيبها ولكنها تلتقي جميعاً في الشرف. فنائلة ابنة الفرافصة التي ربما كانت نصرانية، زوجة عثمان، التي كان لها دور في الدفاع عن/زوجها يوم الدار، حفظت زمام زوجها ورفضت الزواج من معاوية. وحبيش، كانت على دين أهل الجاهلية، والشخصية البارزة كانت عاتكة المزواج ومع أنها ترد في عداد اللواتي غدرن بحب أزواجهن، إذ تزوجت أولاً من عبد الله بن أبي بكر وقتل عنها يوم الطائف، ثم تزوجت من عمر بن الخطاب حتى قتله أبو لؤلؤة، ثم تزوجت من الزبير بن العوام حتى قتل عنها منصرفاً عن الجمل بوادي السباع. إلا أن الوشاء يعرضها بشكل يجعلنا نتفهم موقفها ونتعاطف معه، ولربما دلت على المرأة المرغوبة لكفاءتها وشرفها أو لربما أعاد لنا هذا الزواج صورة زواج النخوة عند العرب، ومن ذلك عرض معاوية على ابنة الفرافصة الزواج منها، ومثل هذا الزواج معروف في السابق، ولربما ضمت مثله قصص الزواج التي أوردها ابن حبيب في (المردفات من قريش).

لقد عالج الوشاء قضية المرأة من وجهة نظر واقعية. فلم تكن عنده قضية

---

٤٢ ـ نفسه، ١٢٠.

سوسيولوجية كما شاء أن يعالجها الجاحظ، ولا قضية وجدانية ونفسية كما عالجها ابن داود الظاهري، بل هي مسألة اخلاقية، من حيث تأكيدها على العفاف والابتعاد عن القيان ورفض المثلية الجنسية. واذا ما أصرّ على ضرورة الحب، فانه يراه حاجة جسدية واجتماعية متصلة بنصائح طبية للوصول الى النقاء الذي يجعل الانسان متصلاً بمجتمعه، وفي ضوء هذا الموقف نفهم قصة سلامّة والقس. فسلاّمة هي التي لفتت عبد الله القس الى أنه لا يعيش حياة سليمة. فالانسان يجب أن يكون مندمجاً في مجتمعه، مشاركاً معطاء، وليس محباً تدور عواطفه حول الأنا. فالهو يجب أن نعرف كيف نتصل به. وهذا المفهوم يقترب جداً من مفهوم الفتوّة.

لقد كان الوشاء سباقاً في هذا المضمار. إن وقوفه عند قصص الحب لم يكن عفوياً .وما اكتسب شكل النظرية عند ابن الجوزي وابن قيم الجوزية الحنبليين فيما بعد، إنما يستند الى مرويات الوشاء والى آرائه. والمقارنة الأولية بين آرائهما تبين لنا الفقرات والافكار التي نقلاها عنه، والتي نلمسها في (ذم الهوى) و(روضة المحبين) و(أخبار النساء). غير انهما اسبغا في مواقفهما الفقهية على مروياتهما.

والمقارنة بين دارسي الحب تظهر الوشاء فريداً. فابن داود عرض لتجليات الحب الكامل أو ما يمكن تسميته الحب في التمام. فيما يبدو الوشاء أنه يحاول رسم صورة الانسان الكامل أو الانسان في التمام. والانسان الكامل عند الوشاء غيره عند الصوفية، فهو عنده انسان اجتماعي، فيما شاءه اولئك انساناً ربانياً. وهذا يبرز في اعمال الصوفية المخصصة للحب مثل ما ورد عند أبن عربي في محاضرة الأبرار، أو عند ابن الدباغ في مشارق الأنوار أو عند ابن الخطيب في روضة التعريف بالحب الشريف. فهل كان الوشاء يريد لعمله ان يكون مرحلة من مراحل الفتوة، أم تطويراً لمفاهيم الفروسية العربية إلى فروسية اسلامية؟ هذا السؤال يقودنا الى البحث في ما كان عليه الظرف قبل الوشاء.

يعزى ظهور الظرف الى الوليد بن يزيد (الوليد الثاني توفي ١٢٦/ ٧٤٤) أو ما قبل عهده. وتشير الروايات الى ولع الوليد بالخمر والغناء والاستهتار وانه استقدم إليه شاعرين مشهورين في هذا الباب: حماد عجرد ومسلم بن الوليد (صريع

الغواني). ونقل ابو الفرج الأصفهاني عن الجاحظ قوله:

كان والبة بن الحباب ومطيع بن اياس ومنقذ بن عبد الرحمن الهلالي، وحفص بن أبي بردة، وابن المقفع، ويونس بن أبي فروة، وحماد عجرد، وعلي بن الخليل وحماد بن أبي ليلى الراوية وابن الزبرقان وعمارة بن حمزة، ويزيد بن الفيض، وجميل بن محفوظ وبشار المرعث وأبان اللاحقي ندماء يجتمعون على الشراب وقول الشعر ولا يكادون يفترقون، ويهجو بعضهم بعضاً هزلاً وعمداً، وكلهم متهم بدينه[٤٣].

ويذكر ابن المعتز في طبقاته[٤٤] الحمادين الثلاثة الذين كانوا بالكوفة، عجرد وحماد بن الزبرقان وحماد الراوية، يتنادمون على الشراب ويتناشدون الأشعار ويتعاشرون أجمل عشرة، وكانوا كلهم نفس واحدة، وكانوا يرمون بالزندقة.

ويبدو أن العراق كان مهد الظرف، إذ يصف صاحب الأغاني[٤٥] مطيع بن اياس ويحيى بن زياد وحماد الراوية بأنهم ظرفاء الكوفة. ويذكر الأصفهاني أيضاً أن مطيع ابن أياس كان منقطعاً إلى الوليد بن يزيد، ثم انقطع في الدولة العباسية إلى جعفر ابن أبي جعفر المنصور الذي وصف بالاستهتار بالخمر، ويتضح لنا ارتباط الاستهتار بالخمر والغلمان والزندقة بالظرف، وهو مغاير تماماً للظرف عند الوشاء.

ويبدو أن هذا الظرف الماجن تابع انتشاره في العراق، حتى ذهبت فيه بعض الأقوال مضرب الأمثال، كقول أبي نواس: «تيه مغن وظرف زنديق»[٤٦]. ووصفه وجهاً مليحاً منمقاً بأنه كتاب الزنادقة[٤٧].

إن اقتران الغناء بالظرف يعود بنا الى الحجاز، حيث ازدهر الشعر والغناء. وحيث نشأت أصول الظرف في المدينة ومكة وفي أماكن حضرية أخرى مثل وادي القرى والطائف ودومة الجندل، التي قصدها أشراف العرب ومثقفوهم[٤٧ب].

---

٤٣ - الاغاني ١٨: ١٠١ (الهيئة العامة)، ١٣: ٢٧٧ (دار الكتب).

٤٤ - طبقات ابن المعتز ٦٩.

٤٥ - ١٣: ٣٧٧ (دار الكتب).

٤٦ - الثعالبي، ثمار القلوب، ٢٤٢. مجمع الامثال ١: ١٢٤.

٤٧ - ديوانه ٤٤٨، ووصفت كتب الزنادقة بانها مزخرفة ومطلية بالذهب.

٤٧ب) ثمار القلوب ٥٤٨

أن نشوء الظرف في الحجاز وانتقاله الى الكوفة يحملنا على النظر في البيئة التي ازدهر فيها هذا الفن. لقد كان الفتح العربي سخياً على الحجاز، ، وبخاصة بعد أن انتقلت العاصمة من المدينة الى دمشق. ولم يلبث هذا السخاء أن فقد أهدافه، فالأحداث التاريخية تدل على أن أهل الحجاز لم يكونوا موالين للسلطة الأموية ثم العباسية لاحقاً. والأهمال السياسي للحجاز جعله في صف المعارضة غالباً، كما أن الكوفة كانت مركز العداء السياسي للأمويين، وازدهار الغناء والشعر في الحجاز أولاً كان نوعاً من التعامل مع الواقع الجديد، الذي اغدق الثروات على الحجازيين ليكسبهم إلى جانبه، وهذا الاستهتار كان متنفساً للشعراء كي لا يصنفوا بين الخصوم السياسيين، وكي يفيدوا من حريات معينة، وهو ما حماهم بالفعل. فنحن لا نعرف منهم من ضُيّق عليه رغم ان الاتهام بالزندقة كان كافياً لأن يدفع صاحبها حياته. هذا باستثناء عهد عمر بن عبد العزيز القصير الأمد.

ومن الطبيعي أن يكون بين الموالي القادمين الى الحجاز عدد كبير من المغنين والمغنيات والموسيقيين والراقصات، وهؤلاء كانت لهم تقاليدهم الثقافية.

وتعتبر الفترة الذهبية لازدهار الفن في الحجاز تلك الممتدة بين السنوات ٦٠-٩٠ هـ حيث اعتبرت المدينة مركزاً للغناء والظرف وبعض المغنين اعتبروا من الظرفاء. فابن سريج المكي بعد انتقاله الى المدينة كان يعد في الظرفاء، ووصف بأنه يتميز بالرقة التي اطراها الوليد بن عبد الملك. ويبدو أنه كان مثار الاعجاب، فقد كان يعد في الخطباء، واعتبر غناؤه منسجماً مع التقاليد الاسلامية ولا يخالفها[٤٨]. ولم يكن الغريض ومعبد أقل شهرة منه[٤٩]. ومع هذه الاعلام يعطينا كتاب الاغاني عدداً من الاسماء الذين عدوا من الظرفاء الخلعاء. والخليع هو الذي انهمك في الشراب ولازمه ليلاً نهاراً، كأنه خلع رسنه واعطى نفسه هواها، فالخليع هو المشتهر بالشرب[٥٠].

كان الاستهتار بالخمر دعوة صريحة الى الخلاعة. فكان عمارة بن الوليد

---

٤٨ ـ الاغاني ١: ٢٦٣، ٣١١ (الهيئة العامة).

٤٩ ـ المصدر نفسه، ٢: ٣٧٤، وفي الجزء الأول اخبار ابن جامع.

٥٠ ـ لسان العرب، ٨: ٧٦ ـ ٧٧.

المخزومي أحد زواد الركب[٥١]، وكان كثير الشراب والزنى، وعاهد زوجته على تركهما، ولكنه لم يستطع أن يفي بوعده بترك الشراب[٥٢].

وأنشد دعبل في معنى الظرف القديم المتميز بالخلاعة[٥٣]:

وإذ فات الذي فات ... فكونوا من بني الظرف

ومرّوا نقصف اليوم ... فإني بائع خفي

ولا بأس هنا من أن نذكر بلقب الخليع الذي أطلق على الحسين بن الضحاك.

ورافق ازدهار الغناء ازدهار الشعر العربي الرقيق، فتألق نجم عمر بن أبي ربيعة[٥٤]. وكانت المرأة الملهم والحكم. فبرز منهن من كن على ثقافة عالية، مثل عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين التي كانت لها حلقة تطلق فيها أحكامها النقدية على الشعراء وشعرهم.

هذه المكونات التي أسهمت في نشر الظرف، انتقلت إلى العراق حيث انتشرت في الامصار الجديدة من البصرة والكوفة وواسط، وحيث اختلط الظرف السوري بالحجازي ليشكلا الظرف العراقي، الذي ارسى قواعده المغنون والمغنيات والعلماء واللغويون، وبخاصة ان هذه الأمصار استقبلت جماعات جديدة جاءتها من شبه الجزيرة العربية. وهنا نشأت حلقات حماد عجرد وحماد الراوية ومطيع ووالبة بن الحباب استاذ أبي نواس وغيرهم من شعراء الموالي. ثم اشتهر بشار وأبو نواس. هذه الفعاليات الفنية سوف تنتقل الى بغداد بعد انشائها، ويخص الشعراء بركن خاص فيها يجتمعون ويتناشدون اشعارهم تحت قبة الشعراء.

لقد أصبحت بغداد مدينة عظمى ضمت المرابع والحانات يقصدها الناس، وقامت بيوتات للقصف والشراب والمغنيات، وأسهم في هذا النشاط الاقبال على تعليم الاماء أصول الغناء واستقدام القصر لاساتذة هذا الفن. ومنذ عهد الرشيد

---

٥١ ـ زواد الركب: كان أزواد الركب لا يمرُّ عليهم احد إلا قروه واحسنوا ضيافته. (الاغاني ١٨ : ١٢٢).

٥٢ ـ المصدر السابق ١٢٣.

٥٣ ـ المصدر السابق ١٠ : ٤٩ (دار الكتب).

٥٤ ـ اخباره في الاغاني ١ : ٦٤ (الهيئة العامة).

(١٧٠/ ٧٨٦) حتى عهد المستكفي (٣٣١/ ٩٤٤) كانت فترة ازدهار الظرف. وعرفت هذه المدة الطويلة عهود المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل الذين يعود اليهم ازدهار الظرف والذي نجد صداه في أدبيات تلك الفترة، واطلاعنا على كتابي الأغاني والديارات يعطينا صورة واضحة عن انتشار الظرف في هذه الفترة. ومع هذا الازدهار زاد عدد الندماء بشكل واضح، وكان على هؤلاء أن يكونوا من الظرفاء أولاً، وأن يلموا بثقافة لائقة، وأن يتحلوا بصفات تجعلهم مقبولين لدى من ينادمونه. ويمكننا أن نقدر أهمية هذه المرحلة من حياة الظرف إذا ما عرفنا أن مجموعة كبرى من بني العباس قد انخرطوا في هذه الموجة[٥٥] وبينهم عليّة بنت المهدي وابو العبر وإبراهيم بن المهدي وعبد الله بن المعتز الذي كان نجماً لامعاً من نجوم الظرف والثقافة والسياسة.

وكان من الطبيعي ان يمتد الظرف الى قطاعات اجتماعية اخرى، ومن هؤلاء طبقة التجار والأثرياء الجدد[٥٦] ورجال الاقطاع الارستوقراطي والعسكري، الذين ادى بهم ثراؤهم الى الدخول في عداد الفئة العليا. واتساع مجال الظرف افقياً ادى الى انتشار التأليف فيه، نظراً لدخول عناصر من حديثي النعمة، فتعدّ لنا المصادر حوالي مائة ظريف، كانوا على مستوى من الثقافة. وكانت اخبار هؤلاء الظرفاء تروى في حلقات السمر، ومع هذه الأخبار، كان السمّار يروون روايات تتصل بالأساطير والخرافات.

لكن هذه الموجة سوف تصطدم بحواجز اجتماعية، بعد أن تغيرت الأوضاع وتبدلت المواقف.

لقد تعرضت بغداد لحربين اهليتين: الأولى في نهاية القرن الثاني للهجرة، بعد النزاع على خلافة هارون الرشيد بين ولديه الأمين والمأمون. والثانية في منتصف القرن الثالث ثم قيام حرب الزنج في منطقة البصرة. وكانت نتيجة هذه الحروب دمار بغداد ونهبها وتنامي قوة العامة السياسية. وبالمقابل أدى الاعتماد على القوة العسكرية من المرتزقة الى وقوع السلطة بين أيدي قادة الجيش الذي يتجلى في استيلائهم على

---

٥٥ ـ الصولي، أشعار أولاد الخلفاء.

٥٦ ـ انظر مقامات بديع الزمان الهمذاني، المقامة المضيرية.

مقدرات البلاد المالية، وفي قدرة قادة الجيش على تنصيب الخلفاء وعزلهم وبوجه خاص بعد مقتل المتوكل ٢٤٧هـ.

ولمقاومة هذه السيطرة العسكرية لجأ الخلفاء الى استرضاء العامة منذ خلافة المتوكل. لقد لمس هؤلاء التغير الذي طرأ على موازين القوى في الرأي العام وبات فيه الحنابلة سادة الموقف الشعبي. وقد اتخذوا موقفاً متشدداً تجاه بعض مظاهر الحرية في المجتمع، واعلنوا دعمهم لخلافة قوية، مما جعل بعض الخلفاء يتظاهرون بمحاربة الغناء والجواري.

إلا أن الاوضاع استمرت في تدهورها، وبخاصة في الثلث الأخير من القرن الثالث للهجرة. فقامت بعض الدعوات السياسية المناهضة للعباسيين بالاستيلاء على بعض مناطق المشرق، وقام الفاطميون بالاستيلاء على المغرب ثم مصر. وما إن أهلّ القرن الرابع حتى كانت موارد الخلافة قد نضبت، وبدأت أزمة مالية خانقة لم ينجح المسؤولون في معالجتها، اعقبها استفحال أمر الغلاء وتدهور قيمة النقد، ثم توالي الانتفاضات ضد الغلاء، حتى أنه يمكننا وصف فترة حكم المقتدر ٢٩٥ - ٣٢٠هـ بأنها فترة حروب داخلية مستمرة. ويعكس الصابي في (كتاب الوزراء) صورة الصراع داخل المجتمع العباسي وداخل أهل الحكم أنفسهم بعد افتقار الخزينة.

وبين مظاهر تهاوي السلطة ظهر نفوذ النساء في الحكم. والمثل الصارخ على هذا النفوذ هو (شغب) أم المقتدر التي كانت تعرف بالسيدة. وتتحدث المصادر عن اسرافها واسراف ابنها الخليفة واقبالها على اتلاف الثروة. وبين أسباب العجز المالي بالاضافة الى شح الواردات من الولايات نتيجة استيلاء القادة المحليين على مداخيل ولاياتهم، يبدو إقبال القصر على شراء الجواري. ويتحدث التنوخي في نشوار المحاضرة عن المبالغ التي أهدرت في هذا المجال. وفي هذا العصر ازدهرت الحانات، وتحول نشاط العيارين الى هذا الحقل باعتباره مورداً من الموارد الاقتصادية. في هذه البيئة ظهر كتاب الظرف والظرفاء.

كان الوشاء لغوياً من مدرسة بغداد لا نعرف تاريخ ولادته، ولكنه توفي ٣٢٥/ ٩٣٦. دخل القصر ليعمل فيه، فقد ذكر أنه روت عنه منية جارية أم ولد

المعتمد، أي أنه دخل القصر في منتصف القرن الثالث. ومن العناوين التي تركتها لنا المصادر، يبدو أنه كان متخصصاً في مجال الظرف، فمن كتبه أخبار المتظرفات وكتاب السلوان والمذهب، والحنين إلى الأوطان وحدود الظرف الكبير.

ويبدو أنه لم يكن غنياً، فقد كان معلماً في مكتب العامة فهو يدافع عن الفقراء الظرفاء ضد الأغنياء المتخلفين، كما يروي لنا رواية في الظرف[٥٧] عن احدى متظرفات القصور تقول: من كان عفيفاً كان عندنا متكاملاً ظريفاً، ومن كان غنياً عاهراً كان ناقصاً فاجراً.

والأهمية التاريخية لكتاب الظرف هو أنه يكاد يكون الوحيد الذي وصلنا من بين سلسلة من المؤلفات في هذا الباب وضعت في عصره. فقد كان القرن الثالث الهجري مهد المؤلفات في هذا الباب، ويضيف الوشاء صورة من الحياة الراقية التي كان يحياها جماعة من الميسورين والظرفاء، ويقترح قواعد في اصول التعامل وفي أدب المائدة واللباس والزينة واستخدام الجواهر. ويسجل لنا نوعاً من أدب المكاتبة بين الظرفاء والعشاق. إنه أشبه ما يكون بوثيقة تاريخية. ولن نرى ما يشابهها إلا بعد قرن مع (حكاية أبي القاسم البغدادي) التي لم تكتف بوصف مظاهر الترف داخل البيت البغدادي، بل انتقلت الى شوارع بغداد في الجزء الشرقي منها، حيث قام قصر الخلافة وقصور السلاطين والوزراء، وحيث قامت أسواق تجارية مزدهرة.

وإذا ما قارنا اسلوب (الظرف والظرفاء) مع ما سبقه من مؤلفات في موضوعه، نراه محافظاً وتقليدياً، فهو أشبه بالأمالي التي سبق أن تلقاها على أيدي أساتذته، كما أن ولعه في السجع يضفي على الكتاب المزيد من التقليد. ولعله وضع بتأثير منافسات شديدة كان من أبطالها ابن أبي طاهر (طيفور) وأحمد بن الطيب السرخسي الذي دفع عنقه ثمن هذه المنافسات.

ولعله لم يرغب ان يكون تقليدياً حين ألف كتابه، بل رغب في أن يقدم عملاً مفيداً أو مسلياً في آن واحد، مخالفاً بذلك ما كان يدور في بعض حلقات القصر. إن الصولي يعطينا فكرة واضحة عن الأجواء الثقافية التي كانت تسود القصر في مطلع القرن الرابع.

---

٥٧ ـ باب سنن الظرف، ١١٣.

قال الصولي في حديثه عن خلافة الراضي ٣٢٢هـ[٥٨] : إني لأذكر يوماً في إمارته وهو يقرأ عليّ شيئاً من شعر بشار وبين يديه كتب لغة وكتب أخبار ، إذ جاء خدم من خدم جدته السيدة فأخذوا جميع ما بين يديه من الكتب فجعلوه في منديل دبيقي كان معهم ، وما كلمونا بشيء ومضوا ، فرأيته قد وجم لذلك واغتاظ فسكت ، فسكنت منه وقلت له : ليس ينبغي ان ينكر الأمير هذا ، فإنه يقال لهم إن الأمير ينظر في كتب لا ينبغي أن ينظر في مثلها ، فأحبوا أن يمتحنوا ذلك ، وقد سرني هذا ليروا كل جميل حسن . ومضت ساعات أو نحو ذلك ثم ردوا الكتب بحالها . فقال لهم الراضي : قولوا لمن أمركم بهذا ، قد رأيتم هذه الكتب ، وانما هي حديث وفقه وشعر ولغة وأخبار وكتب العلماء ، ومن كمله الله بالنظر في مثالها وينفعه بها ، وليست من كتبكم التي تبالغون فيها مثل عجائب البحر وحديث سندباد والسنور والفأر .

وفي خبر طويل يرويه أبو بكر الصولي أيضاً[٥٩] نتبين مدى مراقبة السيدة شغب لثقافة مربي الأمراء ، وهي ترفض أن تعطيهم أجورهم كي ينقطعوا عن دخول القصر ، كما أنها تراقب مقرراتهم ، وبلغ بها الأمر أن طردتهم بقولها : «ما نريد أن يكون أولادنا أدباء ولا علماء ، وهذا أبوهم (المقتدر) قد رأينا كل ما نحب فيه وليس بعالم» .

في هذه البيئة عمل الوشاء ، وفي مثل تلك الظروف وضع كتابه في «الظرف والظرفاء» ، عله أراد اقتراح قيم اجتماعية لجماعة من صغار النبلاء الجدد .

فهمي سعد

---

٥٨ ـ اخبار الراضي بالله والمتقي لله ٥ ـ ٦ .

٥٩ ـ نفسه ، ٢٥ ـ ٢٦ .

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الكتاب

تعرفت على (الظرف والظرفاء) أثناء دراستي العليا، ونال اعجابي كما نال اعجاب غيري، وراودتني فكرة اعادة تحقيقه نظراً لما يعتوره من اخطاء. فقد طبع عن مخطوط ليدن الوحيد، وقدمه الأستاذ برنو للقراء سنة ١٨٨٧. ثم اعيد طبعه على اساس هذه النسخة في القاهرة ١٣٢٤ هـ، وطبع في بيروت، دار صادر، وطبع في القاهرة ١٣٤٥ هـ بمطبعة التقدم واعادت طبعه عالم الكتب في بيروت.

وفي شتاء ١٩٨٣ بدأت بإعداد هذا الكتاب استناداً لطبعة عالم الكتب، ووضعت باعتباري امكانية الإفادة من جهود من سبقوني في هذا المضمار، فقمت بوضع خطة عملي وبدأت جمع البطاقات. ولم يلبث أن هب صيف حار جداً في بيروت، حمل معه للبنانيين موجة جديدة من الآلام والعذاب والموت والتشريد، ونالني منها ما نال الكثيرين من تشريد وأضرار لحقت ببيوت الناس، وطال هذا التشريد أوراقي وبطاقاتي. وفي اجواء النار وشح النور تابعت عملي:

١ ـ وكان علي ان اتبع الوسائل المتاحة، وفق برنامج مرن، وجابهتني مشكلة اثبات الاعلام. فاسم المؤلف نفسه تورده المصادر باختلاف، منها من قال انه محمد ابن احمدبن إسحاق بن يحيى المعروف بالوشاء وهي في معظمها، ومنها من قال محمد بن اسحاق بن يحيى الوشاء وهي القليلة جداً. ومنها من قال إنه ابن الوشاء، ومنها من قال ان ولده يدعى ابن الوشاء. والذي ورد في صدر الكتاب من أنه محمد بن اسحاق بن يحيى الوشاء يحمل على الشك بإقحامه من الناسخ. وكونه ابن الوشاء قد يكون صحيحاً، فليس في ترجمته ما يدل على

انه عمل في الوشي، كما أنّا لا نعرف شيئاً عن أبيه، إلا ما أورده من روايتين عنه، وهو قد يكون عمل في الوشي والرواية معاً، وهذا أمر مشهور عن كثير من المحدثين والرواة. وقد قمت باعتماد محمد بن أحمد بن إسحاق وهو الأكثر شهرة في اتفاق أصحاب التراجم.

٢ ـ بالنسبة لموضوع الاعلام، فقد قمت باثبات ما توصلت الى تحقيقه منها. وصرحت بشكي في ما لم اتوصل الى تحقيقه.

٣ ـ اضفت بعض الكلمات التي رأيتها ضرورية لاستقامة النص ووضعتها بين عضاضتين أو قوسين.

٤ ـ قمت بتخريج الابيات الشعرية، ولاقيت صعوبة في تخريج قسم منها، نظراً لأن كتاب (الظرف) هو من المصادر الوحيدة التي تضم قصائد أو أبيات نادرة. ونلمس هذا في اعمال من حققوا أو جمعوا شعر الكثير من الشعراء.

٥ ـ قمت بتخريج الاحاديث النبوية الشريفة. ولكن العمل اختلف هنا عن منهج علم الحديث، لأن مرويات رجال الأدب للحديث تختلف كثيراً جداً عن مرويات المحدثين.

٦ ـ قمت بتخريج الاقوال المأثورة والامثال.

٧ ـ ابتعدت عن الاكثار من شرح المفردات كي لا اثقل النص، ولكن كان من الضروري الوقوف عند المصطلحات ذات الدلالة الحضارية مع ملاحظة ما لحقها من تحريف.

٨ ـ أعدت توزيع النص الى فقرات تضم موضوعاً واحداً، تسهيلاً لاتصال القارىء بالمادة. وهنا اشير إلى ان النص، كما ورد في الأصل، كان متواصلاً.

ولا يسعني إلاّ الاعتراف بأنه لا تزال هناك ثغرات في هذا العمل، أرجو أن نوفق في سدها أنا وغيري، حتى نقدم هذا الكتاب الهام الى القراء بشكل يفي بالغرض.

اخيراً، اتقدم بالشكر للصديق (محمد أبو علي) الـذي قام بمساعدتـي بتحـديد عروض أبيات الشعر، على كثرتها..

واخص دار (عالم. الكتب) الزاهرة بالتقدير لاقدامها على تأهيل هذا الكتـاب ونشره وغيره من نفائس تراثنا.

والله ولي التوفيق

بيروت، شباط/ فبراير ١٩٨٥

فهمي سعد




مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بسم الله الرحمن الرحيم

الجزء الأول

[تصدير المؤلف]

ربِّ يسِّر وأعِن.

باسم الله يكون الابتداء. وبعونه تتم الأشياء. وبمشيئته تتصرف الدهور. وعلى إرادته تتقلب الأمور. ومنه التوفيق والتأييد. وبيده الإعانة والتسديد. ولا حول ولا قوة إلا بالله. وبتوفيقه إرشاده.

[الأدب]

قال أبو الطيِّب محمد بن إسحاق بن يحيى الوشّاء:

[١] نقول ونستعين بالله على السداد ونستهديه، ونستفتح له استفتاح اللاجيء إليه ونستكفيه:

يجب على المتأدب اللبيب، والمتظرف المتخلِّق بأخلاق الأدباء، والمتحلِّي بحِلية الظُّرفاء أن يعرفَ قبل هجومه على ما لا يعلمه، وقبل تعاطيه ما لا يفهمه، تبيين الظَّرف وشرائعِ المرُوءة وحدودِ الأدبِ. فإنه لا أدبَ لمن لا مُروءة له، ولا مُروءة لمن لا ظَرف له، ولا ظَرف لمن لا أدب له.

[٢] وقد وصفنا في كتابنا هذا على قدر ما بلغه علمنا، واحتوى عليه فكرُنا وجعلناه حدوداً محدودة، ومعالم مقصورةً، وشرائعَ بيِّنة، وأبواباً نيِّرة. وشريطتُنا على قارىء كتابنا الإقصارُ عن طلب عيوب خَطائنا، والصفحُ عن ما يَقِفُ عليه من إغفالِنا، والتجاوزُ عن ما ينتهي اليه من إهمالِنا. وإن أدّاه التصفّحُ إلى صَوابِ نشَرَه، أو إلى خَطأً سترَه. لأنه قد تقدَّمْنا بالإقرار، ولا بدَّ للإنسان من زلل وعِثار.

وليس كلَّ الأدب عرفناه. ولا كل العلم دريناه. وعلينا في ذلك الاجتهاد. وإلى الله الإرشاد. وقلَّ ما نجا مؤلفٌ لكتابٍ من راصدٍ بمكيدة. أو باحثٍ عن خطيئة.

[٣] وقد كان يقال(١): من ألَّف كتاباً فقد استشرف(٢). وإذا أصاب استهدف(٣). وإذا أخطأ فقد استُقذف(٤).

وكان يقال: لا يزال الرجلُ في فُسحةٍ من عقلهِ ما لم يقل شعراً أو يضع كتاباً(٥).

[٤] وقال الشاعر في ذلك(١): [من السريع]

لا تَعرِضَنْ للشِّعرِ ما لم يكُن علمُك في أبحُرِه جِسرا
فلَن يَزالَ المرءُ في فُسحةٍ من عَقلِه ما لم يقل شِعرا

وأُنشِد في ذلك(٢) [من الكامل الأحذّ]

الشِّعرُ عقلُ المرء يَعرِضُهُ والقولُ مثلُ مَواقعِ النَّبلِ
منها المُقصِّرُ عن رَمِيَّتِه ونوافِذٌ يَذهبن بالخَصْلِ(٣)

---

[٣]
(١) منسوب للجاحظ في: (التمثيل والمحاضرة) ١٦٠. وللعتابي في الشريشي: (شرح مقامات الحريري) ١: ١٧؛ وللجاحظ في زهر الآداب ١٨٣ باختلاف.
(٢) استشرف: انتصب لتلقي الانتقاد.
(٣) استهدف: أصبح هدفاً يرمى.
(٣) استقذف: أصبح عرضة للقذف والطعن.
(٥) منسوب لأبي عمرو بن العلاء في الشريشي ١: ١٧.

[٤]
(١) البيتان في محاضرات الأدباء ١: ٨٤ بدون نسبة. ورد في صدر البيت الثاني: فلا يزال...
(٢) البيتان في التذكرة الحمدونية ١: ٢٥٩ منسوبان للمتوكل الليثي. وله في معجم الشعراء ٤١٠، والأول في الأغاني ١٠: ١٦٧ له. وهما أيضاً في الحيوان ٣: ٦١. وفي بهجة المجالس ١: ٨٥ لمعقر بن حمار البارقي.
(٣) الخصل: إصابة الغرض.

[٥] وكان يقال: اختيارُ الرجلِ وافدُ عقلِه، فقال: لا بل مبلغُ عقلِه.

وقيل: دلَّ على عاقلٍ اختيارُه[١].

وقيل لبعض العلماء: اختيار الرَّجلِ قِطعةٌ من عقلِه.

وقال الخليل بن أحمد[٢]: لا يُحْسِنُ الاختيارَ إلاَّ مَن يعلمُ ما لا يحتاجُ إليه من الكلام.

وقال الشَّعبيُّ[٣]: العلم كثيرٌ، والعمرُ قصيرٌ، فخذوا من العِلم أرواحَه ودعُوا ظُروفه[٤].

وقال ابن عباس[٥]: العِلم أكثرُ من أن يُحصى، فخذوا مِن كل شيءٍ أحسنَه.

[٦] ونحنُ نستعين اللّهَ ونُودِع كتابَنا هذا جملةً من حدودِ الأدب والمُروءة والظرف، ونجعل ذلك أبواباً مختصرةً وفصولاً مُحبَّرةً على غير نَقص منّا لِما في كلِّ باب، لئلا يطولَ به تأليفُ الكتاب، ولأن غرضَنا في الإختصارِ، لِما عليه النفوسُ من مَلَلِ الإكثار، ولننجو من مَقالة حاسدٍ، أو اعتراضِ معاندٍ.

---

[٥]

(١) القول في الشريشي ١: ١٧؛ وفي أمثال الميداني ١: ٢٧٤.

(٢) الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي: من أئمة اللغة والأدب. واضع علم العروض، أخذه من الموسيقى، وهو أستاذ سيبويه النحوي. ولد بالبصرة ١٠٠ هـ ومات بها ١٧٠ هـ. (الأعلام ٢: ٣١٤، السيوطي، بغية الوعاة ١: ٥٥٧، معجم الأدباء ٤: ١٨٣).

(٣) الشعبي: عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار، وحسب الشريشي ٢: ٢٤٥ هو ابن عبد الله بن سرحيل بن عبيد. راوية من التابعين كان فقيهاً وشاعراً. استقضاه عمر بن عبد العزيز ولد ١٩ هـ. وفي وفاته خلاف بين ١٠٣ حتى ١٠٧ هـ. (الأعلام ٢: ٢٥١، سير أعلام النبلاء ٤: ٢٩٤، الوافي بالوفيات ١٦: ٥٨٧، تاريخ بغداد ١٢: ٢٢٧، طبقات ابن سعد ٦: ١٧١).

(٤) في بهجة المجالس ١: ٣٧، يجمع بين قولي الخليل والشعبي وينسبها لابن عباس.

(٥) ابن عباس: عبد الله. ولد سنة ٣ قبل الهجرة بمكة ونشأ بها. لازم الرسول ﷺ، وروى عنه الأحاديث الصحيحة. عرف بحبر الأمة، له منهج خاص بتفسير القرآن. توفي ٦٨ هـ. (الأعلام ٤: ٩٥، مؤلف مجهول، أخبار العباس وولده ٢٥ ـ ١٣٣ الوافي بالوفيات ١٧: ٢٣١، أعلام النبلاء ٣: ٢٢٤، طبقات القراء ١: ٤٢٥).

[٧] - [الحسد]

على أنه لا بدَّ للحاسِدِ وإن لم يجِد سبيلاً إلى وَهْنٍ. ولا سبباً إلى طَعْنٍ، أن يحتالَ لذلك بحسبِ ما رُكِّب عليه طبعُهُ، وتضمَّنه صدرُهُ. حتى يخلُصَ إلى غَفلةٍ، أو يصل إلى زلَّة. فيتشبَّثَ بالمَعْنى الحقير، ويتسبَّبَ بالحرف الصغير، إلى ذكر المثالِبِ، وتغطية المناقب. إذ من طَبع أهل الحسد وأرباب المُعانـدة، والنُّكدِ تغطيةُ مَحاسن من حَسدوه، وإظهارُ مساوىءَ مَن عاندوه.

[٨] وقد أخبرَني أبو جعفرٍ أحمدُ بنُ عُبيد بنِ ناصح[١]، وبِشرُ بنُ مُوسَى بنِ صالحٍ الأسديُّ[٢]، قالا: حدَّثنا الأصمعي[٣]، قال: حدَّثـني العلاءُ بـنُ أسلمَ[٤] قال: حدثنا رؤبةُ بنُ العجَّاج[٥] قال: قال لي فلان[٦]: قَصَّرتُ وعرَفـت. ثم قال لي: يا رؤبة، عسَاك مثل أقوام إن سكتُّ لم يسألوني، وإن تكلَّمتُ لم يَعُوا عنِّي. قُلتُ: أرجو أن لا أكون كذلك[٧]. قال: فما أعداء المُروءةِ؟ قلت: تخبرني. قال: بنو عمِّ السَّوء، إن رأوا خيراً ستَروه، وإن رأوا شراً أذاعوه.

---

[٨]

(١) أحمد بن عبيد بن ناصح: (توفي ٢٧٣ هـ)، وهو المعروف بأبي عصيدة. ديلمي الأصل. من موالي بني هاشم. تولى تأديب المعتز بالله العباسي وهو أستاذ الوشاء. (الأعلام ١: ١٦٦، معجم الأدباء ١: ٢٢١، تاريخ بغداد ٤: ٢٥٨، الوافي ٨: ١٦٦، بغية الوعاة ١: ٣٣٣).

(٢) بشر بن موسى بن صالح بن شيخ عميرة الأسدي: أو ابن شيخ بن عميرة. شيخ جليل مشهور قديم السماع. كان أحمد بن حنبل يكرمه. ولد ١٩٠ هـ وتوفي ٢٨٨ هـ. (تاريخ بغداد ٧: ٨٦، أعلام النبلاء ١٣: ٢٥٢، الوافي ١٠: ٢٨٦). وضبط الاسم من المصادر.

(٣) الأصمعي: (١٢٢ - ٢١٦ هـ). عبد الملك بن قُريب راوية العرب، وإمام في اللغة، والشعر والبلدان: (الأعلام ٤: ١٦٢، بغية الوعاة ٢: ١١٢. تاريخ بغداد ١٠: ٤١٠).

(٤) العلاء بن أسلم: أحد الرواة والنسابة. لم نعثر على ترجمة له. ويروي الأصمعي له خبراً في الحيوان ٢: ٣٠٢. ويبدو أنه عاش في أيام بني أمية.

(٥) رؤية بن العجاج: تميمي سعدي. راجز، من الفصحاء المشهورين ومن مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية. توفي ١٤٥ هـ. (الأعلام ٣: ٣٤، معجم الأدباء ٤: ٢١٤، الوافي ١٤: ١٤٧).

(٦) كذا. وترد الرواية مع بعض الإختلاف في عيون الأخبار ٢: ١١٨، والذي يروي عنه رؤبة هو أستاذه النسابة البكري.

(٧) وردت في الأصل: أرجو أن أكون كذلك. والتصحيح من عيون الأخبار.

[٩] أنشدني أبو العباس محمَّد بن يزيد المُبرِّد[١]: [من البسيط]

عَينُ الحَسودِ عليكَ، الدهرَ، حارسةٌ تبدي المساويءَ، والإحسان تُخفيهِ[٢]
يَلقاكَ بالبِشْرِ يُبديهِ مكاشرةً والقلبُ مُضطغِنٌ فيه الذي فيه
إن الحسودَ بلا جُرم عَداوتُه فليس يَقبَلُ عُذراً في تجنِّيهِ

وأنشدني أبو جعفر في مثل ذلك[٣]: [من البسيط]

إن يَعلموا الخيرَ يُخفُوه، وإن عَلِموا شرًّا أُذيع، وإن لم يعلَموا كَذَبوا

وأنشدني محمدُ بنُ إبراهيم القارىء[٤]: [من الكامل]

وترَى اللبيبَ مُحسَّداً لم يَجْتَرِمْ شَتْمَ الرِّجالِ وعِرضُه مشتومُ
حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه فالقومُ أعداءٌ له وخصوم
كضرائر الحسناءِ قلنَ لوجهها حسداً وبغياً إنهُ لدميم

وقال عُمارة بنُ عَقيل بن بلال بن جَرير[٥]: [من الكامل]

ما ضرَّني حسدُ اللِّئامِ، ولم يزَل ذو الفَضلِ يَحسُدُهُ ذَوُو النُّقصانِ[٦]

---

[٩]

(١) المبرد (٢١٠ - ٢٨٦ هـ) محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي البصري أبو العباس. إمام في اللغة والأدب والأخبار. أخذ عن المازني والسجستاني وتلمذ له نفطويه والصولي وأبو بكر الخرائطي. (الأعلام ٧: ١٤٤، أعلام النبلاء ١٣: ٥٧٦. معجم الأدباء ٧: ١٣٧، بغية الوعاة ١: ٢٦٩، الوافي ٥: ٢١٩، تاريخ بغداد ٣: ٣٨٠).

(٢) البيتان الأولان في غرر الخصائص ٤٧٦ منسوبان لعبد الله بن عبدة.

(٣) البيت في الأغاني ٤: ٣١١، وعيون الأخبار ٢: ٢٨، وهو في الحماسة البصرية ٢: ٢١ منسوب لطريح بن إسماعيل الثقفي. وله في الشعر والشعراء (ط. الثقافة)، ٥٦٨.

(٤) الأبيات في بهجة المجالس ١: ٤٨٣لأبي بكر العرزمي: وفي البيان والتبيين ٤: ٦٣ بيتان منها بدون نسبة. وهي في ديوان أبي الأسود الدؤلي ١٦٥. وفي عيون الأخبار: ٢: ٩ وهي جميعاً في روضة العقلاء ١٣٤ بدون نسبة. ووردت قافية البيت الثالث في الأصل: لذميمُ. والتصحيح من لسان العرب ١٢: ٢٠٨

(٥) عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير[بن عطية الكلبي اليربوعي التميمي]. (توفي ٢٣٩ هـ): شاعر مقدم فصيح من أهل اليمامة. سكن بادية البصرة وزار خلفاء بني العباس وأجزلوا له، وبقي إلى أيام الواثق (٢٣٢هـ). (الأعلام ٥: ٣٧، تاريخ بغداد ١٢: ٢٨٢، المرزباني ٢٤٧).

(٦) البيت الأول في بهجة المجالس ١: ٤١٤ لعمارة. والبيتان معاً له في تاريخ بغداد ١٢: ٢٨٣.

يا بُؤسَ قومٍ ليسَ جُرْمُ عدوِّهِم إلاّ تَظَاهُـرَ نِعمـةِ الرَّحْمانِ

[١٠] وخُبِّرْتُ أنَّ المنصورَ[١] قال لبعضِ ولَدِ المُهلّب بنِ أبي صُفْرةَ[٢]: ما أسرعَ [حسد] الناسِ إلى قَومِكَ[٣]؟ فقال: يا أميرَ المؤمنين[٤]: [من البسيط]

إنَّ العَـرانينَ تَلقاهـا مُحَسَّدَةً، ولا تَرى لِلِئامِ الناسِ حُسَّادَا[٥]

كم حاسـدٍ لهـمُ قد رامَ سعيَهمُ، ما نالَ مثـلَ مَساعيهـم، ولا كادا

[١١] ويُروى أنَّ عمرَ بنَ الخطَّاب[١]، رحمةُ اللهِ عليه، كان يَتَمثَّلُ بهـذَين البيتين[٢]: [من البسيط]

---

[١٠]

(١) المنصور: أبو جعفر، عبد الله بن محمد بن علي العباسي. الخليفة العباسي الثاني. يعتبر مؤسس الدولة العباسية. بنى مدينة بغداد (المدينة المدورة)، وجعلها عاصمة لأسرته. كان عارفاً بالفقه. ولد بالحميمة من أرض الشراة قرب معان سنة ٩٥ هـ. توفي ١٥٨ هـ. بعد أن انتصر على مجموعة من المصاعب انتهت بإيكال ولاية العهد لابنه المهدي. أخباره كثيرة في كتب التاريخ والأدب. (الأعلام ٤: ١١٧).

(٢) المهلب بن أبي صفرة: ظالم بن سراق الأزدي العتكي. أمير جواد بطاش. نشأ بالبصرة ووليها لمصعب بن الزبير، وانتدب لقتال الأزارقة (من الخوارج) مدة ١٩ عاماً. ولي خراسان لعبد الملك بن مروان ٧٩ هـ وبقي فيها إلى أن توفي ٨٣ هـ عن ٧٦ سنة. (الأعلام ٧: ٣١٥).

(٣) القول في عيون الأخبار ٢: ٩، منسوب لسفيان بن معاوية. كما يرد أيضاً في روضة العقلاء ١٣٥.

(٤) البيت الأول في عيون الأخبار ٢: ٩ بدون نسبة. وفي الحماسية البصرية ١: ١٤١ منسوب لعمر بن لجأ وهو في روضة العقلاء ١٣٥ بدون نسبة. وهو أيضاً في معجم الشعراء ٣٦٩ للمغيرة بن حبناء التميمي.

(٥) العرانين: مفردها عِرنين. والعرانين وجوه القوم وأشرافهم.

[١١]

(١) عمر بن الخطاب (٤٠ ق. هـ ـ ٢٣ هـ): ابن نفيل القرشي العدوي. أبو حفص، ثاني الخلفاء الراشدين، وأحد رجال قريش قبل الإسلام. كان اسلامه سنة ٥ قبل الهجرة. وضعت في أيامه نظم كثيرة، أهمها التقويم الهجري. وتدوين الدواوين واتخاذ بيت مال للمسلمين. وفي أيامه بدأت حركة تمصير واسعة. ومنع من استعباد العربي. قتله أبو لؤلؤة الفارسي غيلة.

(٢) البيتان في ديوان زهير بن أبي سلمى في مدح هرم بن سنان ٢٦ (ط صادر) والبيت الثاني في حلية المحاضرة ٤٣٦ لزهير. وهما في أمالي القالي ١: ١٠٦ منسوبان لأبي الجويرية وهما في جمهرة أشعار العرب ٦٩ ـ ٧٠ لزهير، والمعروف أن عمر بن الخطاب كان معجباً بشعر زهير، كما تذكر المصادر. (الجمهرة وغيرها).

قومٌ سِنانٌ أبوهم حينَ تَنسُبهم طابُوا وطابَ من الأولادِ ما ولَدوا
مُحَسَّدون على ما كان من نِعَمٍ لا يَنزعُ اللهُ منهم ما لَهُ حُسِدوا

[١٢] وأنشدَنا أحمدُ بن عُبيد قال: أنشدنا العُتبيّ[١] عن أبيه[٢]: [من البسيط]

إنّي نَشأتُ، وحسّادي ذَوُو عَدَدٍ يا ذا المَعارجِ لا تُنقِصْ لهم عدَدا[٣]
ما زِلتُ أَقدِمُ افراسي مُكلَّمةً حتى اتَّخذتُ على حسّادِهنَّ يَدا

وأُنشدت[٤]: [من البسيط]

كلُّ العداوةِ قد تُرجَى إماتَتُها، إلاّ عداوة من عاداك من حسَدِ

[١٣] وبَلَغ محمَّدَ بنَ عبدِ الله بنِ طاهر[١] أنَّ قوماً مِنَ الموالي[٢] يَحسُدُونه، فقال[٣]: [من البسيط]

إن يحسدُوني فإني غيرُ لائمِهم قبلي من الناسِ أهلُ الفَضلِ قد حُسِدوا

---

[١٢]
العتبي: (توفي ٢٢٨ هـ). محمد بن عبيد الله بن عمرو، من بني عتبة بن أبي سفيان، بصري، كثير الأخبار عن بني أمية (الأعلام ٦: ٢٥٨).
(٢) البيتان منسوبان لنصر بن سيار في رسائل الجاحظ ١: ٣٧١. والبيت الأول له في حلية المحاضرة ١: ٤٣٥. وهما في روضة العقلاء ١٣٥ بدون نسبة.
(٣) المعارج: مفردها المعراج. والشاعر هنا يرجو الله عز وجل.
(٤) البيت في بهجة المجالس ١: ٤١٤ دون نسبة. وهو كذلك في عيون الأخبار ٢: ١٠. وفي الشريشي ١: ٦٧ دون نسبة وفي حلية المحاضرة ٤٣٥ منسوب للحبيب بن معروف.
[١٣]
(١) محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي الخراساني. أمير بغداد في عهد المتوكل. عظم سلطانه في دولة المعتز إلى أن مات ٢٥٣ هـ. عالج الأدب والشعر وقرّب منه أهل الفضل والأدب (الوافي ٣: ٣٠٤، فوات الوفيات ٣: ٤٠٣، تاريخ بغداد ٥: ٤١٨، معجم الشعراء ٣٨٣).
(٢) الموالي: تطلق على غير العرب. وفي العصر العباسي اكتسب المصطلح معنى آخر، ويطلق على من نال مكانة وحظوة لدى الخلفاء.
(٣) الأبيات في عيون الأخبار ٢: ١٠ ـ ١١ باختلاف يسير. ومنها البيتان ١ ـ ٢ في غرر الخصائص ٤٧٩ منسوبان لأبي تمام. وهما في أدب الدنيا والدين ٢٦٢ دون نسبة والأبيات في حلية المحاضرة ٤٣٥ منسوبة للحبيب بن معروف.

فدامَ لي ولهُــمْ ما بِي ومــا بِهِمُ، ومــاتَ أكثَرُهــم غَيظــاً بمــا يَجِدُ
أنــا الــذي يَجِدونــي في صدورِهِمُ لا أرتقــي صَعُــداً منهــا ولا أرِدُ

[١٤] وقال أرْدشير بنُ بابَك[١]: كلُّ خَصلةٍ رديئةٍ، فهـي دونَ الحَسَـدِ، لأن الحسودَ يسعَى على من أحسن إليه، ويَبغي الغوائل لمن أنعم عليه[٢].

وقال الأصمعي: سمعتُ أعرابياً ذكَر بعضَ الحسَّاد فقال: ما رأيت ظالماً أشبهَ بمظلومٍ من الحاسِدِ، حُزنٌ لازمٌ ونَفَسٌ دائمٌ وعقلٌ هائمٌ[٣].

وقال حاتمُ طيِّء[٤]: [من البسيط]

يا كعــبُ ما إن ترى مِن بيتِ مكرُمةٍ إلاَّ لَه، من بُيوتِ الشرِّ، حُسَّادا[٥]

[١٥] والتحرُّزُ مِنَ الحسَّاد ما لا سبيلَ لنا إليه، والتحفُّظُ من ألسنتِهم ما لا نقدِرُ عليه. لكن أقولُ كما قال الشاعر: [١] [من الرمل]

ما يَضُــرُّ البَحــرَ، أمسَــى زاخراً، أن رمَــى فيه غُلامٌ بحجَرْ

وأُصدِّرُ كتابي هذا مستعيناً بالله راغباً إليه، بذكر الأدبِ وصِفتِه. وما يحتــاجُ الأدباء إلـى مَعرِفَتـهِ. وأشفَعـهُ بأشياءَ يستحسنُهـا الأديبُ. ويَرغَـبُ في دِراستِهـا الأريب، وبالله التوفيق.

---

[١٤]

(١) أردشير بن بابك: مؤسس دولة الفرس الساسانية. أصلح الدولة وإليه تعزى معظم قواعدها. وبنى ثماني مدن، قسم البلاد إلى وحدات إدارية ورتب شؤون الخراج وقسم المجتمع إلى طبقات. اهتم العرب بإجراءاته السياسية (انظر كتاب التاج، المنسوب للجاحظ؛ وعهد أردشير، بعناية إحسان عباس).

(٢) القول في غرر الخصائص ٤٧٧.

(٣) القول في البيان والتبيين ٤: ٦٣ منسوب لبزرجمهر. وهو في بهجة المجالس ١: ٤١٤ منسوب للخليل بن أحمد. وكذلك في التمثيل والمحاضرة ٤٥١. وفي الشريشي ١: ٦٧ منسوب للحسن البصري. وفي أدب الدنيا ٢٦٠ لبعض الأدباء.

(٤) حاتم طيء: توفي ٤٦ ق. هـ/ ٥٧٨ م. فارس شاعر جواد يضرب المثل بجوده. أخباره كثيرة في التراث العربي (الأعلام ٢: ١٥٠، المحبر: ١٤٥).

(٥) كعب: لعله كعب بن مامة الأيادي، الذي اشتهر بالإيثار والجود. (المحبر ١٤٤).
والبيت ليس في المطبوع من ديوان حاتم.

[١٥]

(١) البيت في بهجة المجالس ٢: ١٩٨ وفي البيان ٣: ٢٤٨.

باب

البيان عن حدود الأدب

وما يجب على الأديب من التحصن والطلب

[١٦أ] إعلم أنّ أوّل ما يجب على العاقل، المتصل بعقله عن الجاهل، أن يتبعه ويميل إليه، ويستعمله ويحرص عليه [من] مجالسة الرجال ذوي الألباب، والنظرُ في أفانين الآداب، وقراءةُ الكتبِ والآثار، وروايةُ الأخبارِ والأشعار. وأن يُحسِنَ في السؤال، ويتثبّت في المقال، ولا يكثر الكلامَ والخِطاب. إن سُئل عمّا يعلمُهُ أجاب، وإن لم يُسأل صمتَ للاستماع، ولم يتعرّض لمكروهِ الانقطاع.

فقد رُوي في الخبرِ المأثورِ أنّ النبيﷺ قال[1]: «أغْدُ عالماً، أو متعلّماً، أو مستمعاً، ولا تكن الرابع فتهلك».

والصّمتُ أحسنُ بالرّجل من الهذر في منطقِهِ، والكلامِ فيما لا يعنيه، والتسرُّعِ إلى ما يكون على وجلٍ منه.

[١٦ب] وقد قال بعض الشعراء[1]: [من الطويل]

يمـوتُ الفتـى من عثـرةٍ بلسانِه ... وليسَ يمـوتُ المـرء من عثـرةِ الرِّجلِ

[١٦أ]

(١) في عيون الأخبار ٢: ١١٩ وفي الحكمة الخالدة. ١٠٥ وترد في مصادر أخرى ويزاد فيها مطلباً فتصبح: ولا تكن الخامس. والمقصود بالرابع أو الخامس: الكلب. اقتداء بقصة أهل الكهف في القرآن الكريم، آية ٣، الكهف.

[١٦ب]

(١) البيتان في المحاسن والأضداد ١٨ بدون نسبة. وفي العقد الفريد ٢: ٤٧٣. وهما في سير أعلام النبلاء ١٢: ١٩ منسوبان لابن السكيت.

فعثرتُه من فيهِ ترمي برأسِه وعثرتُه بالرِّجلِ تبرا على مَهْلِ

وقالَ أبو العتاهية[٢]: [من الطويل]

إذا كنتَ عن أن تُحسنَ الصَّمتَ عاجزاً فأنتَ عن الإبلاغِ في القولِ أعجزُ[٣]
يخوضُ أناسٌ في المقالِ ليُوجِزُوا وللصَّمْتُ عن بعضِ المَقالاتِ أوجزُ

وقال أيضاً[٤]: [من مخلع البسيط]

قد أفلحَ الساكتُ الصَّموتُ كلامُ راعي الكلامِ قُوتُ
ما كلّ نُطقٍ له جَوابٌ جوابُ ما تكرَهُ السكوتُ

[١٧] وقال النبيُّ، ﷺ[١]: «مَن كان يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ، فليَقُلْ خيراً أو ليَسْكُتْ»[١].

وقال: «من صَمَتَ نجا»[٢].

وكانَ أعرابيٌّ يُجالِسُ الشعبيَّ يُطيلُ الصَّمْتَ، فقالَ له يوماً: لِمَ لا تتكلَّم؟ فقال: أسمعُ لأعلمَ وأسكتُ فأسلمُ[٣].

وقالَ أبو هُرَيْرَةَ[٤]: ثمرةُ القلبِ اللِّسانُ.

---

(٢) أبو العتاهية: (١٣٠ ـ ٢١١ هـ)، إسماعيل بن القاسم مولى لعنزة. رمي بالزندقة مع كثرة أشعاره في الزهد والمواعظ. كان شاعراً مطبوعاً (الأعلام ١: ٣٢١، طبقات ابن المعتز ٢٢٧).

(٣) البيتان في ديوانه (طبعة صادر) ٢٢٢.

(٤) البيت الثاني في ديوان أبي العتاهية ٩٧. وهما في لباب الآداب ٢٧٦ وتروى أيضاً لابنه محمد. وهما في تاريخ بغداد ٢: ٣٥ لمحمد. وهما في طبقات ابن المعتز ٣٦ لمحمد وفي الأغاني ٣: ١٧٠. وفي امالي المرتضى ١: ١٣٤ (الهامش) البيت الأول منسوب لابن المقفع.
وفي بعض الروايات ترد كلمة: راعي الكلام: واعي الكلام قوت.

[١٧]

(١) الحديث في روضة العقلاء ٤١، وفي أدب الدنيا ٢٦٥، ولباب الآداب ٢٦١، ٢٧١ وتخريجه.

(٢) الحديث في لباب الآداب ٢٧١ وتخريجه في الهامش.

(٣) القول في البيان والتبيين ١: ١٩٤، ٢٧٠.

(٤) أبو هريرة: اختلف في إسمه الحقيقي بين عمير وعبد الرحمن وعبد الله بن عامر. ازدي من الجنوب. وصحابي متحمس لإذاعة أقوال الرسول ﷺ. سمي بأبي هريرة لحدبه على الهررة. قدم المدينة أيام =

وقيل لِعِيسى بن مريمَ، عليه السلام: ما مُبدي علمِ القلبِ وجهلِه؟ قالَ: اللِّسانُ. قال: فأينَ يلزمُ الصمتُ؟ قال: عندَ من هو أعلَمُ مِنكم، وعندَ الجاهلِ إذا جالَسكم.

[١٨] وقال بعضُ الشُّعراء(١): [من المتقارب]

تعاهَدْ لِسانَك إنَّ اللِّسا ... نَ سريعٌ إلى المَرءِ في قَتلِهِ
وهذا اللِّسانُ بَريدُ الفُؤا ... دِ يدُلُّ الرِّجالَ على عقلِهِ

وقال آخر(٢): [من الخفيف]

أَسْتُرِ النفسَ ما استطعتَ بِصَمتٍ، ... إنَّ في الصَّمتِ راحةً للصَّموتِ
واجعَلِ الصَّمتَ إن عَيِيتَ جواباً ... رُبَّ قَولٍ جوابُهُ في السُّكوتِ

وقال أبو العتاهية(٣): [من مجزوء الكامل المرفل]

لا خيرَ في حَشوِ الكلا ... مِ إذا اهتديتَ إلى عيُونِهْ
والصَّمتُ أجملُ بالفتى ... من مَنطِقٍ في غيرِ حِينِه

[١٩] وقال لُقمان(١) لابنهِ: يا بُنيَّ إن غُلِبتَ على الكَلام، فلا تُغلَبْ على

---

* غزوة خيبر. لازم النبي ﷺ حتى روى عنه ٥٣٠٠ حديث. وهنالك شك بأن من هذه الأحاديث ما دُسَّ على صاحبها بعد وفاته سنة ٥٧ أو ٥٨ أو ٥٩ هـ. وقيل أنه بلغ ٧٨ سنة (بروكلمان: تاريخ الأدب العربي ـ دائرة المعارف الإسلامية، سير أعلام النبلاء ٢: ٥٧٨، طبقات ابن سعد ٤: ٤٢٥).

[١٨]

(١) البيان الثاني في المستطرف ١: ٤١ منسوب لابن المبارك. وهما في روضة العقلاء ٤٢، وفي لباب الآداب ٢٧٧ بدون نسبة.

(٢) البيتان في لباب الآداب ٢٧٧ بدون نسبة. وهما كذلك في روضة العقلاء ٤٨.

(٣) البيتان في ديوانه ٤٤٩. وهما له في البيان ١: ١٩٧.

[١٩]

(١) لقمان: من قبائل عاد وثمود. ورد ذكره في القرآن الكريم وفي الأدب الجاهلي. يُعدُّ معيناً للحكمة القديمة. وعُدَّ ثاني المعمرين بعد الخضر (ع)، وعرف بلقمان النسور، لأنه عمّر عمر سبعة نسور، وقيل أنه لما مات قبر بحضرموت أو بالحجر من مكة. وفي نسبه إختلاف كبير. (جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ١: ٣١٤).

الصَّمتِ، فكُنْ على أن تَسمعَ أحرصَ منك على أن تقول: إني نَدِمت على الكلام مراراً ولم أندم على الصَّمتِ مرَّةً واحدة[٢].

وقال إبراهيمُ بن المهدي[٣] في هذا المعنى فأحسن[٤]: [من الكامل]

إن كان يُعْجِبُـكَ السُّكوتُ فإنَّهُ ... قد كانَ يُعجِـبُ قبلَكَ الأخيار
ولئِـن ندمـتَ علـى سكوتِـكَ مرَّةً ... فلقَـد نَدمـتَ علـى الـكلامِ مِراراً
إن السُّكوتَ سلامـةٌ ولربَّما ... زَرَعَ الـكلامُ عداوةً وضِرارا

[٢٠] فحقيق على الأديب أن يخـزُنَ لسانَـه عن نُطقِـه، ولا يُرسلَـه في غيرِ حقِّه، وأن ينطقَ بعلمٍ، ويُنصِتَ بحِلم، ولا يعجَل في الجواب، ولا يهجم على الخِطاب. وإن رأى أحداً هو أعلم منه، نصَتَ لاستماع الفائدة عنه، وتحذَّر من الزَّلل والسَّقط وتحفَّظ من العيوبِ والغلَط ولم يتكلَّم فيما لا يعلم، ولم يناظِرْ فيما لا يفهم، فإنَّه ربَّما أخرجه ذلك إلى الإنقطاعِ والاضطراب، وكان فيه نقصُه عند ذوي الألباب.

[٢١] وقد قال الأعورُ الشَّنِّي[١] فأجاد[٢]: [من الطويل]

---

(٢) القول في البيان والتبيين ١ : ٢٦٩، والقسم الثاني منه في عيون الأخبار ٢ : ١٧٦.

(٣) إبراهيم بن المهدي: الخليفة الأسود. أمه شكلة وقد عُرف بها. كان فصيحاً مفوهاً بارعاً في الأدب والشعر والموسيقى والغناء. ولي أمرة دمشق فضبطها. وبويع له بالخلافة زمن المأمون، بعد أن احتج العباسيون على نقل ولاية العهد إلى علي بن موسى الرضا، وثار البغداديون والأبناء حفاظاً على مكاسبهم وخوفاً من انتقال مركز الخلافة إلى مرو. عفا عنه المأمون بعد دخوله بغداد. توفي إبراهيم ٢٢٤ هـ (الوافي بالوفيات ١ : ١١٠، الأعلام ١ : ٥٩، وأخباره في جميع المصادر التاريخية والأغاني).

(٤) البيتان ٢ ـ ٣ في لباب الآداب ٢٧٨، وهي جميعاً في روضة العقلاء ٤٣ بدون نسبة.

[٢١]

(١) الأعور الشني: بشر بن منقذ. كان شاعراً محسناً؛ وقال عنه ابن حزم: إنه فاق أهل زمانه. كان مع علي يوم الجمل. من بني شن من عبد القيس. (الشعر والشعراء ١٤٩ عالم الكتب، جهرة أنساب العرب ٢٩٩).

(٢) البيتان ٢ ـ ٣ في البيان والتبيين ١ : ١٧١ للأعور الشني وهي جميعاً من معلقة زهير في جمهرة أشعار العرب ١٧٨ وهما في ديوانه برواية ثعلب ط. الهيئة العامة. وبالرغم من ميل الكثيرين للتأكيد من أن الأبيات لزهير إلا أنه من مراجعة تخريج الأبيات يبدو رأي الوشاء مقبولاً.

ألـم تَرَ مِفتـاحَ الفُـؤادِ لسانَه إذا هو أبـدَى ما يقـولُ من الفَمِ
وكائِـن ترَى من صامـتٍ لك مُعجِبٍ زِيادتُـهُ أو نقصُـه في التكلُّمِ
لســانُ الفتَـى نِصفٌ ونِصفٌ فؤادهُ فلـم يبـقَ إلاَّ صورةُ اللحـمِ والدَّمِ

ومثله قول الأخطل[3] أيضاً[4]: [من الكامل]

إنَّ الـكلامَ من الفُـؤادِ وإنَّما جُعِـلَ اللِّسـانُ علـى الفُـؤادِ دليلا

[22] وأخبرني أبو العبَّاس أحمدُ بن يحيى ثَعلب[1] قال: كان بكرُ بن عبدِ الله المُزَني[2] يُقِلُّ الكلامَ، فقيل له في ذلك، فقال: لساني سَبُعٌ، إن تركتهُ أكلني، وأنشد[3]: [من الطويل]

لســانُ الفتَـى سَبْـعٌ عليه شذاتُه فإلاَّ يَزَعْ من غَربِـهِ فهـو آكِلُهْ
ومـا العِـيُّ إلاَّ مَنطِـقٌ متترِّعٌ سواء عليه حَقُّ أمـرٍ وباطلُهْ[4]

قال أبو الطيب[5] قوله: شذاته، أي حدّه.

وقال بعض الحكماء: الزَمِ الصَّمْتَ تُعَدُّ حكيماً، [جاهِلاً][6] كنتَ أم عليماً.

= والأبيات أيضاً في العقد ٢ : ٢٤١، وفي الحماسة البصرية ٢ : ٨٢، وفي ألف باء البلوي ١ : ٣٠ للأعور. وهي في التذكرة الحمدونية ١ : ٢٧٧ لأبي بكر العرزمي. وفي أدب الدنيا البيان ٢ ـ ٣ للأعور

(٣) الأخطل: (١٩ ـ ٩٠ هـ): غياث بن غوث التغلبي. واحد من الثالوث الشعري الذي اشتهر في العهد الأموي: الأخطل وجرير والفرزدق. نشأ الأخطل على النصرانية. (الأعلام ٥ : ١٢٣).

(٤) في ديوانه ٥٠٨ من الأبيات المنسوبة له. وهو له في ألف باء ١ : ٣٢ وفي شرح شذور الذهب للأنصاري ٢٨.

[٢٢]

(١) أبو العباس أحمد بن يحيى، ثعلب: (٢٠٠ ـ ٢٩١ هـ). شيباني بالولاء وإمام الكوفيين بالنحو واللغة. عاش في بغداد. (الأعلام ١ : ٥٦٥، الوافي ٢٤٣٠٨، أعلام النبلاء ١٤ : ٥).

(٢) بكر بن عبد الله المزني: كان ثبتاً كثير الحديث، حجة وفقيهاً. توفي ١٠٦ هـ. (الوافي ١٠ : ٢٠٧).

(٣) البيت بعد القول في لباب الآداب ٢٧٥. ووردت في الأصل برع.
يزع: يكف. والغرب: الحدة والسفه.

(٤) مترع: وردت في الأصل متبرع. وما أثبتناه هو الصواب. يقال: ترع إلى الشيء، أي تسرع. والمترع الشرير المتسرع إلى ما لا ينبغي له.

(٥) أبو الطيب: الوشاء.

(٦) القول في أدب الدنيا ٢٦٥ و. الزيادة ما بين العضاضتين ليستقيم المعنى.

[٢٣] وقالَ الهيثمُ بن الأسوَد[1] النّخَعيّ: [من الطويل]

[و] من يَستعِن بالصمتِ يوماً فإنه يقالُ لهُ لُبٌّ نهاه أصيلُ[2]
وإن لسانَ المرء مَا لم تكنْ له حصاةٌ، على عَوراتِه، لدَليلُ

وكان يقال: الصمتُ صَونُ اللسان وستَر العيّ[3].

أنشدني أحمد بن يحيَى ثعلبٌ للخَطَفى بن بدر[4]: [من الطويل]

عَجِبتُ لإزراء العَيِيّ بنفسِه وصَمتِ الذي قد كان بالقولِ أعلَما[5]
وفي الصَّمتِ سَترٌ للعَييّ، وإنَّما صحيفةُ لُبّ المَرء أن يتكلّما

[٢٤] والعربُ تقول: عيٌّ صامت خير مِن عيّ ناطق[1].

وكان ربيعة الرأي[2] كثيرَ الكَلام، فتكلم يوماً وأكثر، ثم قال لأعرابي عِندَه:

---

[٢٣]

(١) الهيثم بن الأسود النخعي، المذحجي: خطيب وشاعر. من المعمرين، أدرك علياً، وكان أموي النزعة حتى أثناء استيلاء ابن الزبير على العراق. غزا القسطنطينية مع مسلمة بن عبد الملك ٩٨ هـ. توفي ١٠٠ هـ. (الأعلام ٨: ١٠٣).

(٢) البيت الثاني منسوب لطرفة بن العبد في بهجة المجالس ١: ٨٠ وهما له في حماسة أبي تمام ٢: ١٧٤. والثاني في الشعر والشعراء ٣١٧، وفي ألف باء ١: ٣٤ وحلية المحاضرة ١: ٢٨٧. والبيت الثاني في أدب الدنيا ٢٧٠ بدون نسبة.

(٣) في بهجة المجالس ١: ٦٠.

(٤) الخطفى بن بدر: هو حذيفة بن بدر بن سلمة، من كليب بن يربوع، وهو جد جرير الشاعر. اشتهر بسرعة سيره. (جمهرة أنساب العرب ٢٢٥، الشعر والشعراء ١٠٨، الأعلام ٢: ١٧١).

(٥) البيتان في العقد الفريد ٢: ٢٥٦ منسوبان للحسن بن جعفر، وفي أدب الدنيا ٢٦٧ للخطفى، وفي ألف باء ١: ٣٤ بدون نسبة وفي التذكرة الحمدونية ١: ٣٥٩ للخطفى، وفي تمثال الأمثال ٤٥٦ بدون نسبة.

[٢٤]

(١) في غرر الخصائص ١٦٦ قال كسرى....
وفي بهجة المجالس ١: ٦٠: «والعي الناطق أعيا من العي الساكت».

(٢) ربيعة الرأي: (توفي ١٣٦ هـ): هو ربيعة بن فروخ التيمي بالولاء. من أصحاب الرأي في الفقه. كان صاحب الفتوى في المدينة، وتلمذ له الإمام مالك. توفي بهاشمية الأنبار. (الأعلام ٣: ١٧، الوافي ١٤: ٩٤).

أتعرِفُ ما العيّ؟ قال: نعم، ما أنتَ فيه منذُ اليوم[٣].

وقال أكثَمُ بنُ صَيفي[٤]: حَتفُ الرجل بين لَحْيَيهِ.

وأنشدني أحمد بن عُبَيد لأبي محمد اليَزيدي[٥]: [من مجزوء الرجز]

حَتفُ امرىء لسانُهُ في جِدّه أو لَعِبِه[٦]
بينَ اللَّها مقتلهُ، ركّبَ في مُرَكَّبِه
ورُبَّ ذي مَزحٍ أميـ ـتت نفسهُ في سَبَبِه
ليسَ الفتَى كلُّ الفتَى إلا الفتَى في أدبِه
وبعضُ أخلاقِ الفتَى أولى به من نسَبِه

[٢٥] وكانَ يقال: لسانُك عبدُك، فإذا تكلَّمتَ صِرتَ عبدَه.

وقال بعضُ الحكماء: أنا بالخيار ما لَم أتكلَّمْ، فإذا تكلَّمتُ صارَ الكلامُ عليَّ بالخيار[١].

وقال آخرُ: لِساني في حَبس بدَني ما لم أُطلِقْه على نفسي، فإذا أطلقتُه صار بدني في حَبس لساني[٢].

وقال آخر: الكلمة أسيرةٌ في وثاق الرجل، فإذا تكلم بها صار في وثاقها[٣].

---

(٣) القول في بهجة المجالس ١: ٦٢. و البيان والتبيين ١: ١٠٢ وفي نثر الدر ٢: ١٧٦.

(٤) أكثم بن صيفي بن رباح بن الحارث (توفي ٩ هـ/ ٦٣٠ م: حكيم العرب في الجاهلية وأحد المعمرين. أدرك الإسلام وقيل إنه رغب في الالتحاق بالمدينة. وهناك خلاف حول إسلامه. (الأعلام ٢: ٦، ابن عبد البر، الإستيعاب ١: ١٢٨، الوافي ٩: ٣٤١، المحبر ١٣٤).

(٥) أبو محمد اليزيدي: يحيى بن المبارك، سمي باليزيدي لانقطاعه إلى يزيد الحميري ينتمي إلى أسرة عملت في الأدب. توفي ٢٠٢ هـ (طبقات القراء ٢: ٣٧٥، معجم الشعراء ٤٩٨، سير أعلام النبلاء ٩: ٥٦٢ تاريخ بغداد ١٤: ١٤٦).

(٦) الأبيات أربعة، دون الثالث، في روضة العقلاء ٢٢٣ دون نسبة والآخيران في معجم الشعراء ٤٩٩. والحصاة: الرأي والعقل. واللها أو اللهاة: اللحمة على فم الحلق.

[٢٥]

(١) القول والذي قبله في الكامل ٢: ١٧ مع بعض الاختلاف منسوبان إلى عنبسة بن أبي سفيان.

(٢) في أدب الدنيا والدين ٢٦٧.

(٣) منسوب للإمام علي في التذكرة الحمدونية ١: ٣٥٧، ومنسوب لأعرابي في بهجة المجالس ١: ٧٩.

وقال الشعبي: أنا على اتِّباعِ ما لم أوقِعْ أقدرُ مني على ردّ ما أوقعتُ.

وتكلَّم أربعةٌ من الملوك بأربعِ كلمات، خرجن كلهن بمَعنى. فقال كِسرى: أنا على قولِ ما لم أقلْ أقدرُ مني على ردّ ما قلت. وقال قَيصر: لا أندمُ على ما لم أقلْ، فإنما أندمُ على ما قلت. وقال مَلِك الصِّين: إذا تكلمتُ بالكلمةِ ملكَتْني، ولم أملِكْها. وقال ملك الهند: عجبتُ لمن يتكلَّم بالكلمةِ إن حُكيت عنه ضرَّته، وإن لم تُذكر لم تَنفَعْه[4].

وقال امرؤ القيس[5]: [من الطويل]

إذا المرء لم يخزن عليه لسانَه ... فليس على شيء سواه بخَزّان[6]

وقالت الفلاسفة: اللسانُ خادمُ القلب. وقالت العلماء: اللِّسان كاتبُ القلب، إذا أملى عليه شيئاً أتى به.

وأنشدني عُبَيد الله بن عبد الله بن طاهر[7]: [من الطويل]

رأيتُ لِسانَ المرء راعيَ نفسِهِ، ... وعاذرَه إن لِيمَ، أو زلَّ سائرُهْ
فمَن لَزِمَتْه حُجَّةٌ من لسانِه، ... فقد ماتَ راعيهِ وأُفحِمَ عاذرُهْ

[٢٦] ولَئِن كان السكوتُ جميلاً، لقد جُعل الكلامُ جَميلاً، ما لم يتعدَّ المتكلمُ في كلامهِ، ويتجاوزْ في الكلام حدّ نِظامه.

---

(٤) القول في المحاسن والأضداد ١٨، والتذكرة الحمدونية ١ : ٣٥٩ وفي عيون الأخبار ١ : ١٧٩.
وكسرى: لقب ملك الفرس، وقيصر: لقب ملوك الروم. والمقصود بكسرى أنوشروان.

(٥) امرؤ القيس: بن حجر الكندي (توفي نحو ٥٤٥ م). شاعر معروف استعان بالروم للانتقام من بني أسد قتلة أبيه. ولاه جوستنيان إمارة فلسطين، وأصيب بقروح ادت إلى وفاته. (الأعلام ٢ : ١١، الشعر والشعراء ١٧).

(٦) البيت في ديوانه ط. صادر ١١٤، وفي فصل المقال ٣٥، وفي الكامل للمبرد ٢ : ١٧ وفي حلية المحاضرة ١ : ٢٨٧ والبيت معروف جداً في أبيات الاستشهاد.

(٧) عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين، جده صاحب جيش المأمون. من بيت إمارة. ولي شرطة بغداد عن أخيه محمد، ثم استقل بها بعد موت أخيه. له شعر وكتابات. توفي نحو ٣٠٢ هـ (أعلام النبلاء: ١٤ : ٦٢ ومصادره في الهامش).

وقد أنشدني أحمد بن يحيى ثعلبٌ: [من الكامل]

ما في الـكلامِ علـى الأنـامِ أثامٌ، بل فيه عنـدي النقضُ والإبرامُ
لولا الـكلامُ لمـا تبيَّنَـا الهُدى، وتعطَّلـت في دينِنـا الأحكامُ
فَزِنِ الـكلامَ، إذا أردتَ تكلُّماً، ودَعِ الفُضـولَ، ففـي الفُضـولِ ملامُ
إن أنـتَ لم تُرشِـد أخـاك إذا أتى، فعليكَ منـه هُجنـةٌ وأثامُ
والنُّطقِ أفضـلُ من صُمـاتِ متَّهَمٍ، جاء الكتـابُ بذاك والإسلامُ
هذا البيانُ، فلا تكن متمارياً، فالصَّمـتُ عيٌّ والـكلامُ نِظامُ

[٢٧] وليس بعيب على الأديبِ، وإن كان مستقـلاً بمـا لدَيه، استخـذاؤه للمتقـدِّم في العلم عليه، ولا في سؤاله فيما غُيِّبت معرفتُه عنه، من هو أعلى درجة في العلم منه.

وأنشدني أحمد بن يحيى ثعلب: [من الطويل]

تَمـامُ العَمـى طولُ السّـكوتِ، وإنَّما شِفاء العَمى يوماً سؤالُك مَن يدري[١]

وروي أنَّ أعرابياً أتى النَّبيﷺ فقال: يا ابنَ عبدَ المطلـب[٢]! ماذا يَزيد في العلم؟ قال: التعلّم. قال: فماذا يدلّ على العلـم؟ قال: السؤال.

أنشدني أحمد بنُ عُبيدٍ قال: أنشدني ابـنُ الأعرابـي[٣] لبَشامَة[٤] بـنِ عمـرو المرّي: [من الوافر]

---

[٢٧]

(١) البيت في ألف باء ١: ٢ لبشار بيت فيه إختلاف في أدب الدنيا ٦٦.
والبيت تضمين لحديث نبوي: «هلا سألوا إذا لم يعلموا؟ فإنما شفاء العمى السؤال» (أدب الدنيا: ٧٨).

(٢) عبد المطلب: قيل اسمه شيبة ولقبه عبد المطلب. جد الرسولﷺ (الأعلام ٤: ١٥٤). وفي أدب الدنيا ٧٨ حديثان في الحض على السؤال.

(٣) ابن الأعرابي: (١٥٠ - ٢٣١ هـ)، محمد بن زياد: راوية نسابة ولغوي مشهور. (الأعلام ٦: ١٣١، الوافي ٣: ٣٩).

(٤) بشامة بن عمرو المري: خال زهير بن أبي سلمى. من شعراء المفضليات. كان مقعداً منذ ولادته (الأعلام ٢: ٥٣).

إذا ما يهتـدي لبِّـي هَداني، وأسـأل ذَا البيـان إذا عَميتُ
واجتَنِبُ المقادِحَ حيثُ كانَت، وأتـرُكُ ما هَوِيتُ لمـا خَشِيتُ

وكان يقال: من رقَّ وجهه عن السؤال دقَّ علْمه، ومن أحسنَ السؤال عَلِم.

وقال الشاعر: [من المتقارب]

إذا كنـتَ في بَلـدةٍ جاهلاً، ولِلعِلـمِ مُلتمِسـاً، فاسألِ
فـإنَّ السـؤالَ شِفـاءُ العَمى، كمـا قِيل في الزَّمـن الأوَّلِ

[٢٨] ورويِنا عن يونُسَ[١] عن الأوزاعي[٢] عن يحيى بن أبي كَثيرٍ[٣] قال: لا يتعلَّمُ من استحْيا وتكبَّر.

وقال رجلٌ من بني العبَّاس للمأمون[٤]. أيحسُنُ بمثلي طلـبُ العلـمِ اليوم؟ فقالَ: نعم والله لئن تموتَ طالباً لِلعلم أزينُ بك من أن تموتَ قانعاً بالجَهـل. فقال: إلى متى يَحسُن بي، وقد جاوزتُ الستِّين! قال: ما حسُنَت بك الحياة[٥].

[٢٨]

(١) يونس [بن حبيب]: توفي ١٨٣ هـ. إمام في النحو. ضبيُّ الولاء. عاش ٨٣ سنة. كان له حلقة ينتابها الطلبة والأدباء وفصحاء الأعراب. له تواليف في القرآن واللغات (سير أعلام النبلاء ٨: ١٧١ ومصادره في الهامش).

وضبط الإسم يفرضه تسلسل وفيات من روى عنهما، إذ هناك العديد من الأعلام تحت إسم يونس.

(٢) الأوزاعي: عبد الرحمن بن عمرو، كان يسكن في محلة الأوزاع بدمشق ثم تحول إلى بيروت مرابطاً بها إلى أن مات. وقيل كان مولده ببعلبك. إمام الديار الشامية في الفقه. توفي ١٥٧ هـ. (أعلام النبلاء ٧: ١٠٧).

(٣) يحيى بن أبي كثير: (توفي ١٢٩ هـ): الطائي بالولاء. عالم أهل اليمامة في عصره. أقام في البصرة، وكان من ثقات أهل الحديث. قيل: إن إسم أبيه صالح أو يسار أو نشيط (أعلام النبلاء ٦: ٢٧) وقال خليفة اسم أبيه يسار (طبقات ٢٢٣).

(٤) المأمون: عبد الله بن هارون الرشيد. بويع له بالخلافة ١٩٥ هـ في أعقاب نزاعه مع أخيه الأمين توفي ٢١٨ هـ. اشتهر عهده بفرض الاعتزال عقيدة رسمية. وعرفت الثقافة في أيامه عصرها الذهبي. (الوافي بالوفيات ١٧: ٦٥، فوات : ٢٣٥، الأعلام ٤: ١٤٢، أعلام النبلاء ١١: ٢٤٢).

(٥) القول في المحاسن والأضداد: ٨ والسائل هو منصور بن المهدي. وهو أيضاً في أدب الدنيا ٧٨.

وقال الخليلُ: ذاكِرِ بِعِلمكَ فتذكُرَ ما عندك وتستفيدَ ما ليس عندك.

وقال الخليل أيضاً: كنتُ إذا لقيت عالماً أخذتُ منه وأعطيتُه.

وأخبرني أحمدُ بن عُبَيد قال: أخبرني ابنُ الأعرابي قال: أخبرنا أزهرُ السَّمَّان[6] قال: قال الزُّهري[7]: الأخبارُ ذُكرانٌ لا يُحبُّها إلاَّ ذُكرانُ الرجالِ، ولا يكرهُها إلا مؤنَّثوهم[8].

وقال الطِّرِمَّاح[9]: [من الوافر]

ولا أدعُ السؤالَ، إذا تَعيَّت ... عليَّ، من الأمور المُشكِلاتُ[10]
وَينفَعُني، إذا استيقنتُ عِلمي، ... وأقوى الشكَّ عندي البيِّناتُ

فهذه جُملة تحثُّ الأدباء على الطلب، وصَدر يقنع به العقلاء من حدودِ الأدب. ومنه أيضاً تركُ ممازحةِ الإخوان، إذ كان مما يُوغِر صدورَ الخِلاَّن، وقد اختصرت لك من ذلك جملةً مُقنعة، وألفاظُها مُمتِعة، فيها لك كِفاية، ولذوي الألباب نِهاية، إن شاء الله تعالى.

---

(٦) أزهر السمان: (١١١-٢٠٣ هـ): أزهر بن سعد الباهلي بالولاء. عالم بالحديث من أهل البصرة. كان يصحب المنصور العباسي قبل أن يلي الخلافة وله معه أخبار (الوافي ٨: ٣٧٢، الأعلام ١: ٢٩١، أعلام النبلاء ٩: ٤٤١).

(٧) الزهري: (توفي ١٢٤ هـ): محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب القرشي الزهري. أحد الفقهاء المحدثين بالمدينة. له روايات يستند إليها في تأريخ صدر الإسلام (سير أعلام النبلاء ٥: ٣٢٦، معجم الشعراء ٣٢٥، حلية الأولياء ٣: ٣٦٠، ٣٨١ طبقات القراء ٢: ٢٦٢ طبقات خليفة ٢٦١).

(٨) القول في المحاسن والأضداد: ٧ للزهري.

(٩) الطرماح بن حكيم (توفي ١٢٥ هـ): من طيء. كان جده قيس بن جحدر، وأسره بعض ملوك بني جفنة، فدخل عليه حاتم الطائي واستوهبه. كان الطرماح على مذهب الخوارج. (ابن حزم، جمهرة: ٤٠٣، الشعر والشعراء: ١٤٠، الأعلام ٣: ٢٥٣).

(١٠) في ديوان الطرماح: ٢٥ فيها اختلاف في عجز البيت الأول عَلَيَّ عرى الأمور المشكلات.
وعجز البيت الثاني: وأصري الشك عند البينات

باب
النَّهيِ عن ممازحة الأخلاَّء
والنهي عن مُفاكهة الأوداَّء

[٢٩] أعلم أن من زِيِّ الأدباء، وأهل المعرفة والعقلاء، وذوي المُروءة والظُّرفاء، قلةَ الكلام في غير أرَب، والتجالُلَ عن المُداعبةِ واللَّعِب، وتركَ التبذُّلِ بالسُّخافة والصياحِ بالفُكاهةِ والمِزاحِ. لأن كَثْرة المِزاح يُذلّ المرء، ويضعَ القَدر، ويُزيل المُروءة، ويُفسد الأخوَّة، ويجرِّىء على الشريفِ الحرّ، أهلَ الدناءة والشر.

وقد أخبرني أحمدُ بن عُبيد قال: أخبرني الأصمعي عن رجل من العرب قال: خرجت في بعض ليالي الظُّلَم، فإذا أنا بجارية كأنها صنم، فراودتها عن نفسها، فقالت: يا هذا أما لك زاجر من عقل، إذا لم يكن لك واعظٌ من دين؟ قلت: والله ما يَرانا إلا الكواكبُ. قالت: يا هذا فأينَ مُكَوكِبُها؟ فقلت: إنما كنتُ أمزح. فقالت[1]: [من الطويل]

فإياكَ، إياكَ المِزاحَ فإنَّه ... يجرِّي عليكَ الطفلَ والدَّنسَ النَّذلا
ويُذهِبُ ماءَ الوجهِ بعدَ وضاتِه، ... ويُورثُ بعدَ العزِّ صاحبَه ذُلاَّ

---

[٢٩]

(١) القصة والبيتان في المستطرف ٢ : ٢ وفي تمثال للأمثال ٣٦٧ والبيتان في نهاية الأرب ٤ : ٧٣. وفي غرر الخصائص ١٨٥، وبهجة المجالس ١ : ٥٧١ - ٢.
وضاته: تخفيف وضاءته، أي حسنه وتألقه ونظافته.

[٣٠] وقال سليمان بن داود[1]، عليهما السلام: المزاح يَستخِفّ فؤادَ الحليم، ويَذهَب ببهاء ذي القُدرة[2].

وقال عمرُ بن الخطاب رَضي الله عنه: مَن أكثرَ من شيء عُرِف به، ومَن مازَح استُخِفّ به، ومن كثُر ضَحِكُه ذهبت هيبتُه[3].

وكان يقال: لكل شيء بذْرٌ وبذْرُ العَداوة المزاح[4].

وكتب عمرُ بنُ عبد العزيز[5] إلى عماله: امنعوا الناسَ من المزاح، فإنه يُذهِب المُروءةَ، ويُوغر الصدرَ[6].

[٣١] وقال بعض الشعراء[1]: [من الطويل]

مازِح أخاكَ إذا أردت مزاحا، وتوقَّ منه في المِزاحِ جِماحا
فلربَّما مَزَحَ الصديقُ بمَزحةٍ كانت لِبابِ عَداوةٍ مِفتاحا

وقال عمرُ بنُ عبد العزيز: امتنعوا من المزاح تَسلمْ لكمُ الأعراض.

قال خالد بن صَفوانَ[2]: المزاحُ سِبابُ النَّوكَى.

---

[٣٠]

(١) راجع قصته في قصص الأنبياء: لعبد الوهاب النجار ٣١٧، ولابن كثير: ٤٢٨.

(٢) الأقوال في المزاح كثيرة، ويختلط بعضها ببعض، وتختلط نسبتها من شخصية إلى أخرى.

(٣) بعض هذا القول منسوب للنبي ﷺ في غرر الخصائص ١٨٥ ونهاية الأرب ٤: ٧٢. وبعضه لعمر في بهجة ١: ٥٧١. وهو في روضة العقلاء ٨١.

(٤) في تمثال الأمثال ٣٦٨.

(٥) عمر بن عبد العزيز: (٦١ - ١٠٦ هـ) الخليفة الصالح. يعتبره البعض خامس الخلفاء الراشدين. عمل على اعادة الوحدة داخل المجتمع الإسلامي بممارسة سياسة إسلامية. ثقل حكمه على بني أمية (الأعلام ٥: ٥٠ أعلام النبلاء ٥: ١١٤ ومصادره في الهامش).

(٦) القول في تمثال الأمثال ٣٦٨ منسوب لعمر بن الخطاب وفيه وردت يذهب المهابة عوضاً عن يذهب المروءة.

[٣١]

(١) البيتان في بهجة المجالس ١: ٥٧٠ منسوبان لأبي هفان، وفصل المقال ١٠٠ وألف باء ١: ٤٤ والجماح: ركوب الهوى، تشبيهاً بجموح الخيل.

(٢) وردت في الأصل خلف، وصوابه ما أوردناه والتصحيح من زهر الآداب ١: ٢٢٥ حيث ترد أقوال لخالد في مساوىء المزاح. ومن تمثال الأمثال ٣٦٧ حيث يرد القول منسوباً لخالد بن صفوان.

وقال محمود الورّاق[3]: [من الكامل]

تلقى الفتى يلقى أخاهُ وخِدنَه ... في لَحنِ مَنطِقِهِ بما لا يُغْفَرُ[4]

ويقولُ: كنتُ مُمازِحاً ومُلاعِباً ... هيهاتَ نارُكَ في الحَشا تَستَعِرُ

ألهيتَها وطَفِقتَ تَضحَكُ لاهياً ... عمَّا بهِ، وفؤادُهُ يَتَفطَّرُ

أوَما علمتَ، ومثلُ جَهلِكَ غالبٌ، ... أنَّ المزاحَ هو السِّبابُ الأصغرُ؟

[32] وقال بعض الحكماء: الخُصومةُ تُمرِضُ القُلوبَ وتُنبِتُ فيها النِّفاقَ. والمزاحُ يَذهَبُ ببهاءِ العزِّ.

وحدثني الباغَنْدي[1] قال: حدثنا الحُمَيْدي[2] عن سُفيانَ[3] عن ابنِ المُنكَدِرِ[4] قال: قالت لي أمي: يا بني لا تُمازِحِ الصبيانَ فتهونَ عليهم. وقد كانت أدركتِ النبيَّ ﷺ.

وأوصى يَعْلى بنُ مُنْيةَ[5] بَنيهِ فقال: يا بَنيَّ، إياكمْ والمزاحَ فإنه يَذهَبُ بالبَهاءِ،

---

(3) محمود الوراق: محمود بن حسن الوراق، توفي نحو ٢٢٥ هـ. شاعر، أكثر شعره في المواعظ. روى عنه ابن أبي الدنيا. (فوات الوفيات ٢: ٢٨٥، الأعلام ٧: ١٦٧).

(4) الأبيات لمحمود الوراق في بهجة المجالس ١: ٥٦٧. ومنسوبة لأبي العتاهية في نهاية الأرب ٤: ٧٤. وترد السباب الأكبر في آخر البيت الثالث. وترجح ما ورد إذ أن العجز تضمين لقول في مساوىء المزاح. والأبيات في زهر الآداب ١: ٥٢٢ دون الثالث، وفيها آخر البيت الثاني: تتسعَّرُ.

[32]

(1) الباغندي: (توفي ٣١٢ هـ): محمد بن محمد بن سليمان بن الحارث، الأزدي الواسطي. محدث، رحل في طلب الحديث. (الوافي ١: ٩٩، أعلام النبلاء ١٤: ٣٨٣).

(2) الحميدي: عبد الله بن الزبير القرشي الحميدي، نسبة إلى حُميد، بطن من أسد بن عبد العزى بن قصي. محدث مكة وفقيهها. من أصحاب سفيان بن عيينة. توفي ٢١٩ هـ. (اللباب في تهذيب الأنساب ١: ٣٩٢، الوافي ١٧: ١٧٩، الأعلام ٤: ٨٧).

(3) سفيان [بن عيينة]: (١٠٧ - ١٩٨ هـ). محدث الحرم المكي. من الموالي، ولد بالكوفة وسكن مكة وتوفي بها. كان حافظاً واسع العلم. (الأعلام ٣: ١٠٥، الوافي ١٥: ٢٨١).

(4) محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهُدَيْر (١٣٩ هـ): قرشي تيمي. كان في غاية الاتقان والحفظ والزهد في ولادته ووفاته خلاف. توفي ١٣٦ هـ حسب خليفة بن خياط. (الوافي ٥: ٧٨، طبقات خليفة ٢٦٨ أعلام النبلاء ٥: ٣٥٣، الأعلام ٧: ١١٢).

(5) يعلى بن مُنْيَة: وردت في الأصل يعلى بن منبه. وهو خطأ. ومنية أمه، وهي بنت الحارث بن جابر من بني مازن. وهو يعلى بن أمية بن أبي عبيدة. توفي ٣٧ هـ. (الأعلام) وهو صاحب جمل عائشة. مولى

ويُعقِبَ الندامة، ويُزري بالمروءة[٦].

[٣٣] وقال مِسعر بنُ كِدَام الهِلالي[١] لابنهِ[٢]: [من الكامل]

ولقد منحتُك، يا كِدامُ، نصيحتي، فاسمعْ لقولِ أبٍ عليك شفيقِ
أما المُزاحةُ والمِراءُ فدعْهُما، خُلُقانِ لا أرضاهما لصديقِ
إني بلوتُهما، فلم أحمَدْهُما لمجاورٍ جاورته، ورفيقِ

وكان سعيدُ بن العاص[٣] يقول: لا تُمازحنَّ الشريفَ فيَحقِدَ عليك، ولا الدنيءَ فيَجترىء عليك[٤].

وقد تواترت بالنَّهي عن ذلك الأخبارُ، وتكاثفت فيه الأشعار. ولعَمْري انَّ ترك ما نهَى عنه ذوو الأدب، من المُداعبة واللَّعِب، أولى بذي النُّهية والأرَبِ. وقد يجب على العاقل الأديب أن ينتقيَ إخوانه، ويتخيرَ أخدانَه ويفتشَ عن الأصحاب، ويجالسَ ذوي الألباب، ويستخلصَ أهلَ الفَضلِ، وأهلَ المُرُوءاتِ والعقلِ. فإنها مِحنةُ الأدباء، وفِراسةُ العلماء. وإنما يُعرفُ الرجل بأشكاله، ويقاس بأمثالِهِ، ويُوسَمُ بأخدانِه، ويُنسب إلى أقرانِه. وقد شرحتُ في ذلك جملةً من الآثار، وما رُوي فيه من النُّتَفِ والأخبار، فقِفْ عليه يَبِن لك ما فيه، إن شاء الله تعالى.

= قريش، من مسلمة الفتح. وشهد حنينا والطائف. يذكر صاحب خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٤٣٧ أنه بقي إلى قرب ٥٠ هـ. (الأعلام ٨: ٢٠٤، جمهرة أنساب العرب ٢١٣، ٢٢٩، طبقات خليفة ٤٥، خلاصة تذهيب ٤٣٧ ـ ٨.

(٦) يرد في نهاية الأرب ٤: ٧٤ دون نسبة.

[٣٣]

(١) مسعر بن كدام الهلالي، (توفي ١٥٥ هـ): فقيه، من ثقات أهل الحديث، كوفيٌّ، خرّج له الستة (الأعلام ٧: ٢١٦، جمهرة الأنساب ٢٧٤، أعلام النبلاء ٧: ١٦٣).

(٢) الأبيات في بهجة المجالس ١: ٤٣٠ لمسعر. وهي في روضة العقلاء ٧٩ وفي سير أعلام النبلاء ٧: ١٧٠.

(٣) سعيد ابن العاص (٣ ـ ٥٩ هـ): أموي. من الأمراء الفاتحين. فاتح طبرستان. اعتزل صفين (الأعلام ٣: ٩٧).

(٤) في بهجة المجالس ١: ٦٥٩ له. وفي التذكرة الحمدونية ٣٧٤ دون نسبة.

باب

الأمر باختيار الإخوان

وانتخاب الأقران والأخدان

[٣٤] روي عن النبي ﷺ، قال: «اختبروا الناس بإخوانهم، فإن الرجلَ يُخادن من يُعجبه نحوهُ»[١].

وقال مُجاهد[٢]: إني لأنتقي الإخوان كما أنتقي أطايبَ الثمر.

وقال بعض الشعراء: [من الكامل]

امحَضْ مودّتكَ الكريمَ، فإنّما يَرعَى ذوي الأحساب كلُّ كريمِ
وإخاءُ أشرافِ الرجالِ مُروءةٌ، والموتُ خيرٌ من إخاء لئيمِ

وقال يَحيى بنُ أكْثَم[٣]: [من الطويل]

وقارِنْ، إذا قارنتَ، حُرًّا، فإنّما يَزينُ ويُزري بالفتى قُرَناؤُهُ[٤]
إذا المَرء لم يَختَرْ صديقاً لنفسِه، فنادِ بهِ في الناسِ: هَذا جَزاؤُهُ

---

[٣٤]

(١) الحديث في التمثيل والمحاضرة ٢٨ باختلاف.

(٢) مجاهد بن جبر: توفي ١٠٤ هـ أبو الحجاج المكي، مولى بني مخزوم تابعي، مفسر. أخذ التفسير عن ابن عباس. (أعلام ٥: ٢٧٨، طبقات القراء ٢: ١٤، أعلام النبلاء ٤: ٤٤٩).

(٣) يحيى بن أكثم، (١٥٩ ـ ٢٤٢ هـ): قاضي القضاة في عهد المأمون. اشتهر بفضله وعلمه. غلب على المأمون حتى لم يكن يتقدمه عنده أحد، ولا يُبرم الوزراء شيئاً حتى يراجعوه (أعلام النبلاء ١٢: ٥، أعلام ٨: ١٣٨).

(٤) البيتان في الفاضل ٤٣، وفي غرر الخصائص ٢٥٤، وفي روضة العقلاء ٢٠١.

[٣٥] ورويَ أنَّ سليمانَ بن داود، عليهما السلام، قال: لا تَحكُموا للرجلِ بشيء حتى تَنظُروا من يخادن.

وقال عَدِيّ بنُ زيد[1] العبادي[2]: [من الطويل]

عَنِ المرءِ لا تَسألْ، وأبصِرْ قَرينَه، فإنَّ القَرينَ بالمُقارِنِ مُقتدِ
إذا ما رأيتَ الشَرَّ يبْعثُ أهلَه، وقام جُناةُ الشرِّ للشرِّ، فاقعدِ

وقال عُتبة بن هُبَيرة الأسدي[3]: [من السريع]

إن كنتَ تَبغي العِلمَ، أو أهلَه، أو شاهداً يُخبِرُ عَن غائبِ[4]
فاختَبِرِ الأرضَ بأسمائِها، واختبِرِ الصاحبَ بالصاحبِ

وقال أبو العَتاهية[5]: [من مجزوء الكامل المذال]

من ذا الذي يَخفَى عليك، إذا نظرت الى قَرينِه
وعلى الفَتى بطِباعِه سِمةٌ تلوحُ على جَبينِه

وأنشدني أحمدُ بنُ عُبَيد لأبي محمد اليَزيدي[6]: [من مجزوء الرجز]

ومَن يصاحبْ صاحباً، يُنسَبْ الى مُستَصحبِهْ

---

[٣٥]

(١) عدي بن زيد العبادي: شاعر من دهاة الجاهليين. كان من أهل الحيرة يحسن العربية والفارسية، والرمي بالنشاب. وهو أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى والعبادي: تطلق على نصارى الحيرة. (الأعلام ٤: ٢٢٠، الشعر والشعراء ٣٤).

(٢) البيتان من قصيدته في جمهرة أشعار العرب ٣٩٠ وهما رقمي ٢٢ و٤٣ وفيهما بعض الاختلاف. وهما مشهوران يردان في كثير من المصادر.

(٣) عتبة بن هبيرة الأسدي. لم أعثر عليه. ويرد في الحماسة البصرية ٢: ٨٠ وهناك عتبة بن جَبيرة الأوسي. توفي ١٥٤ هـ (طبقات ابن سعد، القسم المتمم ٤٢٧). ويرجح البعض أن يكون في الاسم تصحيف لعقيبة بن هبيرة بن فروة الأسدي (أنساب الأشراف بعناية إحسان عباس ٤: ٥٧، ١٠٠، ٣٨٥).

(٤) البيتان منسوبان للأقيشر الأسدي في الحماسة البصرية ٢: ٨٠، وهما في العقد الفريد ٢: ٣١١ مع بعض الاختلاف، وفي البيان ١: ٥٤ بدون نسبة.

(٥) البيت الأول فقط في ديوانه ٤٤٩.

(٦) البيت الأول في محاضرات الأدباء ٢: ٧ بدون نسبة.

ذو النهي: ذو العقل. تباعات: نتائج وأعباء.

بزائنـاتِ رُشدِه، أو شائِنـاتِ رِيَبِهْ
ورأسُ أمـرٍ لامرِىءٍ خيرٌ له من ذَنَبِهْ
وذو النُّهـى ليسَـت تَيا عاتُ الهَـوى من أرَبِهْ

[٣٦] وقال آخر[١]: [من الهزج]

ولا تَصحَـب أخـا الجَهلِ، وإيَّـاكَ وإيَّـاه
فكَم مِن جاهـلٍ أردَى حَليمـاً، حينَ آخاهُ
وللشَّـيءِ مِنَ الشَّيءِ مَقـاييسٌ وأشبـاهُ
يُقـاسُ المـرء بالمَرء، إذا ما المـرء مَاشاهُ
وللقَلْـبِ علـى القَلبِ دليلٌ، حين يَلقاهُ

وأنشدني أبو العبَّاس الشَّيباني[٢] لأبي آمنةَ[٣] جدِّ النَّبيِّ، ﷺ: [من الكامل]

وإذا أتيتَ جماعـةً في مَجلِسٍ فاحـذَر مَجالِسهـم، ولمَّـا تقعُدِ
وذَرِ الغُـواةَ الجـاهلينَ وجهلَهم، وإلـى الـذين يُذكّرونـكَ فاقعُدِ

فلْيُؤاخِ الأديبُ أكفَاءه، وليَصحَبْ نُظراءه، ومَن يأمن من غدره، وغِبَّ أمره، وبَوائق شره. وأنَّى يكونُ ذلكَ ولن يجتمع إلا في أهل الحياء. فمنهم كرَم الوفاء، وإذا اجتمع الحَياء والوفَاء، صَحَّ الإخاء.

[٣٧] وقد أخبرَني عن عبدِ الله بن طاهر[١] أنه قال: لا دواء لِمَنْ لا حياء له، ولا حياء لمن لا وفاء لهُ، ولا وفاء لمن لا إخاء له، ولا إخاء لمن أراد أن يجمعَ بين

---

[٣٦]

(١) الأبيات في عيون الأخبار ٣: ٧٩ بدون نسبة ولأبي العتاهية ٤٢٥ في ٢: ١٨٢ والأبيات ١-٣-٤ في بهجة المجالس ١: ٥٤٦ منسوبة لأبي العتاهية. وفي البيان والتبيين ١: ٧٨ بدون نسبة. وفي الشريشي ٢: ٨٤ لعلي بن أبي طالب باختلاف في ترتيبها.

(٢) ثعلب.

(٣) أبو آمنة جد النبي: هو وهب بن عبد مناف بن زهرة. يعرف بأبي كبشة، ونسبت قريش الرسول إليه أثناء مناوئتها له. (الأعلام ٨: ١٢٥، المحبر ١٢٩).

[٣٧]

(١) عبد الله بن طاهر بن الحسين: (توفي ٨ ٢ أو ٢٣٠ هـ). والده طاهر بن الحسين قائد جيش المأمون في =

أهواء أخلائِهِ حتى يُحِبُّوا ما أحبَّ ويكرهوا ما كرِه، وحتى لا يرى من أحد ختلاً، ولا زلـلاً، ولا تَفريطاً، ثم أنشد: [من الطويل]

طلَبتُ امرءاً [حُرًّا] صحيحـاً مُسلَّماً، نقيًّا مِنَ الآفـاتِ في كلِّ مَوسِمِ[2]
لأمنحَـه وُدي، فلـم أدرِكِ الذي طلبتُ، ومـن لي بالصَّحيحِ المُسَلَّمِ
صبَرتُ ومَـن يَصبِـرِ يَجِـدْ غِبَّ صَبرِه ألذَّ وأشهَى من جَنى النَّحلِ في الفَمِ
ومـن لا يَطِـبْ نفسـاً ويَستَبْقِ صاحباً ويَغفِـرْ لأهـلِ الـوُدِّ يَصْـرِمْ ويُصرَمِ

وقال محمود الورَّاق[3]: [من الكامل الأحذّ]

البَسْ أخـاكَ علـى تَصنُّعِهِ، فَلَـرُبَّ مُفتَضِـحٍ علـى النَّصِّ
ما كِدتُ أفحَصُ عَن أخِـي ثِقةٍ، إلا ذَمَمْـتُ عَواقـبَ الفَحْصِ

وليَصحَبْ نُظراءه ومَن يأمن غدرَه وغِبَّ أمرِه وبوائِقَ شرِّه.

[٣٨] وأنشدني محمد بن يَزيد المبرِّدُ للمُطيعِ بن إياس[1]: [من الخفيف]

ولئِـن كنـتَ لا تُصاحِـبُ إلا صاحبـاً لا تَزِلّ، ما عاشَ، نَعلُه[2]
لا تجِـدْهُ، ولـو حَرَصْـتَ، وأنَّى لكَ بالخـلِّ ليسَ يُوجَـدُ مِثلُه

وقال يونس بنُ عُبيد[3]: أعياني شيئان، أخٌ في اللهِ ودرهمٌ حَلال.

= حربه ضد أخيه الأمين. عينه أبوه نائباً عنه على خراسان قاتل بابك الخرمي ومدحه أبو تمام. قرأ عبد الله العلم والفقه، وكان يقول الشعر ويغني. (الأعلام ٤: ٩٣، الوافي ١٧: ٢١٩، أعلام النبلاء ١٠: ٨٤).

(٢) في البيت الأول خلل عروضي، فأضيفت كلمة «حراً» من الطبعات الأخرى.

(٣) البيتان في نهاية الأرب ٣: ٨٥، وفي أمالي القالي ٢: ١٣٨ في بهجة المجالس للوراق ١: ٦٥٤، في ديوان المعاني ٢: ١٩٧، البيت الثاني في أدب الدنيا ١٧٩، وهو أيضاً في التمثيل والمحاضرة ٨٤.

[٣٨]

(١) مطيع بن أياس: شاعر من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية. كان ظريفاً ماجناً متهماً بالزندقة. نشأ بالكوفة ثم انتقل إلى بغداد بعد إنشائها. (الأعلام ٧: ٢٥٥، طبقات ابن المعتز ٩٢).

(٢) البيتان له في: شعراء عباسيون ٦٥، وهما في الوحشيات ١٧٦.

(٣) يونس بن عبيد: توفي ١٣٩ أو ١٤٠هـ. كان من أعيان البصرة، انضم إلى بني العباس، ولمامات حملوه على أعناقهم. (الأعلام ٨: ٦٢).

وقيل لبعضِ الحكماء: من أبعدُ الناسِ سفراً؟ فقال: من كان في طلَب صديق يَرضاه.

وقال رجل للفُضَيْلِ بن عِياضٍ[4]: أبغِني رجلاً أحدِّثُهُ سرِّي، وآمنه على أمري. فقال: تلك ضالَّة لا تُوجد.

[٣٩] وأنشدني المهلَّبيُّ[1] لنفسه: [من البسيط]

الْبَسْ أخـاكَ علـى ما كانَ مِن خُلُقٍ،	واحفَـظْ مودَّتَـه بالغَيبِ ما وصَلا
فأطـولُ النـاسِ غمًّـا من يُرِيدُ أخاً	ذا خُلَّـةٍ لا يَرى في ودِّهِ خلَلا

وأنشدني أيضاً: [من البسيط]

أقسمـتُ بالله لا يَنفـكُّ مُغتفِراً	ذنبَ الصَّديق، وإن عقَّ، وإن صرَمَا
والعُمرُ يَقصُرُ عن هَجرٍ، وعـن صِلةٍ	وعـن تَجَـنٍّ، وعتَـبٍ يُورثُ السَّقَما

فتَرْكُ مُصارمةِ الخُلاَّن، والتجاوزُ عن هفَواتِ الإخوان، والاستكثارُ من الأخلاَّء، ورفضُ مُعاندةِ الأعداء، أولى بأهلِ الأدبِ، وذوي المُروءةِ والأربِ، وأهلِ الفَضلِ والحسَبِ.

[٤٠] وقد حكَى الأصمعيُّ قال: سَمعت أعرابيًّا يقولُ لأخٍ له: أيْ أخي! إنَّ الصديقَ يَحولُ بالجفاء، وإنِّي أراكَ رَطبَ اللِّسانِ من عُيوبِ أصدقائِك، فلا تَزِدْهم في أعدائك.

---

(٤) الفضيل بن أعياض ... وردت في الأصل الفضل، وصوابه ما أثبتناه. والفضيل من أكابر الصلحاء، ومن أئمة الزهد. كان ثقة في الحديث، وعنه أخذ الإمام الشافعي. توفي ١٨٧ هـ (الأعلام ٥: ١٥٣، أعلام النبلاء ٨: ٢٧٢، حلية الأولياء ٨: ٨٤، خلاصة تذهيب الكمال ٣١٠).

[٣٩]

(١) المهلبي: هذه النسبة إلى أبي سعيد المهلب بن أبي صفرة الأزدي أمير خراسان، وينسب إليه كثير من العلماء نسباً وولاء، والمهلبي الذي كان معاصراً لأبي الطيب هو إبراهيم بن هانئ توفي ٣٠١ هـ (اللباب ٣: ٥٧٦) وتطلق أيضاً على المهلبين بالولاء وأرجح هنا نفطويه ابراهيم بن محمد.

وقال عبد الله بن الحسَن بن [الحسن بن] علي لابنه[1]، رضيَ الله عنه: إيَّاكَ وعَداوةَ الرجالِ، فإنها لن تُعدِمَك مكرَ حليمٍ، أو مُفاجأةَ لئيم.

ورُوي أنَّ سليمانَ بن داود قال لابنه: يا بُنـي لا تَستكثِـر أن يكونَ لكَ ألفُ صديقٍ، ولا تَستقِلّ أن يكونَ لكَ عَدوّ واحد[2].

وروي أنَّ علي بن أبي طالب عليه السلام[3] قال[4]: [من الطويل]

وأكثِر مِنَ الإخوانِ ما اسطعتَ إنَّهم عِمـادٌ، إذا استَنجدتَهم، وظُهورُ
وليسَ كثيراً ألفُ خِلٍّ وصاحِبٍ، وإنَّ عَدُوّاً واحداً لَكثيرُ

[41] وليسَ شيء أسرَّ إلى ذي اللُّبِ، ولا أحسنَ موقعاً في القلبِ، من مُحادثة العقلاء، ومجالسةِ الأدباء. فإنَّ ذلك مما تُفتَّقُ به الأذهان، ويَنفسحُ به الجَنان، ويَزيد في اللُّبِّ، ويَحيا بِه القلب، كما قال بعضُ الشعراء[1]: [من الوافر]

---

[40]

(1) عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب. والد محمد (النفس الزكية) وإبراهيم الخارجين على المنصور ١٤١ ـ ٥ هـ. أمه فاطمة بنت الحسين. كان له شرف وهيبة، وكان ذا منزلة لدى عمر بن عبد العزيز وكرمه السفاح. يمثل ولداه زعامة الاتجاه السياسي الزيدي المعارض لبني العباس. (الوافي ١٧: ١٣٥، الأعلام ٤: ٧٨).

(2) الكلام في العقد الفريد ٢: ٣٠٤.

(3) علي بن أبي طالب: (٢٣ ق. هـ ـ ٤٠ هـ). أمير المؤمنين ابو الحسن رابع الخلفاء الراشدين، وابن عم النبي وصهره. شجاع خطيب عالم بالقضاء. ولي الخلافة ٣٥ هـ بعد مقتل عثمان. وفي ٣٦ هـ كانت وقعة الجمل، وفي ٣٧ هـ كانت وقعة صفين التي انتهت بالتحكيم. قتله عبد الرحمن بن ملجم غيلة. (الأعلام ٤: ٢٩٥).

(4) البيتان في روضة العقلاء ٩٤، وهما في محاضرات الأدباء ٢: ٦ منسوبان الى محمود الوراق وفي أدب الدنيا ١٨٢ منسوبان إلى ابن الرومي.

[41]

(1) البيتان في ألف باء ١: ١٩٢ دون نسبة. وفي ذيل أمالي القالي ١٠٦ باختلاف في صدر البيت الأول، وهما في غرر الخصائص ١٢٦.

وما بَقِيَت من اللّـذّاتِ إلاّ ... مُحادثـةُ الرِّجـالِ ذوي العُقولِ

وقـد كُنّـا نَعدُّهُـمُ قليلاً، ... فقَـد صاروا أقـلَّ من القَليلِ

وقيل لِلحُرَقَةِ ابنةِ النُّعمان[2]: ما كانت لذّةُ أبيك؟ فقالت: إدمان الشّراب، ومجالسة الرِّجال.

وقال عمرو بن مُرَّةَ الجُهَنيّ[3] صاحبُ رسول الله ﷺ: [من الكامل]

وصَحَـوتُ إلاّ مِن لِقـاء مُحَدِّثٍ، ... حَسَنِ الحـديثِ، يَزيدنـي تَعليما[4]

وقال معاوية بن أبي سفيانَ[5] لعمرو بنِ العـاص[6]: ما بَقـي ممـا تَستلـذّه؟ فقال: مجالسة الرِّجال[7].

وقد روي عن النبي ﷺ، وعن عِدَّةٍ مِنَ الصَّحابـةِ، رضـي الله عنهم، من الأحاديثِ في الحَثِّ على صُحبة الإخوان، والرَّغبةِ في الخِلاّن، ما إن ذكرناه طالَ به الكتاب، وكثُر به الخِطاب. وسنذكر بعض ذلك ونختصره، ونأخذ من أحْسنه ما يكون فيه بَلاغ، إن شاء الله تعالى.



---

(٢) الحرقة بنت النعمان بن المنذر بن امرىء القيس من بني لخم. شاعرة من بيت الملك في قومها بالحيرة. (الأعلام ٢: ١٧٣).

(٣) عمرو بن مرة الجهني: بن عيسى بن مالك بن الحارث. قيل هو أول من ألحق قضاعة باليمن (جمهرة ابن حزم ٤٤٥، طبقات ابن سعد ١: ٣٧٣، ٧: ١٦٣).

(٤) البيت واحد من اثنين منسوبين لإبراهيم بن العباس الصولي في البصائر والذخائر ١: ٤٤٦، وهو في شعر بشار ٣١٢.

(٥) معاوية بن أبي سفيان: وأبو سفيان هو صخر بن حرب بن أمية القرشي (توفي ٦٠ هـ) رجل حلم ودهاء. مؤسس دولة بني أمية في الشام. كان على مقدمة الجيش في فتح عرقة وجبيل وبيروت وصيدا. نازع الإمام علي بن أبي طالب الخلافة قبل انتهائها إليه بعد مقتل الإمام علي (الأعلام ٧: ٢٦١، ابن الكلبي، جمهرة النسب ١: ١٧٧).

(٦) عمرو بن العاص بن وائل السهمي القرشي (توفي ٤٣ هـ): فاتح مصر وأحد دهاة العرب. أسلم في صلح الحديبية، وولاه الرسول إمرة ذات السلاسل. وكان من أمراء فتح الشام. (الأعلام ٥: ٧٩).

(٧) القول في بهجة المجالس ١: ٧٠٤ منسوب لاسحاق بن مسلم العقيلي، وفيه اختلاف.

باب

الحثّ على صحبة الإخوان

والإغراء على مَوَدَّةِ الخِلاَّنِ والرَّغبةِ في أهلِ الصَّلاحِ والإيمان

[٤٢] رويَ عن أبي هُرَيرةَ: أن النَّبيَّ، ﷺ، قالَ: «المرء على دينِ خليلِهِ، فلينظُرْ أحَدُكم مَن يُخالِل»[١].

ورُوِي عن أبي عمرو العَوفي[٢] قال: كان يُقال أصحَبْ مَن إن صَحبتَه زانَك، وإن خدَمته صانَك، وإن أصابتك خَصاصةٌ مانك، وإن رأى منك حسنةً عدَّها، وإن رأى منك سقطةً سترَها، ومَن إن قلتَ صدَّقَ قولَك، وإن أصبتَ سدَّدَ صَوابك، ومن لا يأتيك بالبَوائق، ولا تختلف عليك منه الطرائق[٣].

وقال المفضلُ بن غسَّان البصري[٤]: كان يقال: أصحَبْ من يَنسَى مَعروفَه عندكَ[٥].

---

[٤٢]

(١) الحديث في التمثيل والمحاضرة ٢٨، وفي بهجة المجالس ١: ٧٠٣.

(٢) أبو عمرو العوفي (توفي ٧٣ هـ): عوف بن مالك الأشجعي. حجازي آخى النبي بينه وبين أبي الدرداء. كانت معه راية أشجع يوم فتح مكة. تحول إلى الشام في خلافة أبي بكر فنزل حمص وبقي إلى أول خلافة عبد الملك بن مروان. (طبقات ابن سعد ٤: ٨٤، الأعلام ٥: ١٩٦).

(٣) القول في بهجة المجالس ١: ٧٠٧ منسوب لخالد بن صفوان، وفيه اختلاف في آخره. وهو في عيون الأخبار ٣: ٤ منسوب لعلقمة بن لبيد العطاردي.

(٤) المفضل بن غسان البصري: ورد في الأصل الفضل. والتصحيح من لباب الأنساب ١: ٣٩٧. وهو والد أبي أمية الأحوص الغلاّبي. روى عنه ابنه كتاب التاريخ. والغلاّبي نسبة إلى غلاّب والد خالد بن غلاب البصري أحد أجداد المفضل. ويناقش ابن الأثير ضبط الغلابي بتشديد اللام أو بتخفيفها.

(٥) القول منسوب للإمام علي في بهجة المجالس ١: ٧٠٩.

ورويَ عن معاوية بن قُرَّة(٦) قال: نظرت في المودة والإخاء فلم أجِد أثبتَ مودةً من ذي أصل.

[٤٣] وأنشدونا لعُمَرَ بن عبدِ العزيز، ولا يُعرَف له غيرُ هذه الأبيات: [من الكامل الأحذ]

إنـي لأمنـحُ مَن يُواصلُني	مِنّـي صفاءً ليسَ بالمَذْقِ
وإذا أخٌ لي حالَ عن خُلُقٍ	داويتُ منـه ذاكَ بالرِّفْقِ
والمرءُ يَصنعُ نفسَه ومتى	ما تَبلُهُ يَنزعْ إلـى العِرقِ

ومثلُه قولُ زُهيرِ بن أبي سلمى(١) [من الطويل]

ومـا يَكُ مِن خَيرٍ أتَـوه، فإنَّما	تَوارَثـهُ آبـاءُ آبائِهـم قبلُ(٢)
وهَـل يُنبِـتُ الخَطِّيَّ إلاَّ وشيجُهُ،	وتُغـرَسُ إلاَّ في مَنابِتِهـا النَّخْلُ(٣)

ومنه قول الآخر(٤): [من البسيط]

والابـنُ يَنشُو علـى ما كانَ والدُهُ،	إنَّ العـروقَ علَيهـا تَنبُتُ الشَّجَرُ

وقال المتوكلُ الكِناني(٥): [من البسيط]

(٦) معاوية بن قرة: والد القاضي إياس بن قرة، من مزينة بني عمرو بن أدّ. له رواية ولأبيه صحبة (جمهرة ابن حزم ٢٠٣، أمالي القالي ٣: ٤٩).

[٤٣]

(١) زهير بن أبي سلمى: ربيعة بن قرط، حكيم الشعراء في الجاهلية. سميت قصائده بالحوليات، لأنه، كما قيل، كان ينظمها في شهر وينقحها ويهذبها في سنة. توفي ١٣ ق. هـ. (الأعلام ٣: ٥٢، الشعر والشعراء ٢٣).

(٢) البيان في ديوانه ط. صادر ٦٣. في جمهرة أشعار العرب ٦٨ في أمالي المرتضى ١: ٥٦٧، في نهاية الأرب ٣: ٥٩، في التمثيل والمحاضرة ٤٧. وانظرهما وشرحهما في شعر زهير ٤٤.

(٣) الخطي: شجر تصنع منه الرماح وينسب إلى الخط في مرفأ البحرين. الوشيج: القنا.

(٤) البيت في أدب الدنيا ٢٢٨.

(٥) المتوكل الليثي الكناني: كناه المرزباني بأبي جهمة، كان على عهد معاوية ونزل الكوفة. (الأعلام ٥: ٢٧٥، معجم الشعراء ٤٠٩ نهاية الأرب في أنساب العرب ٣٧٤).

عِندي لِصالحِ قومي، ما بقيتُ لهم، حَمدٌ، وَذَمٌّ لأهلِ الذَّمِّ، مَعدودُ
أجرِي على سُنَّةٍ من والدي سَبَقَت، وفي أُرُومتِهِ ما يَنْبُتُ العُودُ[٦]

[٤٤] وأوصى بعضُ الحُكماء أخاً له فقال: أيِ أخي! آخِ الكريمِ الأَخُوَّةِ، الكاملَ المروءة، الذي إن غِبتَ خلَفَكَ، وإن حضرت كنَفَكَ، وإن لَقِيَ صديقك استزاده، وإن لَقِيَ عدوك كَفَّه، وإن رأيته ابتهجتَ، وإن أتيتَهُ استرَحت[١].

وقال عمرُ بن الخطاب، رضي الله عنه: إذا رزقَك الله مودَّةَ امرِيءٍ مسلمٍ فتشبَّثْ بها.

وكان سُفيان الثَّوري[٢] كثيراً ما يتمثل بهذين البيتين[٣]: [من الكامل]

أَبلُ الرِّجالَ، إذا أردتَ إخاءَهم، وتَوَسَّمَنَّ إخاءَهم وتفقَّدِ
فإذا وجدتَ أخا الأمانةِ والتُّقى فبه اليدين قرير عينٍ فاشددِ
كم مِن صديقٍ في الرَّخاء مُساعدٍ وإذا أردتَ حقيقةً لم تُوجَدِ

ومثلُ ذلك قولُ الآخر: [من الرمل]

آخِ مَن آخيتَ عَن خبرتِهِ، لا يَغُرَّنَّكَ مِنَ النَّاسِ الطُّرَرْ
لا ولا الأجسامُ ما لم تبلُهم، إنما النَّاسُ كأمثالِ الشجرْ
منه ما ليسَت له مَنظَرَةٌ، وهو صُلبٌ عودُهُ حلوُ الثَّمرْ

---

(٦) البيت الثاني في أمالي المرتضى ١: ٥٦٨ على قافية الرا باختلاف الشجر عوضاً عن العود.
والبيتان في الاختيارين ١٥٨ من شعر رُبيع بن علباء السلمي.

[٤٤]

(١) القول باختلاف يسير في بهجة المجالس ١: ٧٠٧.

(٢) سفيان الثوري (٩٧ ـ ١٦١ هـ): هو ابن سعيد بن مسروق، من بني ثور من عبد مناة. علم في الحديث خرج من مكة ١٤٤هـ. طلبه المهدي العباسي فتوارى وانتقل إلى البصرة ومات فيها مستخفياً (الأعلام ٣: ١٠٥، تاريخ بغداد ٩: ٢٥١، حلية الأولياء ٦: ٣٥٦).

(٣) كذا. . . ثلاثة أبيات. إلا أن المصادر تورد البيتين الأولين. فهما في لباب الآداب ٢٥ وفي أمالي القالي ٢: ٢٠٣ للمقنع الكندي، وهما في شعر عبد الله بن معاوية ٤٤، وفي حلية الأولياء ٦: ٣٧٦ وبهجة المجالس ١: ٦٥٢ ويرد البيت الثالث على النحو التالي:

ودع التخشع والتذلل تبتغي قرب امرىء إن تدنُ منه يبعد

وتَــرى مِنْــه أنيقــاً نَبْتُهُ، طَعمُــه مُرٌّ، وفــي العُودِ خَوَرْ[4]

وقال آخر[5]: [من السريع]

من حَمِـد النَّـاسَ، ولــم يَبْلُهُم، ثم ذَمَّ مَن يَحمَدُ

وصـارَ بالوَحــدةِ مستأنساً، يُوحِشُــه الأقــربُ والأبعدُ

[٤٥] ورُوي أن رجلاً من عبدِ القيس[1] قال لابنه: أيْ بُني، لا تؤاخِ أحـداً حتى تعرفَ مواردَ أمــوره ومصادرَها، فإذا استنبطت الخبر، ورضيت مِنه العِشْرةَ، فآخِهِ على إقالةِ العَثرةِ، والمُؤاساة عند العُسْرة.

وأنشدني محمَّد بنُ يَزيد المبرِّد[2]: [من الوافر]

وكنــتُ، إذا الصَّـديقُ أرادَ غَيظي على حَنَـقٍ، وأشرَقَنــي بِريقي

غفــرتُ ذُنوبَــه، وكَظَمــتُ غَيظي، مخافــةَ أن أكونَ بلا صديقِ

وأنشدني لبشَّار بن بُرد العُقَيلي[3]: [من الطويل]

أخوكَ الذي لا ينقُضُ، الدهرَ، عهدَه، ولا عنـدَ صَرفِ الدَّهـرِ يَزْوَرّ جانبُه[4]

فخُذ مِن أخيكِ العَفْـوَ، واغفِرْ ذُنوبه ولا تكُ في كلِّ الأمــورِ تُجانبُه

إذا كُنــتَ في كلِّ الأمــورِ معاتِباً صديقَك، لم تَلْـقَ الـذي لا تعاتبُهُ

إذا أنتَ لم تَشربْ مِراراً علـى القَذَى ظَمِئـتَ وأيّ النَّـاسِ تَصفُـو مشاربُه

---

(٤) الطرر: مفردها طرة: وهي الشعر المقطوع في مقدمة الرأس. والخور: الضعف.
(٥) البيتان في غرر الخصائص ٤٦٢ دون نسبة.

[٤٥]
(١) عبد القيس: بطن من أسد من ربيعة العدنانية. وهم بنو عبد القيس بن أقصى بن دعمي بن جديلة بن أسد. كانت ديارهم بتهامة ثم خرجوا إلى البحرين (القلقشندي، نهاية الأرب في أخبار العرب ٣١١).
(٢) البيتان في غرر الخصائص ٤٣٥ بدون نسبة. وفي بهجة المجالس ١ : ٦٦٩ وفي أمالي القالي ٣ : ١١١.
(٣) بشار بن برد العقيلي (٩٥ ـ ١٦٧ هـ): عقيلي بالولاء، أشعر المولدين. كان ضريراً. أدرك الدولتين الأموية والعباسية. اتهم بالزندقة؛ فمات ضرباً بالسياط ودفن بالبصرة (الأعلام ٢ : ٥٢).
(٤) الأبيات في ديوانه ٤٣ ـ ٤٥، والأولان منها في الشريشي ٢ : ١١٠ للمغيرة بن شعبة، والأبيات في الحماسة البصرية ٢ : ١٦، وفي بهجة المجالس ١ : ٧٣٠ وفي أمالي القالي ٢ : ٢٠٣ للمغيرة بن حبناء. والبيتان الأخيران في الوحشيات لبشار. وفي معاهد التنصيص ٢ : ٢٩.

وقال آخر[٥]: [من الطويل]

ومـن لا يُغمِّضْ عَينـه عن صديقِه، وعَن بعضِ ما فيهِ، يَمُتْ وهـو عاتبُ
ومَـن يتتبَّـعْ جاهـداً كلَّ عثرةٍ، يجدْهـا، ولا يَسلَـمْ لهُ، الدَّهرَ، صاحبُ

وأنشدني أحمدُ بن يحيى لسعيد المُساحقي[٦]: [من الطويل]

فخُـذ عفـوَ من أحبَبْـتَ لا تُبرِمَنَّهُ، فَعِندَ بلـوغِ العُـذرِ رنـقُ المَشارِبِ[٧]

[٤٦] وقال أبو الأسود الدؤلي[١]: [من المنسرح]

ولسـتَ مُسـتبقياً أخـاً لكَ لا تَصفَـحُ عمَّـا يكونُ من زَلَلِه[٢]
مـن ذا الـذي هُذِّبَت خَلائقُه في رَيثِـه إن أتَـى وفـي عَجَلِهْ
لا أصحَـبُ الخائـنَ اللئيمَ، ولا أقطـعُ وَصـلَ الخليلِ من مَلَلِهْ
أجـزيهِ بالعُـرفِ، ما حَييتُ، ولا يَعْـدَمُ صَفحـي للشـرِّ مِن عَمَلِهْ

ومثله قولُ النابغةِ الذُّبياني[٣]: [من الطويل]

---

(٥) البيتان في الحماسة البصرية ٢: ١٦ وبهجة المجالس ١: ٦٦٦ منسوبان لكثير بن أبي جمعة وفي التمثيل ٧٤ وعيون الأخبار ٣: ١٦، وفي معاهد التنصيص ١: ٣٦١ بدون نسبة باختلاف في شطر البيت الثاني.

(٦) سعيد المساحقي: سعيد بن سليمان المساحقي أول قاض استقضاه المهدي العباسي على المدينة وبقي حتى عزله الرشيد وقيل الهادي. (أخبار القضاة ١: ٢٣٢).

(٧) البيت لسعيد في أخبار القضاة ١: ٢٣٣، ٢٣٩ وفيه وردت لا تنزرنه عوضاً عن لا تبرمنه.

[٤٦]

(١) أبو الأسود الدؤلي. ظالم بن عمرو، وفي اسمه خلاف توفي ٦٩ هـ عن ٨٥ سنة. يعد في القراء والتابعين والمحدثين والبخلاء والمفاليج والعرجان والنحويين. ولي قضاء البصرة، قربه معاوية رغم تعصبه لعلي. (الشعر والشعراء ١٧١، البرصان والعرجان للجاحظ ١٢٢، ٢٧٩، الوافي ١٦: ٥٣٤).

(٢) ليست في ديوانه بصنعة السكري. والبيت الأول منسوب لعبد الله بن معاوية ضمن خمسة أبيات في عيون الأخبار ٣: ١٧، وهو كذلك في شعره ٧١.

(٣) النابغة الذبياني: (توفي ١٨ ق. هـ./ ٦٠٤): زياد بن معاوية الذبياني الغطفاني المضري. شاعر جاهلي كبير كانت تضرب له قبة من جلد في عكاظ. كان أحسن شعراء العرب ديباجة. (الأعلام ٣: ٥٤، الشعر والشعراء ٢٠).

لستَ بمُستَبقٍ أخاً لا تلُمُّهُ   على شَعَثٍ، أيُّ الرجالِ المهذّبُ[٤]

وأجاد، واللهِ، الذي يقول[٥]: [من الطويل]

إذا ما أذاني مفصِلٌ فَقَطَعتُهُ،   بَقِيتُ وما لي للنهوضِ مَفاصلُ
ولكِن أداويه، فإنْ صحَّ كانَ لي،   وإن هُوَ أدوَى كان فيه تحامُلُ

وأنشِدْتُ لرجلٍ من طَيِّء: [من المنسرح]

ارخِ على الناسِ ثوبَ سِترِهِمُ،   أوَ آجْنِ حُلْوَ الثِّمارِ مِن شَجَرِهْ
واستبقِ ما لَم تُرِد قطيعتَه،   بسَترِهِ ما استقرَّ في سَتَرِهْ
فَرُبَّ بادي الجميل منه، إذا   فُتِّشَ أبدَى التفتيشُ عن عَوَرِهْ
واستَصلح الناسَ، ما استَطعتَ، ولا   تُسرِعْ الى ضرٍّ مُبتغِي ضَرَرِهْ

[٤٧] ورُوي عن ابنِ عباس، رضي الله عنه، قال: أحَبُّ إخواني إليَّ أخٌ إن غِبتُ عنه عذَرني، وإن جِئتُه قبلني.

وقيل لخالدِ بن صَفوان[١]: أي إخوانِك أوجبُ عليكَ حَقًّا؟ فقال: الذي يَسدّ خَلّتي، ويغفِرُ زَلّتي، ويُقيلُ عثرتي[٢].

وقالَ مُطيعُ بن إياس[٣]: [من الخفيف]

---

(٤) البيت مشهور جداً. فهو في ديوانه ٤٧ وفي العقد ٢: ١٦٣، ٣: ٦٢ وفي عيون الأخبار ٣: ١٦، وفي نهاية الأرب ٣: ١٨٦ وفي جمهرة أشعار العرب ٦٨، ٧٥ وفي معاهد التنصيص ١: ٣٥٨.
والشعث: انتشار الأمر. والمهذّب: المنقح الفعال المرضي الخصال.

(٥) البيت الأول في بهجة المجالس ١: ٦٦٩. وهما معاً في العقد الفريد ٢: ٣١٠ منسوبان لمحمد بن ابان اللاحقي.

(٦) طيء: قبيلة من كهلان القحطانية. ومنهم حاتم الطائي وزيد الخيل الذي سماه الرسول زيد الخير. أصحاب رياسة في بلاد الشام والعراق (القلقشندي، نهاية الأرب في قبائل العرب ٣٠٠).

[٤٧]
(١) خالد بن صفوان: اشتهر بحكمته، مشهور في أدب السمر (الأعلام ٢: ٢٩٦).
(٢) في بهجة المجالس ١: ٧٠٨ لخالد بن صفوان.
(٣) الأبيات في (شعراء عباسيون) ٦٥.

إنما صَاحبي الـذي يَغفِـرُ الذَّنـ ـبَ، ويكفيه مِن أخيهِ أقلُّـهْ
ليسَ مَن يُظهِـرُ الخَلالـةَ إفكاً، وإذا قالَ خالفَ القـولَ فِعلُه
وَصْلُـه للصـديقِ يومٌ، ويومٌ يُضمِـرُ الهَجـرَ، ثمّ يَنبَـتُّ حبلُه
وأحـقُّ الرجـالِ أن يغفِـرَ الذَّنـ ـبَ لإخوانِـهِ المُوَفَّـرُ عقلُه

[٤٨] وفي حديث سَهل بن سعد الساعدي[١] قال: قال رسول الله ﷺ: «المرء كثيرٌ بأخيه»[٢].

وكتبَ الأحنفُ بنُ قيس[٣] إلى صديق له: أمّا بعدُ فإذا قَدِمَ عليك أخٌ موافـقٌ لكَ، فليكُن مِنـك مكانَ سَمعِك وبصـرِك، فإنَّ الأخَ الموافـقَ أفضلُ من الولـدِ المُخالِفِ.

وقال خالدُ بن صفوان: أعجزُ الناسِ من قَصَّرَ في طلبِ الإخوان، وأعجزُ منه من ضيَّع من ظفر به منهم[٤].

وقالَ عمرُ بن الخطَّاب: عليكم بإخوان الصدق[٥]، فاكتسبوهم، فإنهم زينٌ في الرَّخاء وعُدَّةٌ عندَ البَلاء[٥].

وسئل بعضُ الحكماء: أيّ الكنوزِ خيـر؟ فقال: أما بعـد تقـوى الله فالأخُ الصالحُ.

---

[٤٨]

(١) سهل بن سعد الساعدي: ورد في الأصل سهل بن سعيد: من بني ساعدة. توفي ٩١ هـ. صحابي من أهل المدينة. وكان ممن ختمهم الحجاج بالرصاص. وكان اسمه حزناً فسماه النبي سهلا. (أعلام النبلاء ٣: ٤٢٢، الوافي ١٦: ١٣، طبقات خليفة ٩٨، تاريخ خليفة ٣٠٣).

(٢) الحديث وارد في العقد الفريد ٢: ٣٠٤، أدب الدنيا ١٦٢ وفي بهجة المجالس ١: ٧٠٢ وفي نثر الدر ١: ١٥١، ١٦٢ والبيان والتبيين ٢: ١٩، والحكمة الخالدة ١٠٣.

(٣) الأحنف بن قيس: (توفي ٧٢ هـ): سيد تميم، وأحد الشجعان الفاتحين. شهد فتوح خراسان واعتزل يوم الجمل. مشهور بحلمه. كان بدون لحية. (الأعلام ١: ٢٧٧، الوافي ١٦: ٣٥٥).

(٤) في أدب الدنيا ٣٤ لخالد.

(٥) في نثر الدر ٢: ٤٣.

وأعلم أنَّ خيرَ الإخوان من كانت أُخوتُه ومحبتُه في الله، ولم تكن خِلَّته ولا مؤاخاته لطَمع قليلٍ، ولا لغرَض عاجل، وليس شيء بذوي العقول، وأهلِ الدياناتِ والفضلِ، أفضلَ من إخلاص المودّة في اللهِ. ولَعَمْري إن ذلك يَحسُن بجميع أهلِ المِلل والأديان، وهو من أوثق عُرى الإيمان، وقد رُوي فيه أحاديثُ كثيرةٌ اقتصرنا على بعضها، واختصرنا من أحسنِها، وَفي البعض كفايةٌ، إن شاء الله.



باب
صفة المتحابين في الله عزَّ وجلَّ

[٤٩] روي عن الْبَرَاء بن عازب[١] أنه قال: كنتُ جالساً عند النبي ﷺ، فقال: أتدرون أيّ عُرى الإيمان أوثق؟ قُلنا: الصلاةُ. قال: إن الصلاةَ لَحسنةٌ، وما هي بها. قُلنا: الزكاةُ. قال: وحَسَنَةٌ، وما هي بها. فذكروا شرائع الإسلام، فلما رآهم لا يُصيبون قال: «إن أوثق عُرى الإيمـان أن تحبَّ في الله، وتُبغضَ في الله»[٢].

وأخبرني أبي رَحِمَهُ اللهُ، بإسنادٍ ذكره عن أبي هُريرةَ، قال: قال رسـولُ الله ﷺ: «إن في الجنةِ لعموداً من ذَهب عليه مَنائر من زَبَرْجَد تُضيء لأهل الجنة، كما يُضيء الكوكبِ الدُّرِّيُّ في أفقِ السماء، قلنا: لِمَـنْ هذا، يا رسـول الله؟ قـال: للمتحابِّين في الله».

ورَوَى أبو الأحوصِ[٣] عن عبد الله بن مسعود[٤] أنَّه قال: «الإيمان أن تُحبَّ

[٤٩]

(١) البراء بن عازب بن الحارث الخزرجي، أبو عمارة (توفي ٧١ هـ): صحابي من أصحاب الفتوح. أسلم صغيراً وغزا مع الرسول ١٥ غزوة. جعله عثمان أميراً على الري ٢٤ هـ، حيث قام بفتوح في الشرق. (الأعلام ٢: ٤٧، طبقات ابن سعد ٤: ٨٠ الوافي بالوفيات ١٠: ١٠٤).

(٢) الحديث بصيغة أخرى في صحيح مسلم ١: ٤٨.

(٣) أبو الأحوص: عوف بن مالك بن نضلة الجشمي الكوفي صاحب عبد الله بـن مسعـود. من جلـة الكوفيين ومتقنيهم. قتله الخوارج أيام الحجاج بن يوسف (طبقات خليفة ١٤٣، طبقات ابن سعد ٦: ١٨١، الكنى والأسماء للدولابي ١١١، مشاهير علماء الأمصار ١٠٥).

(٤) في بهجة المجالس ١: ٧٠٤ لعبد الله بن عباس.

في الله، وتُبغض في الله».

[٥٠] وقال عليه الصلاة والسلام: الإيمان أن يحبَّ الرجلُ الرجلَ ليس بينهما نسَب قريب، ولا مالٌ أعطاه إياه، لا يُحبه إلا لله عزَّ وجلَّ.

ورُوينا عن ثابتٍ البُناني[١] عن أَنَس بن مالك[٢] قال: كان رسول الله، ﷺ، يؤاخي بينَ الرَّجُلين من أصحابِه، فتطولُ الليلةُ على أحدِهما حتى يرى أخاه[٣].

ورُوينا عن جرير بن عبد الله البَجَلي[٤] قال: ما حجبَني رسولُ الله، ﷺ، منذ أسلمتُ، ولا رآني إلا تبسَّم في وجهي[٥].

وقال عمر بن الخطاب: لقاء الإخوان جلاء الأحزان[٦].

وقال أكثَمُ بنُ صَيفي: لقاء الأحبَّة مَسْلاةُ الهمِّ[٧].

---

(٤) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن (توفي ٣٢ هـ): صحابي جليل ذو فضل وعقل. مكيّ، من السابقين في الاسلام. خادم الرسول وأمين سره، وصف بأنه وعاء مليء علماً (الأعلام ٤: ١٣٧، أعلام النبلاء ١: ٤٦١، طبقات القراء ١: ٤٥٨، المحبر ١٦١، الوافي ١٧: ٦٠٤).

[٥٠]

(١) ثابت البناني: ثابت بن أسلم، أبو محمد البناني صاحب أنس بن مالك أحد أئمة التابعين بالبصرة. كان رأساً في العلم. وكان يقرأ القرآن كل ليلة ويصوم الدهر. توفي ١٢٧ هـ (الوافي بالوفيات ١٠: ٤٦١، طبقات القراء ١: ١٨٨، طبقات خليفة ٢١٥).

(٢) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم الخزرجي الأنصاري، أبو ثمامة أو أبو حمزة (توفي ٩٣ هـ): صاحب رسول الله وخادمه. مولده بالمدينة وأسلم صغيراً. رحل إلى دمشق بعد وفاة الرسول ومنها إلى البصرة حيث مات. (الأعلام ٢: ٢٥، الوافي ٩: ٤١١، طبقات ابن سعد ٧: ١٧، أعلام النبلاء ٣: ٣٥٥).

(٣) تمت المؤاخاة في دار أنس، ابن سعد ١: ٢٣٨.

(٤) جرير بن عبد الله البجلي: توفي ٥١ أو ٥٤ هـ: كان جميل الصورة طويلاً وصفه رسول الله بأن على وجهه مسحة ملك. نزل الكوفة ثم انتقل إلى قرقيسيا ومات بها. (الوافي ١١: ٧٥، ابن سعد ٦: ٢٢، أعلام النبلاء ٢: ٣٨٠، المحبر: ٧٥، ٢٣٢، ٢٦١)

(٥) الحديث في الأدب المفرد ٩٨، رقم ١٢٥، وانظر الهامش.

(٦) في أدب الدنيا ١٦٢.

(٧) منسوب للرسول في الحكمة الخالدة ١٠٨، وفي غرر الخصائص ٤٢٥ دون نسبة.

وكان عبد الله بن مسعود يقول لأصحابه: أنتم جلاء حزني.

[٥١] ورُوي عن أبي أُمامة[1] قال: من أعطى لله، ومنع لله، وأحب لله، وأبغض لله فقد استكمل الإيمان.

وقد كانت الحكماء تقول: إن ما يَجب للأخِ على أخيه مودتّه بقلبِه، وتزيينُه بلسانه، ورِفدُه بماله، وتقويمُه بأدبِه، وحسنُ الذَّبِّ والمدافعة عنه في غَيبته.

[٥٢] وأنشدني أبو بكر بن أبي الدنيا[1]: [من الطويل]

إذا المرء لم يُنصِفْ أخاه، ولم يكن ... له غائباً يوماً، كما هو شاهده[2]

فلا خيرَ فيه، فالتمس غيرَه أخاً ... كريماً، على وصل الكريم تُعاهدُه

فإن غِبتَ يوماً، أو شَهِدتَ فوجْهُهُ، ... على كلِّ حالٍ أينما كنتَ، واجدُه

أنشدني أحمد بن يحيى لكثيِّر عزّة[3]: [من الطويل]

وليسَ خليلي بالمَلُولِ ولا الذي، ... إذا غبتُ عنه باعَني بخليلِ[4]

---

[٥١]

(١) أبو امامة: أربعة من الرجال يعرفون بهذه الكنية: اياس بن ثعلبة، وصدي بن عجلان، وأسعد بن زرارة وأسعد بن سهل بن حنيف. ولعل هذا الأخير هو المقصود، إذ لم يرد في طبقات ابن سعد من اشتهر بهذه الكنية غيره، وكذا لدى ابن عبد البر. وهو من أبناء الذين شهدوا بدراً، وروى له أصحاب كتب السنن. سماه الرسول باسم جده أسعد بن زرارة توفي ١٠٠ هـ. (الوافي ٩: ٢٧، طبقات خليفة ٢٥٠، الكنى والأسماء ١٢، سير أعلام النبلاء ٣: ٥١٧).
انظر أيضاً حول صُدَيّ بن عجلان أعلام النبلاء ٣: ٣٥٩.

[٥٢]

(١) ابن أبي الدنيا: عبد الله أبو عبيد الله بن محمد بن عبيد (٢٠٨ - ٢٨١ هـ)، قرشي بالولاء، بغدادي. كان مولى لبني بني أمية، واتصل بالعباسيين وأدب غير واحد من الخلفاء، صنف كتاباً في الزهد والرقائق، وفي غيره من الموضوعات. (بروكلمان، ٣: ١٩٩، تاريخ بغداد ١٠: ٨٩، فوات الوفيات ٢: ٢٨).
(٢) الأبيات في تزيين الأسواق ٥٣٨ لابن أبي الدنيا.
(٣) كثيّر عزّة: كثيّر بن عبد الرحمن، ونسب إلى عزة صاحبته. شاعر عفيف، يبدو من أخباره أنه كان سهل الانقياد ولكل تأثير. وقد ساقه غلوه الديني إلى التشيع لفرع الكربية من الكيسانية، اتصل بالأمويين وتوفي ١٠٥ هـ. أخباره كثيرة. (بروكلمان ١: ١٩٥، الأعلام ٥: ٢١٩).
(٤) الأبيات في ديوانه باعتناء إحسان عباس ص ١١٢ بأرقام ٢٣، ٢١، ٢٢.

ولـكن خليلـي من يدومُ وفاؤه، ويَحفَـظُ سِرّي عنـدَ كلُّ دَخيلِ
ولستُ براضٍ من خليلـي بنائلٍ قليلٍ، ولا أرضَـى له بقَليلِ

وأنشدني بعضُ الأدباء قال: أنشدني أعرابيٌّ ببلاد نجد[٥]: [من الطويل]

وليسَ خليلـي بالمُرجَّـى، ولا الذي إذا غِبـتُ عنـه كان عونـاً معَ الدّهرِ
ولـكن خليلـي من يصُـونُ مَودَّتي، ويَحفَظُني، إن كان من دُونـيَ البَحْرُ

[٥٣] وأنشدني أبو العبّاس محمد بن يزيد النَّحْوي[١]: [من الطويل]

تَـوَدّ عدوّي، ثم تزعُـمُ أنني أودّك، إنَّ الـرأي عنـكَ لَعَازبُ
وليسَ أخـي مَن ودّنـي رأيَ عينه ولكن أخـي من ودّنـي وهـو غائبُ

وأنشدني يوسف الأعور[٢] قال: أنشدني يعقوبُ بـن السّكّيت[٣] لأوسِ بن حَجَر[٤] [من الطويل]

وليسَ أخـوكَ الدائـمُ العهـدِ بالذي يَذُمّـكَ إن ولّـى، ويُرضيك مُقبلا[٥]
ولـكن أخـوكَ النّائي ما كنـتَ آمناً، وصاحبُـك الأدنـى، إذا الأمـر أعضلا

---

(٥) نجد: النجد الذي ليس بشديد الارتفاع. وكل ما ارتفع عن تهامة فهو نجد، وهي من المملكة العربية السعودية. ويختلف الجغرافيون في حدود بلاد نجد. (معجم البلدان: ٥٦١).

[٥٣]

(١) البيتان في عيون الأخبار ٣: ٦ للعتابي، وفي العقد الفريد ١: ٣٣٨ وبهجة المجالس ١: ٦٨٩ للعتابي أيضاً. وفي الحماسة البصرية ٢: ٤٣ منسوبان لعبد الله بن المخارق وكذلك في أمالي القالي ١: ٨٤، وفي الشريشي ٢: ١١٠ لبشار.

(٢) يوسف الأعور: لم أعثر على ترجمة له.

(٣) يعقوب بن السكيت، (توفي ٢٤٤ هـ): يعقوب بن اسحاق. شيخ العربية، نحوي مؤدب، صاحب اصلاح المنطق. أدّب أولاد محمد بن عبد الله الطاهري. قتله المتوكل لتفضيله قنبر خادم الإمام علي على ولدي المتوكل المعتز والمؤيد. (أعلام النبلاء ١٢: ١٦، تاريخ بغداد ١٤: ١٧٣).

(٤) أوس بن حجر بن مالك التميمي (٩٨ ـ ٢ ق. هـ.): من كبار شعراء الجاهلية، وهو زوج أم زهير بن أبي سلمى. في شعره حكمة ورقة. كان غزلاً مغرماً بالنساء. (الأعلام ٢: ٣١، الشعر والشعراء، ط. الثقافة ١٣١).

(٥) البيتان في الشعر والشعراء ١٣٧، وفي الحماسة البصرية ٢: ٣ وحلية المحاضرة ١: ٢٧٩ وفي عيون الأخبار ٣: ٧٧ وفي أمالي المرتضى ١: ٣٠. وينسبهما في الحماسة البصرية في موضع آخر ٢: ٨٠ لعبدة بن الطبيب. وهما في ديوانه ص ٢٢ ط. صادر.

وأنشدني أبو العيناء[٦] قال: أنشدني الجاحظ[٧]: [من الطويل]

أخـوك الـذي إن سرَّكَ الأمـرُ سرَّه، وإن غبـتَ يومـاً ظلَّ وهـو حُزِينُ
يُقـرِّبُ مَن قرَّبـتَ مِن ذي مَودَّةٍ، ويُقصـي الـذي أقصيتَـه، ويُهينُ

وأنشدني أحمد بن يحيى[٨]: [من الطويل]

إذا أنتَ رافقتَ الرجـالَ، فكن فتًى، كأنَّـكَ مملـوكٌ لكلِّ رَفيقِ
وكُن مثلَ طَعـمِ المـاء عذباً وبارداً، علـى الكَبِـدِ الحـرّى لكلِّ صَديقِ

وأعلم أن أحسَنَ ما تألَّفَ به الناسُ قلوبَ أخلائهم، ونفَوا به الضغـن عن قلوب أعدائِهم، البِشرُ بِهم عندَ حضورِهم، والتفقُّد لأمورِهم، وحسنُ البَشاشةِ. فذلك يُثبِتُ المحبَّةَ والإخاء. ومنه أحاديثُ قد ذكرنا بعضَها، وقَصدُنا فيما فيه قَناعةٌ.



---

(٦) أبو العيناء: محمد بن القاسم بن خلاد الهاشمي (١٩١ ـ ٢٨٣ هـ): نشأ بالبصرة، وأخذ عن الأصمعي ونادم المتوكل. كان بطلاً لكثير من الأخبار والنوادر جمعها ابن طاهر في كتاب أخبار أبي العيناء. (بروكلمان، تاريخ الأدب العربي ٣: ١٣٥، تاريخ بغداد ٣: ١٧٠، الوافي ٤: ٣٤١، معجم الأدباء ٧: ١٦).

(٧) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (١٥٠ ـ ٢٥٥ هـ): ولد بالبصرة وكان جده زنجياً أسود. اشتهر بعلمه وأدبه. عمل مع بعض كبار رجال الإدارة [illegible] في عصره. كان معتزلياً حتى انتسب إليه بعضهم. له مؤلفات عديدة تناولت شتى فنون العلوم (بروكلمان ٣: ١٠٦، معجم الأدباء ٩: ٥٤).

(٨) البيتان لأحمد بن يحيى في تزيين الأسواق ٤٣٤، ولابن المعتمر في محاضرات الأدباء ٢: ٩٧.

باب

البشاشة بالإخوان

والصَّبْر على تألُّف قُلوب ذَوِي الأضغَان

[٥٤] قال الله عزّ وجلّ لنبيه ﷺ: ﴿ إدْفع بالَّتي هي أحسنُ، فإذَا الذي بينَك وبينَه عداوةٌ كأنَّه وليٌّ حَميمٌ، ومَا يُلقَّاهَا إلاَّ الَّذينَ صَبروا، ومَا يُلقَّاهَا إلاَّ ذُو حظٍّ عَظيم ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿ ولو كنتَ فَظًّا غليظَ القَلبِ لانفضُّوا من حَولِكَ، فاعفُ عنهم، واستغفِر لهم، وشاورهم في الأمر ﴾[٢].

وقال عزّ وجل: ﴿ واخفِض جنَاحَك لِمَن اتَّبعَك مِنَ المؤمنين ﴾[٣].

[٥٥] ورُوِي عن أبي هُريرةَ عن النبي ﷺ، أنه قال: «رأسُ العَقلِ بعدَ الإيمانِ التودُّدُ إلى النَّاس»[١].

وسئل الحَسنُ[٢] عَن حُسن الخُلقِ، فقال: الكَرَمُ، والبَذْلَةُ، والتودُّدُ إلى الناسِ.

---

[٥٤]

(١) سورة فصلت ٤١، آية ٣٤ ـ ٥.

(٢) آل عمران ٣، آية ١٥٩.

(٣) الشعراء ٢٦، آية ٢١٥.

[٥٥]

(١) الحديث في فصل المقال ٢٣٨، الحكمة الخالدة ١٠٣، البيان والتبيين ٢ : ٢٠، الجامع الصغير ٢ : ٣.

(٢) الحسن [البصري]: (٢١ ـ ١١٠ هـ) الحسن بن يسار البصري. تابعي. كان إمام أهل البصرة شب في كنف عليّ بن أبي طالب. اشتهر بالمواعظ، وبجرأته في الحق. (الأعلام ٢ : ٢٢٦، حلية الأولياء ٢ : ١٣١، أعلام النبلاء ٤ : ٥٦٣).

ورُوينا عن جرير بن عبد الله البَجَلي، فقال: ما حجبَني رسولُ الله منذُ أسلمتُ، ولا رآني إلاّ تبسَّم في وجهي[٣].

[٥٦] وقال المنصورُ: إذا أحببتَ المَحْمَدَةَ من الناسِ بلا مؤونةٍ، فالقَهم ببِشرٍ حسَنٍ.

ورُوي عن كَعب الأحبارِ[١] قال: مكتوبٌ في التَّوراةِ: لِيكُنْ وجهُك سَبْطاً تكنْ أحبَّ إلى النَّاسِ مِمَّن يُعطِيهِم الذهبَ والفِضَّةَ[٢].

[٥٧] وأنشدني أبو عليّ العَنزي[١]: [من الخفيف]

إلْـقَ بالبِشْـرِ من لَقِيتَ مِنَ النا ... سِ جميعـاً، ولاقِهـم بالطَّلاقَه[٢]

تَجـنِ منهم به جَنـيَّ ثِمارٍ ... طيِّبٍ طَعمُـه، لذيذِ المَذاقَه

ودَعِ التِّيهَ والعُبـوسَ عَنِ النا ... سِ، فإنَّ العُبـوسَ رأسُ الحَماقَه

كلَّمـا شئْـتَ أن تعـاديَ عادَيـ ... تَ صديقـاً، وقـد تَعِـزُّ الصَّداقَه

[و] أنشدني لبعض بني طيّءٍ[٣]: [من الرمل]

خالـقِ النـاسَ بخُلْـقٍ واسعٍ ... لا تكُن كلباً علـى النـاسِ يَهِرْ

والقَهـم منـك ببِشـرٍ ثم كُنْ ... للَّـذي تَسمـعُ منهـم مُغْتَفِرْ

وقال أبو العتاهية[٤]: [من مجزوء الكامل المرفَّل]

---

(٣) الأدب المفرد ٩٩، الاستيعاب (على هامش الإصابة) ١: ٢٣٣.

[٥٦]

(١) كعب الأحبار: كعب بن نافع، أسلم في عهد عمر، وكان من أهل الكتاب توفي ٣٢ هـ.

(٢) القول منسوب لأبي هشام بن عروة في روضة العقلاء: ٧٥، وفيه: مكتوب في الحكمة، يا بني..... من أن تعطيهم العطاء.

[٥٧]

(١) أبو علي العنزي، (توفي ٢٩٠ هـ): الحسن بن علي بن الحسين بن علي العنزي. أديب لغوي، عالم بأخبار العرب. غلب على إسم أبيه عُلَيْل، وهو لقب له. (الأعلام ٢: ٢٠٠).

(٢) الأبيات في روضة العقلاء. الأولان في ص ٦٧ منسوبان لسعيد بن عبيد الطائي، والآخران ص ٦٢ دون نسبة.

(٣) البيتان في روضة العقلاء ٦٤ باختلاف في البيت الثاني. والأول في بهجة المجالس ١: ٥٩٨.

(٤) ديوان أبي العتاهية ٤٤٩، وفي بهجة المجالس ٢: ٢٥٥.

وألِنْ جَناحَـك تعتقِدْ في النـاسِ مَحمـدةً بلِينِه
فلـربَّمـا احتقـرَ الفَتى مَن ليسَ في شرَغف بدُونِه

[٥٨] وكان يقالُ: أولُ المُروَةِ طَلاقةُ الوَجهِ، والثانيةُ التَّوددُ إلى الناس؛ والثالثة قَضاء حوائج الناسِ.

ورُوي أن أعرابيًّا قال: يا رسول الله، إنَّا من أهل البادية، فنُحبَّ أن تعلِّمَنا عملاً لعلَّ الله أن ينفعنَا به. قال: «لا تَحقرنَّ من المعروفِ شيئاً، ولو أن تُفرِّغَ من دَلوِك في إناء المستقي، وأن تكلِّمَ أخاك ووجهُك إليه منطلقٌ»[١].

ورُوي عن النبي، ﷺ، قال: «إنكم لن تَسعُوا الناسَ بأموالكم فسَعُوهم ببَسط الوجه، والخُلق الحسَن».[٢].

وقال النبي، ﷺ: «تَمامُ تحيَّاتِكم المصافحة»[٣].

وقال الحسَنُ البَصري: المصافحةُ تَزيدُ في المودَّة.

ورَوَى مُجاهدٌ عن مُعاذ[٤] قال: إن المسلِمينَ إذا التقيَا فضَحِك كلٌّ واحدٍ منهما في وجهِ صاحبِه ثم أخذ بيدِه، تحاتَّت ذنوبُهما كما يتَحاتُّ ورقُ الشجر[٥].

وأعلم أنه إذا صَلُحَتِ النياتُ، وخَلُصتِ السَّريراتُ، صلُحت أصفيةُ المودَّةِ، وثَبتَت المحبةُ، واتفقتِ القلوبُ، واغتُفِرت الذنوبُ. وإذا فَسدت النياتُ، وخَبُثت السريراتُ، بَطلَ خالصُ الإخاء، وانحلَّت عُرى المودَّةِ والصفاء. وقد شرحتُ في ذلك باباً تقِفُ عليه، إن شاء الله تعالى.

---

[٥٨]

(١) في فصل المقال ٢٤٩ باختلاف، وهو في بهجة المجالس ٢: ٢٤٤ وفي رياض الصالحين ٢٠٢.

(٢) في التمثيل والمحاضرة ٢٦، وفي نثر الدر ١: ١٦٥. وفي أدب الدنيا ٢٠٠.

(٣) الأدب المفرد ٣٢٥.

(٤) معاذ بن جبل (توفي ١٨ هـ): صحابي جليل، وأحد الستة الذين جمعوا القرآن. ولي اليمن وتركها عند وفاة الرسول (الأعلام ٧: ٢٥٨).

(٥) الحديث في بهجة المجالس ١: ٢٧٤. وفي روضة العقلاء ٧٥. وتحات ورق الشجر: سقوطها.

باب
اتفاق القلوب
على مودَّة الصديق وقِلّة الخلاف على الرفيق

[٥٩] رُوينا عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود، وعن الوليد[١] عن أبي هُرَيرَة قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «الأرواحُ جُنودٌ مُجنَّدةٌ، فما تعارَفَ منها ائتلَفَ، وما تناكرَ منها اختلف»[٢].

[٦٠] وقال بعض الشعراء[١]: [من البسيط]

إن القلوبَ لأجنادٌ مُجنَّدةٌ ... للهِ في الأرضِ بالأهواء تعترِفُ
فما تعارفَ منها فهو مُؤتلِفٌ ... وما تناكرَ منها فهو مُختلِفُ

وقال طرفة[٢]: [من الطويل]

---

[٥٩]

(١) الوليد: هنالك عدة أسماء للوليد ممن تعاطى علم الحديث ونرجح أنه الوليد بن رباح (أعلام النبلاء: ٢: ٥٨٤) لأنه وحده ممن أخذوا عن أبي هريرة. والوليدمولى الدوسيين. مولده سنة ٣٣ هـ وتوفي في ١١٧ هـ. (طبقات ابن سعد، القسم المتمم ١٥٦، مشاهير علماء الأمصار ٧٤).

(٢) الحديث في فصل المقال ٢٦١، الأدب المفرد ٣٠٠ ـ ١ صحيح مسلم ٨: ١٤، السيوطي، الجامع الصغير ١: ٤٧٢.

[٦٠]

(١) في بهجة المجالس ١: ٦٥٠ بدون نسبة. وهما في روضة العقلاء ١٠٨ منسوبان لأحمد بن محمد بن بكر الأبناوي وهما في الشريشي ٢: ٨٤ منسوبان لأبي نواس، وفي أدب الدنيا ١٦٣.

(٢) طرفة بن العبد، (توفي نحو ٦٠ ق. هـ./ ٥٦٤) وقيل اسمه عمرو بن عبد شاعر جاهلي. ولد في البحرين واتصل بالملك عمرو بن هند. أرسله والمتلمس إلى عامله على البحرين وعمان يأمره بقتلهما فقتله بعد أن نجا المتلمس. شعره يفيض بالحكمة قتل وهو دون سن ٢٥ (الأعلام ٣: ٢٥ معجم الشعراء ٢٠١ الشعر والشعراء ط الثقافة ١١٧).

وإنَّ امْـرأً لم يعفُ يومـاً فكاهةً لمـن لم يرد سُوءاً بهـا لجَهولُ[٣]
تَعـارفُ أرواحُ الرجـالِ إذا التقَوا، فمنهـم عدوٌّ يُتَّقـى، وخليلُ

[٦١] وكان يقال: المودَّةُ قَرابةٌ مستفادة[١].

وقيل لخالدِ بنِ صَفوانَ: أخوكَ أحبَّ إليك أم صديقُك؟ فقال: إن أخي إذا كانَ غيرَ صديقٍ لم أحِبَّه[٢].

ورُوينا عن واصلٍ مَولى أبي عُيَينة[٣] قال: كنتُ مع محمدِ بن واسعٍ[٤] بِمَرْوَ، فأتى عطاءُ بنُ مُسلمٍ[٥] ومَعه ابنُه عثمانُ، فقال عَطاء لمحمد: أيّ عمـل في الدنيا أفضلُ؟ قال: صُحبة الأصحابِ ومحادثـةُ الإخـوان، إذا اصطحبـوا علـى الأمـن والتقوى، فحينئذ يَذهبُ اللهُ بالخُلفِ من بينهم، فَواصلوا وتواصَلوا.

ورُوي عن بِشر بن السرِيّ[٦] قال: ليس من البِرّ أن تُبغضَ ما أحبَّه حبيبُك.

---

(٣) البيتان في ديوانه ط. صادر ٨١، والبيت الأول في فصل المقال ٢٦٢ والبيت الثاني في ديوان الصبابة ٦١ وهما في الشعر والشعراء ١٢٥.

[٦١]

(١) في التمثيل والمحاضرة ٤٦٣، بهجة المجالس ١: ٧٠٥.

(٢) القول في بهجة المجالس ١: ٦٩٨ منسوب لعبد الحميد الكاتب باختلاف يسير.

(٣) واصل مولى أبي عيينة: وردت في الأصل مولى ابن عيينة، محدث. والتصحيح من طبقات ابن سعد ٧: ٣٢٧.

(٤) محمد بن واسع، (توفي ١٢٧ هـ): فقيه ورع، من أهل البصرة، من ثقات أهل الحديث (الأعلام ٧: ٣٣٣، طبقات خليفة بن خياط ٢١٥، الوافي بالوفيات ٥: ٢٧٢، أعلام النبلاء ٦: ١١٩).

(٥) عطاء بن مسلم بن ميسرة الخراساني (توفي ١٣٣ أو ١٣٥) مولى هذيل، نزيل بيت المقدس، مفسر، كان يغزو ويكثر التجهد في الليل. يسميه خليفة عطاء بن أبي مسلم (طبقات خليفة ٣١٢، شذرات الذهب ١: ١٩٢ ـ ٣).

(٦) بشر بن السري (توفي ١٩٥ هـ): الملقب بالأفوه، واعظ بمكة. روى له أصحاب السنن (الوافي ١٠: ١٤٩، سير أعلام النبلاء ٩: ٣٣٢).

[٦٢] وقال عبد الله بن صالح[1] : اجتمعتُ أنا ومحمدُ بنُ نضر الحارِثي[2] وعبد الله بن المُبارك[3] وفُضَيل بن عِياض، فصنعتُ لهم طَعاماً، فلم يخالِف محمد بن نضر علينا، في شيء أصلاً، فقال له عبد الله: ما أقل خِلافَك! فقال محمد[4]: [من الرمل]

وإذا صاحبتَ، فاصحَبْ ماجداً ... ذا حَياءٍ وعَفافٍ وكَرَمْ
قولُه للشيء: لا، إن قلتَ: لا، ... وإذا قلتَ: نعم، قال: نعمْ

وقال آخر[5]: [من الطويل]

هُمومُ رجالٍ في أمورٍ كثيرةٍ، ... وهمّي من الدُّنيا خليلٌ مُساعدُ
إذا غِبتُ عنه لم أغِب عن ضَميرِهِ، ... كأنّي مقيمٌ بينَ عَينَيهِ شاهدُ
نكونُ كروحٍ بين جِسمَينِ فُرِّقَا، ... فجِسماهما جِسمانِ والروحُ واحدُ

وأنشدني آخر: [من الطويل]

وإلفَينِ كالغُصنينِ ضمّهما الهوَى، ... فرُوحاهُما، رُوحٌ، وقلبَاهُما قلبُ
إذا غابَ هذا ساعةً عن خليلِهِ، ... تَجلّاهُ يوماً، عندَ فُرقتِهِ، كَربُ
فيا مَن رأى إلفَينِ صَانا هَواهمَا، ... فهذا بذا صَبٌّ، وهذا بذا صَبُّ

[٦٢]

(١) عبد الله بن صالح (توفي ٢٢٣ هـ): كاتب الليث بن سعد. ولد ١٣٧ هـ. روى له أبو داود والترمذي وابن ماجه. وردت وفاته خطأ ١٢٣ هـ في طبقات خليفة (الوافي ١٧: ٢١٣ طبقات خليفة ٢٩٧).

(٢) محمد بن نضر الحارثي: وردت في الأصل محمد بن نصر، والتصحيح من المصادر. كوفي. كان من الأولياء توفي قرابة ١٨٠ هـ. (الوافي بالوفيات ٥: ١٣١، أعلام النبلاء ٨: ١٥٦، حلية الأولياء ٨: ٢١٧).

(٣) عبد الله بن المبارك (١١٨ - ١٨١ هـ): شيخ الإسلام صاحب تصانيف ورحلات. جمع الحديث والفقه والعربية له كتاب في الجهاد وكتاب الزهد والرقائق. (الأعلام ٤: ١١٥ شذرات الذهب ١: ٢٩٥، أعلام النبلاء ٨: ٣٣٦ الوافي ١٧: ٤١٩).

(٤) البيتان في الحماسة البصرية ٢: ٦٧؛ أمالي القالي ٢: ١٨٢ ويتمثل بهما ابن المبارك في شذرات الذهب ١: ٢٩٧.

(٥) الأبيات في أدب الدنيا ١٦٢، والأخير في محاضرات الأدباء ٢: ١٣ دون نسبة.

وأنشدت للحكَمي[٦]: [من الرمل]

رُوحُها رُوحي، ورُوحي روحُها، ولها قلبٌ، وقلبي قلبُها
فلَنا روحٌ وقلبٌ واحدٌ، حسبُها حَسبي، وحَسبي حَسبُهَا

ولَعمْري إنَّ ذلك لحسَنٌ جميلٌ.

والذي قيل في ذلك كثير طويل، وقد نَهى قومٌ عن استعمال المَيل في المودّةِ، واعلم أنَّ ذلكَ مع دوامِ المحبة وصفاء المودةِ لحسنٌ غيرُ مدفوعٍ. غير أنه قد نُهي عن استعمالِ المَيل في المودة وكثرةِ الإفراط في المحبّة وإدمانِ الزيارةِ في كلِّ يوم وساعةٍ لمَوضعِ الملَل والسلوان الذي هو طَبعُ الإنسان. وأُمِرنا بالقصدِ في كلِّ الأمور، بدوام المحبةِ والسرورِ. وقد ذُكرت بعض ذلك وفيه مَقنَع.



باب

النهي عن استعمال الإفراط في حب الصديق

[٦٣] رُوي عن بعض الحكماء أنه قال: لا يُفرِطِ الأديبُ في محبة الصديقِ، ولا يتجاوزُ في عداوةِ العدوّ، فإنه لا يَدري متى تَنتقلُ صداقةُ الصديق عداوةً، ولا متَى تنتقلُ عداوةُ العدوّ صداقةً.

وحُكي عن علي بن أبي طالب، كرَّم الله وجهه، أنه قال: أحبِب حبيبَك هوناً ما عسى أن يكونَ بغيضَك يوماً ما، وأبغِض بغيضَك هَوناً ما عسَى أن يكونَ حبيبك يوماً ما[1].

ورُوي عن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، أنه قال: لا يكُنْ حبُّك كلفاً ولا بغضُك تلفاً[2].

ومِن أمثالِ أكثَم بن صيفي: الانقباضُ من الناس مكسبَةٌ للعداوةِ، وإفراطُ الأنس مكسَبةٌ للمَلال[3].

قال أبو عبيدة[4]: يريد أن الاقتصادَ أدنَى إلى السلامة.

---

[٦٣]

(١) يرد في الأحاديث الشريفة في الأدب المفرد: ٤٣٤، وفي فصل المقال ٢٦٤، وأدب الدنيا ١٧٧، وأمثال الميداني ٢: ٢١٨.

(٢) في أدب الدنيا ١٧٦، الأدب المفرد ٤٣٤، أمثال الميداني ٢: ٢١٨.

(٣) في بهجة المجالس ١: ٦٧٤ باختلاف يسير.

(٤) أبو عبيدة: مَعْمر بن المثنى (١١٠ ـ ٢٠٩ هـ)، تيمي بالولاء. نحوي من أئمة اللغة والأدب. ولد في البصرة واستقدمه الرشيد إلى بغداد ١٨٨ هـ. اتهم ببغضه للعرب له نحو ٢٠٠ مؤلف منها كتاب الأمثال وكتاب الخيل ومآثر العرب والمثالب وغيرها (الأعلام ٧: ٢٧٢).

قال أبو زيد[٥]: من أمثالهم: لا تكُن حلواً فتُسترَط ولا مرًا فتُعقى أي تُلفظَ من المَرارة.

ومثلُه قولُ مطرِّفِ بن الشِّخِّير[٦]: الحَسَنةُ بينَ السيِّئتين، وخير الأمور أوسطُها.

[٦٤] وكان يقال: لا تَهذُر في منطِقِك، ولا تخبر بذاتِ نفسك، ولا تغتر بعدوِّك، ولا تُفرط في حبِّ صديقِك، ولا تفزَع إلى من لا يَرحَمُك، ولا تألَف من لا يُرشِدُك، ولا تُبغض من يَنصَح لك، فأن شرَّ الأخلاقِ مَلالةُ الصاحبِ، وتقريبُ المتباعِدِ.

وأنشدني أحمد بن يحيى للمُقَنَّع الكِندي[١]: [من الطويل]

وكُن معدِناً للحِلم، واصفَحْ عن الأذَى ... فإنَّك راءٍ ما عَلِمتَ وسامعُ[٢]

وأحبِب، إذا أحببتَ، حبًّا مُقارِباً، ... فإنك لا تَدري متى أنت نازعُ

وأبغضْ إذا أبغضْتَ غيرَ مُباعِدٍ، ... فإنَّك لا تَدرِي متى أنتَ راجعُ

وأنشدَني أحمدُ بن يحيى لسعيد المُساحِقي[٣]: [من الطويل]

فهَونَك في حُبٍّ وبُغضٍ فربَّما ... يُرى جانبٌ من صاحبٍ بعدَ جانبِ

---

(٥) أبو زيد، سعيد بن أوس الأنصاري (١١٩ - ٢٢٥ هـ) من أعلام اللغة والأدب، كان يرى رأي القدرية (الأعلام ١٣: ٩٢).

(٦) مطرِّف بن الشخير: (توفي ٨٧ هـ): هو مطرف بن عبد الله بن الشخير الحرشي العامري. زاهد، من كبار التابعين، له أقوال مأثورة وأخبار (الأعلام ٧: ٢٥٠).

[٦٤]

(١) المقنع الكندي: محمد بن عمير بن أبي شمر الكندي (توفي نحو ٧٠ هـ) شاعر من أهل حضرموت، والقناع من سيما الرؤساء. (الأعلام ٦: ٣٢٠).

(٢) الأبيات في أدب الدنيا ١٧٨ لأبي الأسود الدؤلي. وهي في ديوانه ٨٠، وفي روضة العقلاء ٩٦ باختلاف وفي الحماسة البصرية ٢: ٦٧ لهدبة بن خشرم وفي أمالي القالي ٢: ٢٠٤ لهدبة، وفي بهجة المجالس ١: ٦٦٧ دون نسبة.

(٣) البيت في أخبار القضاة ١: ٢٣٣، ٢٣٩ لسعيد، وفي محاضرات الراغب ٢: ٢٠ دون نسبة.

وسمعتُ عبيد الله بن عبد الله بن طاهر[4] ينشد هذين البيتين، وأحسبهما له:

[من الطويل]

إذا أنــا أكرمــتُ اللئيمَ، فعدّني مُهيناً له، حَقّقْــتُ باطــلَ ما عَدّا

فــإنَّ صلاحَ الأمــرِ يَرجِــعُ كلُّه فَساداً إذا الإنسـانُ جُزتَ به الحَدّا

وهذا طويلٌ يقنِعُك منه القليلُ.

وأما طول الزيارةِ، فقد يجب على أهل الصداقة تركُ المُداومة عليها، وكَثرة الجنوحِ إليها، فإن ذلك يُخلِقُ الحبَّ، ويُذهل الصَّبَّ، ويُضجِرِ المَزورَ، ويُعدِمُ السرورَ، ويُوقع البَدَلَ، ويُبدي المَلَل. وقد شرحنا في ذلك باباً، فاعرفه وقِفْ عليه، إن شاء الله تعالى.



(٤) عبيد الله بن عبد الله بن طاهر: وردت في الأصل عبد الله بن عبد الله بن طاهر.

باب

الأمر بإغباب زيارة الأحباب

والنهي عن مداومة غشيان الأصحاب

[٦٥] رُوِيَ عن النبي، ﷺ، أنه قال: «زُرْ غِبًّا تَزْدَدْ حُبًّا». (١)

وقال بعض الحكماء: من كَثُرَت زيارتُه قلَّت بشاشتُه.

وقال آخرُ: من أدمَنَ زيارةَ الأصدقاء عَدِمَ الاحتشاد عندَ اللقاء.

وقال آخر(٢): [من مجزوء الكامل المرفل]

أقلِلْ زيارتَكَ الصَّديـ ـقَ تكونُ كالثوب استَجَدَّهْ
إن الصديق يُمِلُّه أن لا يزالَ يَرَاكَ عِندَهْ

وقال آخر(٣): [من الطويل]

عليكَ بإقلالِ الزيارةِ إنَّها تكونُ إذا دامَتْ إلى الهَجرِ مَسْلَكا

---

[٦٥]

(١) الحديث مشهور جداً، فهو في التذكرة الحمدونية ٢٣٧، وأمثال الميداني ١: ٣٢٢، حيث يعتبره مثلاً أرسله معاذ بن صرم الخزاعي. وهو في الأمثال النبوية ٢: ٤٥٥ وهو في الجامع الصغير ٢: ٢٧، وبهجة المجالس ١: ٢٥٧ والشريشي ٢: ١٨٠، وفي تمثال الأمثال ٤٤٣.

(٢) البيتان في نهاية الأرب ٢: ٢٥٣ منسوبان لمسلم بن الوليد. وهما في روضة العقلاء ١١٧ وفي محاضرات الراغب ٢: ٣ دون نسبة وكذلك في عيون الأخبار ٣: ٢٧.

(٣) في الأمثال النبوية ٢: ٤٥٦، وفي عيون الأخبار ٣: ٢٧، في روضة العقلاء ١١٧، تمثال الأمثال ٤٤٥، مجمع الأمثال للميداني ١: ٣٢٣ دون نسبة. وفي التمثيل والمحاضرة ٤٦٣ وفي ألف باء ٢: ٥٢ وهما في معجم الأدباء ٧: ٢٠٢ لناصر بن محمد الخوي المتوفي ٥٠٧ هـ، وهو وهم واضح. وكذلك في وفيات الأعيان ٤: ٣٦٤ منسوبان لابن حوش القيسي المقري.

فإنـي رأيتُ القَطـر يُسـأمُ دائباً، ويُسـألُ بالأيدي إذا هو أمسكا

[٦٦] وأنشَدتُ لأبي تمّام حبيب بن أوس[1]: [من الطويل]

وطـولُ مُقـامِ المَـرء في الحـيِّ مُخلِقٌ لِديبَـاجتَيهِ، فاغتـرِبْ تَتَجَدّدِ[2]
فإنـي رأيتُ الشـمسَ زِيدَت مَحبّةً إلى النـاسِ أن ليسَت عليهـم بسَرمَدِ

[وأنشدت] لإبراهيم بن المَهدِي[3]: [من البسيط]

إنّـي كثُـرتُ عليهِ في زيارتِه، والشـيءُ مُستثقَـلٌ جداً إذا كثُرا
ورَابني منـه أنّـي لا أزالُ أرَى في طَرفِـهِ قِصـراً عنّـي إذا نَظرا

[٦٧] وقال عمرُ بن أبي ربيعةَ[1]: [من الكامل]

لا تجعَلَنْ أحـداً عليكَ، إذا أحببتَـه وهَويتَـه، ربّاً[2]
وصِيلِ الصـديقَ، إذا كَلِفـتَ بِهِ واطـوِ الـزيارةَ دُونَـه غِبّاً
فَلَـذاكَ خيرٌ مِن مُواصلةٍ، ليسَـت تَزيدُك عِنـدَه قُربا
لا بَل يَمـلُّك عِنـدَ دَعوتِه، فيقـولُ: آوِ، وطالمـا لَبّى

وقال آخر[3]: [من المتقارب]

[٦٦]

(١) أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي (١٨٨ ـ ٢٣١ هـ): أحد أمراء الشعر. ولد في جاسم من قرى حوران. رحل إلى مصر واستقدمه المعتصم بالله إلى العراق. في شعره قوة وجزالة. له: فحول الشعراء وديوان الحماسة والوحشيات أو الحماسة الصغرى (الأعلام ٢: ١٦٥).

(٢) البيتان في ديوانه ط. صعب ٩٠، قالها في مدح سعيد بن يوسف الطائي، وهما في روضة العقلاء ١١٧. وفي بهجة المجالس ١: ٢٤٠، ٢٥٦.

(٣) البيتان في مختصر التاريخ لابن الكازروني ١٢٠ منسوبان لعلية بنت المهدي، وفي ديوان المعاني ٢: ٢٣٩ منسوبان لمسلم بن الوليد وهما من المنسوب من شعر مسلم في ذيل ديوانه ٣١٨.

[٦٧]

(١) عمر بن أبي ربيعة المخزومي القرشي (٢٣ـ٩٣هـ) شاعر رقيق الغزل. نفاه عمر بن عبد العزيز إلى دهلك لاتهامه بالتعرض للنساء، ثم غزا في البحر فاحترقت به السفينة وغرق. (الأعلام ٥: ٥٢).

(٢) الأبيات في ديوانه ٣٣ ـ ٤، ط. الهيئة العامة وهي في بهجة المجالس ١: ٢٥٨ منسوبة لبشار بن برد، وليست في شعره.

(٣) البيتان في ديوان العباس بن الأحنف ٧٢ باختلاف يسير.

أغْـبَّ الـزِّيارةَ لمَّـا بَدا له الهَجْـرُ، أو بَعضُ أسبابِهِ
ومـا صَدَّ مَجهجراً، ولكنَّهُ طَريدُ مِلالـةِ أحبابِهِ

[٦٨] وكتَبَ بعضُ الظُّرفاء رُقعةً، وطرحَها في مَجلِسِ محمدِ بنِ عبدَ الله بن طاهرِ حيث حَرَّمَ القِيان: [من الخفيف]

عزَمَـاتُ الأمير، أصلَحَـه اللـ ـهُ بحُسْـنِ الإرشـادِ، والتوفيقِ
باعَـدَت بينَنـا وبَينَ عُجابٍ، ومُـديلٍ، ومُنصِفٍ، وصَديقِ

فوقَّع محمد في ظهر الرُّقعة: [من الخفيف]

حُسْـنُ رأيِ الأميرِ في العُشَّاقِ، وَفَّـرَ الحـظَّ في بُعـادِ التَّلاقي
خافَ أن يُحـدِثَ الوِصـالُ مِلالاً، فتَلافَـى الهَـوى ببعضِ الفِراقِ

وأنشدني بعضُ الأدباء(١): [مجزوء الكامل المرفل]

إنِّـي رأيتُـك لي مُحِبًّا، وإليَّ حينَ أغيبُ صَبَّا
فَهَجَـرتُ لا لِمَلالةٍ حدَثَـت، ولا استحدثـتُ ذَنبا
إلاَّ لقَـولِ نَبِيِّنا: زُورُوا علـى الأيَّـام غِبًّا
ولِقولِـه: مَن زارَ غِبًّا مِنـكُم يَزدادُ حُبَّا
وهَجَـرتُ، حينَ هجَـرتُ، كَي أزدادَ بالهِجـرانِ قُربا
اللهُ يَعلـمُ أنني لكَ أخلَصُ الثَّقَلَينِ قَلبا
أرعَـى لكَ الـوُدَّ القديـمَ، وإن جَنَيتَ عليَّ حَرْبا

[٦٩] ومن ذلك ما رُوي أنَّ العَتَّابي دخَل على يحيى بنِ خالد البرمكي(١)،

---

[٦٨]

(١) الأبيات الثلاث الأولى في روضة العقلاء ١١٦، وفي بهجة المجالس ١: ٢٥٨ أربعة منسوبة لعلي بن أبي طالب الكاتب، ولعله علي بن ثابت الكاتب.

[٦٩]

(١) يحيى بن خالد البرمكي (١٢٠ ـ ١٩٠ هـ): مؤدب الرشيد ووزيره، ومتقلد أموره. اشتهر بجوده. سجنه الرشيد في نكبة البرامكة بعد سيطرة على الحكم دامت ١٨ سنة (الأعلام ٨: ١٤٤).

وكانت له جارية، يقال لها خُزَيب(؟)، [illegible] [illegible] [illegible]، فقال لها: سَلْهِ لا أبالكِ حبًّا جائزةً، فقالت له: قُل على هذه القافية(٢): [من الطويل]

إذا شِئْـــتَ أن تُقْلَـــى، فزُر مُتَواتِراً، وإن شِئْــتَ أن تَزدادَ حُبًّــا، فَزُر غِبًّا

فأنشأ يقول:

بَقِيتُ بلا قلـــبٍ لأنّـــيَ هائمٌ، فهـل مِن مُعيرٍ، يا خَلـوبُ، بكم قَلبا
حَلَفـــتُ لَهـــا باللهِ أنّـــكِ مُنيتي، فكونـي لعَيْني حيثُ ما نظَـرَت نَصبا
عســى اللهُ يومــاً أن يُرِيَنِيكِ خالياً، فأجنـي بلَحْظي من مِحاسِنكم عجْبا
يَقولــون لا تُكثِـر زيارةَ صاحبٍ، فإنّــكَ إن أكثرتَــه كَرِه القُربا
وكيفَ يُطيقُ الصَّـبُّ سُلْـوانَ حُبِّهِ، إذا كانَ مَشعوفــاً قدِ استشعَـرَ الكَربا
وقــد قالَ بيتــاً، ما سَمِعــتُ بمِثلِه، خَلــيٌّ مِنَ الأحــزانِ لَم يَذُقِ الحُبّا
إذا شِئــتَ أنْ تُقْلــى، فَزُرْ مُتَواتِراً، وَإنْ شِئْــتَ أنْ تَزْدادَ حُبًّــا فَزُرْ غِبًّا

فقالَ له: للهِ أبوكَ، أحسنتَ. خذ بيدِها فهي لكَ! وأمرَ له بألف درهم.

واعلَم أن كل ما رسمناه في هذه الأبواب، وذكرناه، وشرَطناه على الأدباء، وَوجَدناه داخلاً في باب حدودِ الأدبِ، على ما أصلناه، غيرُ خارجٍ منه، ولا مُنفصِلٍ عنه، وأن يكونَ الأديبُ عاقلاً واللبيبُ كاملاً، حتى تكونَ له موهبةٌ قد قرنَها بأدبِه، وثابَر عليها في طلبه، فإذا جَمع ذلكَ رَهِبَ منه الأعداء، ورغِبَ فيه الأولياء.

وسنذكُر مَن أنشأته المُروّةُ، فيكون فيه بَلاغ وهِداية، إن شاء الله تعالى.

---

(٢) القصة في معجم الأدباء ٦: ٣٨٥ ـ ٨٦، ويرد فيها عيسى بن موسى عوضاً عن خالد البرمكي والأبيات لدى ياقوت بدون نسبة وهي أربعة فقط باستثناء الأبيات ٤ و ٥ و ٦.

باب
شرائع المروة وصفتها

[٧٠] اعلم أن المُروّةَ هي عِمادُ الأدباء، وعَتادُ العُقَلاء، يرأسُ بها صاحبُها، ويَشرُفُ بها كاسبُها. ولا شيء أزينُ بالمَرء من المُروَّة، فهي رأس الظَّرف والفُتُوَّة(١).

وقد قال بعضُ الحكماء: الأدبُ يُحتاج معه إلى المُروّة، والمُروّة لا يُحتاج معها إلى الأدب.

وربما رأيتَ ذا المُروّة الخاملَ، وذا السَّخاء الجاهلَ، قد غطَّت مُروَّتُه على عُيوبِه، وسَتَره سَخاؤُه من مَعِيبه. وأهلُ المُروّاتِ مَحسودةٌ أفعالُهم، متَّبعةٌ أحوالُهم. وقَلَّ ما رأيتَ حاسداً على أدبٍ، وراغباً في أرَب.

من ذلك ما حُكي عن محمَّد بن حَرَب(٢) أنَّه قال: كنتُ على شُرطةِ جَعفرٍ(٣) بالمَدينةِ، فأُتِيتُ بأعرابي من بني أسد يستعدَى عليه(٤)، فرأيتُ رجلاً له بَيانٌ يَحتمِلُ

---

[٧٠]

(١) قارن مع التمثيل والمحاضرة ٤٢٢.

(٢) محمد بن حرب: لعله محمد بن حرب الخولاني، توفي ١٩٤ هـ. محدث. له روايات في تاريخ الطبري. (الأعلام ٦: ٧٩، طبقات خليفة ٣١٧).

(٣) جعفر: هو جعفر بن سليمان بن علي العباسي، توفي ١٧٤ هـ. ولاه المنصور المدينة ١٤٦ - ١٥٠ هـ. (الطبري، أحداث سنتي ١٤٦ و ١٥٠، أنساب الأشراف ٣: ٦٢ وانظر فهارسه، جمهرة ابن حزم ٣٤، أعلام النبلاء ٨: ٢١٢).

(٤) يستعدى عليه: يستعان عليه.

الصَّنيعةَ، فرغبتُ في اتّخاذِها عندَه فتخلَّصتُه ثم لم يَلْبَث أن رَدَّ إليَّ، فقلتُ: حَماسٌ؟ فقال لي: حَماسٌ، والله؛ قلتُ: ما أرجعَك؟ قالَ: الشرُّ، وما قالَه رجلٌ مِنّا يقال له خالدٌ، فأنشدني: [من الكامل]

عـادَوا مُروّتَنـا، فضـلّلَ سَعيُهم، ولـكلِّ بيتِ مُروّةٍ أعداءُ
لسنـا، إذا عُدَّ الفَخـارُ كَمعشرٍ أزرَى بفِعـلِ أبيهـم الأبناءُ

قال: فتَخلَّصتُه ثانية.

[٧١] وقيل لبَعضِ حكماء الفُرسِ[١]: أيّ شيءٍ للمُروّة أشدُّ تَهجيناً؟ فقال: للملوكِ صِغَرٌ في الهِمّةِ، وللعامّةِ الصَّلَفُ، وللفُقَهاء الهَوى، وللنِّساء قِلّةُ الحَياء، وللعامّةِ الكَذِبُ.

والصَّبرُ على المُروّةِ صَعب وتحمّلُها عِبء. وقد قال خالدُ بن صفوان: لولا أنَّ المُروة اشتدَّت مَؤونتُها، وثَقُل حَملُها ما تركَ اللِّئامُ للكِرامِ منها شيئاً، ولكنّه لمّا ثقُل مَحملُها، واشتدّت مَؤونتُها حادَ عنها اللِّئامُ، فاحتملَها الكِرام.

وقال بعضُهم: المكارمُ لا تكونُ إلا بالمكاره، ولو كانت خفيفةً لتناولَها السَّفْلة بالغَلَبة.

وقال ابنُ عُمَر[٢]: ما حمَل رجلٌ حِمـلاً أثقلَ مِنَ المُروّة. فقال له أصحابه: صِف لنا ذلك! فقال: ما لَه عندي حدٌّ أعرِفُه، إلاّ أني ما استحييتُ من شيء قطّ علانيةً، إلا استحييت منه سرًّا[٣].

---

[٧١]

(١) القول في البيان والتبيين ٣: ٤١٠ ط. السندوبي وط.ع. هارون ٣: ٢٤٦، ٤: ٩٦. وفيه اختلاف.

(٢) ابن عمر، عبد الله (توفي ٧٣ هـ): والده عمر بن الخطاب هاجر به أبوه قبل أن يحتلم، واستصغر عن أُحُد وشهد الخندق. روى علماً كثيراً عن النبيﷺ وعن أبي بكر، وروى له الجماعة. كان شديد التحري والاحتياط في فتواه وكل ما يأخذ به نفسه. اعتزل الفتنة. (الأعلام ٤: ١٠٩، الوافي ١٧: ١٦٣، سير أعلام النبلاء ٣: ٢٠٣، نسب قريش: ٣٥٠).

(٣) في التمثيل والمحاضرة ٤٢٢ ينسب القول إلى أنو شروان. وفي عيون الأخبار ١: ٢٩٥ منسوب إلى محمد بن عمران التيمي.

[٧٢] وقامَ رجلٌ من بني مُجاشعٍ[١] إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسولَ اللهِ ألستُ أفضلَ قومي؟ فقال: «إن كان لك عقلٌ، فلك فضلٌ، وإن كان لك خلق، فلك مُروَّة، وإن كان لك مالٌ، فلك حسَبٌ، وإن كان لك دينٌ، فلك تُقـى، وإن كان لك تُقىً، فلك دينٌ»[٢].

ورَوى الهلالي[٣] قال: قال رسول الله، ﷺ، لرجل من ثَقيف[٤]: «ما المُروَّة فيكُم؟ قال: الصَّلاحُ في الـدِّين، وإصـلاحُ المعيشـةِ، وسَخـاء النَّفس، وصِلَـة الرَّحم. فقالَ النبيُّ، ﷺ: كذلك هي فينا»[٥].

[٧٣] وقال عمرُ بنُ الخطَّاب: المُروَّة الظاهرةُ الثياب الطاهرةُ[١]. يَعني النَّقيَّةَ مِن الذُّنوب.

وقيل للأحنفِ: ما المُروَّةُ؟ قال: إصلاحُ المَعيشةِ، واحتمالُ الجَريرة.

وقال معاوية لصَعصَعة بن صوحان[٢]: ما المُروَّةُ؟ قالَ: الصَّبرُ على ما ينوبُك،

---

[٧٢]

(١) بنو مجاشع بن دارم: بطن من حنظلة من تميم. منهم الأقرع بن حابس كان من المؤلفة قلوبهم. ومنهم الفرزدق الشاعر المشهور. (جمهرة ابن حزم ٣٠، النويري، نهاية الأرب في أنساب العرب ٣٧٨).

(٢) في نثر الدر ١ : ١٧٧ دون: إن كان لك دين. . . والخبر أيضاً في عيون الأخبار ١ : ٢٩٥.

(٣) الهلالي: هذه النسبة إلى هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن، قبيلة كبيرة ينسب إليها كثير من العلماء. (اللباب في تهذيب الأنساب ٣ : ٣٩٦). ولعل المقصود هنا سفيان بن عيينة وينسب إلى جده مولى امرأة من بني هلال. (اللباب ٣ : ٣٩٦).

(٤) ثقيف: بطن من هوازن من العدنانية. اشتهروا باسم أبيهم واسمه قيس بن منبه بن بكر بن هوازن. وزعم بعض النسابين أن ثقيف من بقايا ثمود. والثقيف باللغة الحاذق. كانت منازل ثقيف بالطائف. ومنهم الحجاج بن يوسف. (النويري، أنساب ١٨٦).

(٥) الحديث في بهجة المجالس ١ : ٦٤٢، وفي أنساب الأشراف ٤ : ٦١ منسوب لمعاوية بن أبي سفيان.

[٧٣]

(١) في نثر الدر ٢ : ٤٠ لعمر. وفي التمثيل والمحاضرة ٢٨٢ دون نسبة، والعيون ١ : ٢٩٦ لعمر، وفي غرر الخصائص ٤٢ دون نسبة.

(٢) صعصعة بن صوحان. وردت في الأصل صعصعة بن صفوان. وصوابه ما أثبتناه توفي ٥٦ هـ. من سادات عبد القيس. كان خطيباً عاقلاً حكيماً شهد صفين مع علي. له مواقف مع معاوية (الإصابة ٤١٢٥، وأخباره مع معاوية في أنساب الأشراف جـ ٤ في أخبار معاوية).

والصَّمتُ حتى تحتاجَ إلى الكلام[٣].

وقال محمد بنُ علي بنِ الحُسين[٤]: كمال المُروءَة الفِقهُ في الدِّينِ، والصَّبرُ على النوائِب، وحسنُ تقدير المَعيشة[٥].

وقال معاويةُ لرجل من عبدِ القيس: ما تَعدُّونَ المُروءَةَ فيكم؟ قال: العِفَّة والحِرفَة[٦].

وقيل لأبي زُهرةَ[٧]: ما المُروءَةُ؟ قال: إصلاحُ المال والرزانةُ في المجالس، والغداء والعَشاء بالأفنيةِ[٨].

وقال عُمر بن الخطَّاب: حَسَبُ المَرء مالُه، وكرَمُه دينُه، وأصلُه عَقلُه، ومُروءَته خُلُقه[٩].

وقال علي بن أبي طالب: مُروءَةُ الرجلِ حيثُ يضعُ نفسَه.

[٧٤] وقال عبدُ الله بن شُميط بن عَجلان[١]: سمعتُ أيوبَ السِّجِستاني[٢]

---

(٣) في أنساب الأشراف ٤: ٦١ باختلاف يسير.

(٤) محمد بن علي بن الحسين، (٦٢ - ١٢٥ هـ): هو محمد الباقر. خامس الأئمة الاثني عشر عند الشيعة الإمامية. كان ناسكاً عابداً، له في العلم وتفسير القرآن آراء وأقوال. توفي بالحميمة ودفن بالمدينة (الأعلام ٦: ٢٧١).

(٥) في أنساب الأشراف ٤: ٦١ منسوب للحسن بن علي. وفي أدب الدنيا ٣١٧ لمحمد بن علي.

(٦) في أدب الدنيا والدين ٣١٧ منسوب للأحنف وهو كذلك في العيون ١: ٢٩٥.

(٧) أبو زهرة: كلاب بن مرة بن كعب، من قريش. جد جاهلي، ونسله في قصي وزهرة (الأعلام ٥: ٢٣٠، جمهرة ابن حزم ١٣، ١٤).

(٨) في عيون الأخبار ١: ٢٩٥ منسوب لابن هبيرة.

ووردت العبارة في الأصل: اصلاح الحال. وفي مصادر كثيرة ترد اصلاح المال وهو ما أثبتناه.

(٩) ابن الجوزي، مناقب عمر ٢٠٦.

[٧٤]

(١) عبد الله بن شميط بن عجلان: كذا يرد في حلية الأولياء ٣: ٥، ١٢٥ وما بعدها في ترجمة شميط بن عجلان. ويرد عبد الله في علماء الأمصار ١٥٣، له روايات كثيرة عن أبيه.

(٢) أيوب السجستاني: كذا. يرد في جمهرة الأولياء ٢: ٩٨ أيوب السجستاني. نسبة إلى سجستان. ويرد في سائر المصادر: أيوب السختياني وهو أيوب بن كيسان البصري. أحد الأعلام. من نجباء الموالي. فقيه=

يقول: لا يَنبُلُ الرجلُ، حتى تكونَ فيه خَصلتان: العِفَّةُ عن الناس، والتجاوُزُ عنهم[٣].

وقال مَسلَمةُ بنُ عبدِ الملك[٤]: مُروّتانِ ظاهرتان: الرّياسةُ والفَصاحةُ.

وكانَ يُقال: ثلاثٌ يُفسِدن المُروَّة: الالتفاتُ في الطريقِ، والشُحُّ، والحِرص.

وقال عُمر بن هُبيرة[٦]: عليكم بمباكرةِ الغَداء فإن في مباكرةِ الغَداء ثلاثَ خِلال: يُطيِّبُ النَّكهةَ، ويُطفيء المِرَّةَ، ويُعينِ على المُروّة، قيل: وما إعانتهُ على المُروّة؟ قال: لا تتوقُ النفسُ إلى طَعام غيره.

وقال سَلْم بنُ قُتَيبة[٧]: لا تَتِمّ مُروّةُ الرجلِ، حتى يَصبِرَ على مُناجاة الشيوخِ الدُرْدِ[٨].

[٧٥] وسألَ ابنُ زيادٍ[١] رجلاً من الدهاقين[٢]: ما المُروّة فيكم؟ قال: أربعُ

* ناسك حافظ للحديث، توفي ١٣١ هـ. (الأعلام ٢: ٣٨، الوافي ١٠: ٥٤، علماء الأمصار ١٥٠، حلية الأولياء ٣: ٣، جمهرة الأولياء ٢: ٩٨، أعلام النبلاء ٦: ١٥، شذرات الذهب ١: ١٨١).

(٣) القول وارد في حلية الأولياء ٣: ٥ باختلاف.

(٤) مسلمة بن عبد الملك: (توفي ١٢٠ هـ). أمير قوي وقائد، له فتوحات مشهورة. غزا القسطنطينية في أيام أخيه سليمان. ولاه أخوه يزيد إمرة العراقين ثم أرمينية. (نسب قريش ١٦٥، نهاية الأرب في أنساب العرب ٣٣٩، الأعلام ٧: ٢٢٤).

(٥) في التذكرة الحمدونية ١: ٢٥٤. وفي عيون الأخبار ١: ٢٩٦، وترد في التذكرة: الرياش...

(٦) عمر بن هبيرة: (توفي ١١٠ هـ): أمير من الدهاة الشجعان. كان رجل أهل الشام. صحب عمرو بن معاوية العقيلي في مسيرة لغزو الروم. ولي الجزيرة لعمر بن عبد العزيز، وولاه يزيد بن عبد الملك إمارة العراق وخراسان فكانت اقامته في الكوفة. (الأعلام ٥: ٦٨).

(٧) سلم بن قتيبة بن مسلم الباهلي: (توفي ١٤٩ هـ). ولي البصرة ليزيد بن عمر بن هبيرة في أيام أبي جعفر المنصور. كان مشهوراً عظيم القدر. (الأعلام ٣: ١١١).

(٨) الدرد: مفردها أدرد، من ذهبت أسنانه.

[٧٥]

(١) ابن زياد: لعله عبيد الله بن زياد بن أبيه (ابن أبي سفيان) توفي ٦٧ هـ. ولاه معاوية خراسان سنة ٥٣ هـ. وقطع النهر إلى جبال بخارى على الإبل. ثم نقل أميراً على البصرة سنة ٥٥ هـ. وفي أيامه كانت فاجعة الحسين بن علي. كان خطيباً جباراً. (الأعلام ٤: ١٩٣، تاريخ الطبري ٦: ٦١).

(٢) الدهاقين: مفردها دهقان. فارسية رئيس القرية أو زعيم الفلاحين.

خصالٍ: أن يَعتزِلَ الرجلُ الرِّيبةَ فلا يكون في شيء منها، فإنه إذا كان مُريباً كان ذليلاً، وأن يُصلِحَ مالَه، فإنَّ مَن أفسدَ مالَه لم تكن له مُروءةٌ. وأن يقومَ لأهلِه بما يَحتاجون إليه، حتى يَستغنُوا به عن غيرِه، فإن من احتاجَ أهلُه إلى الناس لم تكن له مُروءةٌ، وأن يَنظرَ فيما يوافقُه من الطَّعام والشَّراب فيلزَمه، فإن المُروءةَ ألاَّ يَخلِطَ على نفسِه في مَطعمِه ولا مَشربِه.

وكان يقال: ثلاثٌ من المُروءةِ: تعاهُدُ الرجلِ إخوانَه، وإصلاحُ معيشتِه، وإقالتُه في منزلِه[3].

وسُئِل العتَّابي[4] عن المُروءةِ، فقال: إخفاءُ ما لا يُستحيَا من إظهارِه، ومواطأةُ القَلبِ اللسَانَ[5].

ويُروَى عن عبدِ الله بن بكرٍ السهمي[6] أنَّ عبدَ الملك بنَ مَروان[7] دخل على معاويةَ، وعندَه عَمرو بنُ العاص، فجلس مَلِيًّا، ثم انصرف. فقال معاويةُ: ما أكملَ مُروءةَ هذا الفتى وأخلَقَه أن يبلُغَ! فقال عمرو: يا أمير المؤمنين إنَّ هذا أخذَ بخلائقَ أربَعٍ، وتَركَ ثلاثاً: أخذَ بأحسنِ الحديثِ إذا حدَّثَ، وبأحسنِ الاستماعِ إذا حُدِّثَ، وبأيسرِ المؤونة إذا خُولِفَ، وبأحسنِ البِشرِ إذا لقِي، وتركَ مِزاحَ من لا

---

(٣) في بهجة المجالس ١ : ٦٤٥ باختلاف يسير.

(٤) العتابي: كلثوم بن عمرو من بني تغلب من بني عتاب، من ولد عمرو بن كلثوم. كان شاعراً محسناً وكاتباً في الرسائل مجيداً (الشعر والشعراء ط. الثقافة ٧٤٠، تاريخ بغداد ١٢ : ٤٨٨ معجم المرزباني ٣٥١، فوات الوفيات ٣ : ٢١٩).

(٥) في التمثيل والمحاضرة ٤٢٢ باختلاف.

(٦) عبد الله بن بكر السهمي: باهلي، يكنى أبا وهب، توفي ٢٠٨ هـ. نزل بغداد كان فقيهاً محدثاً (طبقات خليفة ٢٨٦، الوافي ١٧ : ٨٦، تاريخ بغداد ٩ : ٤٢١، سير أعلام النبلاء ٩ : ٤٥٠، شذرات الذهب ٢ : ٢٠).

(٧) عبد الملك بن مروان: أموي قرشي. من أعاظم خلفاء بني أمية ودهاتهم. نشأ في المدينة. اكتسب علماً واسعاً وتعبد وتنسك. انتقلت إليه الخلافة بعد وفاة أبيه ٦٥ هـ. تعزى إليه الاصلاحات المالية والادارية، توفي في دمشق ٨٦ هـ، (الأعلام ٤ : ١٦٥، المحبر ٣٧٧).

يُوثَقُ بعقلِه ولا دينِه، وترك مُخالفةَ لِئام الناسِ، وتركَ مِنَ الكَلامِ ما يُعتذرُ منه[8].

فهذه جُملة شرائع المُروَّة، لا يَقدِرُ على القيام بأدنَى المفترَضِ فيها إلاَّ ذَوو العُقول الفاضلةِ، والآدابِ الكاملةِ.

واعلم أنَّ مِنَ المُروة أيضاً عشْر خِصَال: لا مُروَّةَ لِمن لم يكن فيه الحِلمُ والحياء، وصدقُ اللَّهجةِ، وتركُ الغِيبة، وحُسن الخُلق، والعفْو عندَ المقدرة، وبذلُ المَعروفِ، وإنجازُ الوَعْد[9]. وفي تبيينهنَّ أخبارٌ تحثُّ على استعمالهنِ، وآثارٌ تدعو إلى المثابرةِ عليهنِ، وأنا ذاكرٌ بعضَ ذلك، إن شاء الله، وبه القوَّة.



(8) الخبر في تاريخ بغداد ١٠: ٣٨٩. وفي نثر الدر ٣: ٤٠.

(9) عدَّ المؤلف ثماني خصال بعد أن ذكر أنها عشر.

باب

ما جاء من فضل الصدق

لذوي الآداب وما كُرِه من الكذِب لذوي الألباب

[٧٦] رُوي عن النبيﷺ، أنه قال: «لا يَصلُحُ الكَذِبُ في جِدٍّ ولا هَزْلٍ»[١].

وقال أبو بكر الصِّدِّيق[٢]، رضي الله عنه: إذا كذَب العبدُ تباعدَ المَلَكُ منه ميلاً لِنَتْنِ ما جاء منه.

وقال: لِسانُ الصِّدقِ خيرٌ للمرء من المالِ يأكُلُه ويُورثُه.

[٧٧] وقال المهلَّبُ بن أبي صُفْرةَ[١]: ما السَّيفُ الصَّارمُ في يدِ الرجل الشُّجاع بأعزَّ له مِن الصِّدق[٢].

وكان يقال: الصِّدقُ قوةٌ، والكَذِبُ عَجزٌ[٣].

---

[٧٦]

(١) يرد هذا الحديث في نهاية الأرب ٣ : ٣٦٠.

(٢) أبو بكر الصديق: عبد الله بن عثمان (توفي ١٣ هـ): عبد الله بن أبي قحافة التيمي القرشي. أول الخلفاء الراشدين، نشأ بمكة سيداً من سادات قريش غنياً موسراً. كان عالماً بأنساب العرب وثاني اثنين في الغار. بويع له بالخلافة بعد وفاة النبي سنة ١١ هـ. خاض الحرب ضد المرتدين عن الإسلام، وفي أيامه كانت الفتوح في بلاد الشام وقسم من العراق (الأعلام ٢ : ١٠٢).

[٧٧]

(١) المهلب بن أبي صفرة (٧ ـ ٨٣ هـ): ظالم بن سراق الأزي العتكي. أمير جواد سيد أهل العراق. نشأ بالبصرة وقدم المدينة في أيام عمر. ولي البصرة لمصعب بن الزبير (الأعلام ٧ : ٣١٥، الإصابة ٨٦٣٥، المحبر ٢٦١).

(٢) في نهاية الأرب ٣ : ٢٣٨ دون نسبة.

(٣) قارن: الوسيط في الأمثال ١٠٥، أمثال الضبي ٧٩.

أنشدني بعضُ الأدباء[٤]: [من البسيط]

لا يكذِبُ المـرء إلاَّ مِن مَهانتِه، أو عادةِ السُّوء أو مِن قِلَّـةِ الأدَبِ
لَجيفَـةُ الكَلـب عِنـدي خيرُ رائحةٍ من كِذبةِ المَرء في جِدٍّ وفـي لَعِبِ

وكان يقال: لا رأيَ لكَذُوبٍ ولا مُروَّة لكذّاب[٥].

ويقال: لا تَستعِن بكذّابٍ، فإنَّه يُقرِّبُ لك البعيدَ ويُباعد لك القَريب.

وأنشدني آخر: [من الطويل]

وكُن صادقـاً في كلِّ شيءٍ تقولُه، ولا تكُ كذّابـاً، فتُدعَـى مُنافِقا

وقال آخر: [من البسيط]

الكـذبُ عارٌ، وخيرُ القَـولِ أصدقُه، والحَـقُّ ما مسَّـه مِن باطـلٍ زهَقَا

وأنشدني غيرُه: [من الكامل]

الصِّـدقُ مَنجـاةٌ لِمَـن هو صادقٌ، وتَـرَى الـكذوبَ بمـا يقـولُ يُوبَّخُ

وقال أبو العتاهية[٦]: [من مجزوء الكامل المرفَّل]

كُن في أمـورِك ساكناً، فالمَـرء يُدرِكُ في سكونِه
واعمِـدْ الـى صِدقِ الحديـ ـثِ، فإنـه أزكَى فُنونِه
رُبَّ امـرىءٍ متيقِّنٍ غَلَـبَ الشَّقـاءُ علـى يَقينِه

[٧٨] وحدَّثني بعضُ شيوخِ الكتَّابِ قال: حدَّثني عليُّ بنُ هِشام[١] قال: قال

---

(٤) البيتان في المستطرف ٢ : ٩، وفي بهجة المجالس ١ : ٥٧٩ والأول في التمثيل والمحاضرة ٤٤٨.
(٥) في فصل المقال ٣٧.
(٦) ديوان أبي العتاهية ٤٤٩.
[٧٨]
(١) علي بن هشام المروزي، من رجال دولة المأمون، كان مع أخيه من قواد الحرب ضد الأمين، فجعل أحمد على شرطة بغداد. وكان علي حامل لواء طاهر بن الحسين، وكان مقتله في عهد المأمون ٢١٧ هـ لاتهامه بسوء السيرة في عمله، ثم محاولته الإنضمام إلى بابك الخرمي (الطبري ٨: ٤٢٤، ٦٢٧).

لي مُحمَّدُ بنُ الجَهْمِ (٢) ذاتَ يوم: يا أبا الحسَن، الكَذّابُ والمَواتُ بمنزلةٍ واحدةٍ. قلتُ: وكيفَ ذاكَ؟ قال: لأنَّ علامَةَ الحيِّ النُّطقُ، ومَن لم يوثَقْ بِنُطقِهِ، فقد بطَلَت حياتُه(٣).

والذي جاء في ذلك يطولُ شرحُه، ويكثُرُ وصفُه، والكلامُ فيه يتَّسع، وأنا أُفرِدُ لهذا البابِ كتاباً، وأرصفُهُ أبواباً أبيِّنُ فيه فَضلَ الصِّدقِ على الكَذِب، ليرغبَ فيه ذوو المُروَّة والأدب، إن شاء الله تعالى.

وأمّا ما جاء في إنجاز العِداتِ عن ذوي الأخطار والمُروّات، فكثيرٌ يكثُر عددُه ويطولُ أمدُه، وقد شَرحتُ لك بعض ذلك لتقِفَ عليه، إن شاء الله تعالى.



(٢) محمد بن الجهم: (٢٧٧ هـ): محدث وصفه الدار قطني بالصدق والثقة، مدح الفراء أستاذه. (الوافي ٢: ٣١٣، أعلام النبلاء ١٣: ١٦٣، تاريخ بغداد ٢: ١٦١، طبقات القراء ٢: ١١٣، معجم الشعراء ٤٥٠، تاريخ الطبري ٨: ٦٦٥).

(٣) منسوب إلى بزرجمهر في نهاية الأرب ٣: ٣٦١.

باب

ما جاء في قبح خلف المواعيد
وما يلحق صاحبَه من اللَّوم والتَّفنيد

[٧٩] اعلمْ أنَّ أقبحَ ما استعملَه أهلُ الأدب مَطلُ العِدات.

وقال المُثنَّى بنُ خارجة[١]: لأنْ أموتَ عطشاً أحبُّ إليَّ مِن أن أُخلِفَ موعِداً[٢].

ورُوينا عن النبي، ﷺ، أنه قال: «ثلاثُ علاماتٍ في المُنافقِ، وإن صامَ وصلّى، وزعَم أنه مُسلِمٌ: إذا حدَّثَ كَذَبَ، وإذا اؤتُمِنَ خانَ، وإذا وعَد أخلَف»[٣].

ورُوِيَ عنه أنَّه قال: «عِدَةُ المُؤمنِ أخذٌ بالكفِّ»[٤].

وقالَ بعضُ الأعرابِ: وعدُ الكريمِ تعجيلٌ، ووعدُ اللئيمِ مَطْلٌ وتسويفٌ[٥].

وكان يقال: اليأسُ إحدى الراحتَين.

---

[٧٩]

(١) المثنى بن خارجة: كذا. ولعله المثنى بن حارثة الشيباني توفي ١٤ هـ. افتتح الحملات الإسلامية على العراق. علم مشهور بأخباره. (الإصابة ٧٧٢٢، الأعلام ٥: ٢٧٦).

(٢) في نصيحة الملوك ١٤٣ عن جليل من حكماء العرب.

(٣) في فصل المقال ٨٦ وخرجه البخاري ومسلم في الايمان. وهو في نهاية الأرب ٣: ٣٦٠.

(٤) في التمثيل والمحاضرة ٢٤: وعد المؤمن كأخذ باليد. وهو في نهاية الأرب ٣: ٣٦٠.

(٥) في بهجة المجالس ١: ٤٩٤ لبعض الحكماء.

[٨٠] وأنشدني يعقوبُ بن يزيدَ التَّمّار[١]: [من الطويل]

متى ما أقُلْ يوماً لطالبِ حاجةٍ: نعم، يا فتى، أفعَلْ، وذلك من شكلي[٢]
وإن قلتُ: لا، بيَّنتُها مِن مكانِها، ولم أوذِه فيها بِجَرٍّ، ولا مطلِ

وأنشدني آخر[٣]: [من الطويل]

إذا قُلتَ في شيءٍ نَعم، فأتِمَّه، فإنَّ نَعمْ دَيْنٌ على الحُرِّ واجبُ
وإلاَّ فقلْ: لا، واسترِحْ وأرِح بها، لكي لا يقولَ الناسُ: إنَّك كاذِبُ

وأنشدني آخر[٤]: [من الرمل]

لا تقولَنَّ، إذا ما لم تُرِد أن يَتمَّ الوَعدُ في شيءٍ نعَم
وإذا قلتَ: نعم، فامضِ بها بنَجاحِ الوعدِ إنَّ الخُلفَ ذَمّ

وأنشدني إبراهيمُ بن محمد النحوي[٥]: [من مجزوء الكامل المذال]

أنتَ الفَتى كلَّ الفَتى، لو كنتَ تفعَلُ ما تقولْ
لا خيرَ في كَذِبِ الجَوا دِ وحبَّذا صِدقُ البَخيلْ

[٨١] وكان يقال: اعتذارٌ من منْعٍ أجملُ من وَعدٍ ممطول[١].

---

[٨٠]

(١) يعقوب بن يزيد التمار: (توفي نحو ٢٥٦ هـ): شاعر عراقي معروف بجودة الطبع وقلة التكلف كان متصلاً بالمنتصر. (طبقات ابن المعتز ٤١٠، معجم الشعراء ٥٠٧، الأعلام ٨: ٢٠٢).

(٢) البيتان في عيون الأخبار ٣: ١٤٧ دون نسبة.

(٣) البيت الأول في نصيحة الملوك ١٤٣، وهما في بهجة المجالس ١: ٤٩٨ وفي المستطرف ١: ١٩٨، وفي عيون الأخبار ٣: ١٤٦ لزياد الأعجم وهما في غرر الخصائص ٢٦٠.

(٤) البيتان في الحماسة البصرية ٢: ١٤ للمثقب العبدي، وفي المفضليات رقم ٧٧، ص ٥٨٨ للمثقب، وفي بهجة المجالس ١: ٤٩٨.

(٥) البيتان في بهجة المجالس ١: ٤٩٦، لزياد الأعجم وكذلك في عيون الأخبار ٣: ١٤٦، وفي العقد الفريد ٢: ٤٨، وهما في مجمع الأمثال ١: ٩٩ وفي الشعر والشعراء ٣٤٥ لزياد الأعجم (في طبعة دار الثقافة).

[٨١]

(١) في العقد الفريد ٢: ٤٨.

وقال علي بن هشام: أمرني المأمونُ بحاجة، فأخَّرتُها، فكتب إليَّ[٢]: [من السريع]

تعجيلُ جُودِ المَرءِ أُكرُومةٌ، تَنشُرُ عنه أحسَنَ الذِّكرِ
والحُرُّ لا يَمطُلُ مَعروفَه، ولا يليقُ المَطلُ بالحُرِّ

وكان يقالُ: المعروفُ يحتاجُ إلى ثلاثٍ: تعجيلِه وكِتمانِه وإتمامِه.

وأُنشِدْنا ليزيد بنِ جَبل[٣]. [من السريع]

يا صانعَ المعروفِ كُن تاركاً تَردادَ ذي الحاجةِ في حاجتِه[٤]
فَشَرُّ معروفِك مَمطولُه، وخيرُه ما كانَ مِن ساعتِه
لكل شيءٍ يُرتجَى آفةٌ، وحَسْبُك المعروفُ مِن آفتِه

وقال آخر[٥]: [من الكامل]

صِلْ مَن أردتَ وِصالَه، وإخاءَه، إنَّ الأخُوَّةَ خيرُها مَوصولُها
وإذا ضَمِنتَ لصاحبٍ لك حاجةً، فاعلَم بأن تَمامَها تعجيلُها

وقال آخر: [من البسيط]

لا تَنشُرنَّ مَواعيداً، وتُسنِدَها إلى المِطالِ، فما يَرضَى به الأدبُ
لا تَطلُبنَّ بمَنعِ المالِ مَحْمَدَةً إنَّ المَحامِدَ بالأموالِ تُكتَسَبُ

[٨٢] وكان يقال: لكلِّ شيءٍ آفةٌ، وآفةُ المَعروفِ المَطْل.

وقال عمرُ بن الخطاب، رضي الله عنه: لكلِّ شيءٍ رأس ورأسُ المَعروفِ تَعجيله[١].

---

(٢) البيتان في المستطرف ١: ١٩٨ وفي غرر الخصائص ٢٥٩.

(٣) يزيد بن جبل، لم أقع على ترجمة له. ولعله يزيد بن جمل الذي يرد في أخبار ابن الطثرية في (أسماء المغتالين، لمحمد بن حبيب، نوادر المخطوطات ٢: ٢٤٨).

(٤) الأبيات في غرر الخصائص ٢٥٩ باختلاف يسير.

(٥) البيتان في أمالي الشجري ٢: ١٧٧ منسوبان لابن دريد. والثاني في غرر الخصائص ٢٦٠ وهو أيضاً في أدب الدنيا ١٩٦ دون نسبة.

[٨٢]

(١) قول عمر في البيان ٣: ٢١٤ وفيه شرف عوضاً عن رأس.

وفي وصيةِ عبدِ الملك بن مروان لبنيه: يا بَنيَّ، لا تَعِدُوا الناسَ بما لا تنالُه أيديكم.

ويقال: إذا وعدت الرجل نائلاً ثم مَطَلْتَه بهِ، فقد أوفاك ثمنَ مَعروفِك عنده.

وأنشدونا لدِعبِل بنِ الخُزاعي[٢]: [من المنسرح]

إياكَ والمَطْلَ أن تُفارقَه، فإنَّه آفةٌ لكلِّ يدِ[٣]
إذا مَطَلْتَ امرأً بحاجتِه، فامضِ على مَطلِه ولا تَجُدِ
فلستَ تلقاه شاكراً ليدٍ، قد كدَّها المَطلُ، آخِرَ الأبدِ

وللفُقَيمي[٤] أيضاً في مثلِه[٥]: [من البسيط]

ما كلَّفَ اللهُ نفساً فوقَ طاقتِها، ولا تجودُ يدٌ إلاَّ بما تَجِدُ
فلا تَعِد عِدةً ألاَّ وَفَيتَ بها، ولا تكونَنْ مِخلافاً لما تَعِدُ

ولدِعبِل أيضاً في مثلِه[٦]: [من الكامل]

وأرَى النَّوالَ يزَيِّنُه تعجيلُه، والمطلَ آفةَ نائلِ الوهّابِ

[٨٣] وكان يقال: بَذلُ جاهِ السائلِ ثمنُ معروفِ المُسائَل.

وقال أكثمُ بن صيفي: السؤالُ وإن قلَّ ثمنٌ لكلِّ معروفٍ وإن جَلَّ[١].

---

(٢) دعبل بن علي الخزاعي: (١٤٨ ـ ٢٤٦ هـ): شاعر هجاء أصله من الكوفة ببغداد. جيد الشعر هجا الرشيد والمأمون والمعتصم والواثق. علوي الإتجاه. (الأعلام ٢: ٣٣٩، تاريخ بغداد ٨: ٣٨٢).
(٣) الأبيات في ديوانه ٨٧، ومصدرها الوحيد الوشاء.
(٤) الفقيمي: محمد بن ذؤيب العماني (توفي نحو ٢٤٧ هـ): أبو العباس، راجز من بني تميم ثم من بني فقيم. من أهل الجزيرة. خرج إلى عُمان وأقام فيها. قيل إنه عمِّر ١٣٠ سنة. له أخبار مع المهدي والرشيد. (الوافي ٣: ٦٦، طبقات ابن المعتز ١٠٩، الأغاني ١٧: ٧٨، الأعلام ٦: ١٢٣).
(٥) البيت الثاني في بهجة المجالس ١: ٤٩٧ دون نسبة.
(٦) البيت في ديوانه ٣٠ ومصدره الوشاء فقط.
[٨٣]
(١) في روضة العقلاء ١٤٧ لأكثم، وفي غرر الخصائص ٢٧٧ دون نسبة باختلاف: السؤال وإن قل، وردت: الشكر وإن قل.

أنشدني محمد بن إبراهيم الهمداني لعلي بن ثابت الكاتب(٢): [من الكامل]

مـا اعتـاضَ باذلُ وَجهـهِ بِسُؤالِه بَدَلاً، ولـو نالَ الغِنـى بِسُؤالِ

وإذا السـؤالُ مَع النَّـوالِ وَزَنْتَهُ، رجَـحَ السُّـؤالُ، وخَفَّ كلُّ نَوالِ

وقال بعضُ الحكماء: احْـيِ معروفَـك بإماتَـةِ ذِكرِه، وعَظِّمـه بتصـغيرِك له.

أنشدني أبو العباس ثَعلب لأبي يَعقوبَ الخُرَيمي(٤): [من الرمل]

زاد معروفَك عنـدي عِظَماً، أنّـه عِنـدَكَ مستـورٌ حَقِيرٌ(٥)

وتَنَاسـاهُ كأنْ لم تأتِهِ، وهو عنـدَ النـاسِ مشهـورٌ كبيرُ

وقال عديُّ بنُ حاتم(٦): لا يصلُحُ المعروفُ إلاّ بثلاث: تعجيلُه، وكتمانُـه، وتَصغيرهُ. لأنَّك إذا عجَّلتَه هنَّيْتَه، وإذا كَتَمتَه استَهَنْتَه، وإذا صغَّرتَه عظَّمتَه(٧).

وشرح كلِّ ما جاء في ذلك يطولُ والاختصار أحسنُ من الإكثار. وقد ذكرتُ مَعنى هذا الباب مع ما يلائمه من الأخبار في كتابٍ لطيفِ التأليف والاختصار، هو كتاب «البَثّ والحَثّ»، غَنِينا بما في عن الزّيادةِ، وعن التطويلِ والإعادة.. ونحن نُتْبِعُ هذا البابَ بما ضمنَّاه من الحثّ على كِتمان السِّرِّ ليَرغَبَ فيه ذوو الأدبِ والقُدرة، إن شاء الله تعالى.

(٢) علي بن ثابت: مولى العباس بن محمد، أصله من الجزيرة ونزل بغداد. (طبقات ابن سعد ٧: ٣٣٠). ورثاه أبو العتاهية (بهجة المجالس ٢: ٧٤، ٢٠٢) أما محمد بن إبراهيم فلعله صديق أبي نواس الذي يمدحه في شعره (بهجة المجالس ٢: ٣٧٥). محمد بن إبراهيم بن إسحق الموصلي.

(٣) البيتان في أمالي الشجري ١: ٢٣١ لعلي بن ثابت، وهما في لباب الآداب ٣٠٧ دون نسبة وفي روضة العقلاء ١٤٦ وهما في الكشكول ١١٧ دون نسبة.

(٤) أبو يعقوب الخريمي: إسحاق بن حسان. شاعر مقبول الشعر ويرجع إلى نسب كريم في السغد. توفي ٢١٤ هـ (تاريخ بغداد ٦: ٣٢٦، زهر الآداب ١٠٧١).

(٥) البيتان في ديوانه ٢٥، دار الكتاب الجديد. وهما في غرر الخصائص ٢٥٨ باختلاف يسير.

(٦) عدي بن حاتم: (توفي ٦٨ هـ): أبوه حاتم الطائي. أمير، صحابي له دور في مقاومة الردة، شهد الجمل وصفين والنهروان إلى جانب الإمام علي (الأعلام ٤: ٢٢٠، الإصابة ٥٤٧٧).

(٧) في غرر الخصائص ٢٥٨ منسوب إلى جعفر الصادق.

باب
الحثّ على كتمان السر
والترغيب في حفظ ما حنَت عليه ضلوع الصّدر

[٨٤] روي عن النبي، ﷺ، أنه قال: «استعينوا على حوائجكم بكِتمان السرّ». (١)

وكان يقال: سرّكَ من دَمِك، فانظُر أين تجعله(٢).

وكان يقال: ما كتمتَه مِن عدوِّك، فلا تُطلِع عليه صديقَك(٣).

وقال المهلَّبُ بن أبي صُفرة: من ضاقَ قلبُه اتسعَ لسانه.

[٨٥] وأنشدني أحمد بن يحيى لقيس بن الحُدادِيّة الخُزاعي(١): [من الطويل]

بكَتْ من حديثٍ نمَّـهُ، وأشاعَهُ، ولَفَّقَـه واشٍ مِنَ القـومِ واضعُ(٢)

---

[٨٤]

(١) الحديث في الجامع الصغير ١: ١٥٠ وتخريجه في الهامش وفي روضة العقلاء ١٨٧، وفي التمثيل والمحاضرة ٤١٩ قول مأثور.

(٢) في فصل المقال ٥٩. وفي بهجة المجالس ١: ٤٦٠ لأكثم بن صيفي، وفي المحاسن والأضداد ١٩. لأبي جعفر المنصور وفي التمثيل والمحاضرة ٤١٩ دون نسبة.

(٣) في المحاسن والأضداد ٢٠ لمعاوية، وفي روضة العقلاء ١٨٩ دون نسبة.

[٨٥]

(١) قيس بن الحدادية: قيس بن منقذ من بني سلول من خزاعة. جاهلي، تبرأت منه خزاعة في عكاظ، ونسب إلى أمه من بني حداد (الأعلام ٥: ٢٠٩، معجم الشعراء ٣٢٥، محمد بن حبيب في: ألقاب الشعراء، ضمن نوادر المخطوطات ٦: ٣٢٣).

(٢) الأبيات له في الحماسة البصرية ٢: ٣٩، وفي حماسة أبي تمام ١: ٢٢٦، وفي معجم الشعراء ٣٢٥، وفي=

بكَتْ عينُ من أبكاكِ لا يُشجِكِ البُكا ... ولا تَتخالجْكِ الأمُورُ النَّوازعُ
ولا تُسمِعي سِرِّي وسِرَّكِ ثالثاً ، ... ألا كلُّ سرٍّ جاوزَ اثنينِ ضائعُ

وأنشدني لبعضِ الطالبيِّين[1]: [من الطويل]

أُكافي خليلي ما استقامَ بوُدِّهِ، ... وأمنحُه وُدِّي، إذا يَتَعتَّبُ
ولستُ ببادي صاحبي بقطيعةٍ، ... ولا أنا مُفشٍ سِرَّهُ، حينَ غَضَبُ
عليكَ بإخوانِ الثِّقاتِ، فإنَّهم ... قليلٌ، فصِلْهُم دونَ من كنتَ تَصْحَبُ
وما الخِدنُ إلاَّ مَن صفَا لكَ وُدُّهُ، ... ومَن هو ذو نُصحٍ، وأنتَ مُغَيَّبُ
إذا ما وَضعتَ السِّرَّ عندَ مُضَيِّعٍ، ... فذُو السرِّ مِمَّن ضيَّع السِّرَّ أذنبُ

[٨٥ ب] وقالَ مُعاويةُ بنُ أبي سُفيانَ: الحازمُ من كتمَ سِرَّهُ مِن صَديقِهِ مخافَةَ أن تَبَدَّلَ صداقتُه عداوةً، فيُذيعُ سرَّهُ.

وقال بعضُ الشعراء[1]: [من الطويل]

تَوافُقُ مَعشُوقَيْنِ من غيرِ مَوعِدٍ ... وغُيِّبَ عَن نَجواهمـا كلُّ كاشِحِ
وكَلَّت جُفونُ الماء عن حَمـلِ مائِها، ... فما مَلَكَت فيضَ الدموعِ السَّوافحِ
وإني لأطوي السِّرَّ عن كلِّ صاحبٍ، ... وإن كانَ للأسرارِ عَدلَ الجَوانحِ

وكتب عبدُ المَلكِ بنُ مَروانَ ببعضِ سرِّهِ إلى الحَجاجِ بنِ يوسفَ[2]، ففشا، حتى بلغه ذلك، فكتبَ أليه عبدُ الملِك يُعاتبُه، فكتب أليه: واللهِ، يا أميرَ المؤمنين،

أعلام النساء ٥: ١٨١، وهي أيضاً في الأمالي اليزيدية ١٥٣ وفي بهجة المجالس ١: ٤٦١. وفي الكامل، للمبرد ٢: ١٨ ينسب البيت الأخير لجميل.

(١) الأبيات في شعر عبد الله بن معاوية الطالبي ٣٠، والأولان في بهجة المجالس ١: ٤٦٧ مع بعض الاختلاف.

[٨٥ ب]

(١) الأبيات في ديوان العباس بن الأحنف ٩٥ ويرد مطلع البيت الأول توافق معشوقان...

(٢) الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي (٤٠ ـ ٩٥ هـ): قائد داهية، وسفاك وخطيب. ولاه عبد الملك العراق أثناء ثورة عبد الله بن الزبير، وحكمه حكماً حديدياً. بنى مدينة واسط. (الأعلام ٢: ١٦٨).

ما أخبرتُ به الاّ إنساناً واحداً. فكتب إليه عبدُ الملك: إنَّ لكلِّ إنسانٍ نصيحاً يُفشي إليه سِرّه.

وقال بعضُ الشعراء في ذلك[٣]: [من المتقارب]

أَلَـم تَرَ أنَّ وُشاةَ الرجالِ لا يتـركون أديمـاً صَحيحا
فـلا تُفشِ سِرّكَ إلاّ إليك، فإنَّ لكلِّ نَصيحٍ نَصيحا

وقال آخر[٤]: [من الطويل]

إذا أنتَ لم تحفَـظْ لِنَفسِـك سِرَّها، فسِرُّكَ عنـدَ النـاسِ أفشَـى وأضيَعُ

وقال آخر[٥]: [من الرمل]

أمِـتِ السِّـرَّ بكِتمـانٍ، ولا يَـبدُوَنْ منـك إذا استُودِعـتَ سِرّْ
فـإذا ضِقـتَ بـه ذَرْعـاً فلا تَجعلَنْ سِرّكَ إلاّ عنـدَ حُرّْ

[٨٦] وقيلَ لأعرابي استُودِعَ سِراً فكتمه: أفهمتَ؟ قال: لا، بل نَسيتُ.

وأخبرني أحمد بن عُبَيد قال: أخبرني ابنُ الأعرابي قال: قيلَ لأعرابي: كيف كتمانك السرَّ؟ فقال: أجحدُ المُخبِرَ، وأحلِفُ للمُستخبِر.

وقيلَ لأعرابي: كيفَ حِفظُك للسرّ؟ فقال: أنا لَحدهُ.

وممّا استَحسنتُه في كِتمان السِّرّ قولُ كُثَيِّر[١]: [من الطويل]

أتـى دونَ ما تَخشَـونَ من بَثِّ سِرِّكم أخـو ثِقَـةٍ، سَهْـلُ الخلائِـق، أروَعُ

---

(٣) البيتان من الشعر المنسوب للإمام علي ٤٧، وينسبان إليه في المحاسن والأضداد ٢١، والكامل ٢: ١٧، وهما في أدب الدنيا ١٢٣ دون نسبة، والبيت الثاني في لباب الآداب ٢٤٠ وهما في بهجة المجالس ١: ٤٦٢ دون نسبة.

(٤) البيت في المحاسن والأضداد ٢٢، روضة العقلاء ١٩٠ ولباب الآداب ٢٤٣، دون نسبة. وينسب في الكامل ٢: ١٧ للإمام علي. وفي عيون الأخبار ١: ٤٠ دون نسبة وفي بهجة المجالس ١: ٤٦٤.

(٥) البيتان في روضة العقلاء ١٩٠ لشيطان الطاق، وهما في أمالي اليزيدي ١٢٣ لإسحاق الموصلي.

[٨٦]

(١) الأبيات في ديوانه، بعناية إحسان عباس ٤٠٦.

ضَنِينٌ ببَـذلِ السِّرِّ، سَمـحٌ بغَيره، أخو ثقـةٍ، عَفُّ الوِصـالِ، سَمَيْدعُ[2]
أبى أن يَبُثَّ الدَّهـرَ، ما عاش، سِرَّكُم سليماً، ومـا دامَـت لهُ الشَّمسُ تَطلُعُ

وله أيضاً[3]: [من الطويل]

كريمٌ يُميتُ السِّـرَّ، حتَّـى كأنَّه، إذا استَنطقـوه عَن حديثِـكَ، جاهِلُه
رعَى سِرَّكم في مُضمَرِ القَلبِ والحَشا، شَفيقٌ عليكم، لا تُخـافُ غَوائِلُه
وأكتُمُ نفسـي بعضَ سِـري تَكَرُّماً، إذا ما أضـاعَ السِّرَّ في النـاسِ حامِلُه

وقولُ صاحبِه أيضاً[4]: [من الطويل]

لَعَمْـري ما استَودَعـتُ سِرِّي وسِرَّها سِوانـا، حِذاراً أن تَشيعَ السَّرائرُ
ولا خاطَبَتْهـا مُقلتـايَ بنَظرةٍ، فتَعلـمَ نجْوانـا العيونُ النَّواظرُ
ولـكن جعلـتُ اللَّحـظَ بيني وبينها رَسـولاً، فأدَّى ما تُجِـنّ الضَّمائرُ

ومنه قولُ الآخر[5]: [من الطويل]

لِيَهْنِـكِ مِنّـي أنَّـي غيرُ مُظهرٍ هَواكِ، ولـو أشرفـتُ منه على نحبي
ولـو أنَّ خلقـاً كاتـمَ الحبِّ قلبه لَمِـتُ، ولَـم يَعلَـم بحبِّـكُمُ قَلبي

وقال آخر[6]: [من الطويل]

لو أنَّ امرأً أخفَى الهَـوى عن ضَميرِه، لَمِـتُّ، ولَـم يعلـمْ بذاك ضَميرُ
ولـكن سألقَـى الله، والقلـبُ لم يَبُحْ بسِـرِّكِ، والواشـون عنـكِ كثيرُ

---

(٢) السميدع: السيد الكريم الشريف الشجاع العف.
(٣) في ديوانه ٤٢٠، أرقامها ١٠، ١٣، ١٤، والأول في زهر الآداب ١٠٢٣.
(٤) الأبيات في الفاضل ١٠٢ دون نسبة، وهي في ديوان جميل ٧١.
(٥) البيتان في المستظرف من أخبار الجواري ٦٨ منسوبان ليزيد بن حوراء، مع اختلاف يسير. وهما في الديارات ١٨ وشرح مقامات الحريري ١: ١٤٨ منسوبان لخالد بن يزيد الكاتب وفي نهاية الأرب ٤: ٣٢٦ ليزيد بن حوراء باختلاف.
(٦) البيتان في لباب الآداب ٢٤١ دون نسبة. وفي أمالي القالي ٢: ١٧٦ لقيس بن ذريح.

[٨٧] وقال العبَّاس بن الأحنف[1]: [من المتقارب]

أيا مَن سُروري به شِقوةٌ، ومَــن صَفــوُ عَيشـي به أكدَرُ
تجنَّيتَ تَطلُــبُ ما أستحقُّ بِهِ الهجـرَ، هيهــاتِ لا يُقدَرُ
ومــاذا يَضـرُّكَ من شُهرتي، إذا كانَ سِـرُّكَ لا يُشهَرُ
أمنِّي يُخـافُ انتشـارُ الحديثِ، وحَظِّـيَ في صَونِـه أكثرُ
ولـو لم يكن فيه بُقيا عليكَ، نظـرتُ لنفسـي، كمـا تَنظُرُ

وأنشدني لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر: [من الطويل]

ومؤتَمَـنٍ بالحـزمِ في كلِّ أمرِه، وأسـرارُه منـه بحيثُ المَقاتلُ
فلا سِرُّهُ عن ساحـةِ الصَّـدرِ نازحٌ، ولا هو عن سِرٍّ تعـدَّاه سائلُ

ولغيره في مثلِه: [من الخفيف]

فَلَنَقْـلُ الجِبـالِ أهـونُ من بثِّ حديثٍ حنَت عليه الضُّلوعُ
فلكَ اللهُ أنَّـيَ لك راعٍ، ما بدا كوكبٌ، وبـرقٌ لَمُوعُ

وأنشدني أحمدُ بنُ عبد الله قال: أنشدني ابنُ الكُلبي[2] لابن أمينة[3]: [من الطويل]

وإني على السِّرِّ الـذي هو داخلٌ، إذا باحَ أصحـابُ الهَـوى، لضَمومَ
وإنِّـيَ ما استُودِعـتُ، يا أمَّ مالكٍ، علـى قِدَمٍ من عَهدِنـا، لكَتُومُ

وقال أبو الطيِّب: الضموم: الممسك، وكذلك الزِّميت أيضاً.

---

[٨٧]

(١) الأبيات في ديوانه ١٧١. ويرد البيت الثاني على الشكل التالي
تعتبـت تطلـب مـا استحـق به والهجـر منـك لا يُقدر
وفي البيت الثالث وردت: أوفر عوضاً عن أكثر.
وبعض الأبيات في الفاضل ١٠٢.

(٢) ابن الكلبي: هشام بن محمد بن السائب الكلبي (توفي ٢٠٤ هـ) مؤرخ وعالم بالأنساب وأخبار العرب وأيامهم. كثير التصانيف، منها جمهرة النسب والأصنام وأنساب الخيل (الأعلام ٨: ٧٨).

(٣) ابن امينة: لم نقع على ترجمة له.

وقال آخر[4]: [من البسيط]

وحاجةٍ دونَ أُخرى قد شَجيتُ بها، خلَّفتُها لِلَّذي أخفيتُ عُنوانا
إنِّي كأنِّي أرى من لا حَياءَ لـه ولا أمانةَ، وسْطَ الناسِ، عُريانا

وأنشدني أحمد بن يحيى [لقيس] بن الخطيم[5]: [من الطويل]

وإن ضيَّعَ الأحرارُ سرًّا، فإنَّني كَتومٌ لأسرارِ العَشيرِ، أمينُ[6]
يكونُ لَهُ عِندي إذا ما ضَمِنتُهُ مكانٌ بِسَوداء الفُؤادِ مَكينُ

وقال بشار بن برد المرعَّث[7]: [من البسيط]

أبْكي الَّذين أذاقُوني مَودَّتَهم، حتَّى إذا أيقَظوني في الهَوى رَقَدوا
لأخرُجَنَّ من الدُّنيا وسِرُّهُمُ بينَ الجَوانحِ، لم يعلَم به أحدُ

وأحسنَ، والله، الذي يقول[8]: [من البسيط]

يأبَى ليَ الذَّمَّ أخلاقٌ ومكرُمةٌ منِّي، وأُذنٌ عَنِ الفَحشاء صَمَّاءُ
والنَّجمُ أقربُ من سِرِّي إذا اشتملتْ منِّي على السِّرِّ أضلاعٌ وأحشاءُ

[88] والذي قيل في ذلك كثيرٌ جداً يطولُ به الخَطْب ويتسع فيه القول. وليس قَصدُنا في كتابنا هذا المَعنى، وإنما تقدَّمنا بذكر ما شَرحناه ونعتِ ما وصفناه، لأنه لا بد للظَّريف من استعمال كل ما ذكرناه من حُدود الأدبِ وشَرَائع المُروَّة.

---

(4) البيت الأول في الحماسة البصرية ٢: ٧٣، باختلاف: سمحتُ عوضاً عن شجيتُ وهما في شرح حماسة أبي تمام ٣: ١٧٠ منسوبان لسوار بن المضرب. وفي أدب الدنيا ٢٤٥ ومكارم الأخلاق ٢٣.

(5) وردت في الأصل أحمد بن يحيى بن الخطيم. وهو خطأ وصوابه ما أثبتناه.
وقيس بن الخطيم، اسمه ثابت بن عدي، ويكنى أبا زيد. شاعر مجيد فحل، قدم على النبي بمكة، ولكنه لم يسلم. (معجم الشعراء ٣٢١).

(6) البيتان في ديوانه ١٦٣، وفي المستطرف ١: ٢٠٧، وفي الفاضل ١٠٢، وفي أمالي القالي ٢: ١٧٧، وفي الحماسة البصرية ٢: ٦٣، وفي بهجة المجالس ١: ٤٦، وفي لباب الآداب ٢٤٣؛ والحماسة الشجرية ١: ١٤٢، والثاني في الكامل ٢: ١٧ منسوب لجميل.

(7) البيتان في ديوان بشار ٦٧، وهما في ديوان العباس بن الأحنف ١٠٤ وفي الشعر والشعراء (ط. الثقافة) ٧٠٧ للعباس، وينسبان أيضاً ٤٧٦ للمجنون وهما في معاهد التنصيص ١: ٥٤ للعباس.

(8) البيت الثاني في المحاسن والأضداد ٢٠ دون نسبة.

واعلم أنَّ مذهَبنا في هذا الكتاب إلى مَعنى صفة الظَّرف، وما يجب على الظَّريف استعمالُه، وذكر ما يجب عليه تركُه، وما اخترعنا في كتابنا هذا علماً من عندِ أنفسِنا، يجب لنا به الامتحانُ، ولا يلحقنا فيه عيبُ من عابَ، إن عاب، ولا على أنه لا يُطلب لفظُه، ولا يمتنع عند معايبهم إلا مَعيب.

وأنشدنا أحمد بن يحيى قال: أنشدني ابن السكيت(١): [من السريع]

ربَّ غَريبٍ ناصحِ الجيبِ، وابنِ أبٍ مُتَّهَمِ الغَيبِ
وربَّ عيَّابٍ لـه منظَرٌ مُشتمِلٌ منه على العَيبِ

ولكنَّا ألَّفناه وجمعناه من أقاويلِ جماعة من الظُّرفاء والمُتظرِّفات، وأهل الأدب والمروّات سمعناهم، ورأيناهم يتكلمون به، ويستعملونه، فأحببنا أن نجمع ذلك، ونجعله لمن أراد سَماعَه، وعلَماً لمن أراد اتِّباعه، وهَدياً لمن أراد رُشدَهُ، ومناراً لمن أراد قصدَه، وطيباً لمن أراد شمَّه، وأدباً لمن أراد فَهمه.

وكتابنا هذا رَوضة تَتنزَّهُ فيها العقُول، وعُقود جوهرٍ زيَّنتها الفصولُ، إذ لم نُخلِه من أخبار طريفةٍ، وأشعار ظريفةٍ، وأشياء نَمت إلينا من زِيِ ظُرَفاء الناسِ في الطَّعام، والشَّراب، والعِطر، واللباس. ومذهبهم فيما اجتنبوه من ذَميمِ الأفعالِ، واستحسنوه من جَميلِ الشِّيَمِ والأخلاقِ. وسأشرح ذلك وأبيِّنه باباً باباً لتَقِفَ عليه، إن شاء الله.

[٨٨]

(١) البيتان في البيان والتبيين ١: ٨١ ط. السندوبي والبيت الأول في العقد الفريد ٣: ٣١٤.

باب
سنن الظرف

[٨٩] اعلَمْ أنَّ عِمادَ الظَّرفِ، عندَ الظرَفاء وأهلِ المَعرِفةِ والأدباء، حِفظُ الجَوارِ، والوَفاءُ بالذّمارِ[١]، والأنفَةُ مِنَ العار، وطلبُ السلامةِ من الأوزارِ[٢]، ولن يكونَ الظريفُ ظريفاً، حتى تجتمعَ فيه خِصالٌ أربعٌ: الفَصاحة، والبَلاغةُ، والعِفَّةُ، والنَّزاهة.

وسألتُ بعضَ الظُّرفاء عن الظَّرفِ فقال: التودُّدُ إلى الإخوانِ، وكفّ الأذى عن الجيران.

وقال آخر: الظَّرف ظلَفُ النفسِ[٣]، وسخاءُ الكفّ، وعِفّةُ الفَرْجِ.

وأخبرَني أحمدُ بن عُبيد قال: قالَ الأصمعي وابنُ الأعرابي: لا يكونُ الظَّرفُ إلاَّ في اللِّسانِ. يقالُ: فُلانٌ ظَريفٌ، أي هو بليغ، جَيِّدُ المَنطِق، ومنه حديث عمَر بن الخطاب، رضي الله عنه: «إذا كانَ اللصُّ ظريفاً لم يُقطَع» أي لأنه يكونُ له لسان فيحتجّ به، فيدفَعُ عن نفسه[٤].

---

[٨٩]

(١) الذمار: العهد، وما يجب حفظه وحمايته.

(٢) الوزر: العبء والأثم.

(٣) ظلف النفس الترفع عن الدناءة. وهو الشدة والغلظ في المعيشة. وظلف نفسه عن الشيء: أي منعها من أن تفعله أو تأتيه. (لسان العرب).

(٤) حديث عمر وما نقله عن الأصمعي وابن الأعرابي في لسان العرب ٩: ٢٢٩.

قال: ورُوي عن محمد بن سيرين[٥] أنه قال: الظَّرفُ مُشتقٌ مِنَ الفِطنة.

وقال غيره: الظَّرفُ حُسْنُ الوَجهِ والهيئةِ.

وقالَ بعضُ المَشْيَخَة: الظريفُ الذي قد تأدَّب، وأخذَ من كلِّ العلومِ، فصار وعاءً لها، فهو ظَرف.

وقال أحمد بن عُبيد: مَعناه أنَّه يَعي أدباً وعِلماً، كما يَعي ظَرف الشيء ما يكون فيه، ولذلك مَعنى: إذا كان اللصّ ظريفاً لم يُقطَع، إذا كان واعياً للعِلم لم يسرِق إلا بتأوُّلٍ، كما فَعلَ الشعبي، وقد دخل بيتَ المال، فأخذ منه دارهمَ، وإنما أراد به التأوُّلَ لما فيهِ من الحق[٦].

وسألتُ بعضَ مُتظرّفاتِ القُصورِ عن الظُّرف، فقالت: مَن كان فصيحاً عفيفاً كان عندنا متكاملاً ظريفاً، ومن كان غنيًّا عاهراً كان ناقصاً فاجِراً.

وقال بعضُ الأدباء: الظَّرفُ ظلَفُ النَّفسِ، ورِقَّةُ الطَّبعِ، وصِدق اللهجةِ، وكِتمان السرِّ.

وسألت بعضَ الظُّرفاء فقال: الظَّرفُ في أربعِ خصالٍ: الحياء، والكرم، والعفَّة، والوَرع.

وأنشدني عبد الله الواسطي لنفسه في هذا المعنى[٧]: [من الكامل]

ليسَ الظَّريفُ بكاملٍ في ظَرْفِه، حتَّى يكونَ عنِ الحَرامِ عَفيفا
فإذا تورَّعَ عن مَحارمِ ربِّهِ، فهناك يَدعُوه الأنامُ ظَرِيفا

---

(٥) محمد بن سيرين: (٣٣ - ١١٠ هـ): أنصاري بالولاء. إمام في علوم الدين. نشأ بالبصرة بزازاً، وتفقه وروى الحديث. له كتاب مشهور في تعبير الرؤيا. (الأعلام ٦: ١٥٤، المحبر ٣٧٩، ٤٨٠، الوافي ٣: ١٤٦، سير أعلام النبلاء ٤: ٦٠٦).

(٦) يراجع لسان العرب مادة ظرف: حيث تعريف الظرف وآراء اللغويين ٩: ٢٢٨، باستثناء ما قيل عن الشعبي.

(٧) البيتان لأبي عبد الله الواسطي (نفطويه) في زهر الآداب ٧٨٢، وفي البيت الثاني اختلاف يسير.

ومثلُه لبعض المتأدبين[٨]: [من الخفيف]

إن أكُنْ طامحَ اللَّحاظِ، فإنّي، والذي يَملِكُ العِباد، عَفيفُ
ليسَ ظَرفُ الظريفِ بالنَّفسِ لكن كلُّ ذي عِفَّةٍ، فذاك ظَريفُ

[٩٠] [قصة عبد الملك مع بعض عماله]:

وخُبِّرتُ أنَّ عبد الملك بن مروان وَجد على بعض عماله فقيَّده وحبَسه في داره. فأشرفت عليه ابنةٌ لعبد الملك، فنظر إليها، فأنشأت تقول[١]: [من مجزوء الرمل]

أيها الرامي بالطَّرْ فِ، وفي الطَّرفِ الحُتوفُ
إن تُرِدْ وصلاً فقد أمـ كَنك الظَّبيُ الألوفُ

فأجابها الفتى، فقال: [من مجزوء الرمل]

إن تَريني زَانيَ العَيـ نينِ، فالفَرجُ عَفيفُ
ليس إلا النظَرُ الفا تِنُ، والشِّعرُ الظَّريفُ

فأجابته الجارية: [من مجزوء الرمل]

قد أردناكَ على أنْ تَعتَشِقْ ظبياً ألُوفا
فتأبَّيتَ، فلا زِلـ تَ لقَيدَيك حَليفا

فذاعَ الشِّعرُ، وبلغَ عبدَ الملك، فدعا به فزوَّجه إياها، ودفعها إليه.

[٩١] [عبد الله القس وسلاَّمة]

واجتازَ عبدُ الله بنُ عبد الرَّحمن[١]، الذي كان يُعرفُ بالقَسِّ لعِبادته، بسَلاَّمةَ

---

(٨) البيت الأول في المستطرف ٢: ١٨٣ منسوب لبعض بني كلب.

[٩٠]

(١) القصة في مصارع العشاق ١: ٢٣٣ وكذلك الأبيات وفي ٢: ١٩٩ باختلاف.

[٩١]

(١) عبد الرحمن بن عبد الله القس: قصته في الأغاني ٨: ٨ بولاق. كان فقيهاً عابداً من عباد مكة، وكانت سلاَّمة بمكة لسهيل، وكان يدخل عليها الشعراء، ففتن بها عبد الرحمن القس.

المغنّية، التي صارَت إلى يزيد بن عبد الملك[٢]، فسمعهَا وهي تُغنّي، فوقَف يستمعُ غناءهَا، فأدخله مولاها عليها، فوقَعت في قلبه، ووقع بقَلبِها. فقالت له يوماً، وقد خلا مجلِسُهُما: أنا، واللهِ، أُحبُّك. فقال: وأنا، واللهِ، أُحبُّك. قالت: فأنا، والله، أشتهي أن أضعَ فمي على فمِك وألصِقَ صَدري بصَدرك وأضمّك إلي وتَضُمُّني إليك. قال: وأنا، والله، أشتهي ذلك. قالت: فما يَمنعُك من ذلك؟ فوَالله إن الموضِع الخالِ، وما بقُربنا أحد. فقال: ويحكِ إني سَمِعت الله يقول: ﴿الأخِلاَّءِ يَومئذٍ بعضُهم لبَعضٍ عَدوّ إلاّ المُتّقِين﴾[٣] فأنا أكره أن تكون خِلّتي لك في الدنيا منقطعةً في الآخرة. ثم وثب، فانصرف[٤].

[٩٢] [علي بن أبي طالب وغلامه المؤذن]:

وكان لعليّ بن أبي طالب، عليه السلام، جاريةٌ تدخلُ وتخرجُ، وكان له مؤذّن شابٌ، فكان إذا نظر أليها قال لها: أنا، والله، أُحبّك. فلما طال ذلك عليها أتت عليًا، عليه السلام، فأخبرته، فقال لها: إذا قال لك ذلك، فقولي: أنا، والله، أحبك، فَمه. فأعاد عليها الفتى قوله، فقالت له: وأنا، والله، أحبك، فَمهْ. فقال: تَصبِرين ونَصبر، حتى يُوفينا مَن ﴿يوفي الصابرين أجرَهم بغَير حساب﴾[١]. فأعلمت عليًا، عليه السلام، فدعا به فزوّجَه منها، ودفعَها إليه[٢].

---

(٢) يزيد بن عبد الملك (٧١ ـ ١٠٥ هـ): ولد بدمشق، وولي الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز ١٠١ هـ، بعهد من أخيه سليمان. كانت في أيامه غزوات أهمها حرب الجراح الحكمي مع الترك وانتصاره عليهم. خرج عليه يزيد بن المهلب بالبصرة، فوجه إليه أخاه مسلمة فقتله (الأعلام ٨: ١٨٥).

(٣) الآية ٦٧ من سورة الزخرف.

(٤) القصة في تزيين الأسواق ١٨. وفي مجالس ثعلب ٥ ـ ٦.

[٩٢]

(١) من سورة الزمر آية ١٠ ﴿إنما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب﴾.

(٢) القصة في حماسة الظرفاء ٢: ١٢٣.

[٩٣] وأنشدني أبو عبد الله الواسطي لنفسه في هذا المعنى[1]: [من البسيط]

كم قد ظَفِرتُ بِمَن أهوى، فَيمنعُني ... منه الحَياءُ، وخَوفُ الله، والحَذَرُ
وكم خَلَوتُ بِمَن أهوَى، فيُقنعُني ... منه الفُكاهةُ، والتَّحديثُ، والنَّظَرُ
أهوى المِلاحَ، وأهوَى أن أجالسَهم، ... وليسَ لي في حَرامٍ منهمُ وطَرُ
كذلك الحبّ لا إتيانُ مَعصيةٍ، ... لا خيرَ في لَذّةٍ مِن بَعدِها سقَرُ[2]

ومثل ذلك قول الآخر[3]: [من البسيط]

تفنَى اللذاذةُ ممَّن نالَ صِفوتَها ... من الحَرامِ، ويبقَى الإثمُ والعارُ
تبقَى عواقبُ سوءٍ من مَغَبَّتِها، ... لا خيرَ في لذّةٍ مِن بَعدِها النَّارُ

ومما أستَحْسِنُه في العفّة، أيضاً، ما أنشدَنيه أحمدُ بن يحيى ثعلبٌ لبعض نساء العَرَب[4]: [من الطويل]

وبِتنا خِلافَ الحيّ لا نحنُ منهُم، ... ولا نحنُ بالأعداء مختَلِطانِ
وبِتنا يَقينا ساقطَ الطَّلّ والنَّدى، ... مِنَ اللَّيلِ، بُردا يمنَةٍ عَطِرانِ
نَذودُ بذِكرِ اللهِ عنّا مِنَ الصِّبى، ... إذا كادَ قَلبانا بنا يَردانِ
ونَصدُرُ عن رِيِّ العَفافِ، وربما ... نَقَينا غَليلَ النَّفسِ بالرشفانِ

وأنشدني أحمد بن يحيى ثعلب: [من الطويل]

أُحبّكِ لا مِن رِيبَةٍ كانَ بينَنا، ... ولا نَسبٍ بيني وبينَكِ شابِكِ
أُحبّكِ إنْ خُبِّرتُ أنكِ فاركٌ، ... لَعَمريَ إنّي مُولَعٌ بالفَوارِكِ

[٩٣]

(١) الأبيات في الوافي ٦: ١٢٩، معجم الأدباء ١: ٢٦٥، تاريخ بغداد ٦: ١٦١، زهر الآداب ٧٨٢، تزيين الأسواق ١٨.

(٢) سقر: جهنم.

(٣) البيتان في نصيحة الملوك ٢٤٥ بدون نسبة. وفي ذم الهوى ١٨٦، ٥٩٩، وفي روضة المحبين ٣٢٨، وفي الزهرة ٦٨ منسوبان لمسعر بن كدام الهلالي.

(٤) الأبيات في أمالي القالي ٢: ٨٣ منسوبة لأم ضيغم البلوية. وهي في روضة المحبين ٣٤٨ منسوبة لابن الدمينة. وفي الزهرة ٦٦.

أُحِـبُّ فتـاةً أن تُشاغِـبَ زَوجَها، وإن لم أنـلْ مِن وَصلِهـا غيرَ ذلكِ

قال أبو الطيِّب: الفارك المُبغِضة لزَوجها، يقال: قد فَرِكَت المـرأةُ زوجَهـا، تَفركُه، إذا أبغضته، وهي فارك، والرجل مَفروك.

ومثله قولُ الحُسين بن مُطَير[5]: [من الطويل]

أحِبُّـك يا سَلمَـى، علـى غَيرِ رِيبَةٍ، ومـا خيرُ حُبٍّ لا تَعِفُّ سرائِرُه[6]

ومثله أيضاً قول الآخر[7]: [من البسيط]

أتأذنـونَ لصَـبٍّ في زيارتِكم، فعِنـدكم شَهَـواتُ السَّمـعِ والبَصَرِ
لا يفعلُ السُّوءَ إن طالَ الجلـوسُ به، عَفُّ الضَّـميرِ، ولـكن فاسـقُ النَّظرِ

وقال محمود الوَرّاق[8]: [من البسيط]

إنّـي أُحِبُّـكَ لا لِفاحشـةٍ، والحُـبُّ ليسَ به في الله من باسِ

وأنشدني بعضُ الأدباء قال: أنشدني أعرابي ببلاد نجد[9]: [من الطويل]

ويومٍ كإبهـامِ الحُبـارى قَطَعتُهُ بمقمَعـةٍ، والقـومُ فيهِـم تَحرُّفُ
إذا ما هَمَمنـا صَدَّ زِيٌّ نفوسَنا، كمـا صَدَّ من بَعْـدِ التَّهمُّـمِ يوسُفُ

قال أبو الطيب: قولـه كإبهـام الحُبـارى، يريد نهـاية ما يكون من القِصَـر.

وأنشدني آخر[10]: [من مجزوء الرجز]

---

(٥) الحسين بن مطير (توفي ١٦٩ هـ): مولى بني أسد. شاعر متقدم في القصيد والرجز. من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية. (فوات الوفيات ١: ١٤٤، الأعلام ٢: ٢٦٠).

(٦) البيت في الأغاني ١٤: ١١٤ (بولاق) للحسين، وفي معجم الأدباء ٤: ١٠٠. وهو في أمالي القالي ١: ٧٨ وسمط اللآلي ٢٦٤، ٦٩٣ لابن الدمينة.

(٧) البيتان في ديوان العباس بن الأحنف ١٧٢، وهما له في زهر الآداب ٧٨٢، وهما في ديوان الصبابة ١٧٩.

(٨) البيت في المستطرف من أخبار الجواري ٣٣ منسوب إلى سكن جارية محمود الوراق.

(٩) البيتان في الزهرة ٦٦. والحبارى: طائر على شكل الأوزة. أي أن يومه قصير.

(١٠) الأبيات في أشعار أولاد الخلفاء ٣٢٧، وفي الشريشي ٢: ٣٠ تنسب إلى المأمون وهي في الأغاني لأبي العبر جـ ٢٠، وفي ديوان الصبابة الأبيات ١، ٣، ٤، وفي سمط اللآلي ٦٩١ منسوبة لطالب بن المأمون، وفي حماسة الظرفاء ٢: ١٢٤ البيتان الأول والثالث.

مـا الحـبّ إلاّ قُبَلٌ، وغَمـزُ كـفٍ، وعَضُدْ
أو كُتُـبٌ فِيهـا رُقًى، أنفـذُ من نَفـث العُقَدْ
مـا الحُـبُّ إلاّ هكَذا، إن نُكِحَ الحـبُّ فَسَدْ
مـن لم يكُن ذا عِفّةٍ، فإنَّمـا يَبغـي الوَلَدْ

[٩٤] [من أخبار جميل وبثينة]

ومن ذلك قول بُثَينةَ لجَميل(١)، وقد قال لها: هل لك يا بُثينة أن نحقّق قولَ الناس فينا؟ فقالت له: مَهْ، دَعْ حبّنا مكانَه، إن الحبَّ إذا نُكِحَ فسَد.

ودخلَت بُثينة على عبد الملك بن مروان فقال لها: والله يا بُثينة ما أرى فيك شيئاً مِمّا كان يقولُ جميل. قالت: يا أمير المؤمنين، إنه كان يَرنُو إليَّ بعينين ليستَا في رأسِك. قال: وكيفَ صادَفتِهِ في عفَّتِه؟ قالـت: كمـا وصفَ نفسـه(٢) حيثُ يقول(٣): [من المنسرح]

لا والـذي تَسجُـدُ الجِبـاهُ له ما لي بِمَـا دونَ ثَوبِهـا خَبَرُ
ولا بفِيهـا، ولا هَمَمـتُ بِها ما كانَ إلا الحـديثُ، والنَّظَرُ

وقيل لأعرابي: هل زَنيتَ قطّ؟ قال: مَعاذَ الله إنما هما اثنتان إمّا حُرّة آنفُ لها من فسادها، وإما أمَة آنفُ لنفسي من فسادي إياها.

[احتضار جميل]

وروي عن ابن سهل بن سعد الساعدي(٤) قال: دخلت على جَميل بن مَعْمَر

---

[٩٤]

(١) جميل وبثينة: هو جميل بن عبد الله بن معمر. العذري الشاعر المشهور، صاحب بثينة، أحد متيمي العرب، أحبها وهو صغير، فلما كبر خطبها فرُدَّ عنها. ومنزلها وادي القرى قيل توفي ٨٢ هـ، وقيل أنه توفي بعد ١٠٠ هـ. (الوافي بالوفيات ١١: ١٨٢، الأعلام ٢: ١٣٨، أعلام النبلاء ٤: ٣٨٦).

(٢) المجبر في المستطرف ٢: ١٨٣.

(٣) البيتان في ديوانه ١٠٨.

(٤) [العباس] بن سهل الساعدي: (توفي ١٢٠ هـ): أحد ثقات التابعين. آذاه الحجاج وضربه لكونه من

العُذري، وهو عليل، وإني لأرى آثارَ الموت على وجهه، فقال: يا ابنَ سهل، أتقولُ إن رجلاً يلقى اللهَ لم يسفك دماً حراماً، ولم يشرب خمراً، ولم يأت بفاحشة، أترجو له الجنّة؟ قلت: أي والله، فمن هو؟ قال: إني لأرجو أن أكون أنا ذلك الرجل. قلت: بعدَ زيارتك بُثَينة وما تُحُدِّثَ به عنكما؟ فقال: والله إني لفي آخرِ يوم من أيام الدنيا، وأولِ يوم من أيام الآخرة، ولا نالتني شفاعة محمدٍ، ﷺ، إن كنت حدَّثتُ نفسي فيها بريبة قطّ. قال: فما انقضى يومُه حتى مات[٥].

[٩٥] [عفة عمر بن أبي ربيعة]

وقال الأصمعي: كان عمر بن أبي ربيعة وابن أبي عتيق[١] جالسين بفناء الكعبة، فمرت بهما امرأة من ربيعة، وقيل من آل أبي سفيان، فدعا عمر بكَتِف[٢]، فكتب فيها[٣]: [من الطويل]

أَلِمَّا بذاتِ الخالِ، فاستطلعا لنا على العهد باقٍ ودها أم تصرَّما
وقُولا لها: إن النَّوى أجنبيةٌ بنا وبكم، قد خِفتُ أن تتيمَّما

فقالَ له ابن أبي عتيق: ما تريد إلى امرأة مُسلمة مُحرمة تكتب إليها بمثل هذا؟ فقال: أترى ما سيَّرتُ في الناس من الشِّعر، وربِّ هذه البَنِيَّة ما قَبلَ منها وما دَبر، ما فككتُ امرأةً قطما لم تقله، ولا طالعت فرجَ حَرامٍ قطّ.

= أصحاب عبد الله بن الزبير، فشفع فيه أبوه، فأطلقه الحجاج (الإصابة ٣٣٣، أعلام النبلاء ٥: ٢٦١، مشاهير علماء الأمصار ٦٦، وفيه يذكر وفاته ٧٥ هـ، وهو ما لا يصح وضبط الإسم من المصادر).

(٥) الخبر في الوافي ١١: ١٨٤ عن عباس بن سهل الساعدي وهو في زهر الآداب ٢٩٦.

[٩٥]

(١) ابن أبي عتيق: عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق. من أجل أهل زمانه، ومن أهل الفضل والعفاف والصلاح. روى عن عائشة أم المؤمنين، وابن عمر. وروى له البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجة. كان مولعاً بالشعر والغناء الحسن. أخباره منثورة في الأغاني وزهر الآداب. توفي في حدود ١١٠ هـ. (الوافي ١٧: ٤٢٥).

(٢) الكتف: اللوح.

(٣) البيتان في ديوانه ١٨٣.

وقيلَ لكثيِّر عَزَّةَ: هل نِلتَ من عَزّة شيئاً طولَ مُدتك؟ فقال: لا والله، إلا أنَّه ربَّما كان يشتدّ بي الأمر، فآخذ يدها، فأضعُها على جبيني فأجد لذلك راحة.

[٩٦] وقال أعرابي، وخلا بامرأة كان يتعشقها: ما زال القمر يُرينيها، فلما غاب أرتنيه، قيل: فما كان بينكما؟ قال: أقصى ما أحلَّ الله وأدنى ما حرَّم الله عز وجل، إشارة في غير باس، ودنُوّ في غير مَساس، وأنشأ يقول[١]: [من الكامل]

ولــربَّ لَذَّةِ ليلــةٍ قد نِلتُها، وحَرامُهــا بحلالِهــا مدفوعُ

قال أعرابي مِن فَزارة[٢]: عشقت جارية من الحي، فحادثتها سِنين كثيرة، والله ما حدَّثتْ نفسي بريبة قطّ، سوى أن خَلَوت بها، فرأيت بياضَ كفِّها في سواد الليل، فوضعتُ كفي على كفِّها، فقالت: مَهْ! لا تُفسد ما صَلحَ. فارفضَّ جَبيني عرَقاً، ولم أعُد.

[٩٧] [معنى الظرف]

واعلم أن الظَّرف ليس بمستغنى عنه، ولا هو مما يُخَلّ منـه، ولا يُعنَّف فيه صاحبه، ولا يُفنَّد عليه طالبه. بَل هو أنبل ما استعمله العلماء وصبا إليه الأدباء وتزينوا به عند أوِدّائهم، وتحلَّوا به عند أخلائهم. وربما تكلَّفه قوم ليس من أهله فَظَرُف، وعاناه فلَطُف، وأنه من المطبوعين أحسنُ منه من المتكلِّفين. وللمتكلِّف علاماتٌ تظهر في حركاته وتَبِين في لَحَظاته، لا يسترها بتصنّعه، ولا تتغيَّب بتستُّره. وإن المطبوعَ على الظَّرف لَيَشْهدُ له القَلب، عند معاينتِه، بحَلاوته، وتسكنُ النفسُ عند لِقائه إلى مجالسته، وتَصبو إلى محادثته، وترتاح إلى مُشاهدته، وهو بَيِّنٌ في شمائِله، ظاهرٌ في خلائِقِهِ، بيِّنٌ في مَنطِقه، غيرُ مستترٍ عند صَمتِه. دلائلُه واضحةٌ

---

[٩٦]

(١) البيت في بهجة المجالس ١: ٦٤٨ لابن هرمة. وهو في ديوان الصبابة ١٧٩.

(٢) فزارة: بطن من ذبيان من غطفان من القحطانية (النويري، أنساب العرب ٣٥٩).

في مشيته وزيّه ولفظه، يُستدلُّ عليه بظاهر حركة المَلاحة دونَ اختبار باطن الحَلاوة. ألا ترى أن من زِيِّهم التَّقزّز، والنَّظافة، والمَلاحة واللُّطافة، وإظهارَ البِزَّة، وطيبَ الرائحة؟ فالنفوسُ إليهم تائقة، والقلوب وامقة، والعيون رامقة، والأرواح عاشقة.

وإنَّ من زِيِّهم الوقارَ، والخشوعَ، والسكونَ، والتصنُّعَ بالأخلاق المرضيّة، والشِّيَم السَّنية، والمذاهب الفاضلة، والهِمَم الجليلة. ومما تستدلّ به على كمال أدبهم، ويُعرف به رُجْحانُ عقلهم، كثرةُ استعمالهم الهوى، وطولُ مُعاناتهم الجوى، وهو من أحسن مذاهبهم، وأجلُّ مناقبهم. ولسنا نقولُ إن الهوى ليس بفَرض على ذوي العقل، كما قال ذو التقصير والجهل، بل هو من أوكد الفَرض عليهم، وأثبتِ الحجةِ للمتفرّس الناظرِ إليهم على حُسن تركيبِ الطِّباع والغرائز، وصفاء جَواهر الهِمم والنَّحائز[1]، إذْ هو عندَ ذوي العلوم والأحكام من أجمل مذاهب الأدباء والكرام.

وقال محمود الورّاق في ذلك، إذ كان الحب عنده كذلك: [من الوافر]

ألـم تعلَـمْ، فِداكَ أبـي وأمّي، بأنَّ الحُـبَّ من شِيَم الكِرامِ

وليس يخلو أديب من هوىً، ولا يَعرَى من ضنَى. لأنَّ الهَوى كما وصفَته العلَماء، وكما قال فيه الحكماء: إنه هو أوَّل باب تُفْتَقُ بهِ الأذهان، ويَنفسِح به الجَنان، وله سَوْرة في القلب يحيا بها اللُّب. وقد يُشجِّعُ الجَبانَ، ويُسخّي البخيلَ، ويُطلِقُ لِسانَ العيي، ويقوّي حَزم العاجز، ليأنسَ به الجليس، ويمتنع به الأنيس، ويذلُّ له العزيز، ويخضَع له المتجبِّر، ويَبرزُ له كلّ مُحتجِب، ويَنقاد له كل مُمتنِع. وهو أمير مُطاع، وقائد متَّبع. وليس بأديبٍ عندهم مَن خرج من حدّ

[٩٧]

(١) النحائز: النحيزة، الطبيعة.

الهَوى. وقد قال الأحوصُ بن محمد[٢] الأنصاري[٣]: [من الطويل]

إذا أنتَ لم تَعشقْ ولم تدرِ ما الهَوى، فكُن حجراً من يابس الصَّخر جَلْمَدا
هل العيشُ ألاَّ ما تَلَذُّ وتَشتهي وإن لامَ فيه ذُو الشَّنانِ، وفَنَّدا

[٩٨] [مجنون ليلى]

واجتاز رجلٌ بمجنون بني عامر[١]، وهو يخوضُ سُورَ الحَوض[٢]، فقال له: ما بك يا فتى؟ ولم يعرِفه، فأنشأ يقول[٣]: [من الطويل]

بيَ اليأسُ، أو داءُ الهُيامِ أصابني، فإيّاكَ عنِّي لا يكُنْ بكَ ما بيا

قال أبو الطيب: الهُيام داءٌ يأخذ الإبل، وتشرب الماء ولا تَروى. ويقال للإبل التي يُصيبها ذلك الهِيم. قال الله جلّ ثناؤه: ﴿فَشاربون شُربَ الهِيمِ﴾[٤]. فعرفه، فقال: أعاشق أنت؟ قال: نعم، وأنشأ يقول[٥]: [من الكامل]

إذا أنت لم تعشَقْ فتُصبِحَ هائماً، ولم تكُ مَعشوقاً، فأنتَ حِمارُ

وقال[٦]: [من الكامل]

---

(٢) الأحوص بن محمد الأنصاري: (توفي ١٠٥ هـ): عبد الله بن محمد بن عبد الله. من سكان المدينة. وفد على الوليد بن عبد الملك فأكرمه، ثم نفاه إلى دهلك وقيل نفاه عمر بن عبد العزيز، وكان بنو أمية ينفون إليها من يغضبون عليه (الأعلام ٤: ١١٦، سير أعلام النبلاء ٤: ٥٩٣، فوات الوفيات ١٧: ٤٣٦).

(٣) البيتان في: شعر الأحوص الأنصاري ٩٩. وفي الأمالي البصرية ١: ١٢٧ وتخريجهما فيهما.

[٩٨]

(١) مجنون بني عامر: قيس بن معاذ أو قيس بن الملوح من بني جعدة، ويقال من بني عقيل. من أشعر الناس، على أنهم نحلوه شعراً كثيراً (الشعر والشعراء ١٣٥ عالم الكتب، سير أعلام النبلاء ٤: ٥، فوات ٣: ٢٠٨).

(٢) الحوض: التحويط والبركة، ولعله هنا حوض زمزم.

(٣) في ديوانه ٩٩ باختلاف في صدر البيت. وهو في الأغاني ٢: ٧٤ (الهيئة العامة) و٢: ٩ (بولاق) للمجنون وفي الجزء ٢٤ (الهيئة) لعروة بن حزام.

(٤) سورة الواقعة، آية ٥٥.

(٥) البيت في روضة المحبين ١٧٨ دون نسبة وفيه اختلاف.

(٦) البيت في ديوان جميل ٧١، وهو في ذم الهوى ٣٣٤ وفي مصارع العشاق ١: ٥٣ دون نسبة، وكذلك في نهاية الأرب ٢: ١٥٤. وفي محاضرة الأبرار ٢: ٤٢٣ لجميل، وفي ديوان ابن الأحنف ١٣٩.

الحُبَّ أوّلُ ما يكون لجاجةً، تأتي به وتسوقُه الأقدارُ

[٩٩] ورُوينا عن الهزنادي(١) عن هِشام(٢) عن ابن سيرين قال: كانوا لا يرون بالعِشقِ بأساً في غير رِيبة.

وقيلَ لبعض البصريين: إن ابنَك قد عَشِقَ، فقال: وما بأسٌ به، إنه إذا عَشِقَ نَظُفَ وظَرُفَ ولَطُفَ.

وقيل لبعض العَرب: متى يكون الفتى بليغاً؟ قال: إذا وصَفَ هوىً حيًّا.

وأنشدني بعض الأدباء(٣): [من الطويل]

وما الناس إلا العاشقون ذَوو الهَوى، وما خَير فيمَن لا يُحِبُّ ويَعشَقُ

وقال آخر(٤): [من الطويل]

وما تَلِفَت إلاّ مِنَ العِشق مُهجتي، وهل طَلَبَ عَيشٌ لامرىءٍ غيرِ عاشقِ

وقال آخر: (٥): [من الطويل]

وما خَير في الدُّنيا، إذا أنتَ لم تَزُر حبيباً، ولم يَطرَب أليك حَبيبُ

وقال آخر(٦): [من الطويل]

وما سرَّني أني خَليٌّ مِنَ الهَوى، ولا أن لي ما بينَ شَرقٍ إلى غَربِ

---

[٩٩]

(١) الهزنادي: لم نقع على ترجمة له. ولعله الهرندي نسبة إلى هرند من أعمال أصفهان (الكشكول ٣: ٣٦٧).

(٢) هشام بن حسان (توفي ١٤٧ هـ): أبو عبد الله الأزدي القُردوسي البصري. نزل في القراديس، وقيل هو من مواليهم. حدث عن الحسن البصري وابن سيرين. (أعلام النبلاء ٦: ٣٥٥، الأعلام ٨: ٨٥، مشاهير علماء الأمصار ١٥١).

(٣) في ديوان العباس بن الأحنف ٢٢٢، وينسب إليه في تزيين الأسواق ٢٢، وفي ديوان الصبابة ٢٥.

(٤) في روضة المحبين ١٧٧ دون نسبة.

(٥) البيت في فوات الوفيات ٣: ٢١٢ ينسب إلى مجنون ليلى، وهو أيضاً له في تزيين الأسواق ٢٢، وفي الأغاني ١٦: (الهيئة) ٢: ٣ (بولاق). وفي أمالي القالي ٢: ٤٠ لرجل من بني عبس. وهو في ديوان المجنون ٢٣ وفي الأمالي البصرية ٢: ١٩٤ لعبد الله بن الدمينة.

(٦) البيت في العقد الفريد ٥: ٣٢٤ منسوب إلى المجنون، وهو في ديوان الصبابة ٢٥، وروضة المحبين ١٧٧.

[١٠٠] [علامات الهوى]

واعلم أن أوَّل علاماتِ الهَوَى على ذي الأدب نحولُ الجِسم، وطولُ السَّقَم، واصفرارُ اللَّون، وقلَّةُ النَّوم، وخُشوعُ النَّظر، وإدمانُ الفِكرِ، وسُرعةُ الدُّموع، وإظهارُ الخُشوعِ، وكَثرةُ الأنينِ، وأعلانُ الحَنينِ، وانسكابُ العَبراتِ، وتتابُعُ الزَّفَرات. ولن يَخفَى المحبّ، وإن تَستَّر، ولا يَنكتمُ هَواه، وإن تصبَّر، ولن يَغبَى[1] ادِّعاء أنه قد قارن العِشق والهوى، لأن علامات الهَوى نائرة[2]، وآيات الادّعاء ظاهرة.

وقد قال الأحوصُ الأنصاري[3]: [من البسيط]

ما عالجَ النَّاسُ مِثلَ الحُبِّ من سَقَمٍ ... ولا بَرَى مثلَه عظماً، ولا جَسَدا

ما يَلبَثُ الحُبّ أن تَبدُو شَواهدُهُ ... من المُحبِّ وإن لم يُبدِهِ أبدا

وقال آخر: [من البسيط]

ما يَعرِفُ الحُزنَ إلاَّ كلُّ مَن عَشِقا ... وليسَ مَن قَالَ إنـي عاشقٌ صَدَقَا

للعاشِقين نحولٌ يُعرَفُون به، ... من طُولِ ما حالَفوا الأحزانَ والأرَقَا

وحُدِّثتُ عَن الزبير بن بكَّار[4] قال: رأيتُ رجلاً بناحية الثَّغر عليه أثرُ ذلَّة وخضوع، واستكانة وخشوع، كان يُكثِرُ التنفس، ويُخفي السُّكوتَ، ويُبدي الأنينَ، وحركاتُ المُحبِّ لا تَخفَى في شَمائِله، ولا يَستُرها بِتصاوُنِه. فسألته في بعض أيامه، وقد خَلوت به، عن حالِه، فكان جوابُه، وقد تحدَّرت الدموعُ من

---

[١٠٠]

(١) يغبى: يخفى.

(٢) نائرة: مضيئة.

(٣) شعر الأحوص ١٠٦.

(٤) الزبير بن بكار: (١٧٢ - ٢٥٦ هـ): قرشي أسدي. من أحفاد الزبير بن العوام. عالم بأنساب العرب وأخبارهم (الأعلام ٣: ٤٤، تاريخ بغداد ٨: ٤٦٧، الوافي ١٤: ١٨٧، سير أعلام النبلاء ١٢: ٣١١).

عينيه[٥]: [من مجزوء الرمل المرفل]

أنــا فـي أمــرَيْ رَشادٍ بينَ غزوٍ وجِهادِ
بدَنــي يَغــزُو عدوِّي، والهَــوى يَغــزُو فؤادي

[١٠١] [سكينة وابن أذينة]

وركِبَت سكينة ابنةُ الحُسين بن علي[١] ذات ليلة في جواريها، فمرت بعُروة بن أُذينة اللَّيْثي[٢]، وهو في فِناءِ قصر ابنِ عُيَينة، فقالت لجواريها: من الشيخ؟ فقالوا: عروةُ. فعدلت إليه فقالت: يا أبا عامر، أنت تَزعمُ أنك لم تَعشق قطُّ، وأنت تقول[٣]: [من البسيط]

قالَت وأبثَثْتُها وَجدي، فبُحتُ به: قد كُنتَ عِندي تُحِبُّ السَّترَ، فاستَتِرِ
ألَستَ تُبصِرُ مَن حولي؟ فقلتُ لها: غَطّى هَواكِ وما ألقَى على بصَري

كلُّ مَن تَرى حَولي من جواريَّ أحرارٌ إن كانَ خَرج هذا الكلامُ من قلبٍ سليم قطّ.

فهذان قد كتَما هواهُما فنمَّت شواهدُ نَجواهما، لأن من اغتمسَ في بَحر الهَوى نمَّت عليه شواهِدُ الضنَّى.

فأمَّا أهلُ الدَّعاوى الباطلة الذين ليست أجسامُهم بناحِلة، ولا ألوانهم بحائلة، ولا عقولُهم بذاهلة، فهم عند ذوي الفِراسةِ يكذِبون، وعند ذوي الظَّرف لصِحَّتِهم يُوبَّخون.

---

(٥) الخبر والبيتان في العقد الفريد ٥: ٤٠٨ وهما أيضاً في ديوان الصبابة ٢٨ برواية دعبل.

[١٠١]

(١) سكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب (توفيت ١١٧ هـ): سيدة نبيلة شاعرة. جالست أجلاء قريش، وساعدت الشعراء بأموالها. أخبارها كثيرة (الأعلام ٣: ١٠٦).

(٢) عروة بن أذينة الليثي: عروة بن يحيى (ولقبه أذينة بن مالك بن الحارث)، شاعر غزل مشهور، من أهل المدينة معدود في الفقهاء والمحدثين، أخباره مشهورة. (الأعلام ٤: ٢٢٧، فوات الوفيات ٢: ٤٥١، الشعر والشعراء ٤٨٣).

(٣) الخبر والبيتان في أمالي المرتضى ١: ٤١١ وفي أمالي القالي ٢: ١١٠، والشعر والشعراء ١٣٨ (ط. عالم الكتب) و ٤٨٣ (الثقافة) وفي مصارع العشاق ١: ٢٤٨.

[١٠٢] [جاريةٍ عاشقة]

وقد روي أنَّ العبَّاس بن الأحنف قال: بينا أنا بالطَّوافِ إذا بثلاثِ جوارٍ أترابٍ، فلما أبصرنني قُلن: هذا العباسُ؛ ودنت إليَّ إحداهن، فقالت: يا عبَّاسُ! أنتَ القائل[١]: [من الكامل]

ماذا لقيتُ من الهَوى وعَذابِهِ، طَلَعَتْ عَلَيَّ بليَّةٌ من بابِهِ

قلت: نعم! قالت: كذَبتَ، يا ابن الفاعلة، لو كُنت كذاك كنت كأنا، ثم كشفت عن أشاجع[٢] مُعرَّاة من اللَّحم، وأنشأت تقول[٣]: [من الطويل]

ولمَّا شكوتُ الحبَّ قالت: كذَبْتني، فما لي أرى الأعضاءَ منكَ كَواسيا
فلا حُبَّ حتَّى يَلصَقَ الجِلدُ بالحَشا، وتَخرسَ حتَّى لا تُجيبَ المُناديا

[١٠٣] [إبراهيم بن المهدي]

ودخلَ إبراهيمُ بن المهدي على أمير المؤمنين [المأمون][١]، وكان إبراهيم أثجلَ البطن، كثيرَ اللَّحم والشحم، فقال له المأمون: بالله يا عمّ، عَشِقتَ قطّ؟ قال: نعم، يا أمير المؤمنين، وأنا الساعةَ عاشقٌ. قال: وأنت على هذه الجثة والشحم الكثير! ثم أنشأ المأمون يقول[٢]: [من السريع]

وجهُ الذي يَعشَقُ مَعروفُ، لأنَّه أصفرُ مَنحوفُ
ليسَ كمَن أمسَى له جُثَّةٌ، كأنه للذَّبحِ مَعلوفُ

---

[١٠٢]

(١) القصة والبيت في أخبار النساء، . لابن قيم الجوزية ٦٠.والاضافة اقتضاها السياق.

(٢) اشاجع: أصول الأصابع التي تتصل بعصب ظاهر الكف. والأشاجع: العروق.

(٣) البيتان في المستطرف ٢: ٢٠٣ منسوبان للمجنون، وهما في تزيين الأسواق ٤٧ للسري السقطي، وفي روضة التعريف ٦٦٦ وفي الزهرة ٤٦ لأم حمادة الهمدانية وفي مصارع العشاق ١: ١٠٩ ـ ١١٠ للسري وفي أخبار النساء ٦١.

[١٠٣]

(١) القصة في أخبار النساء ٦١ ولعل ابن القيم نقلها عن الوشاء وتصرف بها.

(٢) البيتان أوردهما طيفور في: بغداد في تاريخ الخلافة العباسية ١٠٠ للمأمون. وهما له في أخبار النساء ٦١ بقلب شطري الأول.

فأجابه إبراهيم بن المهدي[٣]: [من المنسرح]

وقائلٍ لستَ بالمُحبِّ، ولو كُنتَ مُحبًّا لذُبتَ مُذْ زَمَنُ
فقلْتُ قَلبي مكاتمٌ بَدَني حُبِّيَ، فالحُبُّ فيه مُختَزَنُ
أحَبَّ قلبي وما دَرى بَدَني، ولو دَرى لم يُقِم به السِّمَنُ

هذان أيضاً ادَّعيا المحبةَ، ففضحهما شاهدُ النظر، ولم يَجز ادعاؤهما على ذي المعرفة والبصر، وقول إبراهيم: أحَبَّ قلبي وما درَى بدني مُحالٌ، لا يَعلقُ القلبُ، فيسلمَ الجِسم، ولكنَّه لاستحيائِه قد احتجَّ بحجةٍ ضعيفة.

[١٠٤] وأنشدني بعض المشيخة في مثلِ ذلك[١]: [من الطويل]

وقائلةٍ ما بالُ جِسمِك سالماً، وعَهدي بأجسام المُحبِّين تَسقَمُ
فقلتُ لها: قلبي لجسمِيَ لم يَبُح بحُبِّي، فجِسمي بالهَوى ليسَ يَعلَمُ

فالعرب تَمدَحُ بالضُّمر وتَذُمُّ بالسِّمن وتَنسُبُ أهلَ النحولِ ألى الأدَب والمعرفة، وأهلَ السمن إلى الفَدامة[٢] وقِلَّة الفَهم. وللفَلاسفة والأطباء في ذلك قولٌ يُثبت ما ادَّعت العرب.

وزعموا أن من غَلب عليه البَلْغَمُ عظُم جِسمُه[٣]، وكثُر شحمُه ولحمُه، وقلَّ فهمُه، وطال سُباتُه، وانعقد لسانُه لغَلبة البلغمِ على قلبِهِ، واحتواء الرُّطوبة على لُبِّهِ. ومن كان أغلبَ مِزاجاته المِرّة خفَّ جسمه، وقلَّ لحمه وذابَ شحمه وحَسُن ذِهنُه وصحَّ فهمُه، لأن النحول علامةُ المتفرسِّين، ودلالة المتوسِّمين، لا يكاد ان

---

(٣) الأبيات في ديوان مسلم بن الوليد ١٧٦ وقد وردت في الأصل بشكل مختلف ففي قافية البيت الأول: من زمنِ وفي عجز البيت الأخير ما أقام في السِّمن والأول والثالث في أخبار النساء ٦١.

[١٠٤]

(١) البيتان في ديوان الصبابة ١٠٣ دون نسبة، وهما أيضاً في أخبار النساء ٦٢، وينقلها ابن القيم عن الوشاء مع التعليق.

(٢) الفدامة: الحمق، أو العي.

(٣) في أخبار النساء ٦٢ وهي من نقول ابن القيم عن أبي الطيّب الوشاء.

تخطىء فيه الفِراسة، ولا تكذِب فيه العيافة، لما أخبرتُك مِن غلبَة أحد المِزاجين على صاحبه، وابتناء قَرارِه في مُركّبه، وربما أنجبَ السِّمنُ وخـاب الهُـزالُ، ولا يكون ذلك إلا في الفرد الشاذِّ من الرجال.

ومن أمثال العرب في ذلك: البِطْنَةُ تُذهبُ الفِطنة[٤].

وروي أن جميلَ بنَ مَعْمَر العُذري صَحبه رجل من عُذرةَ وكان بطيناً أكولاً، فجعل يشكو إليه هوَى ابنةِ عمٍّ له، فأنشأ جميل يقول[٥]: [من الطويل]

وقـد رابنــي مِن جَعفــرٍ أنَّ جعفراً ... مُلِحٌ على قُرصٍ، ويَشكو هَوى جُملِ

فلو كنـتَ عُذريَّ الهـوى لم تكن كذَا ... بطينـاً، وأنسـاك الهَـوى كَثـرةَ الأكلِ

[١٠٥] ومن عَشِقَ عندَهم، فلم ينحَل جسمُه، ولـم يطُل سُقْمـه، ويتبيّن الخشوعُ في حركته، والذّلّ في نَغمته، نسبوه إلى فَساد الطبع، ونقصان اللـبّ، وبُعد الفَهم، وموتِ القلب. ومن ادَّعى المحبةَ، فلم يَنحَل، ولـم يَسهَـر، ولـم يخشَع، ولم يذِلّ، ولم يخضَع، ولم يَحمِل نفسَه على الأمورِ المُتعبةِ والشدائـد الفظيعة، ويركَب فيها المراكبَ الوَعرة، ويتقدّم على الأشياء المَهُولـة والأهـوالِ المَخُوفة التي يلاقي فيها الموتَ، ويعاين فيها الفَوْتَ، ويباشر فيها الهلَكَة، ويُغرِّر فيها بالمُهجة، ويَصبر منها على حَتفِهِ، ويُخاطر بنفسِه، ويَرِدالمواردالتي يلاقي فيها الموتَ ويشرف منها على مَهول الأمر الذي فيه تلفُهُ وحَينُه، وحتى يَعصي في هواه الأقارب، ويعالج فيه العَجائب، فيكون كما قال العَرْجيّ[١]: [من الكامل]

كم قد عَصَيتُ إليك من مُتنصِّحٍ، ... دَانــي القَرابــةِ، أو وعيدِ أعادي

---

(٤) المثل في فصل المقال ٤٠٩ وفي لسان العرب ١٣ : ١٩ (أفن)، وفي أخبار النساء ٦٢.

(٥) ديوان جميل ١٢٧.

[١٠٥]

(١) العرجي: عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان (توفي ١٢٠ هـ): شاعر غزل مطبوع. كان من الأدباء والظرفاء ومن الفرسان المعدودين لقب بالعرجي لاقامته في قرية العرج بالطائف (الأغاني ١ : ٣٩٦، الأعلام ٤ : ١٠٩، الشعر والشعراء ٤٨١، معاهد التنصيص ٣ : ١٧٢).

وتنوفةٍ أرمي بنفسي عُرْضها شوقاً إليك، بلا هِدايةِ هادي

وكما قال سُويد بن أبي كاهل[2]: [من الرمل]

كم جَشِمنا دونَ سلمى مَهْمهاً، نازِحَ الغَورِ، إذا الآلُ لمَع[3]
وكذاك الشوق ما أشجَعَه، يَركَبُ الهولَ، ويَعصي مَن وزَعْ

فليس بعاشق عندَهم، ولا يثبُت له إسمُ الهوى، ولا يلحقُ بالظُّرفاء، ولا يعدّ في الأدباء، لأن الهوى عندَهم في النحول، والذُّهول، والضَّنى، والعَناء، والأرَق، والقلق، والسهَر، والفِكَر، والذلّ والخُضوع والإنكسارِ والخُشوع وإدمانِ البكاء وقلة العزاء، وكثرة الأنين وطول الحَنين. وليس بعاشقٍ من خَرج عن هَذِه الصفات، وانتقل من هذه الحالات، أو وُسِم بغير هذه العلامات، وعُرِف بغير هذه الدلالات.

[١٠٦ أنشدني بعضُ الأدباء[1]: [من الطويل]

علامةُ مَن كان الهوى في فؤادِه، إذا ما لقي أحبابَه يَتحيرا
ويَصفرّ لونُ الوَجهِ بعدَ احمرارِه، فإن حرّكوه للكَلامِ تَشوّرا

أنشدني أبو الحسن بن الرومي[2]: [من الوافر]

---

(٢) سويد بن أبي كاهل (توفي بعد ٦٠): غطيف أو شبيب بن حارثة بن جبل الذبياني الكناني اليشكري من مخضرمي الجاهلية والإسلام. عدّه ابن سلام في طبقة عنترة. (الأعلام ٣: ١٤٦، المفضليات رقم ٤٠).

(٣) البيتان في المفضلية ٤٠ الأول صفحة ٣٨٧ والثاني ٣٨٤، وفي البيت الأول ترد: قطعنا بدلاً من جشمنا. وفي البيت الثاني ترد: الحب بدلاً من الشوق.

والمهمهة: المفازة البعيدة والبلد القفر.

[١٠٦]

(١) البيتان في ذم الهوى ٣٤٤ دون نسبة وفيهما اختلاف عجز البيت الأول: إذا ما رأى الأحباب أن يتحيرا. وفي عجز البيت الثاني ترد: تثورا بدلاً من تشورا.

(٢) أبو الحسن بن الرومي (٢٢١ ـ ٢٨٣ هـ): علي بن العباس بن جريج أو جورجيس. شاعر كبير، رومي الأصل. كان جده من موالي بني العباس. مات مسموماً، واتهم القاسم بن عبيد الله وزير المعتضد بدس السم له. (الأعلام ٤: ٢٩٧).

أرَى ماءً، وبي عَطَشٌ شديدٌ، ولكنْ لا سبيلَ إلى الوُرودِ[٣]
أما يكفيكِ أنَّكِ تَملِكيني، وأنَّ الخَلْقَ كلَّهم عَبيدي
وأنَّكِ لو قَطَعْتِ يَدِي ورجلي، لقُلتُ، من الهوى: أحسَنتِ، زيدي

[١٠٧] وحدَّثنا عن ابن مُخارق[١] عن أبيه قال: كنا عند المأمون يوماً فقام فدَخل الى حُرَمه، وخرج وعيناه تَذرِفان، فقال لي: يا مخارقُ تغنَّ لي بهذين البَيتين:[٢] [من الطويل]

سلامٌ على مَن لم يُطِقْ عندَ بينه سلاماً، فأومَى بالبَنانِ المُخَضَّبِ
فما استطعتُ إلاَّ بالبُكاء جَوابَه، وذلك جُهدُ المُستهامِ المُعذَّبِ

فحفِظتُهما، وتغنَّيت بهما، فجعل يبكي، وينتحب في بكائه، ويَزفِر، ثم قال لنا: أتدرونَ ما قصتي؟ قلت: أمير المؤمنين أعلم، وإن شاء أعلمنا. قال: إني دخلتُ ألى بعض المقاصير، فرأيت جارية لي كنت أجِدُ بها وجداً شديداً، وهي للمَوت، فسلَّمت عليها، فلم تُطِق ردَّ السلام، فأشارَت بإصبِعها، فغلبتني العَبرة وأرهَقتني الزَّفرة، فخرجتُ من عندِها، فحضرَني هذان البيتان من باب قَصرِها إلى باب مَجلِسي، ثم أمر برَفعِ الشرابِ، فما رأيتُ يوماً أكدرَ منه.

[١٠٨] وأنشدتُ للمعتصم[١] في بعضِ جواريه[٢]: [من الطويل]

---

(٣) الأبيات في ديوانه ٢: ٨٠٤ ونقلها عن الوشاء. والأول في التمثيل والمحاضرة ٢٥٧ دون نسبة. وهي جميعها في أخبار القضاة ٣: ٢٦١ دون نسبة. كذلك هي في روضة المحبين ٥٥٨. وتنسب للخليفة المهدي في الوافي ١٣: ٣٠١، وتنسب له أيضاً في حماسة الظرفاء ٢: ١٠٥ - ٦.

[١٠٧]

(١) مخارق (توفي ٢٣١ هـ): أبو المهنأ بن يحيى الجزار، مغن مشهور، كان الرشيد يعجب به، واتصل بعد ذلك بالمأمون وخلفائه. (الأعلام ٧: ١٩١، الأغاني ٣: ٩٧ دار الكتب، نهاية الأرب ٤: ٣١٢).

(٢) القصة والبيتان في الأغاني ١٨: ٣٧٢ الهيئة، وابن مخارق هارون.

[١٠٨]

(١) المعتصم بالله، محمد بن هارون الرشيد (١٨٠ - ٢٢٧ هـ): اشتهر بغزواته، وأشهرها فتح عمورية، جعل اهتمامه في الجيش، وابتعاده عن العلم. (فوات الوفيات ٤: ٤٨، تاريخ بغداد ٣: ١٩٧، سير =

أيا مُنقِذَ الغَرقَى أجِرني مِن التي ... بِها نَهِلَت روحي سَقاماً، وعَلَّتِ
لقَد بخلَت، حتى لَوَ آنِي سألتُها ... قَذَى العَينِ من سافِي التُرابِ لضَنَّتِ

وأُنشِدتُ للمتوكل[3] في جارية له[4]: [من الوافر]

أُمازِحُها فتَغضَبُ ثم تَرضَى، ... وكلُّ فَعالِها حَسَنٌ جميلُ
فإنْ تَغضَبْ فأحسنُ ذاتِ دَلٍّ؛ ... وإنْ تَرضَى، فليس لها عَديلُ

[١٠٩] حدثني أبو العباس بنُ الفضل الرَّبَعي[1] قال: حدثني عليُّ بنُ الجَهم[2] قال: حُمَّ المُتوكِّل يوماً وكان ذلك بِعقَبِ شرٍّ وقع بينه وبينَ قَبيحة[3] فرماها بمخدَّة، فغضبت، واحتجبَت، فحُمَّ بعقِبِ ذلك، ودخلنا عليه وإذا الفتح[4]

أعلام النبلاء ١٠: ٢٩٠، الوافي ٥: ١٣٩، والمصادر التاريخية).

(٢) البيتان في أمالي القالي ١: ٢٣، وفي مصارع العشاق ١: ٢٥٦، وفيهما اختلاف يسير. وهما في معجم الأدباء ٢: ٢١٦ لبعض الأعراب.

(٣) المتوكل، جعفر بن محمد المعتصم بالله (قتل ٢٤٧ هـ): ولد سنة ٢٠٥ هـ. وبويع له بالخلافة ٢٣٢ هـ. اختاره قادة الجند للخلافة، ولكنهم فوجئوا بمحاولته استرداد نفوذ الخلافة، أبطل المحنة ودعا إلى السنة (الأعلام ٢: ١٢٧، فوات ٢: ١٢٩، أعلام النبلاء ١٢: ٣٠، الوافي ٢: ٢٩٠).

(٤) البيتان في المستطرف ٢: ١٧٩ دون نسبة.

[١٠٩]

(١) أبو العباس بن الفضل الربعي: كذا، وأحسب أنه العباس بن الفضل الربعي. يروي عن علي بن الجهم في معجم الأدباء ٥: ١١٣، ويروي عنه أبو الطيب الوشاء في باب فيمن تعفف في محبته، وذلك في حديثه عن المدلة البكرية.

(٢) علي بن الجهم (توفي ٢٤٩ هـ): من بني سامة. عاصر أبا تمام وخص بالمتوكل، مات بعد أن أصيب وهو في طريقه إلى الغزو (الأعلام ٤: ٢٦٩، الأغاني (دار الكتب) ١٠: ٢٠٣، معجم الشعراء ٢٨٦، تاريخ بغداد ١١: ٣٦٧).

(٣) قبيحة (توفيت ٢٦٤ هـ): أم ولد المتوكل وأم الخليفة المعتز وأخيه إسماعيل. وقيل أنها سميت قبيحة، كما يسمى العبد الأسود بكافور. كان لها نفوذهم في السياسة والأدب (مصطفى جواد، سيدات البلاط العباسي ٧٣).

(٤) الفتح بن خاقان، (توفي ٢٤٧ هـ): أديب شاعر، تركي الأصل من أبناء الملوك. اتخذه المتوكل أخاً له، واستوزره حتى استولى على أمور الخلافة. قتل مع المتوكل. (الأعلام ٥: ١٣٣، أعلام النبلاء ١٢: ٨٢، تاريخ بغداد ١٢: ٣٨٩، فوات الوفيات ٣: ١٧٧؛ شذرات الذهب ٢: ١١٤).

قائم، في يدِهِ قارورة فيها الماء، ويَحيى بنُ ماسَوَيه[٥] ينظر أليها، فقال: ليسَ أرى إلا ما أُحِبُّ، فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين أُنْشِدُكَ أبياتاً؟ فقال لي: أنشِد. فأنشَدتُه[٦]: [من الوافر]

تَنكَّرَ حالَ عِلَّتيَ الطبيبُ، فقالَ: أرى بِجسمِكَ ما يُريبُ
جسَستُ العِرقَ مِنك، فدلَّ عندي على داء له شأنٌ عَجيبُ
فما هذا الذي بك؟ هاتِ قُلْ لي، فكانَ جَوابَه مِنّي النَّحيبُ
فجسمي بالحَبيبِ بُلي سَقاماً، وقلبي، يا طبيبُ، هو الكئيبُ
فَحرَّكَ رأسَه، ودَنا إليَّ، وقالَ: الحبُّ ليسَ له طَبيبُ
فأعجبني تَظَرُّفُه عليَّ، فقلتُ: بَلى، إذا رَضِيَ الحبيبُ
فقال: هو الشِّفاء، فلا تَوانَ، فقلتُ: أجل، ولكن لا تُجيبُ
ألا هل مُسعِدٌ يَبكي لشَجوي، فإني ها هنا أبداً غَريبُ

فضَحِكَ ودَعا بالشَّراب، وشَرِبَ وشَرِبنا معَه، ووجَّهَ إلى قَبيحةَ، فوقعَ الصلحُ بينهما وخرَجَت [من] عندها رقعةٌ بخطِّ فضل الشاعرة[٧]: [من البسيط]

لأصبِرنَّ على ما بي من المَضَضِ، حتى أموتَ، ولا يَشعُرْ بيَ النّاسُ
ولا يقال شكَا من كانَ يَعشَقُه، إنَّ الشَّكاةَ لِمَنْ يهوَى هو اليأسُ
ولا أبوحُ بسِرٍّ كنتُ أكتُمُه، عندَ الجَليسِ، إذا ما دارتِ الكاسُ[٨]

(٥) يحيى بن ماسويه: أو يوحنا. كان نصرانياً سريانياً ولاه الرشيد ترجمة الكتب الطبية القديمة وجعله أميناً على الترجمة. خدم أيضاً الخلفاء إلى أيام المتوكل الذي توفي في عهده. (القفطي، أخبار الحكماء ٣٨٠).

(٦) الأبيات في ديوان علي بن الجهم ١٠٦ ـ ٧، وهي في الأغاني (دار الكتب) ١٠: ٢١٥. والقصة في الأغاني.

(٧) فضل الشاعرة: جارية المتوكل. من مولدات اليمامة، ثم نقلت إلى العراق. ثقفت بالعربية والآداب الإسلامية، ودربت على الإنشاد والإيقاع. في وفاتها اختلاف ما بين ٢٥٧ و ٢٦٠ هـ. (فوات الوفيات ٣: ١٨٥، ابن الساعي: نساء الخلفاء ٩١، سيدات البلاط العباسي ٨٥).

(٨) الأبيات في الأغاني ١٠: ٢١٥.

[١١٠] [مشاهير العشاق]

وأما مَن عَشِق من الشعراء فما يحصرُهم عَدَدٌ، ولا يُحصيهم أحَد. وقد عَشِق أكثرُ العرب، بل كلهم قد عشِقَ، فمن المذكورين منهم المشتهرين بالصَّبْوةِ والغَزَل[١]: فقيس مجنُونُ بني عامر عشق ليلى، وقيسُ بنُ ذَرِيح عشِق لُبنى، وتَوبة بن الحُمَيِّر عشِق ليلى الأخيلية، وكُثَيِّر عَشق عزَّة، وجميلُ بنُ مَعْمَر عشق بُثَينَة، والمُؤَمَّل عشق الذَّلفاء، ومُرَقِّش عشِق أسماء، ومُرَقِّش الأصغر عَشِق فاطمةَ بنتَ المُنذرِ، وعُروة بنُ حِزام عشق عفراء، وعمرو بن عَجلانَ عشق هِندَ، وعليُّ بن أُدَيم عشق مَنهَلة، والمهذَّبُ عشق لذَّة، وذو الرمَّة عشق ميَّة، وقابوسُ عشِق مُنيةَ، والمُخبَّل السَّعدي عشق المَيلاء، وحاتم طيء عشق ماوية، ووضاحُ اليَمن عشق أمَّ البَنِين، والغَمر بن ضِرار عشق جُملَ، والنَّمرُ بن تَولَب عشق حَمزَةَ، وبَدرٌ عشق نُعْمَ، وشُبَيل عشق فالونَ، وبشر عشق هندَ، وعمرو عشق دَعدَ، وعمر بن أبي ربيعة عشق الثريا، والأحوص عشق سلامة، وأسعد بن عمرو عشق ليلى بنت صيفي، ونصيب عشق زينب، وسُحَيم عبدُ بني الحَسحاس عشق عُمَيرةَ، وعُبَيد الله بن قيس عشق كَثيرة، وأبو العتاهية عشق عُتبة، والعباس بن الأحنف عشق فوز، وأبو الشِّيص عشق أُمامة. فهؤلاء قليل من كثير ممن عشق، وإنما اقتصرنا على ذكر بعضهم دون بعض ليقلَّ به الخِطاب ويحسنَ به الكتاب، ولكل واحد منهم سَبَبٌ في حبه، وحديث في عِشقه يطول شرحه، ويكثر وصفه. ونحن مُفردون لأهلِ العِشق كتاباً نذكر فيه أخبار المُتَيَّمين، ومُلَح المُتعشِّقين، وأشعارَ المتغزِّلين مع جُملة من صِفات الهوى في (كتاب المقتفَى)، إن شاء الله تعالى.

وقد شُهِر أيضاً بالصَّبوةِ والغزَل جماعةٌ من شُعراء العَرب، منهم: أبو كبير[٢]

---

[١١٠]

(١) إن أكثر العشاق نجد أخبارهم في الأغاني وتزيين الأسواق وذم الهوى ومصارع العشاق. لذا فإنا لم نتطرق إلى التعريف بهم ونحيل القارىء إلى المصادر التي ذكرنا وإلى ما قمنا بالترجمة له في حواشي هذا الكتاب.

(٢) ورد في الأصل أبو كثير، وأبو كبير هو عامر بن الحليس.

الهُذَلي، وأبو صخر الهذلي، وأبو دَهبل الجُمَحي، ورَيسان العذري، والصِّمَّة بن عبدِ الله القُشيري، وابن أُذينَة وابن الدُّمَيْنَة وابن الطثرية وابن ميادة والحسين بنُ مطيرٍ إلى آخرين لا يُحصيهم العددُ، ولا يبلُغهم الأمدُ، وقد ضُرب في عروةَ بعشقه المثلُ، لأنَّه كان أطولَهم صَبوةً، وأكثرهُم في العِشق كَثرة.

أنشدني أحمد بن يحيى لأبي وَجزة السعدي[3]: [من الطويل]

وفي عروةَ العُذريِّ، إن مُتُّ، أسوةٌ، وعَمرو بن عجلانَ الذي فتَنَت هِندُ[4]

وبي مثلُ ما مَاتا به غيرَ أنني إلى أجَلٍ لم يأتني وقتُه بَعدُ

هل الحبّ إلاّ عَبرةٌ بعدَ زَفرةٍ، وحَرٌّ على الأحشاء ليسَ له بَرْدُ

وفيضُ دموعِ العَين بالليلِ كلَّما بَدا عَلَمٌ مِن أرضِكم لم يكن يَبدُو

وقال كُثَيِّر[5]: [من الطويل]

وأصبحتُ مما أحدَثَ الدَّهرُ خاشعاً، وكنتُ لرَيبِ الدهرِ لا أتخشَّعُ

وعُروةُ لم يلقَ الذي قد لَقيتُهُ بعفراء، والنَّهديُّ ما أتفجَّعُ

وقال جرير[6]: [من البسيط]

هل أنتِ شافيةٌ قلباً يَهيم بكُم، لم يَلقَ عُروةُ من عَفراء ما وجَدا

---

(3) أبو وجزة السعدي: يزيد بن عبيد فيما قال أصحاب الحديث، ويزيد بن أبي عبيد حسب بعض النسابين. شاعر محدث مقرىء من التابعين. أصله من بني سليم ونسب إلى بني سعد الذين عاش في كنفهم، توفي ١٣٠ هـ. (الأعلام ٨ : ١٨٥، الأغاني ١١ : ٤١ (بولاق) طبقات القراء٢ : ٣٨٨الشعر والشعراء (ط. الثقافة) ٥٩١، مشاهير علماء الأمصار رقم ٥٦٦).

(4) الأبيات في أمالي القالي ٢ : ٢١٩ منسوبة لقيس بن ذريح، وهي في تزيين الأسواق ٥٠؛ والأخيران في الأمالي البصرية ٢ : ١٧٦ منسوبان إلى جابر بن تغلب التغلبي.
وعروة العذري هو عروة بن حزام وترجمته في الأغاني (الهيئة العامة) ٢٣ : ١٤٥ والشعر والشعراء ٥١٩ (ط. الثقافة)، وعمرو بن عجلان النهدي صاحب هند. كذا يرد. وفي المصادر عبد الله بن عجلان صاحب هند، ترجمته في الشعر والشعراء ٦٠٤، الأغاني ١٩ : ١٠٢ (دار الكتب) تزيين الأسواق ١٤٠ مصارع العشاق ٢ : ٢٧).

(5) البيتان في ديوانه ٤٠٥.

(6) ديوان جرير ١٢٥.

وقال أيضاً[7]: [من الكامل]

بالعَنبـرِيَّةِ والنَّحيتِ أوانسٌ ... قُدنَ الهَوى بتخلُّبٍ وعِذامِ[8]
هلاَّ نَهَينَـك أنْ قتلنَ مُرقَّشاً ... أم ما صنعـن بعُروةَ بـن حِزامِ؟[9]

وقال الأحوصُ الأنصاري[10]: [من البسيط]

لا شكَّ أنَّ الـذي بي سوفَ يَقتُلني، ... إن كانَ أهلَكَ حبٌّ قبلَـه أحدا
أحببتُهـا، فوَتِغـتُ النـاسَ كلَّهُم، ... يا ربُّ لا تَشفِنـي من حبِّهـا أبدا
لو قاسَ عُروةُ والنَّهـديُّ وجدَهمَا، ... لكانَ وَجـدي بسُعـدَى فوقَ ما وجَدا

وقال أيضاً[11]: [من الطويل]

إذا جئتُ قالـوا قد أتَـى، وتهامَسوا، ... كأنْ لم يَجِدْ فِيما مضَـى أحـدٌ وَجدي
فعُـروةُ سَنَّ الحـبَّ قبلـيَ، إذ شَقي ... بعَفْـراء، والنَّهـديُّ ماتَ علـى هِندِ

[111] وقال جميل بن مَعْمَر[1]: [من الطويل]

ومـا وجَـدَت وَجـدي بهـا أمٌّ واحدٍ، ... ولا وَجـدَ النَّهـديُّ وَجـدي علـى هِندِ
ولا وجَـدَ العُـذريُّ عُروةُ، إذ قضَى ... كوَجدي ولا مَن كانَ قَبلي، ولا بَعدي

(7) البيت الأول فقط في ديوانه ٤٢٦.
(8) العنبرية، كأنها منسوبة إلى العنبر، موضع بالشباك من البصرة (البكري، معجم ما استعجم ٢: ٩٧٤).
والعذام: أخذ باللسان واللوم حسب لسان العرب.
والنحيت: البئر. وهي حسب البكري من قرى البصرة (معجم ما استعجم ٢: ١٢٢٨).
(٩) المرقش الأكبر: هو عمرو بن سعد بن مالك أو ربيعة بن سعد بن مالك أو عوف بن سعد بن مالك من طيء. وصاحبته أسماء بنت عوف بن سعد بن مالك (تزيين الأسواق ١٦٠، الشعر والشعراء ١٣٨).
والمرقش الأصغر، يقال إنه أخو الأكبر ويقال إنه ابن أخيه. واختلفوا في اسمه فبعضهم يقول: إنه عمرو بن حرملة وقال آخرون ربيعة بن سفيان (الشعر والشعراء ١٤٢).
(١٠) الأبيات في شعره: ١٠٥.
(١١) شعر الأحوص: ١٠٧.
[١١١]
(١) ديوان جميل ٢٠.

علـى أنَّ مَن قد ماتَ صادفَ راحةً، وما لفُـؤادي مِن رَواحٍ ولا رُشدِ

وقال مَروانُ بن أبي حَفصَة[٢]: [من الكامل]

أرْدَينَ عُروةَ والمُـرقَّشَ قبلَه، وأخـا بني نهـدٍ تَركنَ قَتيلا[٣]

ولقَـد تَركنَ أبـا ذُؤيبٍ هائماً، ولقَـد قتلنَ كُثيِّراً وجَميلا

وتَـركنَ لابـنِ أبـي رَبيعـةَ مَنطِقاً، فيهـن أصبـح سائـراً مَحمولا

وأنشدني عمرو بن قَنان لنفسِه[٤]: [من الكامل]

إنَّ الأولَـى ماتُـوا علـى دِينِ الهَوى وجَـدوا المَنِيةَ مَنهَـلاً مَعسولا

قَيسٌ، وعمـرٌو، والمُـرقَّش قبلَهم، كانـوا لتَـنزيلِ الهَـوى تأويلا

نَدبـوا الطُّلـولَ لأهلِهـا، لا أنَّهم عَشِقـوا مغانـيَ أربُـعٍ وطُلولا

ولبعض المتأدِّبين: [من الخفيف]

يا عَذولـيَّ قد هَوِيتُ فكفَّا، إنَّـي بالهـوى المُميتِ رَضِيتُ

مـاتَ قيسٌ، وعـروةٌ، وجَميلٌ وأرانـي بموتِهـم سأموتُ

وقال جميل بن معمر[٥]: [من البسيط]

قد ماتَ قبلـي أخـو نَهـدٍ وصاحبُه مُرَقِّشٌ واشتفَـى من عُروةَ الكَمَدُ

وكلُّهـم كانَ في عِشـقٍ مَنيَّتُهُ، وقـد وجَـدَتْ بهـا فوقَ الـذي وجَدوا

إن لم تَنَلني بمعـروفٍ تجودُ بِـهِ، أو يدفـع الله عنـي الواحـدُ الصَّمَدُ

وقد أحسنَتْ، واللهِ، امرأةٌ من خَثْعَم[٦]، إذ تقول: [من الطويل]

---

(٢) مروان بن أبي حفصة: يكنى أبا السمط وأبو حفصة سليمان بن يحيى بن أبي حفصة مولى مروان ابن الحكم. (الشعر والشعراء ٦٤٩، المرزباني ٣٩٦، تاريخ بغداد ١٣ : ١٤٢).

(٣) الأبيات في الحماسة البصرية ٢ : ٢٣٣ مع بعض الإختلاف.

(٤) عمرو بن قنان: لم أقع على ترجمة له. وورد إبن قنان المحاربي في البيان ٤ : ٥١.

(٥) ديوان جميل ٦٩. وورد صدر البيت الثاني: وكلهم كان من عشق...

(٦) خثعم: هو ابن أنمار بن أراش، من كهلان من قحطان. جد جاهلي. كانت منازل بنيه من سروات اليمن والحجاز. افترق أبناؤه في الآفاق أيام الفتح. (الأعلام ٢ : ٣٠٢، سبائك الذهب ٧٨، نهاية الأرب في أنساب العرب ٢٠٤).

فأقسِمُ أنـي قد وَجَـدتُ بجَحْوَشٍ كمـا وجَـدَت عفـراءُ بابـنِ حِزامِ
فمـا أنـا إلا مثلُهـا، غيرَ أنني مُعلَّقـةٌ نَفسـي ليَومِ حِمامِ

وأحسَنَ الذي يقول[7]: [من الوافر]

عَجِبـتُ لعُـروةَ العُـذريِّ أضحَى أحاديثـاً لِقَـومٍ بعـدَ قَومٍ
وعـروةُ ماتَ موتـاً مُستريحاً، وكيفَ بميِّتٍ في كـلِ يَومٍ

وبلَغنا أنَّ منهم من عَشِق صُورةً في حمّام، وخيالاً في مَنام، وكفًّا في حائط ومِثالاً في ثوبٍ. والعِشقُ ألوانٌ وأنواعٌ وضروبٌ وفُنون، وأمرُه عَجيب. وقال بعضُ الشُّعراء: [من الطويل]

أبيتُ كأنّـي للـكواكبِ عاشقٌ، فأكثـرُ هَمّـي أن تزولَ الكَواكبُ
عَجِبتُ لِمـا يَلقى مِنَ العِشـقِ أهلُهُ، وفيمـا يُلاقـي العاشقـون عَجائبُ

[١١٢] [موت عروة بن حزام]

وبلغَ العِشقُ مِن عُروةَ بنَ حِزام أن أفرَدَهُ ببلائِه، وعذَّبَه بدائِه، وآنَسَه بانفرادِه، وشرَّدَه عن بلادِه.

وحُكي عن ابن أبي عتيق[1] قال: بينا أنا أسيرُ في أرضِ بني عُذرةَ، إذا أنا ببيتِ حريد[2]، فدنوتُ منه، فإذا عجوزٌ تمرِّضُ شابًّا، وقد نَهكَتْه العِلَّة، وبانـت عليه الذلة، فسألتُها عن خبرِه، فقالـت: هذا عُروةُ بـنُ حِزام، فدنَـوت منـه فسمعتُـه يقول[3]: [من البسيط]

---

(٧) للمجنون في تزيين الأسواق ١٠٢ وهما له في الأغاني ٢: ٨١ (الهيئة) و ٢: ١٢.

[١١٢]

(١) وردت في الأصل ابن أبي هتيف. والتصحيح من مجالس ثعلب ٢٤١.

(٢) حريد: وردت في الأصل حرير. وصوابه ما أثبتناه. وبيت حريد: منتبذ عن الناس.

(٣) البيتان في مجالس ثعلب ٢٤٣ حيث القصة، وهما في الأغاني ٢٤: ١٦٣ (الهيئة) و ٢٠: ٥٧ بولاق، وهما في مصارع العشاق ١: ٣١٧.

من كانَ أُمَّهاتـي باكياً لِغَدٍ، فاليومَ إنـي أرانـي اليومَ مَقبوضا
تَسـمَعيه، فإنـي غيرُ سامعِهِ، إذا عَلَـوتُ رِقـابَ القَـوم مَعروضا

فقلت: أنتَ عُروة بنُ حِزامٍ؟ قال: نعم، أنا الذي أقول[4]: [من الطويل]

جَعَلـتُ لعَـرّافِ اليمامـةِ حُكمَه، وعَـرّافِ نَجـدٍ إن هُمـا شَفَيَاني[5]
فَقـالا: نعَـم تُشفـى من الـداء كلِّه، وقامـا معَ العُـوّادِ يَبتدِران
فمـا تَركَا من سَلـوةٍ يَعلمانِها، ولا شَرْبـةٍ إلاَّ بهـا سَقَياني[6]
فقـالا: شفـاكَ اللهُ، واللهِ ما لَنا، بما حَمَلـت مِنكَ الضُلُـوعُ، يَدانِ
فَلَهْفـي علـى عفـراء لَهْفـاً كأنَّه علـى النَّحـرِ والأحشـاء حَدُّ سِنانِ
فعفـراءُ أحظَـى النـاسِ عنـدي مَوَدَّةً، وعفـراءُ عنـي المُعـرِضُ المُتواني

ثم خفَقَ خفقةً، فتوهَّمتُ أنها غَشْيَةٌ، فتنحَّيتُ عنه ودنَتِ العجوزُ منه، فما برحْتُ حتى سَمِعتُ الصَّيحةَ، فإذا هو قد فارق الدنيا

[١١٣] [مجنون ليلى]

وبلَغ العِشقُ أيضاً من مَجنونِ بني عامرٍ أنْ أخرجَه الى الوَسواسِ والهَيمان، وذَهاب العقـل وكَثرة الهذَيان، وهبوطِ الأوديةِ، وصُعـود الجبـال، والـوَطء علـى العَـوْسَـج وحَـرارةِ الرِّمـال، وتَمـزيقِ الثِّيابِ، واللَّعِـب بالتُّـراب، والرَّمي بالأحجار، والتفرّد بالصَّحارى والاستيحاشِ من الناس، والاستئنـاسِ بالـوَحشِ حتى كان لا يعقلُ عَقلاً. فإذا ذُكِرت ليلى ثابَ إليه عقلُه، وأفاق من غَشيته وتجلَّت عنه غمرتُه، وحدَّثهم عنها أصحَّ الرجالِ عقلاً، وأخلصَهم ذِهناً، لا ينـكرون من

(٤) الأبيات في مجالس ثعلب ٢٤١ وفي الحماسة البصرية ٢: ١٦٧ وفي تزيين الأسواق ١٣٥ لعروة، وفي الأغاني ٢٣: ١٥٦.

(٥) عراف اليمامة هو رياح بن كحلة أو عجلة، وعراف نجد هو الأبلق الأسدي (الحيوان ٦: ٢٠٤، ثمار القلوب ١٠٥).

(٦) سلوة بفتح السين وسلوانة بضمها: خرزة كانوا يقولون إذا صب عليها ماء المطر فشربه العاشق سلا. فذلك الماء هو السلوة والسلوان.

حديثه شيئاً، فإذا قُطعَ ذكرها رجع إلى وسواسه وهذيانه وتَماديه في ذَهاب عقله.

وقد حُكي عنه في أول ابتداء وَسواسه أنه قيل لأبيه: لو أخرجتَ قيساً، أيامَ الموسِم، وأمرتَه بأن يتعلَّقَ بأستار الكعبةِ، ويقولَ: اللّهمَّ أرِحْني مِن حبِّ ليلى، لعل الله كان يُريحه من ذلك، ففعل. فلما طافَ بالبيت أمرَه، فتعلَّق بأستار الكَعبة، وقال: قل اللهمّ أرِحني من حب ليلى. فقال: اللّهمَّ زِدني لليلى حبًّا إلى حبِّها، وأرني وجهَهَا في خَير وعافية! فضربه أبوه، فأنشأ يقول[1]: [من الوافر]

ذَكَرتُكِ، والحَجيجُ له ضَجيجٌ ... بِمكّةَ والقلوبُ لها وَجيبُ
فقُلتُ، ونحنُ في بلدٍ حَرامٍ، ... به للهِ أخلِصَتِ القُلوبُ:
أتوبُ إليكَ، يا رَحمنُ، ممّا ... عَمِلتُ، فقد تَظاهَرتِ الذُّنوبُ
وأما مِن هوَى ليلَى وتَركي ... زيارتَها، فإنّي لا أتوبُ
وكيفَ، وعندَها قلبي رَهينٌ، ... أتوبُ أليكَ مِنها، أو أُنيبُ؟

وقال أيضاً[2]: [من الطويل]

دعَا المُحرِمونَ اللهَ يستغفِرُونه، ... بمكّةَ شُعثاً، كي تُمَحّى ذُنوبُها
وقلتُ لربِّ النّاسِ: أوّلُ سؤلَتي ... لِنفسي لَيلى، ثم أنتَ حَسيبُها
فإنْ أعطَ لَيلَى في حياتيَ لا يَتُبْ ... إلى اللهِ عبدٌ توبةً لا أتوبُها

وقال أيضاً[3]: [من الطويل]

فلو أنَّ ما بي بالحَصَى فَلَقَ الحَصى، ... وبالرِّيحِ لم يُسمَع لهنَّ هُبوبُ
ولو أنني أستغفِرُ اللهَ كلّما ... ذكرتُكِ لم يُكتَب عليَّ ذُنوبُ

---

[١١٣]

(١) الأبيات في الحماسة البصرية ٢: ١٧٨، وفي أمالي القالي ٣: ٩٣، ديوان مجنون ليلى ١٧، والأربعة الأولى في ديوان الصبابة ٢٢٤.

(٢) الأبيات في تزيين الأسواق ١٠٩، والأول والثاني في مصارع العشاق ٢: ٥٢.

(٣) البيتان في الحماسة البصرية منسوبان إلى عبد الله بن الدمينة ٢: ١٩٣ وفي تزيين الأسواق منسوبان لابن عكرمة الضبي ٥٣٢.

وباتَ في بعض ليالي حَجّهِ تحتَ شجرة، فانتبه بنَوحِ حَمامةٍ فأنشأ يقول[٤]: [من الطويل]

لقد هتَفَت في جنح ليلٍ حَمامةٌ ... على فَنَنٍ تدعو، وإني لنَائمُ
فقلتُ اعتِذاراً عند ذاك، وإنَّني ... لقَلبِيَ، فيما قد رأيتُ، للائمُ
أأزعُمُ أني عاشقٌ ذو صَبابةٍ ... بليلى، ولا أبكي، وتبكي الحَمائمُ
كذَبتُ، وبيتِ اللهِ، لو كنتُ عاشقاً ... لما سَبَقَتني بالبُكاءَ الحَمائمُ

وسمعَ هاتفاً منَ الليل، وهو ينادي: يا لَيلى، فخرّ مغشيًّا عليه، ثم أفاق، وهو يقول[٥]: [من الطويل]

وداعٍ دعا إذ نحنُ بالخَيفِ من مِنًى ... فهيَّجَ أحزانَ الفُؤادِ، وما يَدري
دعا باسمِ ليلَى، أسخَنَ اللهُ عينَه، ... وليلَى بأرضٍ عنه نازحةٍ قَفرِ
عرَضتُ على قلبي العزاءَ، فقال لي: ... مِنَ الآنَ فاجزَعْ لا أعزُّكَ من صبرِ
إذا بانَ مَن تَهوى وأسلمَكَ النَّوى، ... ففُرقَةُ مَن تَهوى أحرُّ مِنَ الجَمرِ

وقال أيضاً: [من الطويل]

فَلَبَّيكَ من داعٍ دعَا، ولو أنّه ... صَدًى بينَ أحجارٍ لظَلَّ يُجيبُها

وقد أحسنَ، إذ حكمَ على صدىً في رمسِه بالإجابةِ لدَعوتِها والمبادرةِ إلى تَلبيتِها، وهكذا فلتكُن غَلَبَةُ العِشق، وصِدقُ الهَوى. ومثل ذلك قوله أيضاً[٦]: [من الطويل]

لمَسَّتْ ثِيابي، إن قَدِرتُ، ثِيابَها، ... ولم يَنهَني عن مَسِّهنَّ حَرامُها
ولو شَهِدَتني، حينَ تَحضُرُ مِيتتي، ... جَلا سكَراتِ المَوتِ عَنّي كلامُها

---

(٤) الأبيات في ديوانه ٤٢، والبيتان ١ و٤ في الأغاني ٢: ٧٣.

(٥) الأبيات في ديوانه ١٥ وهي في الأغاني ٢: ٢٠ - ٢١ (الهيئة)، والأولان في طبقات ابن المعتز ٢٥٧، وفي تزيين الأسواق ١٠٩. وهي جميعاً في فوات الوفيات ٣: ٢١١.

(٦) البيتان في ديوانه ١٦٥ باختلاف في نهايتيهما.

[١١٤] ومثل ذلك قول الآخر: [من الطويل]

ولو كلَّمتْنا بينَ زَمزمَ والصفا، وبينَ حَطيم البيت أصبَى كلامُها
ولو مكَثَت بعدَ التَّطوّعِ ساعةً بمكّةَ ولأَهْا الصلاةَ إمامُها
ولو نَطقَت، والموتُ يَجري ظلاعُه، لجلَّى ظَلامَ الموتِ عني ابتسامُها

ومثله قول جميل بن معمر[١]: [من الطويل]

حلفتُ يميناً، يا بُثينةُ، صادقاً، فإن كنتُ فيها كاذباً لَعَميتُ
حلفتُ لها بالبُدنِ تدمَى نُحورُها، لقد شَقِيَت نفسي بكم وعَنِيتُ
فلو أنَّ جِلداً غيرَ جِلدِك مسَّني، وباشَرني دونَ الشِّعارِ شَرِيتُ
ولو أنَّ داعٍ منك يَدعو جِنازتي، وكنتُ على أيدي الرِّجالِ حَيِيتُ

ومثله قول الأعشى[٣]: [من السريع]

عَهدي بها في الحيِّ قد سُرْبِلَت صفراءَ مثلَ المُهرةِ الضامرِ[٤]
لو أسنَدَت ميتاً إلى نحرِها عاشَ، ولم يُنقَلْ الى قابرِ
حتّى يقولَ الناسُ مِمّا رأوا: يا عَجباً للميّتِ الناشرِ
قد حَجَمَ الثَّديُ على نَحرِها، في مُشرِقٍ ذي بَهجةٍ زاهرِ

ومثله قولُ المجنون أيضاً[٥]: [من الطويل]

ولو كنتُ أعمَى أخبِطُ الأرضَ بالعَصا أصمَّ، فنادَتني أجبتُ المُناديا

---

[١١٤]

(١) ديوان جميل ٩٧.

(٢) البدن: النوق تهدى إلى مكة ليضحى بها.
والشعار: الثوب الذي يلي البدن مباشرة. وشريت: أي أصابني الشري، وهو طفرة جلدية حمراء تنتشر في الجلد.

(٣) الأعشى، ميمون بن قيس: شاعر جاهلي أعمى. في اعتناقه الإسلام خلاف. ترجمته في (الشعر والشعراء الثقافة ١٧٨، الموشح ٤٥).

(٤) الأبيات في ديوانه ٩٢ (ط. صادر)، وهي في العقد الفريد ٦: ٢٣، والبيت الأول في الحماسة البصرية ٢: ١٩٩، والثاني في الموشح ٥٢، والبيتان ٢ و ٣ في حلية المحاضرة ٢٠٠، ٣٢٨.

(٥) البيت الأول في ديوانه ١٧ من الشعر المنسوب وهو في الموشح ١٨٨، والثاني في تزيين الأسواق ١٥٦.

وأشهَـدُ عنـدَ الله، أنّـي أُحِبّها فهـذا لَها عِنـدي، فمـا عندَهـا ليا

قال: وسرَقَ هذا المَعنى جميلُ بنُ عبد الله بن مَعمر فقال[6]: [من الطويل]

ألا ليتَنـي أعمَـى، أصـمُّ، تقُودُني بُثَينـةُ، لا يَخفَـى علـيَّ كَلامُها

فهؤلاء قد زعَموا أن كلامَ النساء يَجلو العَمى، ويُسمع الصمّ ويُحيي الميتَ، ويدفَع المَواتَ ويَنشرُ القبورَ من قبل أوانِ النُّشور.

[١١٥] وقد قال بعض الأعراب: إن من كلامِ النِّساء ما يقومُ مَقام الماء فيَروي من الظَّماء.

وقـال آخـر: حلاَوة نَغَمِ النِّسـاء في الآذانِ ألـذُّ من موقِـعِ الماء العَـذب من العَطشان.

وقال القطاميُّ في مثل ذلك[1]: [من البسيط]

وفي الخُـدورِ غَمامـاتٌ بَرَقْـنَ لنا، حتّـى تصيَّدْنَـا من كلِّ مُصطادِ

قَتَلنَنـا بحـديثٍ ليسَ يَعلَمُـهُ من يَتَّقِينَ ولا مكنونُـه بادي

وهُـنَّ يَنبِـذْنَ مِن قول يُصِبْـنَ به مَواقِـعَ المـاء من ذي الغُلَّـةِ الصـادي

وعُمَر بن أبي ربيعة يقول في سكينة ابنةِ الحُسين بن علي رضي الله عنهما[2]: [من الكامل]

أسُـكَينَ ما مـاءُ الفُراتِ وبَردُهُ مِنـي علـى ظَمَـإٍ وحُـبِّ شَرابِ

بأحَـبَّ منـكِ، وإن نأيتِ، وقـلَّ ما تَرعَـى النسـاءُ أمانـةَ الغُيّابِ

ولبعض المتأدبين في مثله: [من البسيط]

---

(٦) ديوان جميل ٦٨.

[١١٥]

(١) الأبيات في ديوانه ٨٠ ـ ٨١، والثاني والثالث في الأغاني ٥٤: ٤٣ (الهيئة) و ٢٠: ٢٩ (بولاق)، والأخير في بهجة المجالس ٢: ٧ وفي التمثيل والمحاضرة ٢٥٦.

(٢) ديوان عمر ٣٢، أمالي القالي ٢: ٢٤.

واللهِ ما شَرْبةٌ مِن ماء غاديةٍ، إذا ظَمِئتُ، وكَرْبُ المَوتِ يغشاني
ألَذُّ مِن شَرْبةٍ من فيكِ أجْرَعُها، تلك الشفاءُ لقَلبِ الهائمِ العاني

ورُوي أن عمرَ بن أبي ربيعة قال: أتتني امرأتان في أيام غزَلي، فجعلَتْ إحداهما تُسرّ إليّ سراً، والأخرى تعضُّني، فما شَعرتُ بِعَضّةٍ هذه من لذة سِرارِ هذه.

ودخل كُثيرّ على عبد الملك بن مروان فقال: ياكُثيرُ،حدّثني ببعض أخبار جميل! فقال: نَعَم، يا أمير المؤمنين، لَقِيتُ جميلاً ذاتَ يومٍ، فقال: هل لك في المسيرِ معي نحو بُثينةَ؟ قلت: نعم، فسايرته، حتى دنا من مَوضِعِها، فقال: تَصيرُ إليها، فتُعلمها بمكاني، فمضيَت، فأعلمتُها، فأقبلَت في نُسوةٍ مِن الحيِّ، فلما رأينَه انصرفنَ عنها، وتَنحَّيتُ عنهُما. فلم يَزالا مِن أوّلِ الليل إلى أن رَهَقَهما الصبحُ قائمَين في أقدامِهما، فلما عزَما على الافتراقِ قالت: ادنُ مني يا جميلُ. فدَنا منها، فأسرّت إليه سراً، فخرَّ مغشيًا عليه فما أيقظَه إلا حرُّ الشمس، فأفاقَ، وأنشأ يقول[3]: [من الطويل]

فما ماءُ مُزنٍ مِن جِبالٍ مَنيفةٍ، ولا ما اكنَّت في مَعادِنِها النَّحلُ
بأشهَى مِنَ القَولِ الذي قُلتِ بعدَما تمكَّن في حَيزُومِ ناقتيَ الرَّحلُ

وقال جرير أيضاً[4]: [من الكامل]

ولقَد رمَينكَ يوم رُحنَ بأعيُنٍ، يَقتُلنَ من خَلَلِ السُّتورِ، سَواجي[5]
وبِمَنطِقٍ شَغَفَ الفُؤادَ كأنّهُ عَسَلٌ يَجُدنَ بهِ بِغَيرِ مزاجِ

وقال الفرزدق[6]: [من الطويل]

إذا هُنّ ساقَطنَ الحديثَ، كأنّه جَنى النَّحلِ، أو أبكارُ كَرمٍ تُقَطَّفُ

---

(٣) ديوان جميل ٨٠.
(٤) ديوان جرير ٧٣.
(٥) السواجي: مفردها الساجية وهي الساكنة والناعسة والفاترة.
(٦) ديوان الفرزدق ٢ : ٢٣، وفيه اختلاف يسير.

تَراهُــنَّ مِن فَرطِ الحَياء كأنَّها مِراضُ سُلالٍ، أو هَوىً لك نُزَّفُ

وليس يمكن أن يكون ذلك عندهم كذلك.

[١١٦] وقد رُوي عن النبـي، ﷺ، من وجـوهٍ شتَّـى بأحـاديثَ صحَّـت عن الثِّقات، ونُقلت عن الرُّواةِ: «إنَّ حُـبَّكَ للشيء يُعمي ويُصِمُّ»(١). وليس بعجب ما قال المجنون وأشباهه من غَلبة العِشقِ عليهم، وقد قال غيرُه أعظم مما قاله، وأقطع، وأجلّ.

ولقد رأينا وسمعنا وخُبِّرنا أن منهم من قتَل نفسه غرقاً، وذبحاً، وخنقاً، كل ذلك أسفاً وحَسرة وتَلهُّفاً.

فمن ذلك ما حكي عن شيخ حضرَ مجلِس العُتبيِّ، فأخبرَهم أنه حضرَ مجلِساً فيه قينةٌ وفَتى، وكان الفَتى يهوى القَينة وكانت القَينة تهوى ابنة الشيخ، وابنةُ الشيخ تَهوَى الفَتى، فغنَّت القَينة(٢): [من المتقارب]

علامــةُ ذُلِّ الهَوى علــى العاشـقين البُكا

ولاسيمــا عاشقٌ إذا لم يَجِـد مُشتكَى

فقال لها الفتى: أحسنتِ، والله يا سِتِّي، أتأذنين لي أن أمـوت؟ قالـت: مُت راشداً؛ فوضع رأسَه على الوِسادة، وغمّض عينَيه، فحركْنـاهُ فوجَدنـاه ميتـاً. قال الشيخ: فخرَجنا متعجِّبين من ذلك، وصِرت إلى منزلي، فأعلمتُهم ما كان من قِصة الفَتى، ونظرت إلى ابنتـي، وقـد حاضـرت(٣)، فدخَلَـت مجلسـاً لي، فدَخلـتُ وراءها، فإذا هي متوسِّدة على مِثال ما كان عليه الفتى، فحركتُها فإذا هي ميِّتـة، فغدَونا بجنازتها، وغدوا بجنازة الفَتى، فإذا بجنازة ثالثة، فسألنا عنهـا، فإذا هي جِنازة القَينة، وبلَغها موت ابنتي، فصنعت مثل ذلك، فماتت. فدفنَّا ثلاثةً بموت

[١١٦]
(١) الحديث في الجامع الصغير ١: ٥٦٨.
(٢) القصة والبيتان في تزيين الأسواق ٢٠٣.
(٣) لعلها: وقد حضرت. وحاضرت أي أجابت بما حضرها.

واحد في مَوضعٍ واحد. وهذا من عجيب ما سُمع به في هذا الأمر.

[١١٧] ومن ذلك ما أخبرني أبو العيناء قال: حدثني عمرو بن بحر الجاحظ قال[١]: ذُكِرتُ لأميرِ المؤمنينَ المتوكِّلِ لتأديبِ ولَدِه، فلما نظر اليَّ استبشعَ منظَري، وأمر لي بعشرَةِ آلاف دِرهم، وصرَفَني فخرَجتُ، فَلقيتُ محمد ابن إبراهيم، وهو يريد الانحدارَ إلى مدينة السلام، ونصب استارتَه وأمرَ بالغِناء فاندفعت عوّادةٌ له تتغنّى[٢]: [من الخفيف]

كلَّ يوم قَطيعةٌ وعِتابُ، ... يَنقضي دهرُنا ونَحنُ غِضابُ
ليت شِعري أنا خُصِّصتُ بهذا ... دونَ ذا الخَلْقِ أم كذا الأحبابُ

ثم سكتت، وأمرَ طُنبُوريَّةً، فغنَّت[٣]: [مجزوء الكامل المرفّل]

وارَحمتي للعاشقينا ... ما إن أرى لهُمُ مُعينا
كم يُهجَرونَ ويُظلمو ... نَ، ويُقطَعونَ فيصبرونا
وتَراهمُ ممّا بِهم ... بينَ البَريَّةِ خاشعينا
يتجلَّدُونَ، ويُظهِرو ... نَ تَجلُّداً للشّامتينا

قالت لها العوّادة، فيصنَعون ماذا؟ قالت: يصنَعون هكذا، وضَربَت بيدِها على السّتارة فهَتَكتْها، وبرزَت كأنها فِلقةُ قمرٍ، فزجّت بنفسِها إلى الماء.

قال: وعلى رأس محمّد غُلامٌ يُضاهيها في الجَمالِ وبيده مِذْبَةٌ، فلما رآها وما صنَعت ألقاها من يده، وأتى إلى حيثُ رمَت بنفسها، فنظر إليها وهي تمورُ بين الماء يقول[٤]: [مجزوء الرجز المرفل]

[١١٧]

(١) الخبر الذي يورده الجاحظ في وفيات الأعيان ٣: ٤٧١، وفي مصارع العشاق ١: ١١٣.

(٢) البيتان في الوفيات ٣: ٤٧١. ط. صادر.

(٣) الأبيات في الوفيات ٣: ٣٧١، والأولان في مصارع العشاق ١: ١١٣. وهما في الزهرة ٣٥٢، وفي المصادر وارحمتا.

(٤) البيت في الوفيات ٣: ٤٧١ وفي المصارع ١: ١١٤، وفي الزهرة ٣٥٢.

أنــتِ الـتــي غرَّقتِني، بعـدَ القَضـا، لو تَعلَمينا

وزَجَّ بنفسه في أثَرِها، فأدار المَلاَّحُ الحرَّاقةَ[٥]، فإذا بهما معتَنِقَين، ثم غاصا، ولم يُرَيا.

فهال ذلك محمداً، واستفظَعه، وقال للجاحظ: يا عمرو، لتُحدِّثُني بحـديثٍ يُسكّن عني فعلَ هذين، وإلاَّ ألحقتك بهما.

[عاشق جارية سليمان بن عبد الملك]

قال الجاحظ[٦]: فحضَرني خبرُ سُليمان بنِ عبد الملك، وقد قَعد للمظالم[٧]، وعُرِضت عليه القِصصُ، فمرَّت به قصةٌ فيها: إن رأى أميرُ المؤمنين، أطـالَ اللهُ بقاءه، أن يُخرجَ إليَّ فلانةَ، يَعني جاريةً من جواريه، حتى تغنيَني ثلاثة أصواتٍ فعل. فاغتاظ من ذلك سُليمان، وأمرَ من يَخرُجُ إليه فيأتيه برأسه، ثم أتْبعَ الرسولَ برسولٍ آخرَ، فأمرَ أن يُدخَل الرجلُ إليه، فأُدخل؛ فلما مثَل الرجل بينَ يديه قال له: ما الذي حملَك على ما صنعت؟ قال: الثقةُ بحِلمك والإتكالُ على عفوِك، فأمرَه بالقُعودِ، حتى لم يبقَ أحد من بني أمية، ثم أمر فأُخرِجتِ الجاريةُ ومعَها عودُها، ثم قال له: أختر، قال له: قُل لها: تغنّي بقول قيس بن الملوَّح[٨]: [من الطويل]

تعلَّـقَ رُوحـي روحَـهـا قبـلَ خَلقِها ... ومِن بعـدِ ما كُنَّا نِطافـاً، وفـي المَهدِ

فعـاشَ كمـا عِشْنَـا، فأصبـح نامياً، ... وليس، وإن مُتنـا، بمُنقضِـبِ العَهدِ

ولكنَّـه باقٍ علـى كلِّ حالةٍ، ... وسائرُنـا في ظُلمـةِ القَبـرِ واللَّحدِ

يكادُ فَضيضُ المـاءِ يَخـدِشُ جِلدَها ... إذا اغتسلَـت بالمـاء من رِقَّـة الجِلدِ

---

(٥) الحراقة: نوع من المراكب.

(٦) القصة في الوفيات ٣: ٤٧٢.

(٧) المظالم: قضاء المظالم. نوع من المحكمة العليا كان يجلس لها الخلفاء يقضون بما يقدمه الناس من مظالم لحقت بهم في أوراق (قصص) تتضمن شكاواهم من سوء تصرف رجال الإدارة. وربما جلس في العصر العباسي الوزراء وكبار رجال الإدارة.

(٨) الأبيات الثلاثة الأولى في تزيين الأسواق ٨٧ باختلاف في الشطور. منسوبة لقيس بن الملوح. وهي جميعاً في ديوان جميل ١٩. والثلاثة الأولى منسوبة إلى قيس بن ذريح في فوات الوفيات ٣: ٢٠٧.

وإنـي لمُشتـاقٌ إلـى ريح جيبها، كمـا اشتـاقَ إدريسٌ إلـى جنّـةِ الخُلدِ

فغنته، فقال سليمان: قل! قال: تأمُرُ لي برَطْلٍ، فأمر له برطل، فشرِبَه، ثم قال: تغنَّيْ بقول جميل[9]: [من الطويل]

علِقتُ الهَوى منها وليداً، فلم تَزل إلـى اليوم يَنمِـي حبُّهـا ويزيدُ
وأفنيتُ عُمـري بانتظـاري نَوالَها، وأبلَـت بذاكَ الدهـرَ، وهـو جَديدٌ
فلا أنـا مردودٌ بمـا جِئـتُ طالباً ولا حبُّهـا فيمـا يَبيدُ يَبيدُ
إذا قلـتُ: ما بـي يا بُثَينـةُ، قاتلي من الحُـبُّ، قالـت: ثابـتٌ ويزيدُ

فتغنت فقال سليمان: قل. قال: تأمُرُ لي برَطْلٍ، فأُتيَ برَطلٍ، فشربه، ثم قال: تغنَّيْ بقَول قَيس بن ذَريح[10]: [من الطويل]

لقد كُنـتِ حَسْبَ النَّفس لو دَامَ ودُّها ولكنّمـا الـدُّنيا مَتـاعُ غُرورِ
وكنّـا جميعـاً قبـلَ أن يَظهـرَ النّوى، بأحسـن حالَـيْ غِبطـةٍ وسُرورِ
فَمـا بَرِحَ الوَاشـون حتّـى بدَت لنا بُطـونُ الهَـوى مقلوبـةً لظُهورِ

فتَغنَّت، فقال له: قل! قال: تأمرلي برَطل، فما استَتمَّهُ حتى وثَب ألى أعلى قُبّةِ سلَيمانَ، ثم زجَّ بنفسِه على دِماغِـه، فمـات، فقـال سليمـان: إنّـا لله وإنّـا إليه راجعون، أتراه الجاهلَ ظَنَّ أنني أُخرجُ إليه جاريتي، فأردّها إلـى مِلْـكي! خُذوا بيدِها فانطلقوا بها إلى أهلِه، إن كان له أهل، وإلا فبيعوها، وتصدَّقوا بها عنه. فلمّا انطلقُوا بها نظرَت إلى حُفرة في دار سليمان قد أُعِدَّت للمَطر، فجذَبـت نفسهـا، وأنشأت تقول[11] [من السريع]

من ماتَ عِشقـاً فَلْيَمُـتْ هكذا، لا خيرَ في العِشـقِ بلا مَوتِ

وزجَّت بنفسِها في الحُفْرةِ على دماغِها، فماتت. فسُرِّيَ عن مُحمد، وأحسنَ صِلةَ الجاحظ.

(٩) ديوان جميل ١٥ وما بعدها باختلاف يسير.
(١٠) الأبيات لقيس بن ذريح في فوات الوفيات ٣: ٢٠٨.
(١١) في الوفيات ٣: ٤٧٣، وفي الزهرة ٣٥٣.

باب
من مات من شدة الفقد
وتضعضعت أعضاؤه من شدّة الوجد

[١١٨] [عاشقان جمعهما القبر]

حُكي لنا عن إسحاق بن إبراهيم[١] عن الهَيثم بن عَدي[٢]، عن هشام بن حسّان، قال: حدثنا رجلٌ من بني تميم[٣] قال: خرجتُ في طلب ناقةٍ لي فوردْتُ على ماء من مياه طيء، فإذا بعَسكرين، أحدهما قريبٌ من الآخر، وإذا في أحد العسكرين شابٌ مُدنَفٌ قد نهكتَه العِلَّة فهو كالشَّنِّ البالي، فدنَوت لأعرِف خبرَه[٤]، فسمعتُه وهو يقول[٥]: [من الوافر]

ألاَ ما للمَليحـةِ لا تعودُ، أَسُخْطٌ بالمَليحـةِ أم صُدودُ
مَرِضـتُ فعادنـي أهلـي جميعاً، فمـا لكَ لا تُرى فيمَـن يَعودُ
فَقَدْتُـكِ بينَهـم، فتلِفـتُ شوقاً، وفَقْـدُ الإلفِ، يا سكَنِـي، شديدُ

[١١٨]

(١) إسحاق بن إبراهيم هنالك عدة أسماء متشابهة تعود للقرنين الثالث والرابع الهجريين. ولعله إسحاق بن إبراهيم الكاتب من رجال القرن الثالث (الديارات ٢٧٢).

(٢) الهيثم بن عدي الطائي: ولد بالكوفة مثل ١٣٠ هـ. وكان إخبارياً. أثار موجة من العداء ضده بروايته أخبار الناس على وجهها. توفي ٢٠٩ هـ. (معجم الأدباء ٧: ٢٦١).

(٣) بنو تميم: ينسبون إلى تميم بن مر أو ابن طابخة بن الياس بن مضر. جد جاهلي. بنوه بطون كثيرة. كانت منازلهم بأرض نجد والبصرة واليمامة (الأعلام ٢: ٨٧).

(٤) القصة في تزيين الأسواق، والشاب هو عامر بن سعيد بن راشد الطائي. وهي أيضاً في مصارع العشاق ١: ١١١ وفي نهاية الأرب ٢: ١٨٤.

(٥) الأبيات في تزيين الأسواق ومصارع العشاق ونهاية الأرب باختلاف في البيت الأخير. وفي تزيين الأسواق ١٩٦.

فلو كنتِ المريضَ لجئتُ أسعَى إليكِ، ولم يُنهنهني القُعودُ

قال: فسمعتُ كلامه، فبادرتْ نحوَه، وبدرْنَها النساء، فتعكَّفن بها، فأحسَّ بها، فوثب مُبادراً نحوَها، فحبَسه الرجالُ، فجعلَت بجذِبُ نفسَها من النساء، ويَجذِبُ نفسَه من الرجال، حتى التقيا، فاعتنقا، وبكَيا، ثم شهقَا فخرّا ميّتين. فخرج شيخٌ من بعضِ الأخبِية فوقَف عليهم، فاسترجعَ، ثم قال: رَحِمكما اللهُ، أما والله لقد كنتُ لم أجمعْ بينكما في حياتِكما، لأجمعنَّ بينكما بعد مَوتِكما. فأمَر بِهما، فكُفِّنا في كفَنٍ واحد، ودُفِنا في قبرٍ واحد، فسألتُ عنهما فقال: هذه بنتي، وهذا ابن أخي، بلغَ بهما الحبُّ ما ترى.

[١١٩] ومن ذلك أيضاً ما حُكي عن إسحاق الرافقي قال: كنت في مجلِس بالرَّقَةِ[١] في عِدَّةٍ مِن الظُّرفاء وجَماعة من القِيان، ومَعنا فتىً كأهيأ من رأيتُ مِنَ الفتيان، وعليه أثر ذِلَّة الهَوى، يُديم الأنين والبكاء[٢]، فتغنَّت إحداهن[٣]: [من الكامل الأحذّ]

إنـي لأبغِضُ كلّ مُصطَبِرٍ عن إلفِه في الوَصلِ والهَجْرِ
الصَّبـرُ يحسُـنُ في مواطنِه، ما للفتـى المحـزونِ والصبر

فنظرَ إليها الفتى؛ وتَبادرت عَبراتُه، ثم وثب على قدَميه ووضَع يده على رأسه وقال: [من الطويل]

غداً يكثُـرُ البـاكون مِنّـا ومِنكُم، وتَـزدادُ داري من ديارِكُم بُعدا

ثم رمَى بنفسه، فسقطَ مجدلاً من قامتِه، فوثبنا إليه فحمَلناه ميتاً.

---

[١١٩]

(١) الرقة: أصله كل أرض إلى جنب واد ينبسط عليها. وهي مدينة مشهورة من بلاد الجزيرة (معجم البلدان ٣: ٥٩).

(٢) القصة في ذم الهوى ٥٦٩.

(٣) الأبيات في ذم الهوى ٥٦٩ دون نسبة.

[١٢٠] [عاشق انتحر حزناً]

ومن ذلك ما حُكي(١) عن جميل بن مَعمر العذري أنه دخَل على عبدِ الملك بن مروان، فقال له: يا جميل، حدِّثني ببعضِ أحاديث عُذرةَ، فإنه يبلُغني أينهم أصحابُ أدَب وغزَل.

قال: نعَم، يا أمير المؤمنين.

إن آل بُثينة انتجعوا الحيّ وقطعوا بلداً آخرَ، فخرجتُ أريدهُم، فغلِطت الطريقَ، وجَنَّني الليلُ، ولاحَت لي نارٌ، فقصدتُها، حتى دنَت. وَوَرَدْتُ على راعٍ في أصلِ جبل، قد ألجأ غنمَه إلى كَهْف في الجبل، فسلَّمت، فرد علي السلام، وقال: أحسبُك قد ضَللتَ الطريق؟ قلتُ: قد كان ذاك، فأرشدنيه. قال: بل انزِل حتَّى تُريحَ ظهرَك، وتَبيتَ ليلتكَ، فإذا أصبحتَ وَقفتُك على الطريق. فنَزلتُ، فترحَّب بي، وأكرَمَني، وعمدَ إلى شاة فذبَحها، وأجَّجَ ناراً، وجعلَ يَشوي ويُلقي بين يديَّ، ويحدثني في خِلال ذلك، ثم قام بإزار كان معه، فقطعَ به جانب الخِباء ومدَّدَ لي جانباً، وتركَ جانباً خالياً.

فلما كانَ في الليلِ سمعتُه يبكي ويَشكو إلى شخصٍ كان معه، فأرقتُ له ليلتي. فلما أصبحتُ طلَبتُ الإذنَ، فأبَى، وقال: الضِّيافةُ ثلاثٌ، فأقمتُ عِنده، وسألته عن إسمِه ونِسبتِه وحالِه، فانتسب لي، فإذا هو من بني عُذرةَ وأشرافِهم. فقلت: يا هذا! وما الذي أحلَّكَ هذا المَوضِع؟ فأخبرَني أنَّه يَهوى ابنةَ عمٍّ له، وتَهواه، وأنَّه خطبَها إلى أبيها، فأبى أن يزوِّجَها منه لقِلة ذاتِ يدِه، وأنَّه زوَّجها رجلاً من بني كِلاب(٢) فخرج بها عن الحيِّ، فأسكنها في موضِعِه ذلك، وأنه تنكَّر،

---

[١٢٠]

(١) القصة في المصارع ٢: ١٠٤ باختلاف في الأسماء وهي في تزيين الأسواق ٢١١.

(٢) بنو كلاب: نسبة إلى كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة من قيس عيلان، من عدنان. جد جاهلي، كانت منازل بنيه قرب المدينة، انتقل بعضهم إلى الشام. إليهم ينتسب بنو مرداس في حلب. (الأعلام ٥: ٢٢٩).

ورضيَ أن يكونَ راعياً له، لتأتيه ابنةُ عمِّه، فتراه ويَراها. وجعل يشكو إليَّ صبابَته بها، وشِدَّةَ عِشقه لها، حتى إذا جَنَنّا الليلُ وحان وقتُ مجيئِها جعلَ يتَقلقلُ ويقومُ ويقعدُ كالمتوقِّع لها. فأبطأتْ عنِ الوقتِ، وغلَبه الشوقُ، فوثب قائماً وأنشأ يقول[3]: [من البسيط]

ما بالُ ميَّةَ لا تأتـي لعادتِها، أهاجَهـا طربٌ أم صدَّهـا شُغلُ
لكن قلبـي لا يُلهيهِ غيرُهُمُ حتـى الممـاتِ ولا لي غيرهـم أملُ
لو تَعلمـينَ الـذي بي من فِراقِكُمُ لما اعتـذرت، ولا طالـتِ لكِ العِللُ
رُوحـي فِداؤكِ قد هيَّجستِ لي سَقَماً تكادُ من حَرِّه الأعضـاءُ تَنفصِلُ
لو أنَّ غاديةً مِنـه علـى جَبلٍ لزالَ، وانهـدَّ عن أركانِـه الجَبلُ

ثم قال: يا أخا بني عُذرةَ، مكانَك حتَّى أعودَ إليك، فأنِّي أتوهَّم أنَّ أمراً عرَض لابنةِ عمي. ثم مضَى فغابَ عن بصَري، فلـم يلبـث أن أقبـلَ وعلـى يديه شيءٌ محمولٌ، وقد علا شهيقُه ونحيبُه، فقال: يا أخا بني عُذرةَ هذِه بنتُ عمِّي أرادت أن تأتيَني، فاعترضَها السَّبُعُ فأكلَها، ثم وضَعها عن يدهِ وقال: على رِسْلِك حتى أعودَ إليك.

ومضى فأبطأ، حتَّى أيِستُ من رُجوعـه، ثم أقبـل ورأسُ الأسـدِ علـى يدهِ، فوضَعه، وجعل ينكُتُ على أسنانِه، وهو يقول[4]: [من الطويل]

ألا أيُّهـا اللَّيثُ المُدِلَّ بنفسِه، هُبِلـتَ لقـد جَرَّت يداكَ لنـا حُزنا

---

(٣) الأبيات في تزيين الأسواق ٢١١. وهي في مصارع العشاق ٢: ١٠٥ باختلاف في بعض الكلمات:
في عجز البيت الأول: أهاجها طرب...
وورد في عجز البيت الثاني:
لـكن قلبـي عنـكم ليس يشغله حتـى المهات ومـالي غـيركم أمل
وفي عجز البيت الثالث: ولا طابت لك العلل.
وفي صدر البيت الرابع: نفسي فداؤك قد حاملت بي سقما.
وفي عجز البيت الخامس: لماد وانهد من أركانه الجبل.
(٤) البيتان في مصارع العشاق وفيهما اختلاف.

وغادَرتَنـي فرداً، وقـد كنـتُ آنِساً وصيَّرتَ بطـنَ الأرضِ ثمَّ لنـا سِجنا

ثم قال: يا أخا بني عُذرةَ، إنَّك ستراني بين يديك ميتاً، فإذا متّ، فاعمِد إليَّ وإلى بنتِ عمي فأدرِجنا في كفنٍ واحد، واحفر لنا جَدَثاً واحداً، وادفنَّا فيه، واكتب على قبري هذين البيتين[5]: [من البسيط]

كنَّا على ظَهرها، والعيشُ في مَهَلٍ، والعَيشُ يَجمعنُـا، والـدارُ والوَطَنُ
ففـرَّقَ الدَّهـرُ بالتَّشـتيتِ أُلفتنا، فاليومَ يَجمعنُـا في بطنِهـا الكفَنُ

وردَّ الغنمَ على صاحبها، وأعلمه بقصتِنا، ثم عمَد إلى خِناقٍ فطرَحه في عنُقه. فناشدتُه الله أن لا يفعلَ، فأبى، وجعل يخنقُ نفسَه، حتى سقطَ بين يديي ميتاً. فلما أصبحتُ كفَّنتُه وابنةَ عمه كما أمرَني، ودفنتُهما في قَبر واحدٍ، وكتبتُ البَيتين على قبرِهما ورددتُ الغنمَ على زوجِها، وأعلمتُه بقصته، فجعل يأكلُ كفَّيه أسفاً أن لا يكونَ جمع بينَهما في حياتِهما. فهذا وما أشبَهه كثير جداً.

[١٢١] ورُوي عن محمد بن جعفر بن الزُّبير[1] قال: كنَّا عنـد عُروة بن الزبير وعندَه رجل من بني عُذرة فقال له عُروة: يا عذريّ، بلغَني أنَّ فيكُم رقَّةً وغـزلاً، فأخبرني ببعضِ ذلك! قال: لقد خلَّفتُ في الحيِّ ثمانين مريضاً دنفاً عِشقاً ما بِهم غيرُ الحبِّ قَد خامر قلوبَهم.

---

(٥) البيتان في تزيين الأسواق ٢١٢.

[١٢١]

(١) محمد بن جعفر بن الزبير: لم نعثر على ترجمة له. جده الزبير بن العوام، ولأبيه جعفر أخبار في أنساب الأشراف ٤: ٣٠٠، ٣٠١، ٣٥٣.

باب
من وصف الحب
وما فيه من شدّة المرارة والكرب

[١٢٢] واعلم أنَّ الحبَّ، مع ما فيه من المرارة والنكدَ، وطولِ الحسَرات والكمَد، مستعذَبٌ عند أربابِه، مستحسَنٌ عند أصحابِه، حلوٌ لا تعدلُه حَلاوة، ومرٌّ لا تعدله مَرارة.

قال الكميت بن زيد[1]: [من الكامل]

الحبُّ فيه حلاوةٌ ومَرارةٌ، سائلْ بذلك من تَطاعَم، أو ذُقِ
ما ذاقَ بؤسَ معيشةٍ ونعيمَها، فيما مضَى، أحدٌ إذا لم يعشَقِ

وقال آخر[2]: [من الكامل]

يا أيُّها الدَّنِفُ المعذَّبُ بالهوَى! إنّي بأحوالِ الهَوى لعَليمُ
الحُبُّ صاحبُه يَبيتُ مُسهَّداً، ويَطيرُ عنه فؤادُه ويَهيمُ
الحبُّ داءٌ قد تَضمَّن في الحَشا بينَ الجَوانِحِ والضلوعِ مُقيمُ
الحبُّ لا يَخفَى، وإن أخفيتَه، إنَّ البُكاء على المُحبِّ نَمُومُ
الحبُّ فيهِ حَلاوةٌ ومَرارةٌ، والحبُّ فيهِ شقاوةٌ ونَعيمُ

---

[١٢٢]

(١) البيتان في شعر الكميت بن زيد ٢٥٧، ٢٥٨، وفي عجز البيت الأول: من تطعّم أو زقي. وهما في محاضرة الأبرار ٢: ٤٦٠ وفي عجز البيت الأول: من تطعم أو سقي. وفي أخبار النساء ٦٧، وفي الحماسة البصرية ٢: ٢٢٦.
(٢) الأبيات في أشعار النساء ٦٧.

الحـبُّ أهـونَ ما يكونُ مُبرِّحٌ، والحـبُّ أصغـرَ ما يكونُ عظيمُ

أنشدني أحمد بن يحيى ثعلب[3]: [من البسيط]

سَلْني عن الحبِّ يا مَن ليسَ يَعرِفُه، ما أطيبَ الحـبَّ لولا أنَّـه نكدُ
طعمـانِ: حُلـوٌ ومُـرٌّ ليس يَعدِلُه في حَلْـقِ ذائقِـه مُرٌّ ولا شَهدُ

وأنشدني إبراهيمُ بن محمد الواسطي لنفسه: [من السريع]

سَلْنـي عَن الحُبِّ، فإنـي به أعلـمُ ذي وَطْءٍ علـى نَعلِ
طَعمـانِ ضِدَّانِ، فمُستَعذَبٌ وآخـرُ أشـرَى مِنَ القَتلِ

ولبعض المتأدِّبين أيضاً في مثله[4]: [من البسيط]

سَلْني هن الحـبِّ يا مَن ليسَ يَعلمَهُ، عنـدي من الحُبِّ، إن ساءلْتُمُ، الخَبَرُ
أنـا الـذي بالهَـوى ما زِلتُ مُشتهراً، لاقيتُ فيه الـذي لم يَلقَـه بشَرُ
الحـبُّ أولُـه عَذبٌ مَذاقتُهُ، لكنَّ آخـرَه التَّنغيصُ والكَدَرُ
كم تَيَّمَ الحـبُّ أقوامـاً وذلَّلَهم، وكم يَدٍ للهَـوى قد وارتِ الحُفَرُ

أنشدني ابن أبي الرعد[5]: [من البسيط]

مَن كان لم يدرِ ما حبٌّ وصَفْـتُ لهُ، إن كانَ في غَفلـةٍ أو كان لم يَجِدِ
الحـبُّ أولُـه عَذبٌ وآخرُه مثـلُ الحَـزازةِ بينَ القَلْـبِ والكَبِدِ

أنشدني الوليدُ بن عُبيد البحتري[6] لأبي العتاهية[7]: [من الطويل]

أخـلَّايَ بي شجْـوٌ، وليسَ بكم شَجْوُ وكلُّ امـرىءٍ ممَّـا بصاحبِـه خِلْوُ

---

(٣) البيتان في أخبار النساء ٦٨ لثعلب.

(٤) الأبيات الثلاثة الأولى في أخبار النساء ٦٨ منسوبة لأبي الطيب، وفيها بعض الإختلاف.

(٥) ابن أبي الرعد: الحسن، الكاتب الخراساني. قدم بغداد واختص بالمعتضد وصار من ندمائه، مات بالشام (الوافي بالوفيات ١٢ : ١٧).

(٦) الوليد بن عبيد البحتري: أبو عبادة. ينسب إلى بحتر، بطن من طيء، شاعر مشهور. ولد بمنبج ونشأ بها وتأدب وخرج إلى العراق وعاد إلى منبج ومات بها ٢٨٥ هـ (اللباب ١ : ١٢٣).

(٧) الأبيات في ديوان أبي العتاهية ٤٧٩، وفي مروج الذهب ٢ : ٣٥٤ ط. دار الشعب.

أذابَ الهَوى جِسمي ولَحمي وقُوّتي، فلم يبقَ إلا الروحُ والجسَدُ النِّضْوُ

رأيتُ الهَوى جَمرَ الغَضا، غيرَ أنّه على كلِّ حالٍ، عندَ صاحبِه حُلْوُ

وما من مُحبٍّ نالَ مِمَّن يُحبُّه هوىً صادقاً إلا سَيدْخُلُه زَهْوُ

قال: وأنشدني ابن أبي الدنيا: [من الكامل]

الحبُّ يَتركُ مَنْ أحبَّ مُدلَّهاً، حَيرانَ، أو يَقضي عليه فيُسرعُ

الحبُّ أهونُه ثقيلٌ فادحٌ، يُهوي الجليدَ من الرجالِ فيَصرَعُ



باب
ما في معرفة الهوى
وما كان اسمه في البادية أولاً

[١٢٣] واعلم أنّ الهَوى عندَهم هو الهوانُ الصُّراح، والبلاء المُتاح، لأنه يُهين الكريم، ويُذلُّ العزيز، ويدلّهُ العاقل، ويَحطّ منزِلة الشريف. وسُئِلت أعرابيةٌ عن الهَوى، فقالت: الهَوى هو الهَوان وإنما غُلِطَ باسمِه، واشتُقّ من طبعِه[١]. ولَن يَعرِف ما أقولُ إلا مَن أبكَته المنازلُ والطلولُ، وأنشأت تقول: [من الكامل]

ليتَ الهَوى لذوي الهَوى لم يُخلَقِ ، بَلْ ليتَ قلبـي بالهَـوى لم يَعلَقِ
إن الـذي علِـقَ الهَـوى بفؤادِهِ، كمُنـوَّطٍ دونَ السَّمـاءِ معُلَّقِ
لا يستـطيعُ نُزولَـه لشقائِه، لكن إليه كلُّ هَمٍّ يَرتقي
إن الهَـوى لهـو الهـوانُ بعينِه، ما ذاقَ طَعْـمَ الـذلِّ مَن لم يَعشَقِ

وأُنشِدتُ لغيرِها أيضاً[٢]: [من الكامل]

إنَّ الهـوانَ هُو الهَـوى نُقِصَ اسمُه، فإذا هَوِيتَ لَقَـدْ لَقِيتَ هَوانا
وإذا هَوِيتَ لقَـد تَعبَّـدَكَ الهَوى، فاخضَـع لحبِّـكَ كائنـاً مَن كانَا

أنشدنا أبو عبد الله الواسطي لنفسه: [من الكامل]

---

[١٢٣]
(١) في أدب الدنيا ٣٤.
(٢) الأول في ذم الهوى ٣٣ وفي أدب الدنيا ٣٤، وفي التمثيل والمحاضرة ١٠٣ منسوب لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر، وهما معاً في ٤٥٤ وفي محاضرات الأدباء ٢ : ٤٢ دون نسبة. وفي محاضرة الأبرار ٢ : ٤٢٢ منسوبان للمأمون وفي الأول: قلب اسمُهُ. وفي الزهرة ٥٥ والثاني في روضة التعريف ٣٤٠.

لـم يدرِ ما بؤسُ الحياةِ ولينُها، ... إلا الـذين مِنَ الهَـوى بمكانِ

كم من عزيزٍ قد ألـمَّ به الهَوى، ... فأقـرَّ بعـد كَرامـةٍ بِهَوانِ

ليس الهَـوى إلا الهَـوان، ونُونُه ... نُقِصَـت كفِعـل الزّورِ والبُهتانِ

لِينُ الحياةِ إذا نظَـرتَ وبؤسُها ... بينَ الوِصـالِ وغُصَّـةِ الهِجرانِ

مـا العِشـقُ عنـدي باختيارٍ إنما ... ذاك البَـلاءُ يُتـاحُ للإنسانِ

قال: وأنشدني أبو العَيناء[٣]: [من الطويل]

ومـا كَيِّسٌ في النـاس يُحْمَـدُ رأيـهُ ... فيُوجَـدُ إلاَّ وهـوَ في الحُـبِّ أحمقُ

ومـا مِن فتـىً ما ذاقَ بُؤسَ معيشـةٍ ... من الدَّهـرِ، إلا ذاقَهـا حينَ يَعشَقُ



(٣) البيتان في روضة المحبين ١٨٦، دون نسبة، والأول في محاضرات الأدباء ٢: ٤٢ دون نسبة.

باب

ما سئل عنه أهل الصدق

من تمام خَلاَّت العشق

[١٢٤] **قال الأصمعي لأبي وائل الأضاخي**[1]: **ما تقولُ في العِشق؟ فقال: إن لم يكن عُصارةً مِن الشجر، فهو ضربٌ مِن الجُنُون؛ وأنشأ يقول**[2]: **[من الطويل]**

بقلبيَ شيءٌ لستُ أعرفُ وصفَه،	على أنَّـه، ما كانَ، فهـو شَديدُ
تَمـرُّ بهِ الأيامُ تسحَـبُ ذَيلَها،	فتَبلَـى به الأيامُ، وهـو جَديدُ

لَعَمري إنَّ بذلك ما وجَب لهم الدعاء، فصار مفترَضاً على الأدباء كالفَرض اللازب، والحقِّ الواجب، لجليل الخَطب وفادح الأمر.

أخبرني أحمدُ بن عُبيد قال: أخبرني الأصمعي قال: رأيت أبا السائب المَخزومي[3] مُتعلِّقاً بأستارِ الكَعبةِ، وهو يقول: اللَّهمَّ ارحَمِ العاشِقينَ، واعطِفْ عليهم قلوبَ المَعشوقين بالرأفةِ والرحمةِ، يا أرحم الراحمين. فقلت: يا أبا السائبِ، أفي هذا المقام تقولُ هذا المقالَ؟ فقال: إليك عنِّي! الدُّعاء لهم أفضلُ

---

[١٢٤]

(١) أبو وائل الأضاخي: يعد من الموسوسين والحمقى، له قصة يرويها العتابي الشاعر. (العقد الفريد ٦:١٦٦). والأضاخي نسبة إلى اضاخ من قرى اليمامة لبني نمير غير (معجم البلدان: ١:٢١٣).

(٢) البيتان في البيان والتبيين ١: ٢٢٤ منسوبان لأبي يعقوب الخريمي.

(٣) أبو السائب المخزومي: عبد الله بن السائب أحد الظرفاء (الوافي بالوفيات ١٧:١٨٧ في ترجمة جده جمهرة أنساب العرب ١٤٣، نسب قريش ٣٣٣).

من حجةٍ بعُمرة[4]. ثم أنشأ يقول[5]: [من الكامل]

يا هَجْرُ كُفَّ عن الهَوى ودع الهَوى ... للعاشقين يَطيب، يا هَجْرُ

ماذا تُريد من الذين جُفونُهم ... قَرْحَى، وحَشْوُ صدورِهم جَمْرُ

وسوابقَ العَبَراتِ فوقَ خُدودِهم، ... هُطُلاً تَلوحُ كأنَّها القَطْرُ

صَرْعَى على جِسرِ الهَوى لشقائِهم، ... بنفوسِهم يَتلاعَبُ الدَّهرُ

[١٢٥] قال: وخُبِّرت عن الأصمعي أيضاً أنه قال[1]: رأيت جاريةً وهي تقول: اللهمَّ، مالِكَ يومِ القَضاء وخالقَ الأرضِ والسماء، ارحَم أهلَ الهَوى، واستنقِذهم من عظيم البَلاء، واعطِف عليهم قلوب أودّائِهم بالصفاء، فإنَّك سَميعُ النَّجوى، قريبٌ لمن دَعا؛ ثم أنشأت تقول[2]: [من البسيط]

يا ربِّ، إنَّك ذُو مَنٍّ ومَغفِرةٍ، ... بَيِّتْ بِعَافيةٍ مِنكَ المُحبِّينا

الذّاكرينَ الهَوى من بعدِ ما سَهِرُوا، ... حتَّى يَظَلُّوا على الأيدي مُكبِّينا

فقلتُ: يا هذِه، أتُغَنِّينَ وأنت في الطَّوافِ؟ فقالت: إليك عنِّي، لا يُرهِقْك الحبّ! فقلت لها: وما الحبّ؟ وأنا به أعرفُ منها. فقالت: جَلَّ أن يخفَى ودقَّ عن أن يُرى، له كُمونٌ ككُمون النار في الحجَر، إن قدحتَه أوراك، وإن تركتَه توارى. قال: فتبعتُها حتى عرفتُ منزلهَا، فلما كان من الغَدِ جاء مطرٌ شديدٌ، فمررتُ ببابِها، وهي قاعدةٌ مع أترابٍ لها زُهْرٍ، يقُلن لها: لقد أضرَّ بنا المطرُ، ولولا ذلك لَخرَجنا إلى الطَّواف؛ فأنشأت تقول[3]: [من الكامل]

---

(٤) القصة في ديوان الصبابة ٣٣ باختلاف.

(٥) الأبيات في ديوان العباس بن الأحنف ١٦١ باختلاف يسير. وهي في ذم الهوى ٣٤٧، وفي روضة المحبين ١٤٥، دون الثالث وفي ديوان الصبابة ٣٣.

[١٢٥]

(١) القصة في ذم الهوى ٣٤٥.

(٢) البيت الأول في ذم الهوى ٣٤٦، وهما معاً في أخبار النساء ٦٩.

(٣) البيتان في ذم الهوى ٣٤٦ وفي أخبار النساء ٧٠، وفي فوات ١: ٤٧ لابن المدبر.

قالـوا أضـرَّ بنـا السَّحـابُ بِقَطرِهِ، لمَّـا رَأوه لعَبرتـي يَحكي
لا تَعجَبـوا ممَّـا تَرونَ، فإنما هذا السَّحـابُ لرَحمتـي يَبكي

[١٢٦] وزعَم قومٌ أنه لا ذنبَ على أهل الهوى ولا وِزْرَ، وأن خطاياهم تُمحَّصُ عنهم بِطُولِ بلائِهم، وكثرة زَفَراتهم وما لقُوا من الشَّقاء بأوْدائهم.

وأخبَرَنـي أحمـد بن يحيى[١] عن عبـد الله بن شَبيب عن رجـل ذكرَه قال: كنتُ عند مالك بن أنس[٢]، فأتاه شابٌ، فقال: إني قد قلتُ أبياتاً ذكرتُك فيها، فاسمَعْها. قال: لا حاجة لي فيهـا. فقـال لي: أُحـبُّ أن تفعـلَ، قال: هاتِ.

فقال[٣]: [من الطويل]

سَلُوا مالكَ المُفتي عن اللَّهوِ والصِّبا، وحُبِّ الحِسانِ المغنجـاتِ الفَوارِكِ
يُخبِّـرْكُمْ أنـي مُصيبٌ، وإنما أُسَلِّـي همومَ النَّفسِ عنِّـي بذلكِ
فهَل في محبٍّ يكتُمُ الحبَّ والهوى أثـامٌ، وهَـل في ضَمَّـةِ المُتهالِكِ

فسُرِّيَ عن مالك، وقال: لا، إن شاء الله. وكان ظَنَّ أنَّه هجاه.

أخبَرَني أحمدُ بن يحيى ثَعلب عن عبد الله بـن شَبيب عن شيخ من عاملـة[٤] قال: مرَّ ابنُ مرجانة[٥] الشاعر بسعيد بن المُسَيَّب[٦] فقال: هذا ابن مَرجانة؟ قالوا:

---

[١٢٦]

(١) القصة في مصارع العشاق ٢: ١٨٥.

(٢) مالك بن أنس: شيخ الإسلام وحجة الأمة، إمام دار الهجرة توفي ١٧٩ هـ. (سير أعلام النبلاء ٨: ٤٣، طبقات خليفة ٢٧٩، مشاهير علماء الأمصار رقم ١١١٠، حلية الأولياء ٦: ٣١٦).

(٣) الأبيات في تزيين الأسواق ١٦ منسوبة لابن سحنون، وهي في مصارع العشاق ٢: ١٨٥ منسوبة لابن سرجون، وفيها اختلاف يسير.

(٤) عاملة بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. جد جاهلي قديم. وعاملة بنت مالك بن وديعة من قضاعة. أم جاهلية ينسب إليها بنوها من زوجها الحارث بن عدي بن كهلان وهم كثيرون. نزل بعضهم الشام فنسب إليهم «جبل عامل». (الأعلام ٣: ٢٥٦).

(٥) ابن مرجانة: سعيد بن مرجانة، مولى قريش، يكنى أبا عثمان، توفي ٩٧ هـ. (طبقات خليفة ٢٤٨، الوافي ١٥: ٢٥٧).

(٦) سعيد بن المسيب بن حزن القرشي المخزومي عالم أهل المدينة وسيد التابعين في زمانه، توفي سنة ٩٤ هـ. أو ٩٣ هـ. (سير أعلام النبلاء ٤: ٢١٧، الوافي ١٥: ٢٦٢).

نعَم. قال: هذا الذي يقول[٧]: [من الطويل]

سألتُ سعيدَ بنَ المُسَيَّبِ مُفتيَ الـ مدينةِ: هَل في حُبِّ دَهماءَ من وِزرِ[٨]
فقالَ سعيدُ بنُ المُسَيِّبِ: إنَّما تُلامُ على ما تَستطيعُ مِنَ الأمرِ

والله ما سألني إنسان عن شيء من هذا، ولو سألني لأجبت.

قال: وسُئل شَريك بنُ عبد الله[٩] القاضي عن العشّاق، فقال: أشدُّهم حبًّا أعظمُهم أجراً.

[١٢٧] وأنشدني[أحمد] بن يحيى لمسلم[١]: [من الطويل]

فوالله ما أدري، وإنـي لَسائلٌ بمكّةَ أهلَ العِلم: هلْ في الهَوى وِزْرُ
وهَل في اكتحالِ العَين بالعينِ رِيبَةٌ إذا ما التقَى الإلْفانِ لا بل به أجْرُ

وأنشدَني إبراهيمُ الأزدي[٢] لنفسِه: [من السريع]

ما العِشقُ في الأحرار مستنكرٌ، وما على العاشقِ من وِزْرِ

قال وأنشدني الجمّاش[٣]: [من الطويل]

إذا قبَّلَ الإنسانَ إنسانٌ يَشتهي ثَناياه لم يأثَم، وكان له أجْرَا
فإن زَادَ اللهُ في حَسَناتِهِ مثاقيلَ يَمحو اللهُ عنه بها وِزرا

وقال سائب راوية كُثَيِّر: حضَرتُ مع كُثَيِّر عند ابن أبي عَتيق، فأنشدَنا أبياتَ

(٧) البيتان في روضة المحبين ١٢٥.

(٨) خلل عروضي. فالعروض وردت على شكل فعولن من غير تصريع، وهذا مما لا يجوز.

(٩) شريك بن عبد الله القاضي (٩٦ - ١٧٧ هـ): نخعي، عالم بالحديث. استقضاه المنصور على الكوفة ١٥٣ هـ، ثم عزله وأعاده المهدي فعزله الهادي. (أخبار القضاة ٣: ١٤٩، سير أعلام النبلاء ٨: ١٧٨، الأعلام ٣: ١٦٣، تاريخ بغداد ٩: ٢٧٩).

[١٢٧]

(١) البيتان في ذيل شرح ديوان صريع الغواني ٣١٧ ومصدرهما الوشاء.

(٢) هو نفطويه.

(٣) الجماش: لم أعثر على ترجمة له ولعله محرّف الجماز والبيتان في أخبار النساء ٢٠٢ وفي مصارع العشاق ١: ٩٥.

ابن قيس الرُّقيّات التي يقول فيها[4]: [من المديد]

خبّروني هل على رَجُلٍ عاشقٍ في قُبلةٍ حرَجُ؟

فقال كُثيِّر: لا! إن شاء الله، ونهض.

وأنشدني علي بن العباس بن الرومي[5]: [من الخفيف]

أيُّها العاشقُ المعذَّبُ إصبر، فخطيَّاتُ ذي الهوى مَغْفوره
زَفرةٌ في الهوى أحطُّ لذنبٍ، من غَزاةٍ وحِجّةٍ مَبروره

وقال المؤمَّل[6]، وأحسنَ، واللهِ، في قولِه[7]: [من البسيط]

صِفْ لِلأحبَّةِ ما لُقِّيتَ من سَهَرٍ، إنَّ الأحبَّةَ لا يَدرُونَ ما السَّهَرُ
حَسْبُ المحبِّين في الدُّنيا عَذابُهُمُ، واللهِ لا عذَّبَتْهُم بعدَها سَقَرُ

وقال الأصمعي[8]: رأيتُ جاريةً بالطَّواف وهي تقول[9]: [من البسيط]

لَن يقبلَ اللهُ مِن مَعشُوقةٍ عمَلاً يوماً، وعاشِقُها حَيرانُ مَهجورُ
وليسَ يأجُرُها في قَتلِ عاشِقِها، لكنَّ عاشِقَها لا شكَّ مأجورُ

فقلتُ: يا جارية! أفي هذا المقامِ، أمَا حياء فيردعَك؟ فأنشأت تقول[10]: [من الكامل]

بيضٌ أوانسُ ما هَمَمْنَ بريبةٍ، كظِباءِ مكَّةَ صَيدُهُنَّ حَرامُ

---

(٤) الخبر والبيت في الموشح ١٣٦، والبيت في ديوان ابن قيس الرقيات ١٦٣.

(٥) البيتان ليسا في المطبوع من ديوان ابن الرومي. وتكاد المصادر تجمع على أنهما للفتح بن خاقان. فهما منسوبان إليه في فوات الوفيات ٣: ١٧٩، وفي معجم الأدباء ٦: ١٢٣ وفي ديوان الصبابة ٣٣.

(٦) المؤمل بن أُمَيـل: شاعر من أهل الكوفة. إشتهر في العصر العباسي وكان فيه من رجال الجيش. إنقطع إلى المهدي قبل خلافته وأثناءها (الأعلام ٧: ٣٣٤، معجم الشعراء ٣٨٤).

(٧) البيتان في الحماسة البصرية ٢: ١١٦ والثاني في روضة المحبين ١٤٤.

(٨) الخبر في مصارع العشاق ٢: ١٧٧ ويرويه عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب. وهو في روضة المحبين ١٧٤، ٣٣٢، وفي ديوان الصبابة ١٧٩ وفي تزيين الأسواق ٥١٤ وفي الزهرة ٦٧ - ٨.

(٩) البيتان في المصادر المذكورة أعلاه.

(١٠) البيتان في المصادر المذكورة أعلاه. وهما في الحماسة البصرية ٢: ١١١ منسوبان لعروة بن أذينة. وفي البيان والتبيين ١: ٢٧٦ لبشار بن برد، وهما في الزهرة ٦٨، وفي ديوان بشار ١٩٧.

يُخْسَبْنَ مِن لِينِ الكَلام زَوانياً، ويَصدُهُنَّ عَنِ الخَنَا الإسلامُ

[١٢٨] وقد قيل أيضاً: إن قتيلَ الهَوى لا قَوَدَ له، وإن دِماء أهلِ الهَوى تبطُلُ وتُهدَرُ.

ومن ذلك ما حُكي عن ابن عباس[١] أنه أُتِيَ بشابٍّ مَحمول قد صار كالشَّنِّ البالي، فقيل له: استشفِ اللهَ لهذا المريضِ، يا ابنَ عمِّ رسولِ الله. فقال له ابن عباس: ما عِلَّتُك يا فتى؟ فلم يُحِرْ إليه جواباً. ثم رفَع رأسه، وقال بلسان فصيح طَليق: [من الطويل]

به لوعةٌ لو تَشتكي الصُّمُّ مثلَها، تفطَّرتِ الصُّمُّ الصِّلابُ وخرَّتِ[٢]
ولو قَسمَ اللهُ الذي بي مِنَ الهَوى، على كلِّ نَفسٍ حَظَّها ما أبلَّتِ

ثم خَفَتَ خفتةً ثم فتح عينيه، وهو يقول[٣]: [من الطويل]

بِنا مِن جَوى الحبِّ المُبرِّح لوعةٌ، تكادُ لها نفسُ الشَّفيقِ تَذوبُ
ولكنَّما أبقَى حُشاشَةَ ما تَرى على ما به عُودٌ هناك صَليبُ

فقال ابن عباس: ممَّنِ الرجلُ؟ فقال: من بني عُذرة، ثم شهق شهقة فمات. فقال ابن عباس لجلسائه: هل رأيتم وجهاً أليَقَ ولساناً أذلقَ من هذا؟ هذا والله قتيلُ الهَوى لا قَودَ لَه ولا دِيَةَ[٤]، وإلى الله أرغبُ في العافية مما نَرى.

[١٢٩] وأنشد أحمد بن يحيى ثعلب[١]: [من الطويل]

إذا هُنَّ ساقَطنَ الحديثَ لذي الهَوى سقوطَ حصَى المَرجانِ من كَفِّ ناظمِ
رمَينَ، فأصمَينَ القلوبَ، فمَا تَرى دماً سائلاً، إلاّ جَوىً في الحَيازِمِ

---

[١٢٨]

(١) الخبر في مجالس ثعلب ٩٤. وفي نهاية الأرب ٢ : ١٨٤.

(٢) الصم: الحجارة.

(٣) البيتان في مجالس ثعلب ٩٤، وفي نهاية الأرب ٢ : ٩٤.

(٤) في مجالس ثعلب ونهاية الأرب: لا عقل له ولا قود. والقود: القصاص وقتل القاتل.

[١٢٩]

(١) الأبيات منسوبة لأبي حية النميري في الحماسة البصرية ٢ : ٨٥، وفي أمالي القالي: ٢ : ٢٨١، وفي أمالي=

فأيُّ دمٍ، لو تعلمينَ، جَنَيْتِهِ على الحُرِّ، جاني مثلِهِ غيرُ سالمِ
أمَا إنَّه لو كان غيرُكِ أرقلت إليه القَنا بالمُرهَفاتِ الصَّوارمِ
ولكن، وبيتِ اللهِ، ما طلَّ مُسلِماً كغُرِّ الثَّنايا، واضحاتِ المعاصمِ

وأنشدني أبو عبد الله الواسطي لنفسه: [من الطويل]

قضَى الله في القَتلى قِصاصَ دمائِهم، ولكنْ دماء العاشِقينَ جُبارُ[2]
تُطَلُّ دماء العاشقين، وثأرُها لدَى الحدقِ المَرضَى، وذلك ثارُ

قال الأحوص بن محمد الأنصاري[3]: [من البسيط]

ما تُذكَرُ الدهرَ لي سُعدَى وإن بعُدت إلاَّ تَرَقرَقَ ماءُ العين، فاطَّرَدا
يا للرِّجالِ لِمَقتولٍ بِلا تِرةٍ، لا يأخذُون لَه عَقْلاً، ولا قَوَدا

وحدَّثني العَنَزي أبو علي عن الزُّبير بن بكَّار عن محمد بن عبد الله بن مسلم بن جُندَب[4] عن أبيه قال[5]: خرجتُ مع أبي سفيانَ، فلقينا نُسوةٌ ينظرن العقيقَ[6]، فيهن امرأةٌ حسناء العينِ، فقال أبي[7]: [من الطويل]

= المرتضى ١: ٤٤٣، وفي زهر الآداب ٤٨، وفي سمط اللآلي ٩٢٥.
وقوله: ما طَلَّ مسلماً: يريد ما طلَّ دمُهُ. يقال دم مطلول إذا مضى هدراً.
(٢) جبار: لم يؤخذ بثأر صاحبها.
(٣) شعر الأحوص ١٠٤.
والترة من الوتر وهو الإصابة بظلم أو مكروه.
(٤) عبد الله بن مسلم بن جندب بن حذيفة بن عمرو بن زهير بن خداش الهذلي القارىء. أحد قراء الرواة. وكان يدخل على المهدي مع القراء ومع الرواة ومع المغنين ومع القصاص، ويتناول أعطيات كل منهم. (الوافي بالوفيات ١٧: ٦٠٩).
(٥) الخبر في ذم الهوى وفيه: خرجت مع أبي زبان، وحسب الرواية: استبعد أن يكون أبو سفيان.
(٦) العقيق: العرب تقول لكل مسيل ماء شقّهُ السيل في الأرض فأنهره ووسعه عقيق. وفي بلاد العرب أربعة أعقة. فمنها عقيق عارض اليمامة. ومنها عقيق بناصية المدينة، ومنها عقيق البصرة، ومنها العقيق واد لبني كلاب ينسب إلى اليمن. وقد أكثر الشعراء من ذكر العقيق وذكروه مطلقاً، ويصعب تمييز كل ما قيل في العقيق (معجم البلدان ٤: ١٣٩)، وفي ذكر العقيق اختلاف في (معجم ما استعجم ٩٥٢).
(٧) البيتان لأبي مسلم بن جندب في العقد الفريد ٦: ٤٢٣، وهما له في ذم الهوى ٣١٦ بدون تغيير في رسم الكلمات.

ألا يا عبادَ اللهِ هذا أخوكمُ قتيلاً، فهلْ فيكم به اليومَ ثائرُ
خُذُوا بدمي، إن متُّ، كلَّ خَريدةٍ، مريضةِ طَرفِ العَين، والجَفنُ ساحرُ

قال: فالتفتت إليّ امرأةٌ، فقالت: يا بُنيَّ احتسِبْ أباكَ، واغتنم نُهبَيْك، فإن قتيلَنا لا يُودَى وأسيرَنا لا يُفدَى.

[١٣٠] وأنشدني أحمدُ بن يحيى لجرير بن الخَطَفَى[١]: [من البسيط]

هل في الغواني لِمَن قتَّلنَ مِن قَودٍ، أو من دياتٍ لقَتلَى الأعيُنِ الحُور
تَبيتُ ليلَك في وَجدٍ تُخامِرُهُ، كأنَّ في القلبِ أطرافَ المَسامير
ما كنتَ أوّلَ مَحزُونٍ أضرَّ بهِ بَرْحُ الهَوى، وعذابٌ غيرُ تَفتير

وقال أيضاً[٢]: [من البسيط]

إذا كَحَلْنَ عيوناً غَيرَ مُقرفةٍ رَيَّشنَ نَبلاً لأصحابِ الصِّبَى صُيُدا
ما بالُ قَتلاكِ لا تَخشَينَ طائلَهم، لم تَضمني دِيةً منهم ولا قَوَدا

وقال عمر بن لجأ[٣]: [من الوافر]

تراءت، كي تكيدَك، أمُّ عمرٍو، وكَيدُكَ بالتبرُّجِ ما تكيدُ
وكيفَ قَتَلتِني، يا أمَّ عمرٍو، ولا قَوَدٌ عليكِ، ولا حُدودُ

وقال أعرابي، وما أساء: [من الطويل]

أقاتلتي، يا للرجالِ، حبيبة إليَّ، بلا جُرم لدَيها ولا ذَحْلِ[٤]
فَقيمُ دِماءِ العاشقينَ مضاعةٌ بلا قَوَدٍ، عندَ الحِسانِ، ولا عَقلِ

---

[١٣٠]

(١) ديوان جرير ١٩٣.

(٢) ديوان جرير ١٢٥.

(٣) عمر بن لجأ: هو من تيم بن عبد مناة، كان يهاجي جريراً، مات بالأهواز، توفي نحو ١٠٥ هـ. (الأعلام ٥: ٥٩، الشعر والشعراء ٥٧٠).

(٤) الذحل: طلب الدم.

وأحسنَ واللهِ المؤمَّلُ حيثُ يقول(٥): [من البسيط]

إنّـي قُتِلـتُ بِلا جُرْمٍ، وقاتلتي، يا قومِ، جاريةٌ في طَرفِهـا حَوَرُ
لمَّا رمَت مُهجَتي قالـت لِجارتِها: إنّـي قتلـتُ قتيلاً مَا لَه خَطَرُ
قتلـتُ شاعـرَ هذَا الحـيّ مِن مُضرٍ، فاللهُ يعلَـمُ ما ترضَـى بذا مُضَرُ
شكوتُ ما بي الى هِندٍ، فما اكترثَت، يا قلبَهـا! أحـديدٌ أنـتَ أم حجرُ
إن كُنـتِ جاهلـةً بالحـبِّ، فانطلقي إلـى القُبـورِ، ففيمـن حلَّهـا عِبَرُ

[١٣١] وقد قيل أيضاً: إنَّ قتيل الهوى شهيدٌ، على ذلك أجمعَ، واللهُ يعلمُ، الأدباء وأهل العِلمِ والظَّرف لموجودِ الأخبار ومُسند الآثار.

حدثنا قاسم الزبيدي بإسناد ذكَرَه عن ابن عباس قال: قال رسول الله، ﷺ: «من تعشَّقَ فعفَّ فهوَ شهيد»(١).

وقال بشّارُ بنُ برد العُقَيلي(٢): [من الخفيف]

قُـربُ دارِ الحبيبِ قُرَّةُ عَيـنٍ وكأنَّ البُعـادَ في القَلـبِ ثُكلُ
إنَّ موتَ الـذي يمـوتُ مِن الحـبِّ عفيفـاً له على النـاسِ فضلُ

ولبعض المتأدبين: [من الخفيف]

ليتَنـي مُتُّ، والهـوى داء قلبي، إنَّ مَيتَ الهَـوى لَمَيتٌ شَهيدُ

ولقد أحسن جميل حيث يقول(٣): [من الطويل]

ألا ليتَ شِعـري هل أبِيتـنَّ ليلةً بوادي القُـرى، إنّـي اذاً لسَعيدُ
يقُولـونَ جاهـدْ، يا جميلُ، بغَزوةٍ وأيُّ جِهـادٍ غيرَهـن أريدُ

---

(٥) الأبيات في الحماسة البصرية ١١٦ ـ ١١٧ دون الأول، وفيها اختلاف يسير.

[١٣١]

(١) القول منسوب لابن عباس باختلاف في مصارع العشاق ١: ١٠٣، وفي الوافي ٣: ٦٠

(٢) البيتان في ديوان بشار ١٧٦ ومصدرهما الظرف.

(٣) الأبيات في ديوان جيل ١٦ ـ ١٧.

لكلٍّ حَديثٍ بينَهنَّ بشاشةٌ، وكلّ قتيلٍ بينَهنَّ شهيدُ

ومُلَحَ الحكَمي حيث يقول[٤]: [من مجزوء الرمل]

ولقد كُنّا رُوينا عن سَعيدٍ عن قَتاده[٥]
عن سَعيدِ بنِ المُسَيَّبْ أنَّ سَعدَ بنَ عُباده
قال: من ماتَ محبًّا، فله أجرُ الشَّهاده

[١٣٢] واعلم بأن العِشقَ يَحسُنُ بأهلِ العِفة والوفاء، ويقبُحُ بأهلِ العهرِ والخَنا مع أن الهوى قد فَسد وقلّ الوفاء وكثُرت الخيانةُ والغدرُ. واستعمل الناسُ في العشق شيئاً ليسَ من سُنّة الظَّرف، ولا من أخلاق الظُّرفاء. وذلك أن أحدَهم مَتى ظَفِرَ بحَبيبه، وأصاب الغَفلةَ من رقيبِه، لم يَعفَّ دونَ طلب المعنَى، فهذا فساد الحبّ، ودمار العِشق، وبُطلان الهَوى، وتكدير الصفاء.

أنشدني عبد الحميد المَلطي[١]: [من السريع]

قد فسد الحبُّ وهانَ الهَوى، وصارَ من يَعشَقُ مُستعجِلا
يُريدُ أن ينكِحَ أحبابَه، من قَبلِ أن يَسهَرَ أو يَنحُلا

ولأحمد بن أبي فنَن[٢] في مثل ذلك: [من الرمل]

---

(٤) الأبيات على الرسم الذي وردت عليه ليست في ديوان أبي نواس، وهي في تزيين الأسواق ١٥ منسوبة إليه. وأيضاً في تاريخ بغداد ٧: ٤٣٨.

(٥) سعيد بن بشير (توفي ١٦٨ هـ): مولى ازد البصرة. كان قدرياً. (الوافي ١٥: ٢٠٥).

قتادة بن دعامة توفي ١١٨ هـ: حافظ ومفسر روى عنه سعيد بن بشير(الأعلام٥: ١٨٩، سير أعلام النبلاء ٥: ٢٦٩).

وسعد بن عبادة: (توفي ما بين ١٤ ـ ١٦ هـ): سيد الخزرج وأحد النقباء. وهو الذي عزمت الأنصار على مبايعته بعد موت النبي ﷺ تشيد المصادر بأهميته وزعامته وروايته الحديث. (الوافي ١٥: ١٥٠، سير أعلام النبلاء ١: ٢٧٠).

وضبط الأسماء عن طريق أخذ الرواية.

[١٣٢]

(١) البيتان في المستطرف ٢: ١٨٥.

(٢) أحمد بن أبي فنن: واسم أبي فنن صالح. وكنيته أبو عبد الله. كان شاعراً مفلقاً مدح محمد بن عبد=

أنـا لا أبـدأ بغـدرٍ أبداً، فإذا ما غدَرَت لم أترُكْ
واجـداً مِنهـا بـديـلاً مثـلَ ما وَجَـدَت مِنِّـي بَديلاً، لا تَشُكّ
وأرانـي اقتصـدُ الليلَ لَها ساهـراً أطلُـبُ وَصـلاً قد هلَكْ
وهْـيَ فيمـا تَشتهـي لاهيةٌ، مِتُّ إن دارَ بِهـذَينِ فَلَكْ
كان للنـاسِ وفـاءٌ مرّةً، فانقضَـى، وانحلَّـتِ اليوم التكَكْ

وحدثني أبو العَيناء قال: حدثني الجاحظُ قال: كتب بعضُ الظُّرفاء إلى مُلْك جارية أبي جعفر[3]: [من السريع]

يا مُلْكُ قد صِرتُ إلـى خُطَّةٍ، وكنـتُ فيهـا مِنْـكِ ذا ضَيمِ
يلومُنـي النـاسُ علـى حبكُم، والنـاسُ أولـى فيكِ باللَّومِ

فكتبت إليه[4]: [من السريع]

إن تكُنِ الغُلمـةُ هاجـت بكم، فسَـكِّنِ الغُلمـةَ بالصَّومِ
ليسَ بكَ الشـوقُ، ولكنَّما تدورُ مِن هَذا علـى الكَوْمِ

[١٣٣] واعلم أن العِشقَ لا يكونُ مع الفِسق، ومتى مازجَ العِشقَ الفسقُ ضَعُفَت قُواه، وانفصَمت عُراه، وهم لا يُريدون غيرَ الرَّفَث، ويسمونـه مسـاميرَ الحـبِّ، وزعَموا أن أسبابَ الحبِّ لا تتصل إلا به، ولا يزال منحلاً، حتى يشدَّهـا ذلك، وينشدون: [من البسيط]

العِشـقُ داءٌ دَويٌّ لا دواء له، إلا العِنـاقُ وإفشـاءُ السَّرِيراتِ
وليسَ يُلتـذُّ طيبُ العَيشِ مِن أحدٍ إلا بِعَضِّـكَ، أو رَشفِ الثَّنِيّاتِ
ووَضعِك الصَّدرَ فوقَ الصَّدرِ تجمَعُهُ ضمّـاً إليكَ علـى ظَهـرِ الحَشيّاتِ

= الله بن طاهر والفتح بن خاقان. من الشعراء السود، توفي بين سنتي ٢٦٠ ـ ٢٧٠ هـ. (فوات الوفيات ١: ٧٠، تاريخ بغداد ٤: ٢٠٢، طبقات ابن المعتز ٣٩٦، الوافي بالوفيات ٦: ٤٢٣).

(٣) البيتان في روضة المحبين ٣٢٨ وفيها اختلاف وينسبان للعتبي.

(٤) البيتان في روضة المحبين ٣٢٨ وفي محاضرات الأدباء ٢: ٢٢٩ دون نسبة.
والغلمة: شدة الانقياد إلى الشهوة. والكوم: النكاح.

وينشدون أيضاً في مثل ذلك[١]: [من الوافر]

رأيتُ الحبَّ ليسَ لـه دواءٌ، سوى وضع البُطون على البُطونِ
وإلصاقِ الثَّنايا بالثَّنايا، وأخذٍ بالمَناكِبِ والقُرونِ

وقد ناظرتُ بعضَهم مرة منِ المِرار، فاحتج بخبر ابن عباس عن النبي، ﷺ، فاحتجُّوا بظاهر الخبر، ولم يفحَصوا عن التأويلِ، وهذا خِلاف ما يفعلُ أهل الظَّرفِ والأدب، وغير هذا جاء عن العرب.

وقد بلغني عن الأصمعي أنه قال: قلت لأعرابي مرَّة: ما العِشقُ فيكم؟ قال: النَّظرة بعدَ النَّظرة، وإن كانت القُبلة، فهو الوصول إلى الجَنَّة. فقلت: ليسَ العِشق عندنَا كذلك، قال: فما هو عِندكُم؟ قلت: تَفرقُ بينَ رِجلَيها وتَحملُ نفسكَ عليها. فقال: بأبي أنتَ لستَ بعاشقٍ، إنما أنتَ طالبُ ولد[٢].



---

[١٧٣]

(١) البيت الأول في ألف باء ١: ٢٧٢، وهما في ديوان الصبابة ١٧٦ باختلاف كبير، وهما أيضاً في العقد الفريد ٦: ١٤٠، وفي الشريشي ٢: ٣٠ وفيهما اختلاف وفي السمط ٦٩٢ منسوبان لأم الضحاك المحاربية باختلاف كبير.

(٢) الخبر في المستطرف ٢: ١٨٥، وفيه اختلاف.

باب
ما جاء فيمن تعفَّفَ في محبته
ورعى عقود عهود مودَّته

[١٣٤] وما وَجدنا أحداً من العرب يفعلُ ذلك، ولا صمَد نحوَه، وقد كان الواحد منهم يعشقُ من أولِ دهرِه إلى آخرِه لا يُحاول فسقاً ولا يقرَب رَفَثاً، ولم يكن لهم مراد إلا في النَّظر، ولا حظٌّ في غير الاجتماع والمؤانسةِ، والحديثِ والشعر، كما قال الفرزدق[1]: [من الوافر]

وجَدتُ الحُبَّ لا يَشفيه إلاّ لِقاءٌ يقتُلُ الغُلَلَ النِّهَالا
أُحبُّ من النساء، وهنَّ شتَّى، حديثَ النَّزرِ، والحَدقَ الكِلالا
مَوانِعُ للحَرامِ بِغَيرِ فُحْشٍ، وتَبذُلُ ما يكونَ لَها حَلالا[2]

وكان الواحد منهم إذا تعلَّقَ خِلَّةً لم يفارقها حتَّى المماتِ، ولم يشغَل قلبه بغيرِها، ولم يَهمَّ بالسُّلوِّ عنها، وقَصرَ طرفَه عمَّن سِواها، وكذلك هي أيضاً كانت له بتلك المنزِلة، فأيُّهما هلَك قبل صاحبه قتلَ الآخرُ نفسَه في أثرِه، أو عاش حافظاً لودِّه قائماً بعَهده، لا ينسَى ذكرَه، ولا يصِلِ غيرَه. فاستحسنَ الناسُ الملَل والاستبدالَ، والغَدر والانتقالَ، وصارَ أشدُّهم ظَرْفاً، وأحسَنهم إلفاً، يتعشَّقُ السِّنين الكثيرةَ، والدهورَ الطويلة، ويتوهَّم بفعلِه أنَّه عاشقٌ، فإذا فقدَ حبيبَه يوماً

[١٣٤]
(١) الأبيات في ديوان الفرزدق ٢ : ٩٩.
(٢) ورد صدر هذا البيت في الأصل: موانع للحرام وكل نحسٍ. والتصحيح من الديوان.

واحداً، استبدلَ به سواه. ويُنشدون في ذلك[٣]: [من الكامل]

أفخـر بآخِـرِ من بُلِيتَ بحبِّهِ، لا خيرَ في حبِّ الحبيبِ الأوَّلِ
أتشُكُّ في أنَّ النبـيَّ مُحمَّداً سادَ البريَّةَ، وهـو آخِـرُ مُرسَلِ

وأنا أبرأ إلى اللهِ أن يكونَ هذا من شعر ظريفٍ أو من فعلِ حصيفٍ، ولكن قد أحسنَ أبو تمام الطائي حيثُ يقول[٤]: [من الكامل]

البينُ جرَّعَنـي نَقيعَ الحَنظَلِ، والبَينُ أثكلَنـي، وإن لم أثكَلِ
ما حَسْرتـي أن كِدتُ أقضـي، إنما حسَـراتُ نفسـي أنني لم أفعَلِ
نَـقِّلْ فُؤادَكَ حيثُ شِئتَ منَ الهوى، ما الحُـبُّ إلا للحَبيبِ الأوَّلِ
كم منـزِلٍ في الأرضِ يألَفُـه الفتى، وحَنينُـه أبـداً لأوَّلِ منزِلِ

[١٣٥] على أنه ليسَ التنقُّلُ من حَبيب أول إلى حبيب ثانٍ بحسَن، وإنما الحبُّ ما أقام عليه القلبُ، فلم يجِد التخلُّص منه إلى غيره، كما قال جرير[١]: [من الوافر]

أخالِـدَ، قد هَوِيتُـكِ بعـدَ هِندٍ، فشيَّبَنـي الخَوالِـدُ والهُنودُ
هوًى بتهامـةٍ، وهـوًى بنجدٍ، فتُبْليني التَّهائـمُ والنُّجودُ

ولا كقوله أيضاً[٢]: [من الطويل]

أُحِبُّ ثرَى نجدٍ، وبالغَـورِ حاجةٌ، فغارَ الهَـوى، يا عبـدَ قيسٍ، وأنجدا

ولا كقول الآخر[٣]: [من مشطور الرجز]

---

(٣) البيتان في ديوان الصبابة ٥ دون نسبة.

(٤) الأبيات في ديوان أبي تمام ٤٠٧. وورد صدر البيت الأول: البين جرّعنيّ. والتصويب من الديوان. وفي عجز البيت الثاني ترد: حسرات قلبي. . . .

[١٣٥]

(١) البيتان في ديوان جرير ١٢٦ ـ ٧. وفيهما اختلاف يسير.

(٢) ديوانه ١٤٤.

(٣) في ألف باء ١: ٢٠٩، وفي ديوان الصبابة ٢١، وفي روضة المحبين ٣٣. وترد في بعض المصادر: وشجن لي ببلاد السند.

إنـــي سأُبــدي الحــبَّ فيمــا أُبدي لي شَجَنَــانِ: شَجَــنٌ بنَجدِ
وشجَنٌ لي ببلادِ الهِندِ

ولا كقول الآخر: [من الوافر]

هوًى بالغَــوْرِ لي، وهــوًى بنَجدٍ، فمــا أدري أأنجِــدُ أم أغورُ[4]
بكُلٍّ حاجــةٌ، وهــوًى مُقيمٌ بقلبِــكَ قد تَضَمَّنَــه الضَّميرُ
بشرقــيّ العِــراقِ، ببــابِ عمرٍو، وبالغُــورَيْنِ زينــبُ والقدورُ

هذا والله من ألفاظ الشعر أسمجُ جداً. وقد كذَب هؤلاء، وادَّعوا وجداً، وهل يجتمع وَجدانِ في موضعٍ؟ ولكن قد أحسنَ جميلٌ حيث يقول[5]: [من الطويل]

وقلــتُ لِنِســوانٍ تَعرَّضْــنَ دونَها: أَلَيكُنَّ إنــي غيرَكُنَّ أُريدُ

وحيث قال أيضاً[6]: [من الطويل]

وكَم مِن بديلٍ قد وَجَدنــا وطُرفةٍ، فتأبَــى علــيَّ النَّفسُ تلك الطَّرائفا

فهذا هو الصادقُ الهوى الخالِص الوفاء، لا جرير وصاحبُه ولا الذي يقول[7]: [من الطويل]

أرى ذا، فأهــواه، وأُبصِــرُ غيرَه، فأتــرُكُ ذا ثم آستَبِــدُّ بِذا عِشقا
ثمانــون لي في كلِّ يومٍ أُحبُّهم، ومــا في فؤادي واحــدٌ منهــمُ يَبقى

فَقَبَّح اللهُ هذا اللفظَ لفظاً، ولا أُعطيَ قائلُه حظًّا، فليس من شِعرِ وامقٍ، بل هو من فعل مُماذق. ولا والله ما التنقُّل من شأنِ الأدباء، ولا الاستبدالُ من فِعل الظُّرفاء،

---

(٤) الغور: المنخفض من الأرض، ومن ذلك غور تهامة. والغُورين: بضم الغين، أرض. (معجم البلدان ٤: ٢١٦، ٢١٨). والغورين أيضاً غور تهامة وغور الشام.

(٥) البيت في ديوانه ١٦ ويرد على الشكل التالي:

ويحســب نســوان من الجهــل أنني إذا جئــت إياهــن كنــت أريدُ

وفي البيت أقواء إذا استخدم الضم بدلاً من النصب.

(٦) ديوانه ٧٥ .ووردت القافية في الأصل الطرائف.

(٧) البيتان في محاضرات الأدباء: ٥١ دون نسبة.

وإنَّما الهوى ما حَسُنَ سريرتُه، وهيهاتِ ذوو الوداد الخالص، والصفاء الدائم، والحب اللازم، وذوو الحفاظ، ورعاة العُهود، والمتمسكون بالوفاء والراغبون في صحيح الإخاء إليك. فقد تنقَّصت وثائقُ الحبِّ، وانفصَمت عُرى الهوى، وتقطَّعت أسبابُ العِشق، وتكدَّر صافي المودّة. والناسُ كما قال الشاعر: [من البسيط]

قَلَّ الثِّقاتُ، فما أدري بمن أثِقُ، لم يبقَ في الناسِ إلا الزّورُ والملَقُ

[١٣٦] [غدر النساء]

وإن الغَدر في النساء طَبع، والمطل منهن غريزة، وهو في النساء أكثرُ منه في الرجالِ، فقد أنشدني بعضُ الأدباء: [من الطويل]

وكنَّا جعَلنا اللهَ شاهدَ بيننا، وفي اللهِ بينَ المُسلمينَ شَهيدُ
فخِستِ بعهد الله لو تَعلمينَه، وفيكنَّ مَن لَيست لهنَّ عُهودُ

واعلم أنَّهن لا عهودَ لهن، ولا وَفاءَ لحبِّهن، ولا دوامَ لودّهن، وأن أقبحَ ما رُوي مِن غَدرِهنّ ما حَدثنيه ابن أبي خَيثمة[1] عن شيوخِه: أنَّ عاتِكةَ بنتَ زيد بن عمرو بن نُفيل كانت عند ابن أبي بكر الصِّدِّيق، رضي الله عنه، فأحبَّها حبًّا شديداً شغَلَته عن تجارَته، فأمَرَه أبو بكر، فطلَّقها[2]، ثم اطَّلع عليه وهو يقول[3]: [من الطويل]

فلم أرَ مثلي طلَّقَ، اليومَ، مثلَها، ولا مثلَها في غير جُرمٍ تُطلَّقُ
لها خُلُقٌ سَهلٌ، وحُسنٌ، ومَنصِبٌ، وخَلْقٌ سَويٌّ ما يُعاب، ومنطِقُ

---

[١٣٦]

(١) ابن أبي خثيمة لم نهتد إلى ضبطه لوجود عدة أسماء تحمل هذه الكنية، انظر: كتاب الكنى للدولابي ١٦٦ أبو خثيمة، كما أن انقطاع سلسلة الرواة يشكل واحداً من عوامل الصعوبة.

(٢) القصة في المردفات من قريش ١: ٦١، ضمن مجموعة نوادر المخطوطات. وفيها ترجمة وافية لعاتكة زوج عبد الله بن أبي بكر. والقصة أيضاً في العقد الفريد ٦: ١٢٢، وهي أيضاً في الإصابة في تمييز الصحابة، قسم النساء رقم ٦٩٥.

(٣) الأبيات في المردفات ١: ٦١، والأول منها في العقد الفريد، وأيضاً في الإصابة. وهي جميعها في الأغاني ١٦: ١٢٨ (الهيئة).

أعاتِكَ قلبي، كلَّ يومٍ وليلةٍ، إليكِ بما تُخفي النفوسُ مُعلَّقُ
أعاتكَ لا أنساكِ ما حجَّ راكبٌ، وما لاحَ نجمٌ في السماء مُحلِّقُ

فرقَّ عليه أبو بكر وأمره فراجعها، فقال لما رجعت إليه[4]: [من الطويل]

أعاتكُ، قد طُلِّقتِ من غيرِ بِغضةٍ، ورُوجِعتِ للأمرِ الذي هوَ كائنُ
كذلكَ أمرُ اللهِ غادٍ ورائحٌ، على الناسِ، فيه أُلفةٌ وتَبايُنُ
وما زالَ قلبي للتَّفرُّقِ بائناً، فقلبي لما قد قرَّب اللهُ ساكنُ
لِيَهنكِ أني لم أجِد منكِ سَخطةً، وأنَّكِ قد جُلِّت عليك المَحاسنُ
وأنَّكِ مِمَّن زيَّنَ اللهُ أمرَها، وليسَ لما قد زَيَّنَ اللهُ شائنُ

فلم تزل عنده، حتى قُتل يوم الطائف[5]، رُمي بسهم فمات، فجزعت عليه جزعاً شديداً وقالت ترثيه[6]: [من الطويل]

آليتُ لا تَنفكُّ عيني حزينةً عليكَ، ولا يَنفكُّ جِلدي أغبرا
فللهِ عيناً مَن رأى مثلَه فتًى أشدَّ، وأحمَى في الهِياجِ، وأصبرا
إذا أُشرِعت فيهِ الأسنَّةُ خاضَها إلى الموتِ، حتى يَترُكَ الرُّمحَ أشقرَا

ثم خطَبها عُمر بن الخطاب، فتزوجها، فأولم عليها، ودعا أصحاب النبي، ﷺ، قال: فقال له علي بن أبي طالب: ائذَن لي لأُدخِلَ رأسي الى عاتكة أُكلِّمُها؛ قال: افعل، فأدخلَ رأسَه إليها فقال: يا عُدَيَّةَ نفسِها! أهكذا كان قولك[7]: [من الطويل]

آليتُ لا تَنفكُّ عيني سَخينةً عليكَ، ولا ينفكُّ جلدي أغبرا!

فبكَت، فقال له عمر: ما دعاك إلى هذا يا أبا الحسن؟ فغفر الله لك، إنّهن

(٤) الأبيات في المردفات وفيها اختلاف.
(٥) يوم الطائف في شوال من سنة ٨ للهجرة حاصر المسلمون الطائف وعلى رأسهم الرسول ﷺ وقد حاصرها مدة اختلف فيها وهي ما بين خمسة عشر يوماً وبضعاً وعشرين يوماً. وفيها أصيب عدد من المسلمين من رمايات ثقيف وبينهم عبد الله بن أبي بكر الذي ظل يعاني من اصابته حتى توفي بعد وفاة رسول الله ﷺ (عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ٢٥٩ - ٦٠).
(٦) الأبيات في المردفات. نفس المكان.

يفعلن هذا، قال: أردتُ أن أُعلِمَها أنّه لا عهدَ لهنّ، فمكثت عنده، حتى قُتِلَ عنها، قتله أبو لؤلؤة[8]، فقالت ترثيه[9]: [من الخفيف]

عَينِ جُودي بعَبرةٍ ونحيبِ ... لا تَملّي على الأميرِ النَّجيبِ
فَجعَتني المَنونُ بالفارس المُعـ ... ـلِمِ يومَ الهِياجِ والتأنيبِ
عِصمةُ اللهِ، والمُعينِ على الدَّهـ ... ـرِ، غِياثُ الملهوفِ والمكرُوبِ
قل لأهلِ البأساء والضُّر: مُوتُوا، ... قد سقَتهُ المنُونَ أمُّ الرَّقوبِ

ثم تزوجها الزبير بن العوام[9]، فمكثت عنده حتى قُتل عنها منصرفاً من الجمل، بوادي السباع، قتله ابن جرموز فرثته وفيه تقول[10]: [من الكامل]

غدر ابن جُرْموزبفارسُ بهمةٍ ... يوم اللقاء وكان غير معرِّدِ
يا عمرو لو نبهته لوجدته ... لا طائشاً رُغب الجنان ولا اليدِ
ثكلتك أمك إن قتلت لمسلماً ... حلّت عليك عقوبة المتعمِدِ

فخطَبها عليُّ بن أبي طالب، فبعث إليه: إني لأضَنّ بك عن القتل، وإنما استَحْيَت فامتنَعت. وقد تزوجت بأثنين[11] من بعدِ قولِها: [من الطويل]

آليتُ لا تَنفكّ عيني سَخينةً ... عليكَ، ولا يَنفكّ جِلدي أغبرا

[١٣٧] قال: وحدثني أبو الفضل الربعي قال: حدثني أبو ربيعة العامري الكوفي قال: حدثني علي بن عمرو الأنصاري قال: دخلت المُدِلّة البَكرية، زَوجة

---

(٧) أرجح تغييراً أوردته بعض المصادر: سخينة: قريرة. واغبرا: أصفرا.

(٨) أبو لؤلؤة فيروز، غلام المغيرة بن شعبة، طعن عمرا بخنجر ذي رأسين، نصابه في وسطه وهو كامن له في زوايا المسجد بغلس. ثم قتل نفسه، وذلك في آخر ٢٣ هـ. (الوافي ٢٢: ٤٦٣).

(٩) الأبيات في المردفات وفيها اختلاف.

(١٠) الزبير بن العوّام، (توفي ٣٦ هـ): يلتقي نسبه مع رسول الله ﷺ في قصي بن كلاب وهو الأب الخامس، وأمه صفية بنت عبد المطلب عمة الرسول. هاجر الهجرتين، وهو أول من سل سيفه في سبيل الله وهو حواري رسول الله، والد عبد الله. قتل عند منصرفه يوم الجمل. قتله ابن جرموز التميمي مع جماعة بوادي السباع على سبعة فراسخ من البصرة. (الوافي ١٧: ١٨٠، اعلام النبلاء ١: ٤١).

(١١) هذا الخبر يناقضه ما ورد في المردفات من أنها تزوجت بعد الزبير من محمد بن أبي بكر ثم من عمرو ابن العاص. ومثله ما ورد في المحبر ٤٣٧.

المُغيرة بن أبي ضِمام البكري، وكان يحبُّها حبًّا شديداً، على المُغيرة [بن عبد الله] بن أبي عقيل[1]، تُخاصم في بعض أمورِها، فلما خَرجت المُدلَّة قال: أنت التي يقولُ فيك المُعَذَّل[2]: [من الكامل]

قُـل للمُدلَّـة طالَ ذا التعديدُ، فدَعـي التعلُّلَ والمِطـالَ قَليلا
ويَزيدُها حَلْـيُ النِّسـاء مَلاحةً، ويَزيدُ ذلك بعضَهـن خَبُولا

قالت: نعَم. قال: فَلِمَ تزوَّجتِ بعدَه؟ أفٌّ لكنَّ! قالت: أتُنصف؟ ما كنتُ بَدِيًا، وما كنتُ بَنيًا. فضَحِكَ منها وأمرَها بالانصراف.

ورُوي أن امرأة من نساء العرب تزوَّجت رجلاً من خَثْعَم، فوجدَ كلّ واحد منهما بصاحبه وجداً شديداً، وأنهما تحالَفَا أن لا يتزوج أحدُهما بعد صاحبه، فمات قبلَها، فتزوجت، فلامها بعض أهلها، وقالوا: أين ما كنت تَجِدين به؟ فأنشأت تقول[3]: [من الطويل]

وقد كان حُبّي ذاكَ حبًّا مُبرِّحاً، وحُبّـي لِذا إذ ماتَ ذاكَ شديدُ
وكانَ هَواي عنـدَ ذاكَ صَبابةً، وحُبّـي لذا، طولَ الحياةِ، يَزيدُ
فلمَّا مضَى عادَت لهـذا مَوَدَّتـي، كذاكَ الهَوى، بعدَ الذهابِ يَعودُ

[١٣٨] وقال صالح بن حَسَّان[1]: لما احتُضِرَ حسَنُ بن الحسَن بن علي بن أبي

---

[١٣٧]

(١) المغيرة بن أبي عقيل الثقفي: كذا، والصواب كما أثبتناه. هو والي الكوفة للحجاج بن يوسف في ٧٨ هـ. (تاريخ الطبري ٦: ٣١٩) وعده ابن حبيب من حمقى ثقيف (المحبر ٣٨٠).

(٢) المعذل: أحد بني قيس بن ثعلبة. إسلامي، مدح النهاس بن ربيعة العتكي لأنه كفل به. قدم على المهلب بخراسان (معجم الشعراء ٣٨٨).

(٣) الأبيات في أخبار النساء ١٥١ بدون نسبة، والقصة يرويها الزبير بن بكار.

[١٣٨]

(١) صالح بن حسان: النضري (نسبة لبني النضير) أو البصري. أدرك المهدي. وكان سرياً مريئاً ما يملأ المجلس إذا تحدث. وكان عنده جوار مغنيات وضعنه عند الناس. قدم الكوفة فسمع منه الكوفيون. (طبقات ابن سعد، القسم المتمم، ٤٥٠، تاريخ بغداد ٩: ٣٠٢).

طالب[٢]، رضي الله عنه، كانت فاطمة بنت [حسين] بن علي جالسةً عند رأسِه تبكي، فقال: ما يُبكيكِ؟ قالت: على فراقِك، ابنَ عمّ. قال: مَهْ! ما صنعتِ؟ فإياك أن تنكِحي عبدَ الله بنَ عمرو بن عثمان[٣]، وقد علم أنّ أحداً لا يجترىء على خُطبتِها غيرَه. قالت: ما كنتُ أفعل. وهلَك، وله منها عبدُ الله بن حسَن، وإبراهيمُ ابن حسن.

فلما انقضَت عِدتُها دعَت مولاةً لها يقال لها: زِير، فقالت: إيتِ عبد الله بن عمرو، فقولي له: أعِرنا بغلتَك الشهباء برِحالتها، فإني قد أردتُ أن أسيرَ إلى بعض أموال ولدي بالعالية[٤]. فأتته، فقال: يا زِيرُ لو كان لي إلى مولاتِك سبيلٌ! ارحلوا لها البغلةَ. فلما جاءَت قالت: هل لقيتِه؟ قالت: نعم! قالت: فما قال لك؟ قالت، قال: لو كان لي إلى مولاتِك سبيلٌ! قالت: ويلكِ، وأين المَذهبُ عنه؟ فرَجَعت زيرُ، فدخلَت عليه وأعلمتَه، فأرسلَ إليها، فخطبَها، فتزوَّجته، وولدت له الهيْثَمَ ومحمَّداً ورُقَيَّةَ، وكان لها من الحسن ثلاثة، ومن عبد الله ثلاثة[٥].

[١٣٩] ورُوي عن سِماك بن حرب[١] أنه قال: كانت العرب تقول: لم تَئِمَ امرأةٌ

---

(٢) الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، (توفي نحو ٩٠ هـ): كبير الطالبيين في عهده. كان وصي أبيه وولي صدقة جده. إقامته ووفاته بالمدينة. وكان عبد الملك بن مروان يهابه. واتهم بمكاتبة أهل العراق وأنهم يمنونه بالخلافة، فكتب الوليد إلى عامله على المدينة يأمره بجلده، الا أن هذا لم يجلده وكتب إلى الوليد ببراءته. (الأعلام: ١٨٧). وزوجةُ فاطمة بنت الحسين.

(٣) عبد الله بن عمرو بن عثمان، (توفي ٩٦ هـ): سبط ابن عمر. مدني. كان يقال له المُطْرف من ملاحته وحسنه. وهو والد محمد الديباج. كما ذكر الصفدي، ولعله المذهّب كما ذكر ابن عبد ربه. (الوافي ١٧ : ٣٨٣، العقد الفريد ٦: ٩٢).

(٤) العالية: كل ما كان من جهة نجد من المدينة من قراها وعمائرها إلى تهامة فهي العالية، وما كان دون ذلك من جهة تهامة فهي السافلة (معجم البلدان ٤ : ٧١).

(٥) القصة ببعض التصرف في العقد الفريد ٦: ٩١ وفي أخبار النساء ١٤٩.

[١٣٩]

(١) سماك بن حرب بن أوس بن خالد الذهلي البكري (توفي ١٢٣ هـ): من رجال الحديث، ومن أهل الكوفة. أدرك ثمانين صحابياً. (الوافي ١٥: ٤٤٧، نكت الهميان ١٦٠، الأعلام ٣: ١٣٨).

قطّ عن رجل إلاّ تزوّجَته[٢].

وقال ابنُ عباس: حدثني شيخٌ من بني ضبّةَ[٣] قال: كان رجل منا ظريفاً شريفاً احتُضِرَ. فبينا هو يجود بنفسِه، وبُنيٌّ له يُسمّى مَعْمَراً يدِبُّ بينَ يديه، فنظر إليه وبكى، ثم التفت إلى امرأته، فقال: يا هذه: [من الطويل]

[و] إني لأخشى أن أموتَ، فتُنكَحي، ويُقـذَف في أيدي المَراضـع مَعمَرُ
فحالَـت سـتورٌ بعـدَه ووَليدَةٌ، وأشْغَلَهـم عنـه نُحـورٌ ومَجْمَرُ[٤]

قالَت: ما كنتُ فاعلةً.

قال الشيخ: فوالله ما انقَضَت عنها عِدَّتُها حتى تزوَّجت بشابٍّ من الحي، ورأيت معمراً كما وصفَ.

قال: وأنشدني بعض الشعراء[٥]: [من الخفيف]

إنَّ من غـرَّه النسـاءُ بشيءٍ، بعـدَ هِنـد لَجاهـلٌ مَغرورُ
كلُّ أنثـى، وإن بَدا لكَ مِنها غايةُ الحُـبُّ، حبّهـا خَيتَعورُ

وإن الوَفاء فيهم عَزيز، غيرُ موجود، ووالله لَئِن كان كذاكَ وعُرِفن بذاك، ففي الرجال من هو أكثر منهن غدراً، وأسرع منهن ختراً، وأسمحُ منهن تنقُّلاً، وأقبحُ منهن تبدُّلاً.

[١٤٠] [من غدر الرجال]

خُبِّرت عن الأصمعي قال: كان رجل من الأعراب يُظهر الوجدَ لامرأتِه، والحبَّ

---

(٢) في العقد الفريد ٦: ١٢٧ يرد كما يلي: لم تنه امرأة قط عن شيء إلا فعلته.

(٣) بنو ضبة: نسبة إلى ضبة بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر. جد جاهلي، وينسب إليه خلق كثير. كانت ديارهم في الناحية الشمالية التهامية من نجد. وانتقلوا في الإسلام إلى العراق، فسكنوا الجزيرة الفراتية (الأعلام ٣: ٢١٣، جمهرة الأنساب ١٩٢ ـ ١٩٣، اللباب ٢: ٦١).

(٤) (و) أضيفت ليستقيم الوزن، مجمر: ثوب مبخر بالطيب.

(٥) البيتان في العقد الفريد ٦: ١٢٦ منسوبان للحارث بن عمرو، آكل المرار الكندي، وفي أخبار النساء ١٠، والأول ع. وفي الحماسة البصرية ٢: ٣١٤. وفي البيتان ٣: ٣٢٨.
والخيتعور: الذي لا يدوم على حال، أو المضمحل.

لها. وكانت تُظهِرُ له مثلَ ذلك، فتعاهدا ألاّ يتزوّج منهما الباقي بعدَ صاحبه، فاخترِمَت المرأة قبلَه، فخطبَ الرجلُ امرأةً من يومِه ذلك، فقيل له: اتخطب بعدَ يمينِك وعهدك؟ فقال[1]: [من الطويل]

خَطَبْتُ، كما لو كنتُ قد مُتُّ قبلَها، لكانَت، بِلا شكٍّ، لأوّلِ خاطبِ
إذا غابَ بعلٌ كان بعلٌ مكانَه، ولا بدَّ من آتٍ وآخرَ ذاهبِ

وخبِّرت أنَّ بعضَ وُلاة العُهود كانَت له جاريةٌ، فكان يُظهِر الميلَ إليها، والاستهتارَ بحبِّها. وكان يقول لها: إذا أفضتِ الخلافةُ إليه أن يفضّلَها على نسائِه، ويُقدمَها في البِرِّ والكرامة عليهن، فلما بَلغَ من ذلك أملُه جفَاها واطّرَحها وقَلاها، فكتب إليه: [من الرجز]

[و] أينَ ذاك الودُّ والقَبولُ، وأينَ ما كنتَ لنا تقولُ؟

فكتب إليها: [من الرجز]

قد قالَ في أشعاره لَبيدُ[2]: يا حبَّذا الطارفُ والتَّليدُ

فَعلِمت أنّه لا حاجةَ له فيها. فهذا في القُبح يتجاوزُ غدرَ النساء، ويعلو على كثير من جِنايات الإماء. وإنّهن، والله، على ما فيهن من الغَدر والخيانةِ والشرِّ، لربما عَشِقنَ فاشتَهَرن، ووَفَين فأحسنَّ.

[١٤١] [نساء وفيات]

وإنَّ من حُسن ما بلغ من وفائِهن ما صنَعتْه ابنةُ الفَرافِصةِ[1] مع عُثمان بنِ

---

[١٤٠]

(١) البيان في أخبار النساء ١٤٧ دون نسبة.

(٢) لبيد العامري (توفي ٤١ هـ): أحد الشعراء الفرسان من أهل عالية نجد. كان من المؤلفة قلوبهم في الإسلام. (الأعلام ٥: ٢٤٠).

[١٤١]

(١) نائلة ابنة الفرافصة: والفرافصة بفتح الفاء الأولى حسب لسان العرب، وكل ما عداها من الفرافصة بضم الفاء.

عفّان، رضي الله عنه. وكان من قِصتِّها[٢] أن سعيد بنَ العاصِ تزوّجَ هندَ ابنة الفرافصةِ بنِ الأحوص بنِ عمرو بن ثعلبة بن الحارث[٣] بن حصن بن ضمضم بن عدي بن جناب الكلبية. فبلغ ذلك عثمان بن عفّان، فكتب إلى سعيد: أمّا بعدُ، فقد بلغني أنّك تزوّجتَ امرأةً من كَلب، فاكتُب إليّ بنسبِها وجَمالِها. فكتب إليه سعيد: أمّا بعد، أمّا نسبُها، فهي ابنةُ الفَرافصةِ بن الأحوص، وأمّا جمالُها، فبَيضاء، مَديدة، والسلام. فكتب إليه عثمان: إن كانت لها أختٌ فزوِّجْنيها. فبعث سعيد إلى أبيها فخطب إليه إحدى بناتِه على عثمان. فقال الفَرافِصة لابن يُدعى ضبًّا، وكان قد أسلم، وأبوه نَصراني: يا بنيّ زوِّج عثمانَ بن عفان أُختَك، فزوَّجه. فلمّا أرادَ حملَها قال لها أبوها: أي بُنية! إنّكِ ستقدمين على نِساء قُريش، وهن أقدرُ على الطِّيب منكِ، فاحفَظي عني اثنتين: تكحَّلي وتطيَّبي بالماء، حتى تكونَ ريحُك كريحِ الشِّنان المطهَّرين.

فلما حُمِلت شقّ عليها الغُربة واشتاقت إلى أهلها، فقالت[٤]: [من الطويل]

ألستَ ترى، يا ضَبُّ بالله، أنَّني	مُصاحِبةٌ نحوَ المدينةِ أركُبا
إذا قطَعوا خَرْقاً تخُبُّ رِكابُها،	كما زَعزعَت ريحٌ يَراعاً مُقصَّبا
لقد كانَ في أبناء حِصن بنِ ضَمضَمٍ،	لكَ الويلُ، ما يُغني الخِباءَ المُطنَّبا

فلما قَدِمت على عثمان بنِ عفان قعَد على سرير، وألقَى لها سريراً حيالَه، فجلسَت عليه، ورفَع العِمامةَ عن رأسِه، فبدا الصَّلَعُ فقال: يا ابنةَ الفَرافِصة، لا يهولنَّكِ ما ترَين من الصَّلع، فإن من ورائِه ما تُحبّين. قالت: إني لَمِن نسوةٍ أُحب

---

(٢) القصة في أنساب الأشراف ٤ : ٤٨٦، وفي الأغاني ١٥ : ٦٧ وبعضها في رسالة الحنين إلى الأوطان للجاحظ، رسائل ٢ : ٤٠٠.

(٣) وردت في الأصل: الحرث. انظر حول نسبه: جمهرة ابن حزم ٤٥٦.

(٤) البيت الأول في أنساب الأشراف ٤ : ٤٩٦، والبيتان ١ و ٣ في رسالة في الحنين إلى الأوطان ٢ : ٤٠٠، ومحاضرة الأبرار ٢ : ٤٣٢.

بُعولَتِهِنّ الكُهولُ البيضُ، السادة. فقال: إما أن تَقومي إليَّ وإما أن أقومَ إليك.
فقالَت: ما تجشّمتُ من كراهة جنَبات السَّماوة[٥] أبعدُ مما بيني وبينك. ثم قامَت إليه، فجلَست إلى جانبه، فمسَح رأسَها، ودعا بالبركَة، وقال: اطرحي عنك خِمارَك، فطَرَحته، ثم قال: اخلَعي دِرعَك، فخلَعته، ثم قال: حُلّي إزارَك، فقالت: ذاك إليك، فحلّه. فكانت من أحظى نسائه عنده. فلما كانَ يومُ الدّار[٦] أهوَى رجلٌ إلى عثمان بالسَّيف، فألقَت نفسَها عليه، فضرَب عَجيزَتَها، وكانت من أعظم النساء عَجيزةً، فقالت: أشهَدُ أنّك فاسقٌ لم تأتِ غَضباً لله ولا لِرَسولِه! فأهوَى إليها بالسيف ليضربَها، فاتَّقته بيدِها فقطع إصبعَين من أصابعها، فلما قُتل عثمان قالت فيه ترثيه[٧]: [من الطويل]

ألا إنّ خيرَ الناس بعدَ نَبيِّهِ قتيلُ التُجَيبيِّ[٨] الذي جاء مِن مِصرِ
ومـا ليَ لا أبكي، وتبكي قَرابتي، وقد ذَهَبَت عنّا فُضولُ أبي عَمْرِو

فبعث معاويةُ بعدَ ذلك يخطُبها، فنزعَت ثَنيَّتَها العليا وقالت: أذاتُ عَروسٍ هَذه؟ فهذا، والله حَسَنٌ من وفاء النساء.

وقد تَقدّمَ ذكرُ جَماعة من أهلِ الوفاء اللاتي قَتلن أنفُسَهن في أثَر مُتعشّقيهنّ أغنَى عن كثير من أخبارِهن.

---

(٥) جَنَبات: جناب، موضع في أرض كلب في السماوة، بين العراق والشام (معجم البلدان ٢: ١٦٤). والسماوة بادية بين الكوفة والشام قفرى، ربما سميت السماوة للماء الذي بالبادية (معجم البلدان ٣: ٢٤٥).

(٦) يوم الدار: اليوم الذي قتل فيه عثمان في داره.

(٧) البيتان في الكامل للمبرد ٢: ٣٨ منسوبان للوليد بن عقبة، وهما أيضاً له في أنساب الأشراف ٤: ٤٩٧، ٥٩١ وفي تاريخ الطبري ٤: ٣٩٤.

(٨) التُجيبي: نسبة إلى تجيب، محلة بمصر تنسب إلى قبيلة تجيب. والتجيبي: هو كنانة بن بشر الذي ضرب عثمان على مقدم رأسه (أنساب ٤: ٥٩١) ووردت في الأصل التجوبي، والتصحيح من المصادر.

[١٤٢] [عبد الله بن علقمة وحُبيشة]

وقد رُوي[١] أيضاً عن أبي حَدْرَد الأسلمي[٢] قال: نشأ فينا غُلامٌ يقال له: عبد الله بن عَلْقَمة، فعَلِق جاريةً منا يقال لها حُبَيْشة[٣] لم تكن من فَخذِه، كان يتحدَّثُ إليها كثيراً. فخرج ذات يوم من عِندِها، فنظر إلى ظَبيةٍ على رابية فالتفت إلى أمِّه وهو يقول[٤]: [من البسيط]

(يا أمنا خبرينا) غيرَ كاذبةٍ، ... وما يُريدُ مَسولُ الخُبرَ بالكَذِبِ
حُبيشُ أحسنُ أم ظَبيٌ بِرَابيةٍ، ... لا بَل حُبَيْشَةُ من (دُرٍّ) ومِن ذَهَبِ

ثم انصرف من عندِها مرَّة أخرى فأصابته السماء، فأنشأ يقول[٥]: [من الطويل]

وما أدري، إذا أبصرتُ يوماً، ... أصَوْبُ القَطرِ أحسنُ أم حُبَيشُ
حُبَيْشَةُ والذي خلَق الهَدايا، ... على أن ليسَ عِندَ حُبَيش عَيشُ

فلما سَمِع بذلك قومُه قالوا لأمِّه: هذا غلامٌ يتيمٌ لا مالَ عِندَه، وآلُ تلك يرغَبون عنكم، فانظري له بعضَ نِساء قومِه، لعلَّه يسلَى عنها. فزوَّجته جاريةً ذاتَ جَمال وكمال، وزيَّنتها بأحسن زينةٍ، وأقامتها بينَ يدَيه، فلما نظرَ إليها قال: (مَرعًى ولا

---

[١٤٢]

(١) القصة في مصارع العشاق ١: ٣١٤، وفي تزيين الأسواق ١٥٤ والسيرة النبوية لابن هشام ٣: ٤٣٣، وفي عيون الأثر ٣: ٢٣٩، وفي تاريخ الطبري ٣: ٦٨، وفي ذم الهوى ٤٩٧ ـ ٩.

(٢) أبو حدرد الأسلمي (توفي ٧٢ هـ): هو سلامة بن عمير بن أبي سلامة بن سعد بن يساف. له صحبة (طبقات خليفة ١١٠، المحبر ١٢٢ ـ ٣).

(٣) حبيشة: هي حبيش بنت سعد بن مسلم من جذيمة، وحبيش مرخّم.

(٤) البيتان في مصارع العشاق باختلاف وفي ذم الهوى ٤٩٧. وأوردنا صدر البيت الأول لاستقامة الشعر، وقد ورد في الأصل: يا أمي خبريني، أو يا أمتي خبريني في بعض الطبعات. ودُرّ: وردت في عجز البيت الثاني: ظبي.

(٥) البيتان في المصدرين أعلاه. وترد البرايا عوضاً عن الهدايا في صدر البيت الثاني والهدايا: النوق التي تهدى إلى مكة.

كالسَّعدان)[٦]، فذهبت كلمتُه مثلاً[٧]. والسَّعدان نَبْتٌ يَرعاه إبلُ المُلوك؛ فعَلِموا أنه لا ينصرف عن هواها، فتواعدوا حُبيشةَ وقالوا: إذا جاء فأعرِضي عنه، وتجهَّميه بالكلام، رجاء أن يَنصرفَ بعضَ الانصراف. فلما رآها لم تَستَطع أن تَفعل ما أُمِرت به غيرَ أنَّها جعلَت تنظُر إليه وتبكي، فَعلِم بقصتِّها، فانصرف وهو يقول[٨]: [من الطويل]

وما كان حبّي عن نوالٍ بَذَلْتِه، فليس بمسليه التَجَهُّم والهَجْرُ
سوى أن دائي منكِ داءُ مودّةٍ، قديماً، ولم يُمْزَجْ كما مُزِجَ الخمرُ
وما أنسَ مِلأشياء لا أنسَ دمعَها ونظرتَها حتى يُغيِّبني القبرُ

ثم مكثا على حالهما، وطول وجْدهما، إلى أن وافتهما خيلُ خالد بن الوليد[٩] يوم الغُمَيصاء[١٠]، فأخِذا فيمن أخذ من الأسرى فأوثِقا رباطاً.

---

(٦) مرعى ولا كالسعدان: السعدان نبت عريض الورق حلو عذب الطعم، وهو من أنجع المراعي ما دام رطباً، والابل تسمن على السعدان أو تطيب عليه ألبانها (مفردات ابن البيطار ٣: ١٦، الدينوري، كتاب النبات ٢٧ رقم ١٠٥).
والمثل يضرب لبيان فضل السعدان. (كتاب النبات ٢٧، مجمع الأمثال ٢: ٢٧٥، تمثال الأمثال ٥٥٩، فصل المقال ١٩٩، أمثال الضبي ١٢٧ رقم ٤٨، الوسيط في الأمثال ١٥٧. وفي الأغاني ١٨: ٦٠ (بولاق) ٢١: ١٧ (الهيئة العامة).

(٧) في كتب الأمثال اختلاف في أصل المثل، فمنهم من يقول أنه قول لزوجة امرىء القيس، ومن يقول أنه قيل في لقيط بن زرارة ومنهم من يقول: إنه للخنساء.

(٨) الأبيات في مصارع العشاق باختلاف يسير.

(٩) خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم (توفي ٢١ هـ): سيف الله وفارس الإسلام. كان من الأشراف في الجاهلية يلي أعنة الخيل. اعتنق الإسلام ٧ هـ. شهد مؤتة، والفتح وحنين. وحارب أهل الردة ومسيلمة وغزا العراق، وشهد حروب الشام، وبالرغم من سلسلة الحروب التي خاضها، فقد مات حتف أنفه (الأعلام ٢: ٣٠٠، سير أعلام النبلاء ١: ٣٦٦).

(١٠) الغميصاء: موضع في بادية العرب قرب مكة. كان ينزله بنو جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة. أرسل الرسول خالداً في شهر شوال ٨ هـ في سرية إلى بني جذيمة، فأوقع خالد بهم، فودى الرسول دماءهم على يدي علي بن أبي طالب. والقصة ترد في المصادر (سيرة ابن هشام ٣: ٤٢٨، تاريخ الطبري ٣: ٦١، عيون الأثر ٢: ٢٣٩، أعلام النبلاء ١: ٣٧٧، المحبر ١٢٤، معجم البلدان ٤: ٢١١، معجم ما استعجم ١٠٠٦).

وهذا حديثٌ مشتهرَ قد رواه محمد بن حميد الخُراساني[١١] عن سَلمة بن الفضل[١٢] عن محمد بن إسحاق[١٣]. وحكاه المدائني[١٤] عن يعقوب بن عُتْبةَ بن المُغيرة الثَّقَفي[١٥] عن محمد بن مُسلم بن شِهاب الزُّهري عن أبي حَدْرَد الأسلمي عن أبيه قال: كنتُ يومَ الغُميصاء، وهو يومُ بني جَذِيمة[١٦]، في خَيل خالد بن الوليد المخزومي، حينَ وجَّهَه رسولُ الله ، ﷺ ، فقتلَ وأسرَ. فقال لي فتًى منهم، وقد جُمِعت يداه إلى عنُقُه، ونُسوةٌ مجتمعاتٌ غيرَ بعيدٍ منه: يا فتى! هل أنتَ آخذٌ بزمامِ ناقتي، فقائدي إلى هؤلاء النّسوة، فأقضي إليهنّ حاجةً، ثم ترَى بعد ذلك ما بَدا لك؟ قلتُ: يسيرٌ ما سألتَ. فألحقتُه بهِن، فوقَف عليهِن، فقال: اسلمي حُبَيش على نَفادِ العَيش! قالت: وأنت فاسلم سعَيتَ سقاكَ ربي الغَيث؛ ثم قالت: وأنت فحُيِّيتُ عشراً وسَبعاً وِترَا وثمانياً تترى، فقال الفتى[١٧]: [من الطويل]

أرَيتـكِ إذ طالبتُـكم، فوجدتُكم بحَليةَ، أو ألفيتُـكُم بالخَوانِقِ

---

(١١) محمد بن حميد: (٦٠ - ٢٤٨ هـ)، أبو عبد الله الرازي رحل وسمع الحديث. وروى كثيرين منهم سلمة بن الفضل الأبرش. وقد تكلموا فيه واتهموه. (الوافي ٣: ٢٨، الأعلام ٦: ١١٠، سير أعلام النبلاء ١١: ٥٠٣).

(١٢) سلمة بن الفضل الأبرش: أبو عبد الله قاضي الري. وكان معلم كتّاب. كان قوياً في المغازي. توفي ١٩١ هـ. (أعلام النبلاء ٩: ٤٩، الوافي ١٥: ٣٢٢).

(١٣) محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي (١٥١ هـ) المطلبي المخزومي، مولاهم أحد الأعلام وصاحب المغازي. (الوافي ٢: ١٨٨، أعلام النبلاء ٧: ٣٣).
والخبر في هذه الرواية في الطبري ٣: ٦٦، وفي المصادر الأخرى.

(١٤) المدائني، علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف، (توفي ٢٢٤ أو ٢٢٥ هـ): مولى سَمُرة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف. بصري سكن المدائن وانتقل إلى بغداد. كان عجباً في معرفة السير والمغازي والأنساب وأيام العرب، مصدقاً فيا ينقله، عالي الإسناد. (سير أعلام النبلاء ١٠: ٤٠٠، الوافي ٢ : ٤١، تاريخ بغداد ١٢: ٥٤، شذرات الذهب ٢: ٥٤).

(١٥) يعقوب بن عتبة بن الأخنس بن شريف، ثقفي من حلفاء بني زهرة (طبقات خليفة ٢٦٤).

(١٦) جذيمة بن مالك بن نصر، من بني أسد بن خديمة. جد جاهلي. والنسبة إليه جذمي.

(١٧) الخبر والأبيات في عيون الأثر ٢: ٢٤٠، سيرة ابن هشام ٣: ٤٣٣، وفي تزيين ١٥٤، ومصارع ١: ١٣٥.

نفد ونفاد العيش: فناؤه. وحلية والخوانق موضعان. والوداثق جمع وديقة وهي شدة الحر. ادلاج السرى: السير في الليل.

ألم يكُ حقًّا أن يُنوَّلَ عاشقٌ يكلَّفُ إدلاجَ السُّرى والوَدائقِ
فلا ذنبَ لي، قد قلتُ إذ نحنُ جيرةٌ: أثيبي بودٍّ قبلَ إحدى الصفَّائقِ
أثيبي بودٍّ قبلَ أن يشحَطَ النَّوى ويَنأى عدوٌّ بالمُحِبِّ المُفارقِ
فإنِّيَ ما ضيَّعتُ سِرَّ أمانةٍ، ولا راقَ عيني، بعدَ وجهِكِ، رائقُ
على أنَّ ما نالَ العَشيرةَ شاغلٌ عن الودِّ إلا أن يكون التَّوامقُ

ثم بكى وبكت، ثم أنشأ يقول[18]: [من الطويل]

فإن يَقتُلوني، يا حُبَيشُ، فلم يدَعْ هواكِ لهُم مني سوى غُلَّةِ الصَّدرِ
وأنتِ التي أنحلتِ جِلدي على دَمي، وعَظمي، وأسبلتِ الدموعَ علَى النَّحرِ

ثم انصرفتُ به، فضربتُ عنقَه، فنظرَتْ إليه فأقبلَت حتى أكبَّتْ عليه.

[١٤٣] [موت عفراء]

وقد فعلت أيضاً مثل ذلك عَفراءُ بنتُ عِقال بعُروة بن حِزام؛ لما بلَغها موتُه استأذنت من زوجها في زيارة قبره، فخرجت في نسوة لها، حتى وردَت قبرَه، فلما رأته من بعيد صرَخت ثم دنَت فرمَت بنفسِها عن راحلتِها، ثم جعلَت تبكي وتشهق إلى أن خَمدَ صوتُها، فدنَوا منها، فوجدوها ميتة، فدفنت إلى جانبه[1].

[١٤٤] وروَى الأصمعي أيضاً قال: خرجتُ أريدُ بعضَ أحياء العرب، فجنَّني الليلُ، وبتُّ في جَبَّان، وتوسَّدتُ قبراً، فسمعتُ في الليل من القَبر قائلاً يقول: [من الخفيف]

أنعَمَ اللهُ بالخَيالَين عينا، وبمَسراكِ، يا سُعادُ، إلَينا
وحشةٌ ما لقيتُ من خَلَل القبـ ـرِ، عسى أن أراك، أو أن ترَينا

فأرقتُ له ليلتي، فلما أصبحتُ دخلتُ الحيَّ، فإذا بجنازة

---

(١٨) البيتان في تزيين الأسواق ١٥٤.

[١٤٣]

(١) قصة موت عفراء في مصارع العشاق ١: ٣١٧ وفيها اختلاف.

قد أُقبل بها، فسألت عنها، فقيل: هذه سُعاد كانت تحبّ ابنَ عمٍّ لها، وانهما تعاقَدا على الوفاء فهلك قبلَها، فلم تزَل تبكي عليه، فها هي قد لَحِقَت به. فتبعتُهُم، حتى دُفنتْ إلى جانب القبر الذي بِتُّ عندَه، وإذا هو قبرُ ابنِ عمِّها، فخبَّرتُهم بما سمعتُ وانصرفت.

[١٤٥] ورُوي[١] أن مالك بن عمرو الغساني[٢] تزوج ابنةَ عمٍّ للنُّعمان بن بَشير الأنصاري[٣]، فأحب كلٌّ واحدٍ منهما صاحبه، وكان شجاعاً بطلاً مِقداماً، فَعَهِدَتْ إليه أن لا يُباشِرَ حَرباً، ثم إنه غدا، فلَقِيَا العدو، فطُعِنَ، فقال وهو يجود بنفسه[٤]:

[من الطويل]

ألا ليتَ شعري عن غَزالٍ تركتُهُ، إذا ما أتَتْهُ ميتتي كيفَ يَصنعُ

أيلبَسُ أثوابَ الحِدادِ تفجُّعاً، على مالكٍ أم فيه للبَعلِ مَطمَعُ

فلو أنني كنتُ المؤخَّر بعدَه، لما بَرِحَت نفسي عليه تَقَطَّعُ

فلما أتاها خَبَرُهُ استمسكَ لسانُها حَولاً، فقال رهطُها وعشيرتُها: لو زوَّجتُموها غَيره، لعلَّها تَسلى، وتُفيق. فزوَّجوها رجلاً من أبناء الملوكِ، فساقَ إليها هديةً عظيمةَ القَدرِ، فلما كان ليلةَ بنائِه بها أخذَت بِعضادتَي البابِ ثم أنشأت تقول[٥]:

[من الطويل]

يقولُ رجالٌ: زوِّجوها لعلَّها تُفيقُ وتَرضَى بعدَه بحَليلِ

---

[١٤٥]

(١) القصة في مصارع العشاق ١: ٤٩ ـ ٥٠.

(٢) مالك بن عمرو الغساني: نسبة إلى غسان، وهي قبيلة كبيرة شربوا من ماء غسان باليمن (اللباب ٢: ٣٨٣، جمهرة أنساب العرب ٣٣١).

(٣) النعمان بن بشير الأنصاري (توفي ٦٥ هـ): أمير خطيب، وشاعر. من أجلاء الصحابة. وهو الذي حمل قميص عثمان المضرج بالدم إلى معاوية. وإليه تنسب معرة النعمان (الأعلام ٨: ٣٦، سير أعلام النبلاء ٣: ٤١١).

(٤) البيتان الأول والثالث في مصارع العشاق.

(٥) الأبيات في أمالي المرتضى ١: ١٢٦ وفي مصارع العشاق، وفيها اختلاف.

فأضمرتُ في النفسِ التي ليسَ بعدها رجاءٌ لهـا، والصِّدقُ أفضلُ قيلِ
أبعدَ ابنِ عمروٍ سيِّدِ القومِ مالكٍ أزفُّ إلى زَوجٍ بعضبٍ كَليلِ
وخبّرني أصحابُه أنَّ مالكاً خفيفٌ على العِلاّتِ غيرُ ثقيلِ
وخبَّرني أصحابُه أنَّ مالكاً ضَروبٌ بماضي الشَّفرتَينِ صقيلِ
وخبَّرني أصحابُه أنَّ مالكاً جَوادٌ بما في الرَّحلِ غيرُ بخيلِ
وخبَّرني أصحابُه أنَّ مالكاً ثَوى، وتَنادَى صَحبُهُ برَحيلِ
فَما كان يَشريني خَليلي بِخُلَّةٍ، وما كنتُ أشري مالكاً بخَليلِ

فقال لها بعلُها: ارجعي إلى أهلِك، ولكِ كلّ ما سُقتُ إليك، مثلُك فليَتزوَّجِ الرِّجالُ.

[١٤٦] ومن حُسن وَفائِهن أيضاً[١] ما رَواه الهَيثَمُ بنُ عَديّ، فإنه كان في بني عامر بن صَعصَعة[٢] امرأةٌ توفِّي عَنها زوجُها، ولهَا ابنا عمّ، فصارا إلى بعض شيوخِهم، فقالا له: فُلانةُ جاريةٌ شابّةٌ، والقالةُ إلى مِثلِها سريعةٌ، فوجَّه إليها، فأتَته، فعرض عليها مقالتَهما. فأطرقَت مليًّا تنكُتُ الأرضَ، حتى حفَرت فيها حفيرةً، وملأتها من دموعِها، وكان زَوجُها دُفِنَ بمَقبرةٍ تُدعى بحَوضَى، فالتفتت إلى ابني عمِّها، وأنشأت تقول[٣]: [من الطويل]

فإن تسألاني عن هَوايَ فإنَّه رهينٌ بحَوضَى، أيُّها الفتيَانِ
وإن تسألاني عن هوايَ، فإنَّه رهينٌ له بالحُبِّ يا رجُلانِ
وإني لأستَحييهِ، والموتُ دونَنا، كما كنتُ أستَحييه حينَ يَراني

---

[١٤٦]
(١) القصة في مصارع العشاق ٢: ٨٨. وفي أخبار النساء ١٢٦، ومعجم البلدان ٢: ٣٢١.
(٢) عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر، من قيس عيلان، من العدنانية. جد جاهلي. بنوه بطون كثيرة (الأعلام ٣: ٢٥١).
(٣) البيتان ١ و ٣ في مصارع العشاق وفيهما اختلاف يسير وفي الزهرة ٣٦٢ منسوبان لامرأة من عامر بن ضبعة، وفي أخبار النساء ١٢٦ دون الثاني، والأبيات في معجم البلدان.

أهابُك إجلالاً، وإن كنتُ في الثرى لوَجهِك يوماً إن يَسُؤْكَ مكاني

وقامَت فانصرَفَت. فقال: قد رأيتُما وسمعتُما. فانصرَفا، وقد يئِسا، ثم لَقِياها يوماً في المقابرِ وعليها مُصَبَّغاتٌ وحُلًى وحُلَلٌ، فقال أحدُهما لصاحبه: ما ترى في أي زِيّ خرَجَت، والله ما أراها إلا متعرِّضةً للرجال، هلمّ فلنَنظرْ ما تَصنعْ. فقَربا منها، فأتَت القبرَ فالتزَمَته، ثمَّ أنشأت تقول[4]: [من البسيط]

يا صاحبَ القَبرِ يا مَن كانَ يُؤنِسُني وكانَ يُحسِنُ في الدنيا مُؤاتاتي
أزورُ قبرَك في حَلْيٍ وفي حُلَلٍ، كأنَّني لستُ من أهلِ المُصيباتِ
أتيتُ ما كنتَ من قُربي تُحبُّ، ومَا قد كان يُلهيكَ في ألوانِ لذّاتي
ومَن يراني يَرى عَبرَى مُفجَّعةً، طويلةَ الحُزنِ في زُوّارِ أمواتِ

ثم شهقَت فماتَت.

ومثل هذا وأشباهه من الوَفاء قليلٌ في النساء وهو من وفائهن عجَبٌ، والغَدر عليهن أغلبُ، إذْ على ذلك طُبع خُلقُهنّ، وعليه جُعلت بنيتهن. وسأصِف لك جُملة من مكرِهن لتقِف به على غدرهن، إن شاء الله، ولا قوة إلا بالله.

(٤) الأبيات في مصارع العشاق، وفي البيتين الأخيرين اختلاف يسير. وهي في الزهرة ٣٦٢، وفي أخبار النساء ١٢٧ دون الثاني. وفي معجم البلدان.

بسم الله الرحمن الرحيم

الجزء الثاني

لا إِلَه إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له. الحمدُ لله رب العالمين وسلامٌ على عباده الذين اصطَفَى.

أما بعد: فإنه قد ذكرنا في الجزء الأول من هذا الكتاب أشياء من عُيون فنونِ الأدبِ يرغَب فيها ذَوو الحِجى ويَنتهي إليها ذَوو النُّهى، وقد مضى من الجِدِّ عِدَّةُ أبوابٍ فيها مَقنَعٌ لذوي الألبابِ، ولا بد من خَلطِها بشيء من هَزلٍ، إذْ في ذلك ترويحٌ لقلوبِ ذوي العقل.

وآخِرُ ما ذَكرنا في الجزء الأول ذِكرُ الوفيّاتِ مِن النساء، وأنا أُتبعُه في هذا الجزء بباب ذِكرِ الغَدرِ من الإماء ثم أصِلُه بما يتَّصل، وأفصِلُه من حيثُ ينفصِل، إن شاء الله وبه القوة.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

باب
صفة ذم القيان
ونفوذ حيلتهن في الفتيان

[١٤٧] اعلَم أنه لم يُبتلَ أحدٌ من أهل المُروءاتِ والأدبِ، وأهل التَّظَرُّفِ والأرَبِ[١]، ولا امتُحِنَ سَراةُ الفِتيان ببليَّةٍ هي أعظمُ من هَوى القِيان، لأنَّ حبَّهن حبٌّ كذوبٌ، وعِشقَهن عِشق مَشوب، وهواهُنَّ منسوبٌ إلى الملَل، ليسَ بثابتٍ ولا متَّصل، وإنما هو لطَمَعٍ أو عَرَض وهُنَّ سريعاتُ الغرض. يُستدلّ على ذلك بأفعالهِن الرديَّة، وأخلاقِهِن السيِّئة، وأنَّهن لن يقصِدن إلا أهلَ النَّشَبِ، ويَصدُفنَ عن ذوي الحسَب، وأنَّ محبَّتَهن تظهرُ ما ظهرَت علاماتُ اليَسارِ والمال، وتنتقل عندَ الإفلاس والإقلال.

وليسَ إظهارُهن للمحبَّة مما يَنعقد عليه مِنهن ذَوو الآداب، ولا بما يَنخدع به لهن ذَوو الألبَاب. وكل ذلك مِنهن غرورٌ، وخِداع وزُور، ولا مَرجِعَ له ولا محصُول، وإنما أمرُهن عند ذوي الجهالة مَجهول. وما رأيتُ لكثيرٍ من الأدباء الذين سَلكوا سبيلَ التَّشبيبِ بالنساء، رَغبةً في تَعشُّقِ الإماء. وقد أنشدني بعضُ الظُّرفاء[٢]: [من الخفيف]

ليس عِشقُ الإماءِ من شكلِ مِثلي، إنَّما يَعشَقُ الإماءَ العَبيدُ
صِلْ، إذا ما وصَلتَ، حُرَّةَ قَومٍ، قد حَماها آباؤها والجُدودُ

[١٤٧]

(١) قارن مع الجاحظ: كتاب القيان ١٧٠، في رسائل الجاحظ، جـ ٢ حيث يحتبر عشقهن من الآفات.

(٢) البيتان في ديوان العباس بن الأحنف ١٠٥ ط. صادر. وفيهما اختلاف في صدر البيت الأول: من شكل: من شغل. وفي عجز البيت الثاني يرد: قد شرَّفتها بدلا من: قد حماها.

[١٤٨] ومن أدل الأشياء على خُبث سرائرِ الإماء أنَّ الواحدةَ مِنهن، إذا رأت في مجلِس فتًى له غِنىً وكثرةُ مال، ويَسار وحُسن حال، مالت إليه لِتَخدَعه، وأقبلَت عليه لِتَصرعَه. ومنَحَته نظرَهَا، وأبدَته بصرَهـا، وغَمزَتْـه بطَرْفِهـا، وأشـارت إليه بكفِّها. وغنَّت على كاساتِه، ومالت إلى مَرضاتِه، وشَرِبت من فَضلةِ كأسِه، وأومأت إلى تَقبيل رأسِه، حتى تُوقِعَ المِسكينَ في حِبالِها، وتُرهِقَه باحتيالِها، وتُعلِّقَ قلبَـه بحبِّها، وتُطمِعَه في قربها، وتحويه بلُطف تملُّقِها، وتَستَبِيه ببديع تَقنُّعِها، وبالمكر والخِداع، وتَطلُّبِها للاجتماعِ، وتَباكيها لفُرقتِه، وتحازُنِها عند رَوحته. ثم تُرسِلُ إليه بالرُّسل، وتُعاديه بالخَتل، وتخبرُه عن سهرِها، وتُنبئه عن فِكرِها، وتشكو إليه القَلق، وتُخبره بالأرَق، وتبعثُ إليه بخاتَمِهـا، وفضلـةٍ من شعرِهـا، وقُلامـةٍ من ظفرِها، وشَظِيةٍ مِن مِضرابِها، وقطعةٍ من مِسواكِها، ولُبانٍ قد جَعَلَتـه عوضـاً من قُبلتِها، ومضغـة لتُخبِرَه عن نكهَتِها، وكتابٍ قد نمَّقته بظَرفِها، وطيَّبَتـه بكَـفها، وسَحَتَه[١] بوتـرٍ من عودِها، ونَقَّطت عليه قطَراتٍ من دَمعِها، وختَمَته بغَاليةٍ[٢] قد عُدِّلَ بالعَنبر مَتنُها، واستمسك تحت الخاتم عجنُها، وطبَعت عليه بفَصٍّ قد نقشَت عليه بعضَ مُداعبتِها، وتمثَّلت عليه ببعضِ مَجانيِها، وضَمَّنـتِ الكتـابَ شكوى شَوقٍ مريضٍ، وصفةَ شوقٍ مُمرِضٍ، تسألُه المُؤاتاةَ على حبِّها، والإعانـة علـى كَربِها، وأن يبعَثَ يَطلبُ زيارَتها، لتقرَّ بالنظر إليه عينُها، ويَنفرجَ عنهـا حُزنُهـا، فيُطمِعَ الغَمزُ في قربِها، ولا يشكُّ في الكلام في إخلاص حبِّها، فيميل إليها بـوده، وتُصفيَه بمكنونِ حبِّه، حتى إذا حَوت عقلَه، وصارت شُغلَـه، واستمالـت لُبَّـه، وسلَبت قلبَه، واستمكَنت من قُربه، ووثِقَت بصَحيح حبِّه، وعلمت أنَّه غريقٌ في بحرِ البليَّة، أخذت في طلبِ الهَدَايا السَّريَّة، وتَشهَّت الثيابَ العَـدَنية[٣]، والأُزُرَ

[١٤٨]

(١) سحته: شدته بسحاءة، وهي ما تشد به الكتب.

(٢) غالية: ضرب من الطيب، يتألف من عدة أصناف من الطيوب، وهي تكلف غالياً (الأعلاق النفيسة ١٩٨). وتختلف الغالية حسب الصنف الغالب عليها، من عنبرية وكافورية والصفراء التي لا تؤثر في الثياب. (الرسالة البغدادية ١٣٩).

(٣) الثياب العدنية: لم يحدد المؤلف هنا نوع الثياب، والثياب العدنية مذكورة في الأغاني ٣: ١٠٥=

النَّيسابـوريَّة(٤)، والأشقـاقَ الأنجـاجيَّة(٥)، والأرديةَ الـرّشيدية(٦)، والعَمائـمَ السُّوسية(٧)، والتّككَ الإبريسَمية(٨)، والخفافَ الرُّنانية(٩)، والنعالَ الكَنْباتية(١٠)،

= (بـولاق). ورد في العقد الفريد ٥: ٤٢٢ شعر لاسماعيل الحمدوني فيه ذكر لوشي عدن. وفي حديث اسحق بن الحسين المنجم عن عدن قال إن بها «تعمل الثياب الرفيعة». (آكام المرجان ٩).
وإذ كانت عدن ميناء اليمن، فقد كانت تمر بها صادراته اليمن (المقدسي ٩٩) من ثياب الوشي الغزلي اليماني الذي يبلغ ثمن الثوب منه ألف دينار في بغداد في القرن الثالث للهجرة، كما ذاعت شهرة البرود اليمانية التي تصدر الى الخارج (الجاحظ، التبصر بالتجارة ٢٥، ٣٥). وكانت الثياب العدنية من ملابس سرواتِ الناس في القرن الرابع (الرسالة البغدادية ١٣٤).

(٤) الأزر النيسابورية: نيسابور من قواعد خراسان. والأزارلبـاس يغطي اسفل الجسم من السرة الى نصف الساقين (البخاري: باب البرانس) ويمكن أن يحل محل السراويل. على أن جميع النصوص لا تتفق على شكلا الأزار ومكانه وطوله. ويفهم منها انها مرت بتطور انظر هنا Dozy, Sup. aux dictionnaires arabes, P.24 ff. أيضـاً، SERJEANT, ISLAMIC TEXTILES, P.212 ايضاً، اللباس والزينة في الشريعة الاسلامية ٣١١.
وعن شهرة نيسابور بالمنسوجات انظر، ابن الفقيه، مختصر البلدان ٢٥٤، ابـن حوقـل: صورة الأرض ٣٧٧ (دار الحياة).

(٥) الاشقاق الأنجانية: الشقة قطعة قماش. والانجانية. لم أعثر عليها. ولعلها الانخاخية نسبة الى انخاخ من أعمال اذربيجان (صورة الأرض ٢٩٦).

(٦) الأردية الرشيدية: ربما ينسب الى طراز هارون الرشيد أو الى مدينة رشيد في مصر. ووردت كلمة الرشيدي في أمتعة المحسن بن علي بن الفرات (قتل ٣١٢هـ) الذي أقبل على جميع الأقمشة، فكان منها «القصب المرتفع الرشيدي» (عريب بن سعـد القرطبـي، صلـة تاريخ الطبـري ١٠١، أخبـار ٣١١هـ).

(٧) العمائم السوسية: السوس بلدة بخوزستان (معجم البلدان ٣: ٢٨٠) واشتهرت السوس بخزّها وعمائمها (المقدسي ٤١٦، الهامش ايضا).

(٨) التكك الابريسميه: الابريسم خيوط الحرير المغزول. واشهر التكك تلك التي كانت تستورد من أرمينيا والتي يرتفع سعرها الى عشرة دنانير. (ابن حوقل، صورة الأرض ٢٩٦).

(٩) الخفاف الرنانية: الخف كما يدل اسمه يكون عرضة للتلف والتمزق. والخف عادة بدون كعب. وترتفع جوانبه قليلاً عن الأرض. ويذكر الجاحظ (البيان والتبيين ٣: ١٠٦) ان الفُرْس تلهج بذكر الخفاف وتلهج العرب بذكر النعال. ورنان من أعمال اصبهـان (معجـم البلـدان ٣: ٧٣) ويذكر الشابشتي (الديارات ١٢٧) أنواعاً من النعال يستخدم في الشتاء وهو الـران. ويقتـرح سارجنـت (Islamic Textile's 214) أن تقرأ الكلمة: الخفاف الزنجية

(١٠) النعال الكنباتية: نسبة إلى كنبايت أو كنباية (Cambay) وهي ميناء في شبه القارة الهندية يصلها بمواني اليمن (رحلة ابن بطوطة).

والحَلَقَ المَحشويَّة[١١]، والعصائبَ المرصَّعة[١٢]، والدَّستينَجاتِ[١٣] المفصَّلة، وخَواتيمَ الياقوت[١٤] المُثمِنة. وتمارَضت من غير سَقم، وشكت من غيرِ ألم، وفُصِدت من غَيرِ عِلَّة وداء، وتعالجت من غير حاجة منها إلى الدواء، لتجيئها هدايا ذوي الوَجد، في المَرض والفَصد[١٥]، من القُمص المُعَنبَرَة[١٦]، والغَلائل المُمسَّكة[١٧]، والأردية المَرشُوشة[١٨]، واللَّخالِخ[١٩] المعجُونة، ومَخانِق

---

(١١) والحلق المحشوية: المحشوية نسبة الى محشأ كمنبر، كساء غليظ يتزر به، دوزي Dit. dtail P.142 . وفي لسان العرب ١٠ : ٦ المحلق: كساء يحلق الشعر من خشونته. وقال عمارة بن طارق يصف ابلا تشرب:

ينفضن بالمشافر الهذالق نفضك بالمحاشيء المخالق

والمحاشيء اكسية خشنة تحلق الجسد، واحدها محشأ.

(١٢) العصائب المرصعة: العصابة، من البسة الرأس ترصع بالجواهر تضعها النساء عموماً والقليل من الرجال.

(١٣) الدستينجات المفصلة: الدستينج، قيل: البارق. وقيل اليارق والأخير أصح لأنه معرب عن دستينه ومعناه السوار والتوقيع وقبضة السيف (ادي شير، الألفاظ الفارسية المعربة ٦٣).

(١٤) الياقوت: حجر معروف. انظر حول اصنافه والوانه: (ابن الأكفاني، نخب الذخائر في أحوال الجواهر ٢ - ١٣).

(١٥) الفصد: شق العرق لاستخراج الدم. وهو عند الاطباء تفريق اتصال يتبعه استخراج كلي من العروق وبواسطتها في جميع البدن.

(١٦) القمص المعنبرة: المضمخة بالعنبر، وهو صنف من الطيب على انواع، وافضلها الشحري، المستخرج من شحرعمان (التركماني، المعتمد في الأدوية المفردة ٣٣٩، الدمشقي، الاشارة الى محاسن التجارة باعتناء فهمي سعد ٥٣).

وحول القميص: انظر معجم دوزي، وصلاح العبيدي: الملابس في العصر العباسي ٢٠١.

(١٧) الغلائل الممسكة: الغلالة نوع من الملابس الشفافة وحولها انظر: معجم دوزي، والعبيدي ٢٠٠.

(١٨) الأردية المرشوشة: لم تهدنا المصادر الى طريقة لرش الرداء.

(١٩) اللخالخ المعجونة : مفردها لخلخة، نوع من الطيب تختلف الوانها باختلاف الأصناف التي تشتمل عليها. وقد وردت في (الرسالة البغدادية ١٤٠) بأنواعها الصندلية، والسود والصفر.

الكافور[٢٠] المنظومة، ومَراسل القَرَنْفُل[٢١] المُخمَّر، والمسك الأذفر[٢٢]، والعنبر الأشهبَ، والعود الهِندي[٢٣]، والنَّدّ الخَزائني[٢٤]، والماورد الجُوري[٢٥]، والحُملان الحَوليّة[٢٦]، والجداء الرُّضّع، والبطّ الصِّيني[٢٧]، والفراريج الكسكرية[٢٨]، والدَّجاج الفائق، والفِراخ المُسمَّنة، والنَّبانيج[٢٩] المُنضَّدة بأنواع الرياحين والفاكهة، يتبعها صنوفٌ من الشَّراب: المُعسَّل[٣٠]، والدُّوشاب[٣١]

---

(٢٠) مخانق الكافور: الكافور شجرة مهدها الصين، ازهارها بيضاء ضاربة الى الصفرة يستخرج منها الكافور الذي يستعمل في العطور وفي الصيدلة. وحول اصنافه انظر: الاشارة الى محاسن التجارة ٥٣.

والمخانق: مفردها مخنقة، قلادة توضع حول العنق. وحول أنواع المخانق، انظر: زكية عمر العلي (التزيق والحلى ١٥٥).

(٢١) مراسل القرنفل: المرسلة: قلادة تقع على الصدر (لسان العرب ١١ : ٢٨٥) والقرنفل: زهرة معروفة، لها ألوان عدة. قال امرؤ القيس: نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل.

ومنه شجر يعطي كباشا وافضله ذي الرائحة القوية. (الاشارة الى محاسن التجارة ٥٤).

(٢٢) المسك الأذفر: المسك: نوع من الطيوب، من اصل حيواني، أصنافه عديدة (الرسالة البغدادية ١٤١) وعن استخراجه (مفردات ابن البيطار)، والذفر شدة الريح من طيب أو نتن. والمسك الأذفر: الطيب الريح. ومنه طينة الجنة وترابها (لسان ٤ : ٣٠٦).

(٢٣) العود الهندي: نوع من الطيب. والعود الهندي أفضل أنواع العود (الاشارة ٥٤).

(٢٤) الند الخزائني: هو العود يخالطه المسك والعنبر (مطامع البدور ١ : ٦٣) وعرفه تيمور بأنه العود المطرى بالمسك. والند، الذي يتبخر به (المعرّب في ترتيب المعرب ٤٤٧)، والخزائني: الذي يصاف في الخزائن.

(٢٥) الماورد الجوري: مشهور. منسوب الى جور بفارس، ومنه يستخرج ماء الورد، جميل الرائحة، منعش.

(٢٦) الحملان الحولية: مفردها: الحمل الحولي: الذي بلغ السنة.

(٢٧) البط الطيني: طعام فاخر، وأورد الجاحظ (الحيوان ٢ : ٣٥٩) معلومة عن فراخه، بأنها تخرج كاسية كاسبة، وتزداد حسناً كلما كبرت.

(٢٨) الفراريج الكسكرية: منسوبة الى كسكر من أعمال السواد من ريف دجلة والفرات. ودجاجها موصوف بالجودة والسمن، ومذكور في أطايب الطعام، وربما بلغت الواحدة منها وزن الجدي والحمل (ثمار القلوب ٥٣٦) وانظر بيت شعر هناك يتحدث عن الأعتناء بتربية فروج كسكر.

(٢٩) النبانيج: أطباق من الخوص أو الخيزران توضع فيها الفواكه، وهي ما يعرف اليوم بالجاط.

(٣٠) المعسل: نوع من النبيذ مادته الأولى من العسل.

(٣١) الدوشاب: النبيذ الأسود المصنوع من التمر.

والمطبوخ[٣٢] والمُشمَّس[٣٣]، ونبيذ السكّر والقِشمِش[٣٤]. ثم الدنانير الجُدَد الشُّهريَّة[٣٥]، والدراهم المُسيَّفة الدارِيَّة[٣٦]، في خرائط الدِّيباج الإبريسَميَّة[٣٧]، ومناديل الوَشي الأنجُمية[٣٨].

[١٤٩] فلا تَزال في هدايا مُتواترة وألطاف متتابعة، وفي خِلال ذلك العِيدان العَرْعَر[١] الموزونة، والمَضارب المَدهونة[٢]، والأوتار الصينية[٣]. حتى إذا نفدَ اليَسارُ، وذهب الإكثار، وأتلف المال وجاء الإقلال وأحسّت بالإفلاس وتفريغ الأكياس، أظهرت الملَل، وأعلنت البَدَل، وتَبرَّمت بِكلامِه، وضَجِرت بسلامه، وطلبت عليه العِلَل، وتفقدت منه الزَّلَلَ، وتتبَّعت عليه سقطاتِه، وتيمَّمت عثراتِه، وأخذت في الجَفاء والعِتاب، والقِلى والإبعاد، وصَرفت عنها هَواه، ومالت إلى سواه، ونفرَت بعد القُرب، وأبغَضَته بعدَ الحبّ. فحينئذ يُدرك المغرورَ النَّدمُ، ويلحقه الأسفُ، حينَ لا تُغني عنه الحيلة ولا يُجدي عليه اللَّهَف،

---

(٣٢) المطبوخ: شراب ثقيل يصنع من تمر العنب بشكل الماء ١٠/١ ثمر العنب، ويعصر بعدها المزيج ويطبخ حتى يذهب ثلثاه وينقل الى الخوابي ثم يستعمل بعد سنة. (العامة في بغداد في القرنين ٣ ـ ٤ هـ ص ١١٩).

(٣٣) المشمس: شراب خفيف سلس في صناعته يستخدم كميات متساوية من الماء وعصير العنب والعسل تمزج وتوضع في الدنان وتترك مدة اربعين يوماً في الشمس، ولا تستعمل قبل سنة (المرجع السابق، المكان نفسه).

(٣٤) القشمش: أو الكشمش، نوع من الزبيب، ولا يزال يعرف الزبيب بالكشمش الى يومنا هذا في العراق.

(٣٥) الدنانير الشهرية: لعلها المنسوبة الى شهر بن حوشب، أحد مشاهير المحدثين دخل الى بيت المال فأخذ خريطة فيها دراهم، (ثمار القلوب ١٦٩) أي ان الدينار من اموال الناس والودائع، ومحصل بدون جهد.

(٣٦) الدراهم المسيفة الدارية احسب أنها المسبوكة الصافية، والدارية: المسكوكة لدار الخلافة.

(٣٧) خرائط الديباج الخريطة: كيس النقود، أو محفظة النقود. والديباج قماش سداه ولحمته من الحرير الملون.

(٣٨) مناديل الوشي الانجمية: الانجمية: لم اعثر على معنى لها. ولعلها تعني شكلاً أو لوناً أو مكاناً.

[١٤٩]

(١) العرعر: نوع من الأشجار وهو السرو الفارسي.

(٢) المضارب: تستعمل للضرب على الآلات الوترية.

(٣) الاوتار الصينية: واضح انه يتحدث عن ادوات الموسيقى

ويقع بين لَيتَ ولَو وهيهاتَ ولاتَ حينَ مَناص، ولا يَقْدِرِ على استئناف ما سلَف من الأيام بعدَ الإشراف عل ورود حِياضِ الحِمام.

وقد أنشدني بعض الأدباء لبعض المحدثين: [من الطويل]

صَحوتُ فأبصرتُ الغَوايةَ مِن رُشدي، وأيقنتُ أني كنتُ جُرْتُ عن القَصد
فلا يَعشَقَنْ مَن كَانَ يَعشَقُ قينةً، فما هوَ مِنها في سُعَيدٍ ولا سَعدِ[٤]
تودُّك ما دامَت هَداياك جَمَّةً، وتَرفِدُكَ عِشقاً ما غَنيتَ أخا رِفد
إذا ما رأت في مَجلِسٍ مَن تَخالُه غنيًّا، حَبَتْه بالتحيَّةِ والودِّ
وغنَّت على أقداحِه كُلَّ ما اشتَهى، وقالَت له: ماذا تُريد أنا أفدي
وتُومي إليه اشرَبِ الرَّطلَ واسقِني، فقد حُزتَ قلبي واشتملتَ على وُدِّي
فيَمتَلِىء المَغرُورُ عندَ مَقالِها، سُروراً يَرى أن المَقالَ على جِدِّ
فإن جاء وقتُ الانصرافِ تحازَنَت لفُرقتِه، حتى يَحُومَ على وَعْدِ
ويَغدو إليه في الفِراشِ رسُولُها تُسائِلُه: ما كانَ حالُك مِن بَعدي
ويا ليتَ شِعري كيفَ بِتَّ فإنَّني رَعَيتُ نُجُومَ الليلِ كَفي على خَدِّي
فلا يجدُ المَغرورُ من دَفعِ جَذْرِها سُروراً بتعجيلِ الزِّيارةِ مِن بُدِّ
وتُسرعُ في إتيانِهِ لِيَظُنَّها حَبَتْه بتَعجيلِ المجيء على عَمدِ
فإن هي جاءت عانَقَتْه، وقبَّلَت يدَيه، وأبدَت فَرحةً قَلَّ ما تُجدي
وتَخدُمُه عمداً، فإن قال: إنَّه لَيَحزُنُني أن تَصنعي هكذا عِندي
تقولُ له: ذا البيتُ بَيتي، وأنَّما أؤمِّلُ أنْ يَبتاعَني سيِّدي وَحْدي
فتُصبِحَ عَيني بالوِصالِ قريرةً وآمَنَ من سَومِ التَّفرُّقِ والبُعدِ
فذَا دأبُها، حتَّى يعودَ مِنَ الهَوى سَقيمَ فُؤادٍ ما يُعيدُ ولا يُبدي
فتُقْصَدُ لا مِنْ حاجةٍ لِقِصادِها، ولكن لتكليفِ الهَديَّةِ في القَصدِ

---

(٤) يشير الى المثل: أسعد أم سُعيد وليس هو منهما. انظر قصة المثل في أمثال الضبي٤٧ وفصل المقال ٦٧، مجمع الأمثال ١: ١٩٨.

فمِن بين خَلخالٍ يُصاغُ وخاتَمٍ، ومن دُمْلُجٍ يُهدى على أثرِ العِقدِ
ومِن ثوبِ خزٍّ بعدَ وشْيٍ ومُلْحَمٍ، ومن مُصْمَتٍ يُشرَى على أثرِ البُردِ[٥]
ويا لَكَ مِن مِسكٍ ذَكيٍّ وعَنبَرٍ وعُودٍ وكافورٍ نقيٍّ ومِن نَدِّ
فَذا فعلُها، حتَّى إذا عادَ مُفلِساً تَجنَّت، وأبدَت جانبَ الهَجرِ والصدِّ
فقُولا لِمَن يَهوى القِيانَ تَفَهَّمُوا مقالي، فإني قد نَصَحتُ لكم جَهدي

وأنشدني بعضُ المُحدثين لنفسه: [من المنسرح]

يا صاحِ إنَّ القِيانَ للغَمْرِ الـ ـغِرِّ شِباكٌ يَصِدنَ بالمَلَقِ[٦]
يَهوَينَ هذا، ويشتكينَ لِذا وجداً، ويَرمُقنَ ذاك بالحَدَقِ
حتَّى إذا ما اقتنصْنَ ذا حُمُقٍ، مُستهتَراً واستمالَ للوَمَقِ
نَفَضْنَه، واستَلَخْنَ جِلدتَه سلخاً بطِيبِ الدَّلالِ والفَنَقِ[٧]
وصارَ كالآسِ في غَضارتِه صِفراً، بلا طارفٍ من الوَرَقِ
ناولْنَهُ المِسحَ ثم قُلنَ لَه: جِئنا بهِ في البَياضِ كاليَقَقِ[٨]

وأنشدني بعض الكتَّاب لفضل الشاعرة[٩]: [من المنسرح]

يا حَسَنَ الوَجهِ، سيِّءَ الأدبِ، شِبتَ، وأنتَ الغُلامُ باللَّعِبِ
يا ويكَ إنَّ القِيانَ كالشَّرَكِ الـ مَنصوبِ بينَ الغُرورِ والعَطَبِ
لا يتصدَّينَ للفقيرِ، ولا يَرمُقْنَ إلاَّ مَعادِنَ الذَّهَبِ
يَلْحَظْنَ هذا وذا وذاك وذا، لَحظَ مُحِبٍّ بطَرفِ مُكتَسِبِ
بينا تَشكَّى إليك، إذ خَرَجت من زَفَراتِ الشَّكوى إلى الطَّلَبِ

---

(٥) سوف ترد لاحقاً في زي الظرفاء في اللباس المستحسن.
(٦) الغمر: عديم الخبرة.
(٧) الفنق: الرقة والنعومة.
(٨) المسح: لباس رجال الدين من النصارى.
واليقق: القطن.
(٩) الأبيات لفضل في المستظرف من أخبار النساء ٥٥، وطبقات ابن المعتز ٤٢٧، والأغاني ١٨: ١٦٦ (ط. الهيئة العامة). وفي الأماء الشواعر ٥٨.

[١٥٠] وأنشدني أحمدُ بنُ غزال[1] لنفسه: [من مخلع البسيط]

إذا تَعرَّضتَ للقيانِ، فَمَثِّلِ الفَقْرَ بالعِيانِ
واعْزِمْ على فلسةٍ أساقاً، أمضَّ من السِّنانِ
كم من تُراثٍ ومِن تليدٍ وطارفٍ وادّخار ثانِ
أتلفَه مُتلِفٌ عليهم، بالجَذرِ وَالبَذلِ والتَّواني[2]
ما زال يَصبُو إلى خَلوبٍ، تَغنَى بهِ فوقَ كلِّ غانِ
اتَّخذَتَه عَشيقَ مالٍ، أضحَت تَهاواه باللِّسانِ
حتى إذا اختلَّ ثمَّ حسَّت بفَقدِ فِعلاتِه الحِسانِ
غَنَّته صَوتاً لها عَتِيداً، مُصرِّحاً ليسَ بالمَعاني:
قد نَفِدَ الكيسُ فاسلُ عنِّي، واشتَقْ، إذا اشتقْتَ، بالأماني

وأنشدني أيضاً: [من الطويل]

ومُسمِعَةٍ غَنَّت، فملْتُ بمُهجتي إليها لألهُو، والمُزاحُ بَسيطُ
فقالَت: على اسمِ الله ثِقْ بمَودَّتي وصافٍ كما صافَى الخليطَ خَليطُ
فأعرضتُ عنها وانقبَضتُ كأنَّما عَلَتني لَدَيها نَعْسَةٌ وغَطيطُ
فقالَت، وقد اخجلتُها لتغرَّني ورِقَّةُ فهمي بالقيانِ مُحيطُ:
أراكَ نشيطاً للسَّماعِ تُحبّه، ولستَ إلى غيرِ السَّماع نشيطُ
فقلتُ: تُراني، وَيْكِ، أعشقُ قَينةً لها كلَّ يومٍ صاحبٌ ورَبيطُ[3]
إذا خَرجَت من مَجلسٍ، وتبدَّلَت سِواهُ بَديلاً أوكُونَ نَبيطاً[4]

---

[١٥٠]

(١) أحمد بن غزال: لم اهتد الى ترجمة له.

(٢) الجَذر: أجر المغنية والقينة.

(٣) ربيط: من تربطه بها. والربيط: البهيمة التي تُربط.

(٤) نبيط: النبطي، يقصد به عادة ابناء البلاد التي افتحها العرب وبخاصة في العراق. وكانت تطلق على من يراد به التحقير. الا أن الخطيب البغدادي يذكر انهم أعطوا الأسم لأنهم استنبطوا الأنهار (تاريخ بغداد ١: ٥٧).

وإن ذُكِروا قالت ومَن كان حائكٌ وآخرُ منكودُ المَعاشِ يَخيطُ
لَعَمْرُكِ ما تَهوَين إلا دَراهماً، ومِن دونِها حَزْمٌ عليٍّ سَليطُ
وإني، وربِّ البيتِ، واللهِ راحمٌ، أفكِّرُ فيه هَل هَواه قميطُ[٥]
بعيني لِيَنْجُ قبلَ يَنفُضَ ريشَه، وقبلَ يَراه الناسُ، وهو سَقيطُ
هَوانا هوًى يَزوي عنِ المرءِ نِعمةً، ويَتركُ ربَّ القَومِ وهو حَطِيطُ
فَيعشقُنا مَن في يَدَيهِ بِضاعةٌ، سَفيفٌ، إذا بانَ الرجَا، وشَرِيطُ[٦]

وقال أيضاً في قصيدة له: [من الخفيف]

حتَّى إذا ولَّتِ الدراهمُ غَنَّتْـ ـه وقد أزمَعَت على الإنقطاعِ
أسلُ عنِّي، فلَستُ أصلُحُ للضِّيـ ـقِ، ولا يَحسُنُ الهَوى بالجِياعِ
عندَها يأكُلُ المُفرِطُ كَفَّيـ ـهِ ويأوي إلى أخسِّ البِقاعِ

وأنشد للحكَمي في مثل ذلك[٧]: [من السريع]

قُولا لِمن يعشَقُهُ قَينةٌ يستفُّ حُزناً قبلَ إفلاسِهِ
فقد ثَوى في كفِّها نِيَّةٌ مسرِعةٌ في قَلعِ أضراسِهِ
تُواصِلُ العاشقَ، حتَّى إذَا ما أخَذَ العِشقُ بأنفاسِهِ
ولَّت بغَدرٍ، وقُرونُ الفتَى تَهتزُّ بالكَشْخِ على رأسِهِ[٨]

---

(٥) قميط: وثيق أو شديد أو مشدود.
(٦) سفيف: ما ينسج من الخوص، ورق النخل، والشريط: حبل أو خيط يفتل من الخوص.
والمعنى يدل على أن القينة تهتم بأصحاب الثروات حتى إذا ما افلسوا لجأت الى الخواصين وأصحاب الحرف ضئيلة الربح.
(٧) الأبيات في ديوان أبي نواس الحكمي ٣٨٩. وفيها اختلاف.
في البيت الأول، قينة: قصرية حزنا: حُرُفاً.
في البيت الثاني: في كفها نية: في كف سدّاجة، والسداجة: الكذابة. في البيت الثالث: العشق: الفقرُ.
(٨) الكشخ: القيادة وعدم الغيرة على الأهل.

[١٥١] ومن أحسن ما قيلَ في ذلك قولُ الشاعر(١): [من الكامل]

ما للأحبَّـةِ في التخشُّـعِ عارُ، فاخشَـع وإن حافُـوا عليكَ وجاروا
سقْياً ورعياً للـذين تحمَّلُوا ونـأوا، ومـا شُدَّت لهـم أكوار(٢)
لكنَّهـم غدَرُوا بعهـدِكَ في الهوى، وأخـو القَطيعـةِ جائـرٌ غدَّارُ
ما إن يُبالُـوا إنْ جفَـوكَ وعرَّجُوا نَحـو المدينـةِ أوطَنُـوا، أو سَاروا
لا بل أشـدُّهُما عليك مُصيبةً أنْ يَفعَلُـوا بكَ إذ هُمُ حُضَّارُ
قَدْمٌ لهـنَّ مَلاهياً ومَضارباً، ومَـلاوياً يحظَـى بهـا الـزُّوَّارُ(٣)
إن كنـتَ صاحـبَ لُطْفَـةٍ وهَديَّةٍ، فلكَ الهَـوى منهـنَّ والإيثارُ
أو كنتَ صاحبَ كيف أنـتَ؟ ومَرحباً فارحَـل فعيشُـك عندهـنَّ بَوارُ
لا بُدَّ مِن شيءٍ، وإلا لم يكُن لكَ ثَـمَّ إقبـالٌ ولا إدبارُ
لو كنـتَ يُوسُفَ في الجَمالِ، فإنَّه ما مثلُـه في حُسنِـه ديَّارُ
ثم امتنعـتَ مِنَ الهـديَّةِ أنكَرُوا منـكَ الـذي لا يُنكِرُ الأحرارُ
عنـدي مِنَ القَيْنـاتِ خَبـرٌ بيِّنٌ، ومـن الهَـديَّةِ مُسنَـدٌ آثارُ
زار ابـنُ أحمَـرَ ذاتَ يومٍ قَينةً، في فتيةٍ لَهُـمْ نـدىً ووقارُ
حتَّـى إذا غنَّتهـمُ وسقَتهم، وتجاوبـت في كفِّهـا الأوتارُ
قالَـت لأوَّلِهِـم: أمـا لَكَ ضَيعةٌ؟ فأجابَهـا: إنِّـي فتًـى سِمسارُ
قالَـت فأهـدِ لنـا إزاراً مُعْلَماً، فأبُـو فُلانٍ ما عليهِ إزارُ(٤)
ثم انثنَـت لسؤالِ آخـرَ مِنهمُ: أصـدُقْ! فقـالَ مجيبهـا: عطَّارُ
قالَـت: فليس يهمُّنـا ما زرتَنَا أدهانُنـا والقُسـطُ والأظْفارُ(٥)

---

[١٥١]

(١) البيت السادس في معجم الشعراء ٢٩٨ لعطاء بن أحمر الباهلي

(٢) اكوار: جمع كور، وهو الرحل بأدواته.

(٣) ملاوي العود: من قطعه.

(٤) أزار معلم: أي عليه اعلام وخطوط.

(٥) الأدهان انواع عديدة، راجع: المعتمد في الأدوية المفردة، الفهارس. والقُسط، بضم القاف، ضربان: أحدهما الأبيض المسمى البحريّ، والآخر الهندي وهو غليظ اسود خفيف مرّ المذاق. =

وإذا ابنُ أحمرَ قد أعدَّ جَوابَهَا حَذَرَ السُّؤالِ كأنَّه قسطارُ[6]
ثم انثنَت لسُؤالِهِ، فأجابَهَا: لا سوقَ لي، لكنَّني حفَّارُ
فإذا همَمْتِ بحَفرِ قَبرِكِ فابعَثِي بقُضَيِّبٍ كي [يُعرفُ] المِقدارُ[7]
فَتلَجْلَجَت خجلاً، وَطاطَت رأسها، وأصابَهَا عندَ الجَوابِ حِصارُ[8]
وكذا القِيانُ، ولا أقولُ جماعةً، فالناس في أخلاقِهِم أطوارُ

ولابن أحمر[9] أيضاً[10]: [من المنسرح]

عذبَني ذو الجَلالِ بالنَّارِ، إن هامَ قَلبي بذاتِ أسوارِ
ولا تعشَّقتُ قَينةً أبداً، حتى تَراني رهينَ أحجارِ
كم من غَنيٍّ تَرَكْنَ ذا عَدَمٍ أوْرَثْنَه الذُّلَّ بعدَ إكثارِ
سَلَبنَ منهُ الفُؤادَ بالنَّظرِ الـ رَّطبِ، وغُنجٍ وغَمزِ أبصارِ
وبالتشاجي أتْلَفنَ مُهجتَه، وحُسنِ لحَنٍ وقَرعِ أوتارِ
حتَّى إذا ما مضَت دَراهِمُه وصارَ ذا فِكرةٍ وتَسهارِ
نَاوَلْنَهُ المِسحَ ثم قُلنَ له: بيِّضْهُ بالنَّهرِ نَهرِ بَشَّارِ[11]
فلا تَغرَّنْكَ قَينةٌ أبداً، ودَعْ وِصالَ القِيانِ في النَّارِ

= (المعتمد ٣٨٦). وعرّفه ابو عمران القرطبي بأنه البنتج (شرح اسما العقار ٣٧).
والأظفار، مفردها ظُفر (بضم الظاء المعجمة): ضربٌ من العطر أسود.

(٦) القسطار أو القسطر: الناقد، الخبير بالنقود.

(٧) ورد عجز البيت: بقضيبٍ كي أعرف المقدار، وقمنا بتغيرها لتستقيم القافية.

(٨) الحصار والحصرُ: حبس الكلام والعي.

(٩) ابن أحمر: عطاء بن أحمر المديني، احد ظرفاء المدينة (معجم الشعراء، ٢٩٨).

(١٠) الأبيات في شعر ابن أحمر، ١١٠، بعناية حسين عطوان.

(١١) نهر بشار، بالبصرة ينزع من الأبلّة، منسوب الى بشار بن مسلم بن عمرو الباهلي أخي قتيبة بن مسلم. وكان أهدى الى الحجاج فرساً فسبق عليه الخيل فأقطعه سبعمائة جريب، فشق له نهراً نسب اليه (معجم البلدان ٥ :٣١٨).
فإذا صح ما ورد في معجم البلدان، فإن نسبة هذا الشعر الى عمرو بن احمر المتوفي في عهد عثمان يكون في غير محله. ولذا فاني اظن ان الأبيات لعطاء بن أحمر أحد ظرفاء المدينة، له قصيدة يذم فيها القيان (معجم الشعراء ٢٩٨) وليست لعمرو بن أحمر الباهلي. انظر ترجمته في معجم الشعراء ٢١٤.

فليس في الغـدرِ عندهُـنَّ إذا هَوِينَ أو شِئْـنَ ذاك من عارِ

وأحسن ابنُ الجهْم حيثُ يقول[12]: [من الطويل]

فأطلِـق يداً في بيتِـه بتَفَضُّـلٍ وعَـدِّ عَنِ المَولى، ومـا شئـتَ فافعَلِ
أشِرْ بيدٍ واغمِـز بطَـرْفٍ ولا تَخَفْ رقيبـاً، إذا ما كنـتَ غـيرَ مُبَخَّلِ
ووَلِّ عَنِ المِصبـاحِ والـحَ وذُمَّهُ، فإن خَمَـدَ المِصبـاحُ، فادْنُ وقَبِّلِ
وسَلْ غـيرَ ممنـوعٍ وقـلْ غـيرَ مُسكَتٍ، ونَـم غـيرَ مَذعـورٍ وقُـم غـيرَ مُعجَلِ
لكَ البيتُ ما دامَـت هَداياكَ جَمَّةً، وكنـتَ مَليًّا بالشَّرابِ المُعَسَّلِ
تُصـانُ لكَ الأبصـارُ عن كلِّ نَظرةٍ، ويُصغَـى إليكم بالحَـديثِ المُقَلقَلِ

[152] واعلم أنَّه لا وَفاء لهنَّ، ولا حِفاظ عندَهن، ولا يَدمْن على ودّ، ولا يَفين بعَهد، وهَواهن مشتركٌ، وحبّهن مُقتسَمٌ.

وقد أنشدني بعضُ الأدباء: [من السريع]

استَخبـرا زَينـبَ عن قولِها في رجـلٍ يَعبُـدُ رَبَّيْنِ
أذاكَ منـه حَسَـنٌ جائزٌ، أم ليسَ يَرضَـى اللهُ دِينَينِ
حَسبُـكِ يا زينـبُ من هُجنةٍ، يُستـرزَقُ الدَّهـرُ علـى اسْمَينِ
فـلا تُريدي جمـعَ هذا وذا، فالغِمـدُ لا يَجمَـعُ سَيفَينِ
وأنشـدي الأمـرَ إلـى واحدٍ، ولا تكونـي ذاتَ بَعْلَينِ
لا يَحمِـلُ المِنبَـرُ رِدفـاً، ولا يَصلُـحُ مِلـكاً بينَ إثنَينِ
وعـادةُ السُّـوءِ، إذا استَحكَمت علـى امـرىءٍ شَرٌّ مِنَ الدَّينِ
لسـتُ، وإن كانَ الهَـوى غالبي، أقنَـعُ بالشَّينِ علـى الشَّينِ
يَحلُـبُ غيري، وأكونُ الذي يَرضَـى من العَنـزِ بِقَرنَينِ

(12) الأبيات في ديوان علي بن الجهم 53 - 4، وفي الأغاني 10: 219 (دار الكتب)، وفيهما اختلاف ببعض الألفاظ غير قليل.

وأحسنَ أبو ذؤيب[1] حيثُ يقول[2]: **[من الطويل]**

تُريدين كيمـا تَجمعينـي وخالداً، وهل يُجمَعُ السَّيفانِ ويحكِ في غِمدِ
وكُنتِ كَرقراقِ السَّرابِ إذا جرى بقومٍ، وقد باتَ المَطيُّ بِهم تَخدي[3]

وقال آخر: **[من الوافر]**

ألا يا عاشقَ القَينـاتِ جهلاً، أردتَ بأنْ تكونَ أبـا البُغُولِ
أترْضـى لِلهـوَى من لَيسَ يرضَى، على ضِيقِ الهَوى، ألْفَـيْ خليلِ؟

[١٥٣] وليس هوى القِيان بمَحمودٍ عندي، ولا عند ذَوي الأدَب، وأهلِ النُهى والأرَب، ولا لأكثرِهم ميلٌ إليه، ولا حِرصٌ عليه، وإن كان قد أنشدني صديقٌ لي قولَه فيهن: [من الخفيف]

زَعمُوا خِلّـةَ القِيانِ غُرورٌ، كلُّ زَعمٍ من المَقالـةِ زُورُ
قَسَمـاً لَلْقِيانُ بالعَهـدِ أوفَى من جَوارٍ تَضُمُّهُـنَّ الخُدورُ
إنّمـا زَخْـرَفَ المَفـاليسُ هذا حينَ قلَّـت صِحاحُهُمْ والكُسورُ[1]
أهـلُ هذا الزمـانِ أطـرَى من الآسِ، وكلٌّ مُمَوَّهٌ، مَستورُ

واحتَـجَّ في ذلك بأنَّ هؤلاء القِيانِ، على ما فيهـن من العُيوبِ، أسرع إلى النفوسِ، وأوقعُ في القُلوبِ، وأعْلَقُ بالأرواحِ، وأخلَقُ للنَّجاحِ. وهنَّ أقربُ أملاً، وأقلُّ عِلَلاً، والظَّفَرُ بهِنَّ أسرعُ من الظَّفَر بربّاتِ الخُدور، والمُحتجِبات وراء

---

[١٥٢]

(١) ابو ذؤيب الهذلي: هو خويلد بن خالد بن محرز بن زبيد، أحد المخضرمين ممن أدرك الجاهلية والاسلام، وأسلم فحسن اسلامه. مات في غزاة افريقية (الشعر والشعراء ٥٤٧، الأغاني ٦: ٥٨ بولاق).

(٢) البيتان في الحماسة البصرية ٢: ٣٠٦، والأول في الشعر والشعراء ٥٤٨.

(٣) تخدي: تسير بسرعة.

[١٥٣]

(١) صحاحهم والكسور: أي نقودهم الصحيحة واجزاؤها.

السُّتور، وأنهُنّ مَزوراتٌ، وأولئك مَعْدُومات. وزعم من طلب القينة الجَدْوَ لمولاها[2] من عِشْقِها وكثرة مَؤونَتِها عليه، وطلبها لِما لديه ومَسألَتِها الهَدايا واللُّطفَ، والبِرّ، والتُّحفَ، إنما هو من رغبتها في هَواه، ومَيلها إلى رضاه، ولأنها تُؤثِرهُ على العالَمين، وتشتهي قُربَه دونَ سائر المُحبِّين. لأنه إذا وافى جدْوَها من عندِ عشيقِها مع تتابُع ألطافِهِ، وكَثرة بِرِّهِ وإسلافِهِ، رَغِبَ المَولى في صَفائِهِ، وطَمِع في استصفائه، فأخْلاها معه الأيام الكثيرةَ، والليالِيَ المتتابعة.

فهذه جُملةٌ من القِيان لِمَن عشِق، ورَغبةٌ فيمن ومَقَ. وليس ذاك عندَنا كذلك، وإنما هي حيلة ممَّن احتجَّ لهنَّ بالوفاء، وهن مَعروفاتٌ بالغَدر والجفاء، ولو كان ذلك كما زَعَموا، لم تتغير له عند اختلالِه ولا قَلَّته عند إقلاله، بل كان يكونُ منها عند ذلك الإسعافُ على هَواه، والمؤاساةُ في نفسِها في الحياة، ولكن هو كما قال المُؤمَّل بنُ أُمَيْل: [من الكامل]

والغانياتُ كذاكَ هُنَّ غَوادرٌ ... أبداً، حِبالُ وِصالِهِنَّ تُجذَّمُ
يَخْلُبنَ بالنَّظر الفتى، ويَعدْنَه ... نَيلاً، ودونَ عِداتِهِنَّ الأنجُمُ

وكما قال بشّار بنُ بُرد[3]: [من الطويل]

فواللهِ ما أدري، وكلٌّ مُصيبةٌ، ... بأي مكيداتِ النِّساء أُكادُ
غُرورٌ مواعيدٍ كأنَّ جَداءها ... جَدَى بارقاتٍ مُزْنُهنَّ جَمادُ

[١٥٤] ومع ذلك، فلا نَفاقَ للشيوخ عندَهن، ولا لذوي القُبح والعُدْم مَطمَع لديهن، على أنهن يَحتمِلن القُبحَ والشَّيب مع اليَسار، ويكرهنهما مع الفقر والإقتار، فإذا اجتمع القُبح والشَّيب مع الإفلاس في أي إنسان كان من الناس،

---

(٢) الجدو، الجد أو الجدوى: العطية.

(٣) ديوان بشار ٧١.

فليس عندَهن مَطلب، ولا لَدَيهن سبَبٌ، ولذلك قال العَطَوي[1]: [من الكامل]

تاهَت عليَّ بحُسنِها وجَمالِها ... وتقولُ لي: يا شيخُ أنْتَ مُخادِعُ[2]
شيخٌ، وإفلاسٌ، وقُبحٌ ظاهرٌ، ... أطمِعتَ فينا؟ أخْلَقَتْكَ مَطامعُ
فأجبتُها: الإفلاسُ يُذهِبُه الغِنى ... والشَّيبُ يُذهِبُه الخِضابُ النَّاصعُ
قالَت: فقُبحُ الوَجهِ فيه حيلةٌ ... والقُبحُ ليسَ له دواءٌ نافعُ
يا صِدقَها ما كانَ أوضحَ حُجَّتي، ... لو كان يَدفَعُ قُبحَ وَجهي دافعُ

وقال بعض الأعراب: [من الطويل]

طَويلاتُ أعناقٍ، سِباطٌ أكفُّها، ... رَقيقاتُ أوساطٍ نِبالُ المآكِمِ[3]
تأزَّرْنَ رَملاً، وارتدَين بحُلَّةٍ ... مِنَ الرَّوضِ، ريّاً زَهرِها جِدُّ نَاعمِ
وتَصرِفُ وُدِّي نحوَهن صبابةٌ، ... ويَصرِفنَ عنِّي الوجهَ نحوَ الدَّراهمِ

ومثل ذلك ما رُوي عن نُصَيب[4] أنه قال: لَقِيَتني بالطَّواف امرأةٌ دَحْداحة[5]، مزّاحة، فقالت: أأنتَ نُصَيب؟ فقلت: نعم! قالت: ألستَ القائل[6]: [من الطويل]

إذا البِيضُ لا يأتِين في الحبِّ رِقَّةً، ... يُعابُ، ولا يأخُذنَ في الودِّ دِرهَما

[١٥٤]

(١) العطوي، محمد بن عبد الرحمن بن أبي عطية، مولى كنانة بصري شاعر. وهو أحد المتكلمين الحذاق. (معجم الشعراء ٤٣٢).

(٢) الأبيات في غرر الخصائص ١٨٨ دون نسبة وفي البيت الثالث وردت اليانع عوضا عن الناصح. وفي البيت الرابع: قالت فقبح الوجه ليس فيه حيلة. وهي في شعره رقم ٤٤.

(٣) المآكم: مفردها مأكمة وهي العجيزة. والمأكمان: اللحمتان اللتان على رؤوس الوركين.

(٤) نصيب بن رباح (في وفاته خلاف بين ١٠٨ و١١١ و١١٣هـ):
أبو محجن، مولى عبد العزيز بن مروان، شاعر فحل، مقدم في النسيب والمدائح من الشعراء السود. كان عبداً لراشد بن عبد العزى من كنانه، فاشتراه عبد العزيز بن مروان واعتقه (الاعلام ٨: ٣١ الشعر والشعراء ٣٢٢ ط. الثقافة).

(٥) دحداحة: قصيرة (محيط المحيط).

(٦) البيتان في شعره ١٤٧ (جمعه داود سلوم، بغداد ١٩٧٧).

وإذْ هُنَّ يُدنِينَ الكريمَ بِوُدِّهِ ... لَهُنَّ، ويَرفُضْنَ الدَّقِيقَ المُلَوَّما

قالت: لا أراكَ تكتبُ ألاّ درهمَكَ فاعضَضْ ببَظْرِ أُمِّكَ! من أين تَمتشِطُ إحدانا إذن؟

وأنشدني بعضُ الأدباء: [من الرمل]

وإذا قلتُ لها: جُودي لِمَن ... قَد بَراه الحبُّ، قالتْ لي: أجَلْ
أنتَ صرّافٌ، فآتيكَ لهُ، ... أم بِكَفَّيكَ نقُودٌ تُحتَملْ
قلتُ: مَا تَهوَين ألاّ مُوسِراً، ... ذَا هِبَاتٍ وعَطاءٍ وحُلَلْ
فأجابتني بصَوتٍ مُسمَعٍ: ... كُفَّ عنّا! أنتَ واللهِ، مُقِلٌّ
أيُّها الناسُ، ألا أُخبرُكُم؟ ... ليسَ للحبِّ معَ الفَقرِ عمَلْ

[١٥٥] ـ ولقد أحسن أبو الشِّيص[1] حيثُ يقول[2]: [من الكامل]

حسَرَ المشيبُ قِناعَهُ عن رأسِهِ ... فرمَينَهُ بالصَّدِّ والإعراضِ
ثِنْتانِ لا تَصبُو النِّساءُ إليهما: ... حَلْيُ المَشيبِ وحُلّةُ الإنفاضِ
فوُعُودُهُنَّ، إذا وعَدْنَكَ، باطِلٌ، ... وبُروقُهُنَّ كَواذِبُ الإيماضِ

ورَوى عمرُ بن شبَّةَ[3] عن مُوسى بن إسماعيل المِنْقَري[4] قال: كان المُخَبَّل السَّعْدي[5] يَعشَقُ امرأةً من قومِهِ، فأتلفَ عليها كلَّ ما يَملِكُه، حتى صار يَبيع البَعر،

---

[١٥٥]

(١) ابو الشيص: محمد بن عبد الله بن رزين، وهو ابن عم دعبل الخزاعي توفي ١٩٦هـ. وقد كف بصره (الوافي ٣: ٣٠٢، الشعر والشعراء ٧٢١، فوات الوفيات ٣: ٤٠٢).

(٢) الأبيات في الوافي ٣: ٣٠٣، فوات ٣: ٤٠٣، طبقات ابن المعتز ٧٥.

(٣) عمر بن شبة (توفي ٢٦٢هـ): ابو زيد الأنصاري: واسم شبةَ زيد. كان راوية للأخبار عالماً بالآثار، أديبا فقيها صدوقا (الوافي ٢٢: ٢٨٨، تاريخ بغداد ١١: ٢٠٨، شذرات الذهب ٢: ١٤٦، اعلام النبلاء ١٢: ٣٦٩).

(٤) موسى بن اسماعيل المنقري (توفي ٢٢٣هـ): منقري بالولاء، التبوذكي أبو سلمه. حافظ للحديث، ثقة. من اهل البصرة (الاعلام ٧: ٢٢٠، شذرات الذهب ٢: ٥٢، اللباب ١: ٢٠٧).

(٥) المخبل السعدي: هو الربيع بن ربيعة وقيل كعب بن ربيعة، وقيل ربيعة بن مالك بن ربيعة. شاعر ـ

فأتاها يوماً، فزَبرته وطرَدته، فانصرف. وأنشأ يقول: [من الطويل]

إذا قَلَّ مالُ المَـرء قلَّ صديقُه، وأومَـتْ إليه بالعُيوبِ الأصابعُ

وقال الأصمعي: عشق رجلٌ امرأة، وأظهرت له مثل ذلك، فبعثت إليه يوماً تَستهديه ملاً، فتعذَّر عليه، ووجَّه بنِصف ما طلَبت، فغضِبت وهَجَرَته، فكتب إليه:

[من السريع]

يا أيُّهـا الغَضبـانُ أن سامني ما مثلـهُ ثِقـلٌ علـى المُوسِرِ
فجُـدتُ بالنِّصفِ له كاملاً، فقـال ليسَ الحُـبُّ للمُمْتِرِ
هَبنـي غريمـاً لكَ يا مُنْيَتي، ما يُقبَـلُ النِّصفُ مِنَ المُعسِرِ

فكتبت إليه: [من السريع]

إن كنـتَ في حالِكَ ذا عُسرةٍ، فدَع طِلابَ الشَّـادنِ الأحورِ
مـا إن مَنحنَـاكَ الـذي نِلتَه، دونَ ذوي البَهجـةِ من مَعْشَرِ
إلاَّ لِتَقضـي حاجتـي كلَّها في حالِ ذي العُسـرة واليُسْرِ

[١٥٥ ب] وقال الأخطل يصف نُفورهُن عن المَشيب، وغدرهُن بالكُهول والشَّيب[١]: [من الكامل]

وإذا دَعَونَـك عَمَّهُـنَّ، فإنَّه نَسَـبٌ يَزيدُك عِندَهُـنَّ خَبالا
وإذا وَعَدْنَـك نائـلاً أخْلَفْنَه، ووَجَـدْتَ عِنـدَ عِداتِهِـنَّ مِطالا

وقال القَطامي أيضاً[٢]: [من الكامل]

وإذا دَعَونَـك عَمَّهـنَّ فلا تُجب، فهُنـاك لا يَجِـدُ الصَّفـاءُ مكانا

= فحل، من مخضرمي الجاهلية والاسلام (الأغاني ١٢ : ٤٢ بولاق، الشعر والشعراء ٣٣٣ دار الثقافة، المؤتلف ١٧٧).

[١٥٥ ب]

(١) ديوان الأخطل ٤٣، العقد الفريد ٥ : ٤٥٤ للأخطل.

(٢) ديوان القطامي ٥٩.

وإذا رأينَ من الشَّبابِ لُدونةً، فَحَسِبي حبائلَهُ أن تكونَ مِتانا

وقال جرير[3]: [من الوافر]

رأت مرَّ السِّنينَ أخذنَ مِنّي، كما أخذَ السِّرارُ مِنَ الهلالِ
فقالَتْ: فيمَ أنتَ منَ التَّصابي، متى عهدُ التشوُّقِ والدَّلالِ
فما تَرجُسو، وليس هَوى الغواني لأصحابِ التَّنحنُحِ والسُّعالِ

وقال أيضاً[4]: [من الكامل]

وإذا الشيوخُ تعرَّضوا لمودَّةٍ، قُلنَ: التُّرابُ لكلِّ شيخٍ أدْرَدَا
تلقَيه الفتاةُ من الشيوخِ بِلِيَّةً، إنَّ البَلِيَّةَ كلُّ شيخٍ أرْمَدَا

وقال امرؤ القيس[5]: [من الطويل]

أراهُنَّ لا يُحبِبنَ مَن قلَّ مالُه، ولا مَن رأينَ الشَّيبَ فيه وقوَّسا

وأنشدني بعض الكتّاب لأبي الشِّبل[6]: [من الهزج]

عُذيري من جواري الحـ ـيِّ إذ يرغبنَ عن وصلي[7]
رأينَ الشَّيبَ قد ألبـ ـسني أُبهةَ الكهلِ
فأعرضنَ، وقد كُنَّ إذا قيلَ: أبو الشِّبلِ
تساعينَ، فرفَّعنَ الـ ـكُوى بالأعينِ النُّجلِ

وأنشدتُ لغيره[8]: [من الطويل]

---

(٣) ديوان جرير ٣٤١. والسرار: ليلة آخر الشهر.
(٤) ديوان جرير ٣٤١. والأدرد: المتحطم الأسنان. ارمد: افتقر.
(٥) في معاهد التنصيص ١ : ١٧٤. وعيون الأخبار ٤ : ٤٤ وفي بهجة المجالس ٢ : ٥٠، في الشريشي ٣ : ١٤ قوما. وفي ديوانه على باقية الباء.
(٦) أبو الشبل: عاصم بن وهب بن البراجم. مولده في الكوفة، ونشأ وتأدب بالبصرة، وقدم الى سرمن رأى في أيام المتوكل ومدحه كان كثير الغزل ماجنا (الأغاني ٢٤ : ١٣ بولاق).
(٧) الأبيات في الأغاني ١٣ : ٢٨ (بولاق).
(٨) البيتان في الحماسة البصرية ١ : ١٢٩ منسوبان لمحمد بن عبيد الله بن معاوية بن عتبة بن أبي سفيان، وفي المرزباني ٤٢٠ وفي البيان والتبيين ٢ : ١٨٣ للعتبي أبي عبد الرحمن وفي العقد

رأينَ الغوانــي الشَّيبَ لاحَ بعارضي، فأعرَضْــنَ عنــي بالخُـدودِ النَّواضِرِ
وكنَّ إذا أبصرنَنــي أو سَمِعــنَ بي سَعَينَ، فرقَّعــنَ الــكُوى بالمَحَاجِرِ

[١٥٦] وهُنَّ على ما فيهـن من سُرعـةِ الملَلِ، ومـا طُبِعـن عليهِ مِنَ البَـدَلِ، متمكِّناتٌ من القلوبِ، مُبرّآتٌ عندَ مَحبَّتِهن من العُبوي.

وإنَّ من محمودِ مَذاهب الظُّرفاء الميلَ إلى مغازلة النساء ومُداعبة القينـاتِ. وحبُّ النساء عندهم من حُسن الاختيارِ، وهو أشبه بمَذاهب ذوي الأخطار.

وليس هوى الغلمان عندهم بمَحمودٍ، ولا هو في سيرِهم موجود، وإنَّما آثروا هوى النساء على الغلمـان، ومَدَحوهـن بكل لسـان، لمليح بَراعتِهـنَّ، وتكامُـل ملاحتِهن، وعجيبِ شكلِهن، وبديعِ دَلِّهِنَّ. وفيهِنَّ أيضاً خِصالٌ محمودةٌ، ومَلاحةٌ موجودةٌ، إن عُدِمت من الجمال وُجدت في العَقلِ، وإن عُدِمت من العَقلِ وُجدت في الدَّلال. وروائحهُنَّ أذكى، وهواهُنَّ للقلوب أنكَى، والعِشقُ بهِنَّ أليقُ، وهنَّ للرجال أوفقُ.

وقد قال بعض الشعراء في ذلك ومَلُح: [من المتقارب]

أحِــبُّ النِّســاءَ وذكْرَ النِّساءِ، ويُعجِــبُ قلبــي لذيذُ الغِناءِ
وهــل لَذَّةُ العيشِ إلاَّ النِّساءُ، وحُســنُ الغِنــاء، وشُــربُ الطِّلاءِ

وقال الفرزدق[1]: [من الكامل]

منــعَ الحياةَ مِنَ الرجــال وطِيبَها حَدَقٌ يُقلِّبُهــا النِّســاءُ مِراضُ
وكأنَّ أفئِـدةَ الرِّجــالِ إذا رأوا حَدَقَ النســاء لِنَبلِهــا أغْراضُ

وقال دِعْبِلُ بن علي الخُزاعي[2]: [من الوافر]

= ٤٦:٢ وفي الوحشيات ٢٩٠ للعتبي أو لأبي الشبل او لعمر، وفي الفاضل. ٧٧ دون نسبة ولمحمد بن أمية في الشريشي ١٤:٣.

[١٥٦]

(١) ديوان الفرزدق ١: ٣٩١.

(٢) في ديوانه ١٥٠ ومصدرها الوشاء فقط.

أَحَـبُّ ذَخيرةٍ وأحـبُّ عِلقٍ إلـيَّ الغـانياتُ، وإن غَنِينا
وكلٌّ بُكاهُ رَبـعٍ أو مَشيبٍ نُبـكِّيهِ، فهـنَّ بهِ عُنِينا

وقال بعض الأدباء: [من الوافر]

فلـو أنـي رأيتُ النـاسَ يوماً، ووُلِّيتُ الحكومَـةَ والخِصاما
لقَـرَّت عينُ مَن يَهـوى الجَواري، وعاقَبـتُ الـذي يهـوَى الغُلاما
سأَلتُـكَ أيُّمـا أحلَـى حـديثاً، وأطيبُ، حينَ تَعشَقُـهُ التِزاما
أجـاريةٌ مُنَعَّمَـةٌ رَداحٌ، تَزيدُك للغَـرام بهـا غَراما
أوَ أمـردُ مُنتِـنُ الإبـطَينِ منه، له رمـحٌ كرمحـك حينَ قاما
يُريدُك للدراهـمِ لا لحُبٍّ، وتلكَ تَذوبُ من كلَفٍ سقاما

وأنشدني علي بن العباس الرومي لنفسه[3]: [من مجزوء الرمل]

حبـك الغِلمـانَ ما أمـ كَنَـك النِّسـوانُ أفْنُ
إنمـا يُمشَـقُ في الظَّهـ ـرِ، إذا ما أعـوزَ بَطنُ

[١٥٦ ب] وما رأينا أحداً من العرب المتقدِّمين والشعراء المفضَّلين صمَّدوا في أشعارهم إلى غيرِ ذكر النساء ولا صَدَّروا قصائدَهم إلا بالتشبيبِ بوصف النساء.

هذا حسَّان بن ثابت الأنصاري[1] شاعرُ رسول الله، ﷺ، يقول[2]: [من الخفيف]

يا لقومٍ، هل يَقتُلُ المـرءَ مِثلي، واهـنُ البَطشِ والعِظـامِ، سَؤومُ

---

(٣) ليس في المطبوع من ديوان ابن الرومي. وهما في ديوان الصبابة ٢٤٧ دون نسبة.
وورد صدر البيت الأول في الأصل: نيكك، وقد أبدلناها.

[١٥٦ ب]

(١) حسان بن ثابت الأنصاري: (توفي ٥٤هـ) شاعر رسول الله (ﷺ) كان يهاجي قريشا ويذكر مساوئهم وينافح عن رسول الله (الشعر والشعراء ٢٢٣، الوافي بالوفيات ١١: ٣٥٠، اعلام النبلاء ٢: ٥١٢ معاهد التنصيص ١: ٢٠٩ جمهرة اشعار العرب ٤٩٢، الاعلام ٢: ١٧٥.

(٢) الأبيات في ديوانه ١: ٤٠، وفي سير اعلام النبلاء ٢: ٥١٩.

هَمُّها العِطرُ والفِراشُ، ويَعلو ها لُجَينٌ، ولُؤلؤٌ مَنظومُ
لو يَدِبُّ الحَوليُّ مِن وَلَدِ الذَّرِّ عليها لأندبَتْها الكُلومُ

وقد كان النبي، ﷺ، يَنصب له مِنبَراً في مَسجدِهِ، ويدعو الناسَ إلى استماعِ شِعرِهِ، وهو يشبِّب في قصائده بهذا وما أشبهه من ذكر النساء[3].

وهذا كعب بن زهير[4] ينشد للنبي، ﷺ، في مسجده[5]. [من البسيط]

بانَت سُعادُ، وقَلبي اليومَ مَتبولُ، مُتَيَّمٌ عِندَها لم يُفدَ مَغلولُ[6]
أكرِمْ بها خُلَّةً لو أنها صَدَقَت مَوعُودَها ولَو أنَّ النُّصحَ مَقبولُ

ويمدح النبيَّ، ﷺ، في قصيدته هذه فيقول فيها:

إنَّ الرَّسولَ لَنورٌ يُستَضاءُ بِهِ، وصارمٌ مِن سُيوفِ اللهِ مَسلولُ

والنبيﷺ، يومِىء إلى الناس في مَسجدِهِ أن اسمعوا شِعرَه. ولو كان ذكرُ النساء في الشعر منكراً، لكان النبيﷺ أوّلَ من أنكرَه. ولو كانَ ذكرُ غيرِ النساء أولى بالتقدمةِ في الشعر مِن ذِكرهن لكان النبيﷺ، أولَ من أمر بذلك واستحبّه. ولو كان أيضاً في الشعر ذِكرُ النساء من الرَّفثِ والفُحشِ والخنا لكان ما قيل في رسول الله من المديحِ أحقُّ بأن يُسقَطَ مِنه ذكرُ القبيح، كما أُسقطَ ذكرُ الذُّكورةِ ووصفُ تَعشُّقِهم من هذه الأشعار ومن نظائرها، من مديح ذوي الأخطار. وما وجدتُ ذلك في شيء من أشعار المتقدِّمين وإنما عُرِفَ الآنَ في شعرِ المحدثين.

---

(٣) الخبر في الوافي بالوفيات.

(٤) كعب بن زهير: (توفي ٢٦هـ) والده زهير بن أبي سلمى المازني. شاعر عالي الطبقة من أهل نجد. ولما ظهر الاسلام هجا النبيﷺ وأقام يشبب بنساء المسلمين، فهدر النبي دمه فجاءه كعب مستأمناً وقد أسلم، وانشده لاميته المشهورة. فعفا عنه الرسول وخلع عليه بردته (الاعلام ٥: ٢٢٦، جمهرية أشعار العرب ٦٣٣، الشعر والشعراء ٨٩).

(٥) الأبيات الثلاثة في جمهرة أشعار العرب ٦٣٢، وفي شرح قصيدة بانت سعاد ١٢، ١٥، ٣٧، وفي الشعر والشعراء ٨٩ البيتان ١و٣.
وفي الأبيات: اختلاف- مغلول] مكبول.

(٦) متبول: التبل: الوهم، ومتبول: الهائم.

وأينَ ظَرفُ النِّساءِ وحسنُهن من غيرهنّ، وأين ملاحةُ سَلامِهن، وحلاوةُ كلامِهن، ومستحْسَنُ مُداعبتِهن، ومحبوبُ مُعاتَبتهن، ومليحُ مُراسلتهن، لا سيما إن شبْنَ هَواهُن بالغَيرةِ على محُبِّيهن، والتدلُّل على متعشقيهن، وصددن من غير زلل، وهَجَرنَ من غيرِ ملَل. وهنّ واللهِ في كلِّ أحوالِهِن القاتلاتُ بأفعالهن، وصالُهن ختَلٌ، وصدُّهن قَتلٌ. وهنّ المالكاتُ للقلوبِ، السالباتُ للعقول، إذا خلَون مَزَحْنَ، وإن ظَهَرْنَ نَظَرنَ، فَقَتَلْنَ بلَحظِ عيونِهن، وصرّعْن بكَسرِ جُفونِهن، وأحيين بقولِهن الكاذبِ، ووعْدِهن الخائب. فلا شيء أحسن من مَطْلِهن، ولا ألذّ من خُلْف وعدِهن. وقد استحسنتِ الشعراء ذلك منهن، ومَدَحَتْه في كثيرٍ من الأشعار فيهن.

[١٥٧] أخبرني أحمدُ بن يحيَى عن الزُّبير بن بكار عن سُليمان بن عياش السعدي عن أبيه عن جده قال: حدثني السائبُ راويةُ كُثيِّر قال: كان كُثَيِّر رجلا مَذْبوباً، لا يستقرُّ في مكان، فقال لي ذاتَ يوم: اذهَب بنا إلى ابنِ أبي عتيق نَتحدَّث عنده. فأتيناه، فاستنشد ابنُ أبي عتيق كُثيِّراً فأنشده[١]: [من الطويل]

أبائنةٌ سُعدى؟ نَعَم ستَبِينُ، كما أنبتَّ من حَبلِ القَرينِ قَرينُ[٢]

أإن زُمّ أجمالٌ، وفارقَ جيرةٌ، وصاح غُرابُ البَينِ أنتَ حزينُ

كأنَّك لم تَسْمَعْ، ولم تَرَ قبلَها تَفَرُّقَ ألافٍ لهنّ حَنينُ

حنينٌ إلى الأفِهنّ، وقد بدا لهنّ من الشكِّ الغَداةَ يقينُ

حتى إذا بلغ إلى قوله:

فأخلَفن ميعادي، وخُنَّ أمانتي وليسَ لِمَن خانَ الأمانةَ دينُ

قال ابن أبي عتيق: أوَعلى الدين صَحِبتَهن يا ابنَ أبي جُمعة، ذلك أملحُ لهُنّ،

---

[١٥٧]

(١) الأبيات في ديوان كثير. ١٧٠، ١٧٢.

(٢) القرين: البعير المقرون بآخر. الآلاف: الإبل التي كانت تألف بعضها بعضاً.

الأقران: مفردها قرن وهو الحبل.

وأدعَى للقلوبِ إليهن. عُبيدُ اللهِ بنُ قَيس الرُّقَيَّاتِ أشعرُ منك حيثُ يقول[3]: [من المديد]

حَبَّـذَا الإدلالُ والغُنُجُ، والتـي في طَرفِهـا دَعَجُ[4]
والتـي إن حدَّثَـت كَذَبَت، والتـي في وَصلِهـا خَلَجُ
وتَـرى في البيتِ صُورَتَها، مثـلَ ما في البِيعَـةِ السُّرُجُ
خَبِّرونـي: هل علـى رجلٍ عاشـقٍ في قُبلـةٍ حَرَجُ؟

فقال: لا إن شاء الله، وانصرف.

وقال القَطامي يَستحسِنُ ذلك من أفعالهِن، ويَصِفُ مَلاحةَ اعتلالهِن[5]: [من الكامل]

وأرى الغَوانـيَ إنَّمـا هي جَنَّةٌ، شِبهُ الـرِّياحِ تُلـوِّنُ الألوانا
وإذا حَلَفْـنَ فهـنَّ أكذبُ حالفٍ حَلِفـاً، وأملـحُ كاذبٍ إيمانا

وقد أحسن محمودُ الوراَّق حيثُ يقول[6]: [من مجزوء الرمل]

اصطبِـحْ كأسَ شرابٍ، واغتبِـقْ كأسَ تَصابي
واجعـلِ الأيامَ قسماً بين عتْـبٍ وعِتابِ
ووصـالٍ واهتجارٍ وبُعـادٍ واقترابِ
واجتنـابٍ في دُنُوٍّ ودُنُـوٍّ في اجتنابِ
ورسـولٍ بكتابٍ، وانتظـارٍ لجَـوابِ
وقُنُـوعٍ مِن حبيبٍ بالمـواعيدِ الكِذابِ

---

(٣) الأبيات في ديوان ابن قيس الرقيات ١٦٣، وفي الأغاني ٤: ١٦٥ (الدار) والعقد الفريد ٥: ٣٦٨.

(٤) الدعج: سواد العين مع سعتها ـ خلج: شك.

(٥) البيتان في ديوان القطامي ٥٨ ـ ٩.

ويرد البيت الثاني على الوجه التالي:

واذا حلفـن فهـن اكثـر واعد خلفـاً وأكثـر حالف ايماناً

(٦) ليس في شعره الذي جمعه محمد زهدي يكن، وهو مصير جميع ما أورده له الوشاء وأحسبه لم يطلع على الظرف والظرفاء.

لیسَ في الحبِّ ولا الصبْـ ـوَةِ حظٌّ للصوَّابِ

وقال بعض المحدثين[٧] : [من الرمل]

ليسَ يُستحسَـنُ في حكْمِ الهَوى عاشـقٌ يُحسِـنُ تأليفَ الحُجَجْ
بُنـيَ الحـبُّ علـى الجَـورِ، فلو أنصفَ المعشـوقُ فيه لَسَمُجْ

وقال آخر وأحسَن في قوله: [من الطويل]

ألا إنني راضٍ بما حكَمَت جُمْلٌ، وإنْ كان لي فيه البَليَّةُ والقَتْلُ
فكرّوا علـيَّ العَـذلَ فيهـا، فإنَّني رأيتُ الهَـوى فيهـا يُجَـدِّدُهُ العَذلُ
ومـا جئتُهـا يومـاً لبَـذلٍ رَجَوْتُهُ لديهـا، فأخشَـى أن يُغيِّرَه البُخلُ

ومن ذلك قول جميل بن معمر العُذْري[٨] : [من الطويل]

ولسـتُ علـى بَذلِ الصفَّـاء هَوِيتُها، ولـكن سَبتنـي بالـدَّلالِ مع البُخلِ

وقال أيضاً[٩] : [من الكامل]

ويقُلنَ: إنَّـكِ يا بُثَينَ بخيلةٌ، نفسـي فِداؤكِ من ضَنينٍ باخلِ
ويقُلنَ: أنَّـكَ قد رَضيتَ بباطلٍ منها، فهل لكَ في اعتـزالِ الباطلِ؟
ولَبَاطِـلٌ مِمَّـن ألَـذُّ وأشتَهي، أدنَـى ألَـيَّ مِنَ البَغيضِ الباذِلِ

[١٥٧ ب] ودَخلَتْ عَزَّةُ على هِشامِ بن عبد الملك بن مروان[١]، فقال: يا عَـزَّةُ!

(٧) البيتان منسوبان للفتح بن خاقان في معجم الشعراء ٣١٨، وفي معجم الأدباء ٥ : ٤٢، وهما في اشعار أولاد الخلفاء ٦٦ منسوبان لعلية بنت المهدي.
(٨) البيت في ديوان جميل ٣٧.
(٩) الأبيات في ديوان جميل ٥٤ وفي الثالث اختلاف يسير
[١٥٧ ب]
(١) هشام بن عبد الملك، (٧١ ـ ١٢٥هـ): ولد في دمشق، وبويع فيها بعد وفاة أخيه يزيد (١٠٥هـ). وفي أيامه خرج عليه زيد بن علي بن الحسين (١٢٠هـ). ونشبت في أيامه حرب هائلة ومع خاقان الترك انتهت بمقتل خاقان واستيلاء العرب على بعض بلاده. كان المنصور يعجب به ويستقصي أخباره من الرواة (الأعلام ٨ : ٨٦).

أتعرفينَ قولَ كُثَيِّر[٢]: [من الطويل]

وقد زَعَمت أني تَغيَّرتُ بعدَها ومَن ذا الذي، يا عزَّ لا يَتغيَّرُ
تَغيَّر جسمي، والخَليقةُ كالذي عَهِدتِ، ولم يُخبِر بسِرِّكِ مُخْبِرُ

فقالت: ما أعرف هذا ولكني أعرف قوله[٣]: [من الطويل]

كأنّي أُناجي صَخرةً، حينَ أعرَضَت، من الصُّمِّ لو يمشي بها العصمُ زَلَّتِ[٤]
صَفُوحٌ، فما تلقاكَ إلا بخيلةً، فمَن مَلَّ منها ذلك الوصلَ مَلَّتِ

وأنشدني أحمدُ بنُ عُبيد لرِفاعة الفقعسي[٥]: [من الطويل]

ألم تَعلما أمْ لا، وكلٌّ بَلِيَّةٌ مِنَ الدهرِ يَفنى بؤسُها ونَعيمُها
ولم تَجدا بَلْجاءِ إلاَّ بخيلةً، وإن أيسَرَتْ واحتاجَ يوماً غريمُها[٦]

وأنشدني محمدُ بن يَزيد لكُثَيِّر عزَّة[٧]: [من الطويل]

وكَم من خليلٍ قالَ لي: هل سألتَها؟ فقلتُ: نَعَم، ليلَى أضَنُّ خليلِ
وأبعدُه نيلاً، وأسرعُه قِلًى، وإن سُئِلَت نيلاً، فشرُّ مُنيلِ

وأنشدني أحمدُ بن يَحيَى لجميل بن معمَر العُذْري[٨]: [من الطويل]

وهَجْرُك مِن تيما بلاءٌ وشِقوةٌ عليكَ معَ الشوقِ الذي لا يُفارِقُ[٩]

---

(٢) البيتان في ديوانه ٣٢٨، والخبر في ديوانه ٤٦١.

(٣) ديوان كثير ٩٧ ـ ٩٨، آمالي القالي ٢ : ١٠٨.

(٤) العصم: جمع أعصم وعصماء، وهو من الوعول ما في ذراعيه بياض، والعصم تحسن السير والقفز فوق الصخور.
والصفوح: المعرضة للهاجرة. وفي هذا البيت يعبر كثير عن شديد بخلها، وهذا البخل يسميه وصلا، لأنها لا تجود بغيره.

(٥) رفاعة الفقعسي: هو رفاعة بن أبي حجرية كما أورده صاحب الوحشيات ٢٣٧، ولم أقع على ترجمة له. وفقعس بن طريف من أسد من خزيمة من عدنان، جد جاهلي (الأعلام ٥ : ١٥٤).

(٦) بلجاء: اسم علم مؤنث.

(٧) البيتان في ديوان كثير ١٠٩. وفيهما اختلاف ببعض الكلمات.

(٨) البيتان في ديوان جميل ٧٦. فيه وردت قافية البيت الثاني: والخلائق.

(٩) تيماء: من أمهات القرى، وهي لطيء. (معجم ما استعجم ١ : ٣٢٩) ووصفها ياقوت بأنها بليد في أطراف الشام، بين الشام ووادي القرى (معجم البلدان ٢ : ٦٧).

ألا إنَّها ليسَت تجودُ لذي الهَوى، بل البخلُ منها شيمةٌ وخلائِقُ

وأنشدني ابن أبي خَيْثَمة لعبيدِ الله بن عبد الله بن عُتْبة بن مسعود[10]: [من الطويل]

وزادَكَ إغراءً بها طولُ بُخلِها عليكَ وأعرَى لحسمَ أعظُمِك الهَمُّ[11]

ومثله قول الأحوص بن محمد الأنصاري[12]: [من البسيط]

وزادني كَلَفاً بالحبِّ أن مَنَعَت، أحبُّ شيءٍ إلى الإنسان ما مُنِعا
كم من دَنِيٍّ لها قد صرتُ أتبعُهُ، ولو صَحا القلبُ عنها كانَ لي تَبِعا

[١٥٨ أ] وقال جرير يذكر طول المَطل والخُلْف[1]: [من الكامل]

وإذا وَعَدْنَكَ نائلاً أخلَفنَه، وإذا طُلِبنَ لَوَينَ كلَّ غريمِ
يَرمينَ من خَلَلِ السُّتورِ بأعيُنٍ فيها السَّقامُ وبرءُ كلِّ سقيمِ

وقال أيضاً[2]: [من الطويل]

لحسْرُ الغَواني ما جَزَينَ صبابتي بهِنَّ، ولا يُحبِينَ نَسجَ القصائدِ
رأيتُ الغَواني مُولَعاتٍ بذي الهوى، بطُولِ المُنى، والخُلفِ المَواعدِ

وقال أيضاً[3] [من الوافر]

ألَم ترَني بذَلتُ لهنَّ وُدِّي، وكذَّبتُ الوُشاةَ، فما جَزَينا

---

(١٠) عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي ، (توفي ٩٨هـ): أبو عبد الله مفتي المدينة وأحد الفقهاء السبعة فيها، من اعلام التابعين مؤدب عمر بن عبد العزيز (الاعلام ٤: ١٩٥، سير اعلام النبلاء ٤: ٤٧٥، خلاصة تذهيب التهذيب ٢٥١، شذرات الذهب ١: ١١٤).

(١١) البيت له في أمالي القالي ٢: ٢٠، وفيه اختلاف في عجز البيت: واعرى وأبرى، وينسب له في مصارع العشاق ١: ٣٢١.

(١٢) شعر الأحوص ١٥٣. وفيه اختلاف في عجز البيت الثاني صحا: سلا.

[١٥٨ أ]

(١) ديوان جرير ٤٣٤.

(٢) البيتان في ديوانه ١٣٦.

(٣) البيتان في ديوانه ٤٧٧.

إذا ما قلتُ جاز لنا التَّقاضي بَخِلنَ بعاجلٍ، ومَطلنَ دَينَا

وقال أيضاً[٤]: [من الطويل]

ويَقُلْنَ إذا ما حَلَّ دينُك عِندَنا، وخَيرُ الذي يُقضَى مِن الدَّينِ عاجلُه
لكَ الخَيرُ لا نَقضِيك إلا نَسيئةً من الدَّينِ، أو عَرْضاً، فهل أنت قابلُه

وقال أيضاً[٥]: [من الكامل]

وإذا وَعَدْنَك نائلاً أخْلَفنَه، وجَعَلن ذلك مثلَ بَرق الخُلَّبِ
إنَّ الغوانيَ قد قَطَعنَ مَودَّتي، بعدَ الصَّفا، ومَنَعْنَ طِيبَ المَشرَبِ

وقال كعب بن زهير[٦]: [من البسيط]

كانت مواعيدُ عُرقوبٍ لها مثلاً، وما مواعيدُها إلاَّ الأباطيلُ[٧]
فلا يَغُرَّنْك ما منَّتْ، وما وعَدَتْ، إن الأمانيّ والأحلامَ تَضليلُ

وقال نُصَيب[٨]: [من الطويل]

ألِلْبَين، يا ليلى، جِمالُكِ تُرحَلُ، ليقطعَ منَّا البَينُ ما كانَ يُوصَلُ
تُعَلِّلُنا بالوَعد ليلَى، وتَنْثَني بموعودِها، حتَّى يموتَ المُعَلَّلُ

وقال كثيرٌ[٩] [من الطويل]

وإنِّي لأرضَى مِن نَوالِك بالذي لوَ ابصَرَهُ الواشي لقرَّت بَلابِلُهْ

---

(٤) البيتان في ديوانه ٣٨٥.
(٥) البيتان في ديوانه ٢٢.
(٦) البيتان في شرح قصيدة بانت سعاد ١٧، جمهرة اشعار العرب ٦٣٣ ـ ٣٤.
(٧) مواعيد عرقوب: مثل يضرب في خلف المواعيد. وعرقوب رجل من الأوس أو من الخزرج، استعراه اخ له نخلة فوعده إياها وقال حتى تزهي، فلما أزهت قال حتى ترطب، فلما ارطبت قال حتى تجف شيئا ويمكن صرامها، ثم اتاها ليلا فصرمها.
وقيل إن عرقوب من العماليق بيترب، بالثاء (فصل المقال ١١٣)
(٨) شعر الأحوص ١١٤.
(٩) البيتان في ديوان كثير ٥٣٦، وهما في ديوان جميل ٨٨ وفي الوحشيات ١٨٩ منسوبة للمجنون (انظر تخريجها في ديوان كثير والوحشيات).

بِلاَ وبأن لا أستطيع وبالمُنى، وبالوعدِ والتَّسويفِ قد ملَّ آملُهْ

وقال آخر: [من المنسرح]

يا ربِّ خُذْ لي مِنَ المِلاحِ فقد هِجنَ لقَلبي من الهوى خبَلا
مِنَ اللَّواتي يقُلن: لَنْ، ونَعَم، وهَا، وحتَّى، وقد، وسَوفَ، ولا

والذي جاء في ذلك كثيرٌ يطول شرحهُ ويُعيي وصفُه، وقد مضَى من الفصل ما فيه كِفايةٌ لذوي العقل، وقد أفرَدنا كتاب «القيان» لذمّ عُظْم القيان، فأغنَى ما في ذلك الكتاب عن تكثيرِ هذا الباب، فاعرفْه إن شاء الله.

[١٥٨ ب] واعلم أنَّ الهوى والحُبَّ والبُخلَ والعِشقَ والغَزَلَ، يحسُنُ بأهلِ النِّعمةِ واليَسار، ويُزْري بأهلِ الإملاقِ والإقتار. ولسنا نقول: إنّه محرَّمٌ على هؤلاء لإعسارِهم، ولا محلَّلٌ لأولئك ليَسارِهم. وليس بالغني ما يُدخِلُ أهلَ الجَهالةِ في الوصف، ولا بالفقرِ ما يُخرجُ أهلَ الأدَبِ من الظَّرفِ.

وقد قال بعضُ الشعراء[1]: [من الكامل]

قد يُدركُ الشرفَ الفتى، ورداؤه خلَقٌ، وجَيبُ قَميصِه مَرقوعُ

وليس أسبابُ الهوى مُبيِّنةً عن اليَسار والسَّعة والغَناء والبذل والعَطاء، والنَّفقَات الغزيرة، والصِّلات الكثيرة، والهِبات الهنيَّة، والهَدايا السَّريَّة. والمُختلُّ المُعدِمُ، والمُقِلُّ المُعسِرُ لا حيلةَ له في ذلك. فمن تَعرَّضَ للهوَى، ومالَ إلى الصِّبا، لَم يحسن ذلك به لإفلاسِه، وقِلَّةِ ذاتِ يدِه وإقلالِه. وما هلَك امرؤٌ عرَف قدرَه، وأجهلُ الناسِ من عدا طَورَه.

وقد قال بعضُ السُّخفاء يَعيب بجَهلِه على الظُّرفاء: ألم يُعلم أنه لا يكونُ لفقيرٍ ظَرْفٌ، ولا يُرفَع إليه طَرفٌ، ولا يقع عليه وَصفٌ، والفقيرُ مَذمومٌ بكلِّ لسانٍ، والغنيُّ مُحبَّب إلى كلِّ إنسانٍ.

[١٥٨ ب]

(١) البيت منسوب لابن هرمة في طبقات ابن المعتز ٢١، وفي التمثيل والمحاضرة ٧٣.

وأنشدَ قولَ عُروة بن الورد[٢]: [من الوافر]

ذَريني للغنى أسعى فإني رأيتُ الناسَ شرُّهُمُ الفقيرُ[٣]
وأحقرُهُم، وأهونُهم عليهم، وإن أمسَى له كَرَمٌ وخيرُ
يُباعدُهُ الدنيُّ وتَزدريهِ حَليلتُه، ويَنهَرُهُ الصَّغيرُ

وقد أخطأ العائبُ لهم في مَقاله، وتكسَّع في حيرتِه وضلالتِه، لأن عُروةَ لم يذهَب إلى ثَلبِ الأدباء، ولا إلى تَعنيفِ الظُّرفاء، وإنما عنَّفَ على طولِ الإهمالِ، وحثَّ على تكسُّبِ الأموالِ، وهذا مثلُ قولِ الآخر[٤]: [من الطويل]

لَعَمرُكَ! إنَّ المالَ قَد يَجعَلُ الفَتى سنياً، وإنَّ الفَقرَ بالحُرِّ قد يُزري
وما رَفَعَ النفسَ الدَّنِيَّةَ كالغِنَى، ولا وضَعَ النفسَ الكريمةَ كالفَقرِ

ومثلُ ذلك قولُ الآخر[٥]: [من البسيط]

الفَقرُ يُزري بأقوامٍ ذوي حسَبٍ، وقد يُسَوِّدُ غيرَ السَّيِّدِ المالُ

وكقولِ الآخر[٦]: [من الطويل]

أجلَّكَ قومٌ حينَ صِرتَ إلى الغِنى، وكلُّ غَنيٍّ في العُيونِ جَليلُ
إذا مالتِ الدُّنيا إلى المرءِ حَوَّلَت إليه، ومالَ الناسُ حيثُ تَميلُ

فهؤلاء لم يَذهَبوا إلى تفنيدِ المتظرِّفين، ولا الطَّعنِ على المتفنِّين، وكيفَ، والتَّظرُّفُ بهم أليَقُ، وسِمَةُ الظَّرفِ عليهم أصدق؟.

---

(٢) عروة بن الورد (توفي نحو ٣٠ ق. هـ/ ٥٩٤م): من غطفان، من شعراء الجاهلية وفرسانها وأجوادها. كان يلقب بعروة الصعاليك لجمعه لهم وقيامه بأمرهم إذا اخفقوا في غزواتهم. (الأعلام ٤: ٢٢٧ جمهرة اشعار العرب ٤٥٠).

(٣) الابيات في ديوانه ٤٤ وفي بهجة المجالس ١: ٢٠٨ وفي الأبيات اختلاف يسير.

(٤) البيتان في روضة العقلاء ٢٢٦ وفي بهجة المجالس ١: ٢٠٩ دون نسبة، وفي المستطرف ٢: ٤٨ وفي بهجة المجالس وردت سنياً عوضاً عن تسيباً وهو ما أثبتناه.

(٥) البيت في بهجة المجالس ١: ١٩٦ منسوب لعمار الكلبي وفي المستطرف ٢: ٤٨ دون نسبة.

(٦) البيتان في بهجة المجالس ١: ٢١٠ منسوبان لأبي العتاهية. والأول في شرح حماسة أبي تمام ٤: ٩٥ دون نسبة، وفي العقد الفريد ٣: ٣٠ دون نسبة.

وهذا البابُ قد ذكرتُهُ على جُملته في كتاب «نظام التاج في صِفةِ الأنْوَكِ المَرزوقِ والظَّريفِ المُحتاجِ» وجَعلنا جملةَ ما مرَّ في كتابِنا نَصفَة بينَنا وبين من زعمَ أن الأمرَ ليس كَذلك.

[١٥٩] والذي زعم أنه لا يكون للفقير ظَرفٌ قد تجاوزَ في الجَهالةِ والسُّخْف. بَلى إن الظَّرف بذي التقلُّلِ مليحٌ، ولكنَّ الهَوى والعِشقَ بهم قَبيحٌ. وذلك أن الفَقيرَ إن طلبَ لم ينَل، وإن رامَ بلوغاً لم يَصِل، وإن استوصلَ لم يُوصَل. فهوَ كَمِدُ القَلب، عازبُ اللُّبِّ، حزينُ النَّفسِ، ميِّتُ الحِسِّ، ذاهلُ العَقلِ، بعيدُ الوصل. فتركُهُ التعرُّضَ لِما لا يقدرُ على بلوغِ إتمامه أولَى من تَلَبُّسِه بما يَزيدهُ في اغتمامِه.

وقد يجوزُ أن يكون ظريفاً بغَيرِ عِشق، كما كان عاشقاً بغيرِ فِسق، لأنَّه لا تُهَيّأ له إقامةُ حدودِ العِشقِ والظَّرفِ بلباقتِه، ونَظافتِه، وتخلُّقِه، وتملُّقِه، ومُداراتِه، ومُساعدته. ولا يَتَهيَّأ له القِيامُ بحُدودِ العِشقِ إذ لا مالَ له فيُعينَه على هواه، ولا مقدرةَ لهُ فتبلغَه رضاه. وإن بُلي بمَن يستهديه ويستكسبُه ويطلب برَّه، ويريدُ فضلَه، وهو لا يقدر على ذلك فهي الطامَّةُ الكُبرى، والمُصيبة العُظمى، والحَسرة التي تَبقى، والكَمدَ الذي لا يَفنى.

فلْيَتحرَّز الأديبُ من الهَوى قبلَ وقوعِه في العَطَب، ولْيَتحفَّظ منه قَبل طلبِه التخلُّصَ مِن شَرَكِه، فلا يقدرُ على الهرَب. وقلَّ من رأيت وقعَ في هوًى فَنجا من غُلِّه، أو أمكنَه التخلُّصُ من حَبلِه. ولن يَقدر على التخصُّ من الهوى بعدَ الوُقوعِ في دركِ البَلا، إلا مالكٌ لقلبِه، مانعٌ لغَربِه، حازمٌ في فعلِه، جامع لعقلِه. فإنَّ الأديبَ إذا كانَ بهذِه الصفةِ، ورأى آيات المللِ، وعَلامات الذُّلِّ وامارات الغَدرِ، ودَلالاتِ العَجز، بادر فريستَه، وتخلَّص مُهجتَه، وزجَر قَلبَه، وصَرَفَ حبّه، ولم يُقِمْ على طولِ الجَفاء، ولم يُعرِّض نفسَه لطول البلاء، ولم يستعبدها بالتذلُّلِ، والخُشوع، والتضرُّع، ولكنَّه يَصرِفُها صَرف مقتدرٍ عَيوف، ويمنعُها منعَ مالكٍ عزوفٍ. وقد شرحت لك ما قيل في المُصارمة باباً لِتَقِفَ عليه، ويبينَ لك صحةُ ما فيه؛ إن شاء الله، ولا قوة إلا بالله.

باب

ما جاء في مصارمة ذوي الغدر

والمبادرة عند الملل والهجر

[١٦٠] اعلم أن صبرَ المُحِبِّ على هَجرِ الحبيب، وتجرُّعَهُ للغُصصِ والتعذيب، ومعالجةَ الزفيرِ والنحيب، وتقلقلَ القلب لفَرق الوَجيب، من العَجزِ الظاهر، والموتِ الحاضر. والمبادرةُ بالانصراف بعد تَغيُّرِ الألاّف من الحَزمِ المكينِ، والرأي الرَّصينِ. وإن من أحسن ما قيل في المُصارمة قولَ زُهير بن أبي سُلمى حيث يقول[١]: [من الطويل]

ألا يا لقومٍ للصِّبا إذ يقودُني، وللوَصلِ من أسماءَ إذ أنا طالبُهْ

فليتَكِ قاليني، فلا وصلَ بيننا، كذلك من يَستَغْنِ يُستَغْنَ صاحبُهْ

ومما يتعلق بهذا قول المتلمِّس[٢]. [من الطويل]

فإن تُقبِلي بالوُدِّ نُقبِلْ بمثلِه، وإلا فإنّا نحنُ أنأى وأشمَسُ[٣]

ومثلُهُ قولُ نافع بن خَليفة[٤]: [من الطويل]

[١٦٠ أ]

(١) البيتان ليسا في المطبوع من ديوان زهير. في طبعتي صادر، والآفاق بروايات الشنتمري وثعلب وصعوداء.

(٢) المتلمس: جرير بن عبد المسيح، من بني ضبيعة. وكان ينادم عمرو بن هند ملك الحيرة، وهو الذي كان كتب له الى عامل البحرين مع طرفة يأمره بعتله. وكان دفع كتابه الى غلام بالحيرة ليقرأه فكشف له عن رغبة عمرو بن هند بقتله فيما امتنع طرفه فقتل. (الشعر والشعراء ١١٢).

(٣) البيت في شرح حماسة أبي تمام ٢: ١٠٤. وفيه ورد البيت:

فإن يُقبِلوا بالود نقبل بمثله والا فإنا نحن آبى وأشمسُ

(٤) نافع بن خليفة: لعله نافع بن خليفة الغنوي، شاعر أورد له القالي أبياتاً في أماليه ٣: ١١٦.

بآيةِ ما قالَــت: غَنيتَ بِغيرِنا، ونحنُ سنَغنَى عنكَ مِثلا، ونَصدُفُ

وقال آخر[5]: [من الطويل]

فـإنْ تُقبلـي بالـودِّ نُقبِـلْ بمثلِهِ، وإن تُدبِري أُدبِـر إلـى حالِ بَاليا
ألـمْ تَعلمـي أنـي قليلٌ لُبانتي، إذا لم يكن شيءٌ لشـيءٍ مُؤاتيا

وقال آخر: [من الطويل]

فـإن تُقبلـي بالـودّ نُقبِـلْ بمثلِه، وإن تُؤذِيننـا بالصَّريمـةِ نَصرِمِ

ومثله قول عمر بن أبي ربيعة[6]: [من الطويل]

سلامٌ عليهـا مـا أحبَّـت سـلامَنـا، فإن كَرِهتَـه، فالسَّـلامُ علـى أخرى

ومثله قول الآخر[7]: [من الوافر]

وكنـتُ، إذا خليلٌ رامَ صَرمي، وجَـدتُ لـديَّ مُنفسَحـاً عَريضا

وأجادَ أبو ذؤيبٍ الهُذَلي حيثُ يقول[8]: [من الطويل]

فإنْ وصلَـت حبلَ الصَّفَـاء فدُم لَها، وإن صرَمَتـه، فانصـرِفْ عن تَحامُلِ

ومثله قول إبراهيم بن العباس[9]: [من الوافر]

بقلبي مِن هَوى البِيض انصرافُ، وتُعجبُني منَ البِيضِ القِضافُ[10]
فـإن أنصفـنَ في ودّي، وإلاّ فليسَ عليّ من قلبـي خِلافُ

[١٦٠ ب] وقد أحسن الذي يقول: [من البسيط]

كم من أخـي ثِقـةٍ قد كنـتُ آمُلُه، هبَّـت عليه رِياحُ الغَـدر، فانقَضا

---

(٥) الأول في عيون الأخبار ٣: ٨٨، الأغاني ١٣: ١٢٠ بولاق وهما في ديوان سحيم ٢٢.

(٦) من المنسوب الى عمر في ديوانه ١٠٧.

(٧) في زهر الآداب ٢١٠، وفي ذم الهوى ٢٣٨ وفي سمط اللآلي ٧٣٧ دون نسبة.

(٨) شعر الهذليين ١: ١٤٢.

(٩) ابراهيم بن العباس الصولي (توفي ٢٤٢هـ): أصله من خراسان مولى يزيد بن المهلب. كاتب شاعر ينتهي نسبه الى ملوك جرجان (الوافي ٦: ٢٤، تاريخ بغداد ٦: ١١٧، معجم الأدباء ١: ٢٦٠).

(١٠) القضاف: الممشوقات، الواحدة قضيفة.

أهملتُـه، حينَ لم أملِكْ صيانتَه، ... ثم انقبضتُ بسُودي مثلَ ما انقبضا
وقلـتُ للنفسِ عُدّيهِ فتـى نَزَحَتْ ... به النَّوى أو مِن القَرضِ الذي انقرضا[1]
فمـا بكَيتُ عليه، حينَ فارقَني، ... ولا وَجَدتُ له بينَ الحَشـا مَضَضا

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر: [من الطويل]

أميطي الهوى، إن شئتِ، عنّي فانقُضي ... عُهودَ الهوى، واسترزقي اللهَ في سِترِ
فلـو كنـتِ لي عينـاً، إذاً لَفَقأتُها، ... ولـو كنتِ لي أذنـاً رميتُكِ بالوَقْرِ
ولـو كنـتِ كفًّا، إذاً لقطعتُها، ... ولو كنتِ لي قلباً نَزعتُكِ مِن صَدري
سألتُكِ هل للناقضِ العَهدِ والذي ... يَمرُّ سِوى الإعراضِ والصدِّ والهجرِ
فإن شئتِ فاقليني، وإن شئتِ فاعرضي ... تولّدَ ما أسلفتِ منّي على أمرِ

ولقد أحسن الخليع[2] حينَ يقول[3]: [من الطويل]

هَوِيتُكمُ جَهدي وزِدتُ على الجَهدِ ... ولم أرَ فيكم من يُقيمُ على العَهدِ
فإن أمسِ فيكم زاهداً بعدَ رَغبةٍ، ... فبعدَ اختبارٍ كانَ في وصلِكُم زُهدي
لعَمري، لقد أغضَيتُ فيكم على القَذى ... تُجرِّعُني المكروهَ من غُصَصِ الوَجدِ
تأنّيتُكُم بُقيا الصـديقِ لتقصِدوا، ... وتأبَوْنَ إلا أن تجُوروا عن القَصدِ
تَعـزَّوا بيأسٍ عَنْ هوايَ، فإنَّني ... إذا انصرفَتْ نفسي، فهيهاتِ من ردِّي
أبـى القلـبُ إلا نبـوةً عن جميعِكم، ... كَنَبوتِكم عنّي ففي السُّحقِ والبُعدِ
أرى الغـدْرَ ضِداً للوَفـاء، وإنني ... لأعلـمُ أنَّ الضِّـدَّ يَنبُو عَنِ الضِّدِّ

[١٦٠ ب]

(١) القرض: ما أسلف من احسان او اساءة.

(٢) الخليع، الحسين بن الضحاك، (٢٥٠هـ): أبو علي الشاعر البصري، مولى باهلة، اصله من خراسان، وهو شاعر ماجن مطبوع حسن الافتنان في ضروب الشعر (الوافي ١٢: ٣٧، تاريخ بغداد ٨: ٥٤.

(٣) هذه القصيدة لم ترد كاملة الا في: الظرف والظرفاء ومنها ابيات في الأغاني ٧: ١٩٤ (دار الكتب) وفي الزهرة ١٥٤، وبيتان في الديارات ٦٥: شوقي رياض أحمد، الحسين بن الضحاك، حياته وشعره ١٠٠، ٢٤٧.

إذا خُنتمُ بالغَيبِ عهدي، فما لَكم تُدِلُّون إدلالَ المقيمِ على العَهدِ
صِلُوا، فافعلُوا فِعلَ المُدلِّ بوَصلِهِ وإلا فصدُّوا، وافعلُوا فِعلَ ذي الصَّدِّ
فكم من نذيرٍ كانَ لي قبلُ فيكمُ، وها أنا ذا فيكُم نَذيرٌ لِمَن بَعدي
فوا أسفا من صَبوةٍ ضاعَ شكرُها، مضَت سلفاً في غيرِ أجرٍ ولا حَمدِ

وأنشدني بعضُ المُحدَثين: [من الطويل]

هجرتُ حبيباً كنتُ أحسَبُ أنّني سأقضي حياتي قبلَ هِجرانِه، وَجدا
وذلك أني كنتُ صبًّا بحبِّهِ، أجاوزُ للإفراطِ في حبِّهِ الحَدَّا
فقابلني من قِلَّةِ الحِفظِ للوَفا، بأن خانني ودِّي، ولم يَرعَ لي عَهدا
فقلتُ لقلبي بالملامةِ فاصطبِر، ورُمْ سَلوةً تَلقَى بسلوتِكَ الرُّشدا
فطاوعني قلبي، فبِتُّ مُسلَّماً، أفتِّش عن ودِّي فلا أجِدُ الوُدّا

وأنشد أبو الطَّيب لنفسِه في مثل ذلك: [من الطويل]

عتَبتُ عليكم مرَّةً بعدَ مرَّةٍ، وأفرطتُ في التَّعذالِ واللَّومِ والزَّجرِ
فلمَّا رأيتُ القَولَ ليسَ بنافعي، ولا النَّهيَ مقبولاً لديَّ، ولا أمري
زَجَرتُ فُؤادي زجرةً عَن هَواكمُ وقلتُ له سِرًّا، فأصغَى إلى سِرِّي:
أفِقْ كم يكونُ الهجرُ مِمَّن تُحبُّه، وهَجرُ الذي تهوَى أحرُّ مِن الجمرِ
وصبرُك لو تَدري على هَجرِ ساعةٍ، وقد كنتَ تَرجوه أحرُّ من الجَمرِ
تعزَّ فإنَّ الغدرَ منه سَجيَّةٌ، ولا داءَ أدوَى من مُعالجةِ الغَدرِ
تَعزَّ فإنَّ اليأسَ يَذهَبُ بالهَوى ولا شيء أشفَى للفُؤادِ مِنَ الهَجرِ
تعزَّ وداوِ القلبَ مِنكَ بهجرِه، ففي الهَجرِ، لو يأتي، شِفا غُلَّةِ الصَّدرِ
فطاوَعني قلبي، فبِتُّ أرَى الهَوى، وما كنتُ فيهِ كالجُنونِ، أوِ السِّحرِ
وأصبحَ قلبي فارغاً مِن هواكمُ، كأنْ لم يكُن عاناه في سالفِ الدهرِ
وأضحَى، وما فيه من الحُبِّ والهَوى إذا قِيس، مِقدارُ العَشيرِ مِنَ الذَّرّ

ولقد أحسن الذي يقول[٤]: [من الطويل]

وددتُك لمَّا كان ودُّك خالصاً، وأعرضتُ لمَّا صارَ نَهباً مُقسَّما
ولن يَلبثَ الحوضُ الوثيقُ بناؤهُ، علَى كثرةِ الوُرَّادِ، أن يَتَهدَّما

وقال آخر[٥]: [من الطويل]

لا أشتهي رَنْقَ الحياضِ، ولا التي تُخاضُ ويَغشاها المُطَرَّحةُ الجُرْبُ
ولا أشتهي إلا مشاربَ أحرِزَت عنِ الناسِ، حتَّى ليسَ في مائِها عبُّ

وأنشدني أحمد بن يحيى[٦]: [من الطويل]

وإني لأستَحيي مِنَ الله أن أرى رَديفَ وصالٍ أو عليَّ رَديفُ
وأشرَبَ رَنْقاً مِنكِ بعدَ مودَّةٍ، وأرضى بحَبلٍ منكِ، وهو ضَعيفُ
وإنيَ لِلْماءِ المُخالِطِ للقَذَى، إذا كَثُرت وُرَّادُهُ، لَعَيُوفُ

ومثله قول الآخر: [من الطويل]

لقد زَعَمت ريَّاكَ أنَّك غادرٌ، وأنَّك للشُّربِ، الغَداةَ، عَيُوفُ
لقد كذَبَتْ، ما إن أعُوجُ بِمَشرَبٍ أُجاجٍ، وما لي في الوِصالِ رَديفُ

[١٦١] وأخبرني أحمد بن يحيى عن الزُّبير بن بكَّار قال: كان نُصَيبٌ يأتي خُلَّةً له بالأبواء[١]، وكان إذا أتاها رحَّبَت بهِ أمُّها، وأكرَمَته وفرَشت له إلى جَنب ابنتِها.

---

(٤) البيتان في الوحشيات ٣٠٥ دون نسبة، وهما في زهر الآداب ٩٤٦.
وشطر البيت الأول يرد في الوحشيات: وصلتك لما كان لي فيك رغبة.

(٥) البيتان في الوحشيات ٣٠٥ دون نسبة. وفيها يرد الأول:
لا اشتهي رنق المياه ولا الذي يخاض وتغشاه المطرده الجرب

(٦) الابيات في ديوان جميل ٩٠، والأخير في زهر الآداب ٥٢٨، وفي التمثيل والمحاضرة ٢٥٧، وهي جميعها في الوحشيات ٣٠٥ منسوبة ليزيد بن الطثرية.

[١٦١]
(١) الأبواء: قرية من اعمال الفُرْع من المدينة. وقيل جبل على يمين آرة ويمين الطريق المصعد الى مكة من المدينة وقال كثير: سميت الأبواء لأنهم تبوأوا بها منزلا (معجم البلدان ١: ٧٩).

فجاء يوماً، وعندَها فتًى أصفرُ كأنه مُحّةٌ، يتولَّج عليهم بيتَهم بغَير إذنٍ، ويَختلطُ بهم اختلاطاً يكرهُهُ نُصَيب، فوثَب إلى رحلِه، فشدَّهُ على راحلتِه، فَعلقت به الجاريةُ وقالت: ألا تَبوءُ عِندنا يا أبا مِحْجَن كعادتِك؟ فقال[٢]: [من الطويل]

أراكِ طَموحَ العَين، طارفةَ الهَوى — لهذا، وهذا منكِ وُدٌّ مُؤالِفُ
فإن تَحمِلي رِدْفَينِ لا أكُ منهُما، — فجيئي بفَردٍ إنَّني لا أُرادِفُ

وأنشدني إبراهيم بن محمد النَّحوي لنفسِه: [من الكامل]

يا مَن توهَّمَ أنَّنا نَهواهُ، — ونَذوبُ شَوقاً إن نأى مَثواهُ
كَذَبَتْكَ نفسُك في بُعادِكَ راحةٌ — إن كنتَ مِمَّن مُهجتي تَسلاهُ
لا يَجمعُ القَلبُ القَريحُ صَبابةً — وتأذِّياً منه بمَن يَهواهُ
لكنْ، إذا حَلَّ الأذى صَرَفَ الهَوى، — فانزاحَ عن قَلبِ المُحبِّ هَواهُ

ومثل ذلك قول أسماء بن خارجة[٣] الفَزاري: [من الطويل]

خذي العَفْوَ مِنِّي تَستديمي مودَّتي، — ولا تَنطقي في سَورتي حينَ أغضبُ[٤]
فإنِّي رأيتُ الحبَّ في القَلبِ والأذى — إذا اجتمَعنا، لم يَلبثِ الحبُّ يَذهبُ

ومثله قول الآخر: [من الطويل]

وصَلْتُكَ لمَّا أن رأيتُكَ واصلاً، — وباعدتُ حبلَ الوَصلِ لمَّا بدَا لَكا
توهَّمتُ مِنكَ الحفظَ والرَّعْيَ لِلهَوى — يكونُ، فلمَّا أن رأيتُ فِعالَكا
زَجَرتُ فؤادي، واجتنبْتُكَ بعدَ ما — رأيتُ، ونَحَّيتُ الهَوى عن إنائِكا

---

(٢) شعر نصيب ١٠٥، الوحشيات ٣٠٦. ويرد عجز البيت الثاني: فحيي فرد لست ممن يرادف.

(٣) اسماء بن خارجة بن حصين الفزاري (توفي ٦١هـ): تابعي من رجال الطبقة الأولى، كوفي. كان سيد قومه، جواداً (الاعلام ١: ٣٠٥، فوات الوفيات ١: ١٦٨، الوافي ٩: ٥٩، اعلام النبلاء ٣: ٥٣٥).

(٤) البيتان لأسماء في فوات ١: ١٦٩، الوافي ٩: ٦١ وفي بهجة المجالس ٢: ٥٦ الحماسة البصرية ٢: ٧١ لعامر بن عمرو بن البكاء وفي تزيين الأسواق ٣٠٣ لأبي الأسود الدؤلي ولشريح القاضي في الوحشيات ١٨٥ وفي عيون الأخبار ٣: ١١ وفي محاضرات الأدباء ٢: ٢٦٢ ولباب الآداب ١١٧ بدون نسبة، وهما في ديوان أبي الأسود ١٢٩

فإن قالَ قومٌ: إنَّ في النـاسِ عاشقاً، سلاً سرعـةً يومـاً، فإنّـي ذالكا

وأنشدني غيره أيضاً: [من الطويل]

منحتُـكُم صَفْـوَ المـودَّةِ والهَوى وأفْرَطـتُ حتّى جُزتُ في ذلك الحَدّاً
وأعطيتُـكم مِنّـي القِيادَ، ولـم أكُن لأُعطيه مَن أهـوى، ولـو شَفَّني وَجدا
فقابلتُمونـي ضِدَّ ما قد منحتكُم، ومـا كان حقّـي أن أقابلَـه ضِداً
فقد نِلـتُ ممّـا كانَ مِنّـي مِنَ الهوى وآليتُ ألاّ أُخلِصَ الحـبَّ والودّاً
فإن شئتُمُ جُدّوا الوِصـالَ مِنَ الهوى، وإن شئتُـمُ خُونـوا القَطيعـةَ والعَهدا
فإنـي بريءٌ لا ذكَرتُ مَودّةً، ولا عِشـتُ لأَ سامـريًّا كَذا فَردا

وأنشدني أيضاً لنفسه: [من الخفيف]

مـن سلاً عنـكَ، فاسْلُهُ، لكَ في النـاسِ مِثلُهُ
لا تقـولَنَّ: لِمْ، وكم وعسَـى، أو لعلَّه
فالعَسـى يَعقِـدُ الهَوى، والتَّعـزّي يَحلُّهُ
كلُّ حبٍّ إذا انقضَى بعضُـه، هانَ كُلُّهُ

وأنشدني أبو عبد الله بن مُسرِف لنفسه: [من الخفيف]

ادنُ مِن كلِّ صاحـبٍ يَدنُ شِبراً منـك بالوَصـلِ، والـوِدادِ ذِراعا
وإذا ما نأى ذِراعـاً، فزِدْهُ أنـتَ بالهَجـرِ والقَطيعـةِ بَاعا
ثم لا تَطْعَنَـنَّ يومـاً عليه بعُيوبٍ، وإن شَنَـاكَ سَمَاعـا

وهذا البابُ على كَثرته واتساعِ القَول في صِحتِّه يَعزّ على الأديبِ فعلُه، ويَمنعُه من إتيانِه شغلُه. لأنه لا يقدر أحد على التخلّص من الهوَى بعدَ الوقوعِ في شركِه، وإشرافِه على مَهول مَهلَكِه، إلاَّ بعدَ همٍّ دَخيلٍ، وسُقم طويل، وفِكر قاتل، وشُغل شاغل. فتحرُّزُ ذوي النُّهى مِن الهَوى بالنزوعِ، أولَى من أعمال الحيلةِ في طلَب التخلّص والرُّجوع. .

واعلمَ أنه لا يَصلُح العِشق إلا لأربعة: لذي مُروَّة ظاهـرة، أو ذي [نفس](٥) طاهرة، أو ذي مال واسع، أو ذي أدب بارع. ويقبُحُ مِمَّن سِواهم، لأن الفَقير إذا تعدَّى طوره، ورامَ أن يجاوزَ قدره، قُبحَ ذلك به، كما أنه يقبُح بذي الغِنى تركُ التعرُّض لأسبابِ الهَوى، وذلك لصِغَرِ نفسِه الدنيَّة، وسقوطِ هِمتِهِ الرَّديَّة. لا يمنعُه من طلبهِ قِلةُ ذاتِ يدِه، ولا تَعذُرُ الجِدِّ بل فسادُ الطبع، وعدمُ الحاسَّة، وموتُ الذات.

وبعدُ فإن كنا في تقدمنا في غَرَض خِطابنا، وفصولِ كِتابنا، بإباحة العِشق والهَوى، ودَعونا أليه الأدباء، وحَثثنا عليه الظُرَفاء، وملأنا بذلك كتابنا، فإنا نُفرِدُ للنَّصيحةِ فيه باباً يَميل إليه أهلُ التدبّر، وأهلُ المعرفة والتبحّر، ويرغب فيه العاقلُ، ويزهَد فيه الجاهل، لأني لم أُخْلِه من كلامٍ منثور، وشعرٍ مشهور، فقِفْ على ما أصَّلتُ، يَبِن لك ما فرَّعتُ، إن شاء الله.

---

(٥) اضفنا هذه الكلمة ليستقيم المعنى.

باب
النهي عن الهوى
والتعرُّض لأسباب الضنى

[١٦٢] اعلم أنه يقبُحُ بالرَّجلِ الأديبِ، والعاقل اللبيب، أن يَستخذيَ في هواه، ويُملِّكَ قلبَه سِواه، ويكونَ خادمَ قلبِه، وأسيرَ حبِّه، لاسيما مع تغيُّرِ الزمان، وغَدرِ الأحبابِ والخلاَّن، ما يجد فيهم خليلاً صادقاً، ولا يصاحِبُ إلا ماذقاً. ثم إنَّ أجهلَ الجَهالة، وأضلَّ الضَّلالة، صبْرُ الفتى الأديب، على غدر الحبيب، فإنَّ الصَّبْرَ على الخيانةِ والغَدرِ، يضَعُ من المُرُوَّةِ والقَدْر. وقد قال بعض الشُّعراء فأحسَن[١]: [من الطويل]

وإني، وإن حَنَّت إليكم ضَمائري، فما قَدرُ حيٍّ أن يَذِلَّ له قَدري

فلا ينبغي لأحد أن يذِلَّ لهَواه، فيُشمِتَ بنفسِه أعداه، ولا يركُنَ إلى واحدةٍ منَ النساء الحرائر والإماء، فكلُّهن في الغَدر سَواء، وما لواحدة منهن عَهد ولا وَفاء؛ ولقد أحسَن عُبيدُ الله بن عبد الله بن طاهر حيثُ يقول: [من الطويل]

ألا أيُّها القومُ المحبُّون وَيحكُم، تَعزَّوا عَنِ الأحبابِ، واحتسبوا الأجْرا
فما واحدٌ منهم بوافٍ لواحدٍ، وصاحبتي تجزي وفائي لها غَدْرا
فلو كنتُ من صخرٍ لما كنتُ صابراً، وما أنا من صَخرٍ، وما أتركُ الصَّبْرا

---

[١٦٢]

(١) البيت في ذم الهوى ٦٤٣ منسوب لابن المعتز. وفي أخبار الشعراء ٢٢٠ لأحمد بن يوسف ويرد على الشكل التالي:

وإني وإن رقت عليك ضمائري فما قدر حبي أن أذِلّ له قدري

[١٦٣] وقد بلَغنا أنَّ ببعض بلادِ الهِند قوماً لا يَعشقون، ويرَونه ضرباً مِنَ السِّحر والجُنونِ، وذلك لِمن فيهم الفلسفةُ، ولهم الحِكمةُ والتجربةُ. وزَعموا أنَّ سببَ العِشق سببُ النَّوى وفيه المَذَلّة والعَناء، ومنه يكون السَّقمُ والضنَى. وأكثرُ من في النساء وفاء، أسرَعُهُنَّ خيانـةً وجَفـاء، وأعطاهـنَّ حَلْفـاً وأيمانـاً، أسرعُهـن خُبثـاً وسُلواناً.

فيا رَحْمتـي للأدبـاء، وشفقَتـي علـى الظُّرفـاء، فمـا أطـولَ بلاءهـم، وأكثرَ شقاءهم، وأسخنَ عيونَهم. يُبتلى العزيزُ منهم بالذَّليلةِ، والكثيرُ منهم بالقليلـة، والشريفُ بالدَّنيَّة، والنبيلُ بالزريَّة. فيطول في عِشقها سهرُه، ويكثُرُ في أمورهـا فِكَرُه، وتَنهلُّ عليها إذا نأت دموعُه، ويطولُ لديَها إذا قُربت خضوعُه، وهي تُظهِرُ له المحبَّة، وتُبدي له الرَّغبة، وتَحلف بالأيمان المُحرِّجات، والعُهود الموكَّدات، أنه حظُّها مِنَ الآدميِّين، وشغلُها دونَ سائرِ العالَمين. وتُـريه الجـزَعَ عنـدَ الفـراق، والفرحَ عند التَّلاق، فتملأُ قلبه هَمًّا، وتُورثه ضَنًى وسُقْماً، وهي تكاتبُ سواه، ولا تعبأ بهَواهُ، لها في كل زاوية رَبيط، وفي كل مَحلَّةٍ خَليط، لم يَعدُها قولُ الشاعر[1]: [من الوافر]

فيا مَن ليسَ يُقنِعُهـا مُحبٌّ، ولا ألفـا مُحـبٌّ كلَّ عامِ
أظنـكِ مِن بقيَّةِ قوم مُوسَى، فهُـم لا يَصبِـرون علـى طَعامِ
أتيتُ فؤادَهـا أشـكو إليه، فلـم أخلُص إليه مِنَ الزِّحامِ

ولا قولُ الذي أنشدني قولَه أيضاً: [من البسيط]

الخَـانُ يَعجَـزُ عن قَومٍ إذا كثُروا، لكنَّ قلبَـكِ مثـلُ الخـانِ أضعافُ
في كلَّ يومٍ له خمسـون يَعشَقُهم، في كلِّ شَهـرٍ له ألفٌ وآلافُ

وحكى الهيثمُ بن عَديّ أن رجلاً من العَـرب هَويَ جاريةً، فتمسـك بودِّهـا،

---

[١٦٣]

(١) الأبيات في ديوان أبي نواس ٥٨٥ وتنسب له في العقد الفريد ٦: ٦٤. وفيها اختلاف يسير.

وركَنَ إلى محبَّتِها، ثم اطَّلع على أنَّها لا تَرُدّ يَد لامِس، فقطعها، وأنشأ يقول[2]: [من الطويل]

الا حَيِّ أطلالاً لواسعةِ الحَبْلِ	ألوفٍ تُسوِّي صالحَ القَومِ بالرّذْلِ
فلو أنّ مَن أضحَى بمُنعَرجَ اللّوى	إلى الرَّملةِ القُصوى بساقطةِ النَّعلِ[3]
جلوساً إلى أن يَقصرَ الظِّلُّ عندها	لرَاحوا، وكلُّ القَومِ مِنها على وَصلِ

ومن أكثرِ المُحال، وأحمقِ المَقال، قَناعةُ المرأةِ بصديقٍ، وصبرُها على رَفيق. [و]أحسنُ مَن فيهن حالاً، وأقلهنَّ أشغالاً، من لها صاحبٌ مشهورٌ، وخليل مَستور، وربيطٌ تُراسلُهُ، وصديق تجامله، وإن كان ذلك لا لمالٍ، ولا لِطَمع وآمال. فقد كنَّا تقدَّمنا في باب صِفة القَينات، وما طُبعن عليه من المكر والخيانات، أنهن يكتسبن بالهَوى والعِشقِ، ويُدارين بالتملُّق والرِّفقِ وليس بنات البيوت في الخدور وربّات الحجال والقصور، كذوات المذْق مِنَ القَينات، وكذَوات التكسُّب من المتقيِّنات. فإن هؤلاء معروفات بطلب الدراهم والأموال، منسوبات إلى التكسُّب بتعشُّق الرجال، لا يُقدِم عليهن إلا مغرورٌ، ولا يثِق بهنَّ إلا مسحورٌ. وإنما يذهب على أهل الألباب، وأهل التظرُّف والآداب، مكرُ البناتِ المخدَّرات، والغواني المحجَّبات، واللواتي لم ترهنَّ العيونُ، ولم تكثُر فيهن القالةُ والظنون. اللواتي يبذُلن نَفيسَ الأموال لمن يتعشَّقْنَه، ويعنّين مَن راسَلنه وكاتبنه، وتَزعُمُ أنهن وراء الحِجاب، ودون الأقفال والأبواب. وأنَّهن لا فَرَجَ لهن إلا في المكاتبة، ولا

---

(٢) البيتان في نهاية الأرب ٥: ١٠٣ وفيهما اختلاف في البيت الأول لواسعة: لقاطعة. ويرد البيت الثاني على الشكل التالي:

فلو أن من أمسى بجانب تلعة — إلى جبلي طيّ فساقطه النعل

البيت الثالث: جلوسٌ...

(٣) منعرج اللوى: بكسر اللام: أطم بيني بياضة وواد بمنازل بني سليم، وموضع بني رملة الدملول وبين الجريب على اربعين ميلا من ضربة (وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ١٢٩٧)

الرملة القصوى: هنالك الكثير من الرمال، ولكن لم تحدد المصادر الرملة القصوى.

ساقطة النعل: الساقط ضد المرتفع. موضع يقال له ساقطة النعل. ولم يحدد ياقوت مكانه (معجم البلدان ٣: ١٧٢).

فرَح إلا في المراسلة، ولا سرورَ إلا في النظر من بعيد، ولا يَقدِرن على اللُّقاء إلا في الخُروجِ في كلِّ عيد. وأولئك اللواتي تَخِفُّ أمورُهن، وتُعنِّي سرائرُهن، ويطمع الجاهل فيهن، ويصبو النَّزِق إليهن، ويثِقُ بحبِّهن الأحداثُ والأطفالُ، ولا يتمسَّك بمودَّتِهن إلا الجهَّالُ، مع أنَّ مكرَهن أخفَى مِنَ الخيال، وأعظمُ من راسياتِ الجبال، تنفذُ حِيَلُهن على الرجال، ويتمكَّن كيدُهنَّ من الأبطال، وفيما خبَّر اللهُ، جلَّ ثناؤه، في بعض القرآن، من عَظيم كيدِهنَّ، ولُطف حِيَلِهنَّ، ما يُغني عن شَرح كثيرٍ من سرِّهنّ، وإنَّ في قِصةِ زُلَيْخَا ويوسفَ[٤] مَا يستغني به ذوو العقل والأفهام مِن مكرِهن القويِّ، وكيدِهن الخفيِّ.

[١٦٤] ولَن يحترزَ منهن إلا المجرِّبُ، ويتَّقي منهنَّ إلا المدرَّب، فإنَّ ذا الحِنكةِ، إذا كان بهنَّ عليماً، وكان في أمورِهن حكيماً، أخذَ من حبِّهن عفوَه، وشرِب من هَواهن صَفوَه، ولم يعلِّق بهنَّ فؤادَه، ولم يملِكن قِيادَه، وذلك الحسَنُ الحالِ، الرَّخيُّ البالِ، لم تُورِثْه الغُمومُ، ولم تُفجِعه الهُمومُ. لا كالذي غلَب عليه الشقاءُ، وأُتيحَ له البَلاءُ، فركَن إلى حبِّهن، ودعَته الرَّغبةُ إلى ودِّهن، فتمكَّن منه الهَوى، وتفرَّد به الضنَى، وتلك لا تشعرُ بسَهره، ولا تَعبأ بِفكرِه. وبِاللهِ أُقسمُ صادقاً، لو حَلَفتُ أنهن لا يَعرِفن شيئاً من الوَفاء، ما حنِثتُ، ولو بحَث المغرورُ بهنَّ، المخدوعُ بحبِّهن، عن صحيحِ أخبارهِنَّ، وفحَص عن مكنون أسرارِهن، لوَقَف على صُورة غدرِهن، ولَبَانَ له جُملةٌ مِن مكرِهنَّ، ولَهُنَّ عليه بعدَ الكَرامةِ، ولَرَجَع على نفسِه بالملامة، كما أنشدني بعض الأدباء لنفسه: [من الطويل]

أوَصْلَكَ أرجو، بعدَ أن رثَّ حبلُه،	لقد ضلَّ سَعيي، إذ رجوتُ مَلُولا
أتوبُ إليكَ اليومَ من كلِّ توبةٍ،	فقد هُنتَ في عيني، وكنتَ جليلا
إذا لم يَجد إلفي عَنِ الغدرِ مَذهباً،	وجَدتُ إلى حُسنِ العزاء سبيلا
فواللهِ لا أرضيتُ داعيةَ الهَوى	إليكَ، ولا أغضبتُ فيكَ عَذولا

(٤) قصة زليخا ويوسف: انظر عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء ١٢٠.

وأنشدني أيضاً: [من الطويل]

سأغدرُ، حتَّى تعجبُوا من خيانتي، فما لِيَ ذَنبٌ غير حُسنِ وفائي
ولولا أمرٌ عارضَتْ ما سبقَتْني إلى الغدرِ حقًّا، لو تُركت ورائي
سأُنزِفُ دَمعي حَسرةً وتندُّماً، على ما مضَى من صَبوتي وعَنائي

وأنشدني للحُسين الخليع[1]: [من الطويل]

تُراكَ على الأيَّامِ تَنجو مُسلَّماً ولستَ ترى من غَدرةٍ أبداً بُدًّا
ألستَ الذي آليتَ باللهِ جاهداً يميناً، وخُنتَ اللهَ مَوثِقَهُ عَمدا
ألا في سبيلِ اللهِ وُدٌّ بَذَلْتُهُ لِمَن خانني وُدِّي، ولم يَرْعَ لي عَهدا
عَدِمتُكَ من قلبٍ أقامَ لغادرٍ على العَهدِ، حتى كادَ يَقتلُني جِدّاً

ومن ذلك قول الحَكَمي[2]: [من الطويل]

ألا في سبيلِ اللهِ ودٌّ بَذَلْتُهُ لِمَن لم يكن منِّي لمِعشارِهِ أهلا
سِوى ما إذا فَكَّرتُ فيه وجدتُني أفوزُ به أنّى اكتسبتُ بهِ عقلا

وأنشدني بعضُ الأدباء لنفسه: [من الطويل]

تَوافيتَ لي، حتَّى حَسِبتُكَ مُغرَماً، وأعرضْتَ حتَّى خِلتُ نفسيَ مُجرِما
وما لَكَ شيءٌ مِنهُما غيرَ أنني أراكَ تَرى نَقضَ المَواثيقِ مَغنَما
وما كنتُ أدري كيفَ يَصبِرُ عاشقٌ، ولا كَيف يَسلَى بعدَ أن يَتتيَّما
فأنقذتَني بالغَدرِ من غَمرة الهَوى، وعلَّمتَ قلبي الصَّبرَ، حتَّى تَعلَّما
ولو لم تُخَلِّصني بِغَدرِكَ لم أجِدِ إلى سَلوةٍ، حتَّى القيامَةِ، سُلَّما
فلم تَرْعَني، قبل شَخصِكَ، ظالماً، تعمَّدَ أن يَجني، فأصبحَ مُنعِما
فجُوزيتَ عني بالذي أنتَ أهلُه، فكلُّ امرِىءٍ يُجزَى بما قد تَيمَّما

[١٦٤]
(١) هذه الأبيات لم ترد إلا في الظرف والظرفاء (الحسين بن الضحاك ١٢٧).
(٢) البيتان ليسا في المطبوع من ديوان أبي نواس. وهما في المحاسن والمساوي ١٢٤ دون نسبة وفي البيت الثاني اختلاف.

سيَنــدمُ إنســانٌ لعَهــدِ خليلِه، وقَــلٌّ لمــن لم يَرْعَ أن يتندَّما

وأنشدني أيضاً: [من المنسرح]

يا قلــبِ قد بانَ مَن كَلِفــتَ بهِ، فخَــلٍّ عنــك البُــكاءَ مِن أثَرِهْ
شغلُكَ بالفِــكرِ في تَغيُّرِهِ أعظــمُ مِمَّــا لَقيتَ من حَذَرِهْ
قد يَسلَــمُ العاجــزُ الضــعيفُ، وقد تَتْلَفُ روحُ القَــويّ من غيَرِهْ
وقــد يفــوتُ القــريبَ مطلبُه، وقــد يَؤُوبُ البعيدُ من سَفَرِهْ
فإنْ يَفُتْــكَ الوصــالُ [illegible]رتُه، فقَــد جنيتَ اللَّــذيذَ من ثَمَرِهْ
فارْحــلْ، فمــن لا يوصلُ موردُهُ يُفضِ به صَفــوُهُ إلــى كَدَرِهْ

ولقد أحسن الحكَمي حيث يقول[3]: [من المديد]

أيهــا المنتــابُ عن عُفُرِهْ لســتَ من ليلــي ولا سَمَرِهْ[4]
لا أذودُ الــطيرَ عن شجرٍ قد بَلَــوتُ المُــرَّ مِن ثَمَرِهْ

وأنشدني محمد بن خلَف[5] أحدُ الفقهاء، وأحسن في قوله: [من الطويل]

إذا كنــتُ لا أنفَــكُّ منــكَ مروَّعاً بغَــدرٍ، فإنَّ الهَجــرَ ليسَ برائعِ
إذا خانَني مَن كُنتُ أهــوَى وِصالَه، فلســتُ بجنَّــاتِ الخُلُــودِ بقَانعِ
أبَــتْ عزَماتــي أن يَقــودَ زِمامَها إلــى غادِرٍ بالعَهــدِ ذُلُّ المطَامعِ
فيا مَن به كانَــت حياتــي حبيبةً ألــيَّ، ومَــن لولاه قَلَّــتْ رَوائعي
تَعــزَّ بيأسٍ عن تذكُّرِ ما مضَى، فلَســتُ لِمَــن لم يَرْعَ عَهــدي بتابعِ
وإنــي، وإن لم يَرْقَ دمعــي تأسُّفاً عليكَ، فمــا قلبــي أليكَ براجعِ[6]

---

(٣) البيتان في ديوان أبي نواس ٣٠٨.

(٤) عفره: بعد غياب شهر أو أكثر.

(٥) محمد بن خلف، وكيع القاضي، (توفي ٣٠٦هـ): قاض باحث عالم بالتاريخ والبلدان وشاعر. اشهر كتبه اخبار القضاة. (الاعلام ٦: ١١٤).
ومحمد بن خلف بن المرزبان توفي ٣٠٩هـ، مؤرخ وعالم بالأدب (الاعلام ٦: ١١٥).

(٦) لم يرق دمعي: لم ينقطع أو يجف.

وأجود ما قيل في هذا الباب قول أبي ذُؤيب الهُذَلي[7] : [من الطويل]

فإن تُعرِضِـي عنِّـي، وإن تَتبدَّلي خليلاً، وإخْـداكنْ سُوءٌ قُصارُها

فإنـي، إذا ما خُلّـةٌ رَثَّ حَبلُها، وَجَـدْتُ لِصرمي، واستمـرَّ عِذارُها

وحالت كحَوْلِ القَوسِ طُلَّتْ وعُطِّلت ثلاثـاً، فأعيا ردُّهـا وظُهارُها

فإنـي قَمينٌ أن أودِّعَ عهدَها بِحَمـدٍ، ولـم يُرفَـع إلينـا شَنارُها

وأحسن محمد بن عبد الله بن طاهر حيث يقول[8]: [من الطويل]

ألـم ترَ أنَّ المـرءَ تَدوَى يمينُه فيَقطعُهـا عَمـداً، ليسلـمَ سائرُهْ

وكيفَ تُراه، بعـدَ يُمنـاهُ، صانعاً بمَـن ليس منـه حين تَدوَى سَرائرُهْ

[١٦٥] فهكذا لعَمْري ينبغي أن يفعلَ الأدباء، وبمثل هذا فليتَّعِظ الظرفـاء. وقد يجب على العاقل المتأدِّب، وذي الحِنكة والتجارب، أن يجعـلَ المـرأة بمنزِلـةِ الرَّيحَانةِ، يَتنَعَّم بنضرتِها، ويتمتَّع بزَهرتِها، حتى إذا جاء أوانُ جَفافِها، وحالَت عن حالِها في وقتِ قطافها، نَبذها من يدِه وألقاها، وباعدَها من مجلِسه وقلاها، إذ لم يبقَ فيها بقيةٌ لمستمتِع، ولا لـذَّة لمتمتِّع؛ ولله درُّ الذي يقول[1]: [من الطويل]

تمتَّـع بهـا ما ساعفَتْـكَ، ولا تكُن عليكَ شجـاً في الحَلـقِ، حين تَبينُ

وإن هيَ أعطَتْـكَ اللَّيانَ فإنَّها لآخَـرَ من خُلاَّنِهـا سَتَلِينُ

---

(٧) الأبيات في شرح ديوان الهذليين ٨٠ ـ ٨٣ وفيها اختلاف كبير: وهاك هذا الاختلاف حسب الأبيات وشطورها.

١ ـ فان تصرمي حبلي وان .... قصيرها

٢ ـ .... رث وصلها وجدت لصرم

٣ ـ .... فعطلت ثلاثـاً فاعيا عجسهـا وظهارها

٤ ـ فاني جديرٌ .... ولـم يرفـع لدينـا شنارها

(٨) البيتان في بهجة المجالس ١: ٧١٣، والتمثيل والمحاضرة ١٠٣ وفي نهاية الأرب ٣: ٩٦.

[١٦٥]

(١) الأبيات في أخبار النساء ١٤٥ في حماسة ابي تمام ٣: ١٤٩، وهي في تمثال الأمثال ٣١٦، ٥٤٩ منسوبة لمسكين الدارمي، والأول في محاضرات الأدباء ٢: ٥١ دون نسبة. وفي الكشكول ٣: ٤٤٤ الأول والثالث ينسبان لكثير، وهي في ديوانه ١٧٦ وانظر تخريجها في المنسوب له.

وإن أقسمتْ لا يَنقضُ النأيُ عهدَها فليسَ لمَخضوبِ البَنانِ يمينُ

ومثل ذلك قولُ النَّمرِ بن تَولَب[٢]: [من المتقارب]

وكلُّ خليلٍ عَلَتْهُ الرِّعا ثُ والحُبُلاتُ كذوبٌ مَلِقْ[٣]

ومن جيِّد ما قيل في هذا الباب، مما يجب قبولُه على ذوي الألباب، قولُ الحكَم بن مَعْمَرٍ الخُضْري[٤] أحدِ بني حِصن بن مُحارب[٥]: [من الطويل]

وبعضُ الهَوى داءٌ وفي اليأسِ راحةٌ، إذا أنبتَّ وَصلٌ أو نَبابِكَ مَنزِلُ

وذو العَقلِ لا يأسَى على وَصلِ خُلَّةٍ إذا لم يكن يوماً عليها مُعَوَّلُ

فلا ترضَ بالأمرِ الذي ليسَ بالرِّضَى، إذا كنتَ تَعتامُ الأمورَ وتَفصِلُ[٦]

إذا المرءُ لم يحبِبْكَ إلا تكرُّهاً، فدَعْهُ، ولا يَعجَزْ عليك التحوُّلُ

وفي الأرضِ أكفاءٌ، وفيها مُراغَمٌ عَريضٌ لِمن خافَ الهَوانَ ومَرحَلُ

وأنْ يَقطَعَ الأمرَ الذي أنتَ قادرٌ على جَدِّه منه، أعفُّ وأجملُ

والكلام في هذا الباب مطَّرِد، والقولُ فيه مُنسَرِد. ولكن كرهتُ به إطالةَ الكتاب، واقتصرت على قليل من الخطاب، وأبديتُ نصيحتي للأدباء، وأهل المعرفة والعقلاء، وأخبرت بما صحَّ عندي، وبالغتُ في النصيحة جُهدي. فإن

---

(٢) النمرُ بن تولب، (توفي نحو ١٤هـ): شاعر مخضرم. لم يمدح احداً ولا هجا، وكان من ذوي النعمة والوجاهة جواداً وهاباً. (الاعلام ٨: ٤٨، سمط اللآلي ٢٨٥).

(٣) البيت في: شعر النمر بن تولب ٧٩، البيان والتبيين ١: ٢٨، الأغاني ١٩: ١٥٩ الرعث والرعثة ما علق بالأذن من قرط أو غيره. والحبلات جمع حبلة: من الحلي.

(٤) الحكم بن معمر الخضري: هو ابن قنبر بن جحاش بن سلمة بن مالك بن طريف بن محارب الخضري، شاعر اسلامي. كان هجاءً خبيث اللسان. وكان بينه وبين الرماح بن أبرد المعروف بابن مياده مهاجاة ومواقف، توفي نحو ١٥٠هـ (الاعلام ٢: ٢٦٧، سمط اللآلي ١٦، معجم الأدباء ٤: ١٣١).

(٥) حصن بن محارب: كذا، وصوابه خُضرُ بن محارب، نسبة إلى الخضر، وهي قبيلة من قيس عيلان، وعدادهم في محارب بن حصفة، وهم بنو مالك بن طريف بن خلف بن محارب بن حفصة بن قيس عيلان. (اللباب ٢: ٤٥١).

(٦) تعتام الأمور وتفصل: تختارها وتميزها.
ومراغم: مهرب ومذهب.

رغب فيها راغبٌ فغيرُ مَلوم، وإن زَهد فيها زاهد فغير مَذْموم. وأنا أعودُ إلى ذكر الظَرف والهوى، وقد مضى من هذا الباب ما كفى.

واعلم أنَّ للتحلي سنَّةً مقصودةً، وللظَرف شرائع محدودة، ورأينا أربابَه وأهلَه وطُلاَّبه متَّبعين لسُنَنِها، متمسكين بحبلها، متى حالُوا عنها سُمُّوا بغير اسم الظُرفاء عند أهل الظَرف، ودُعُوا إلى غير سنَّة العُشاق والأدباء. ولهم فيما استحسنوه من الزيِّ والطِّيب والثِّياب والهدايا والطَعام والشراب حدٌّ محدودٌ مستحسَنٌ مَعلومٌ، وزيٌّ بين الطائفتين مقسوم، فلا الرجال يتجاوزون ما حُدَّ لهم إلى حَدِّ متظرفات النساء، ولا النساءُ يتجاوزن حَدَّهن إلى حَدِّ الرجال الظرفاء. وأنا أصف لك زيَّ الفريقين من الظرفاء والمتظرفات، وأشرح لك ما عليه هؤلاء وهؤلاء من الزِّيِّ والهيئات، إن شاء الله.



باب
ذكر زيّ الظرفاء
في اللباس المستحسن عند سروات الناس

[١٦٦] واعلم أنَّ زيَّ الرجال الظُّرفاء، وذوي المُروَّة الأدباء، الغلائلَ الرِّقاقَ، والقُمُصَ السِّفاق[١]، من جيِّد ضُروب الكتَّان، الناعمة النقيَّة الألوان، مثل: الدَّبيقي[٢]، والجنَّابي[٣]، والمبطَّناتِ التاختجِ[٤]، والخامات، ودراريع الدَّرْجَرد[٥] والإسكندراني[٦]، والمُلْحَم الخَزِّي[٧] والخُراساني، ومُبطَّناتِ القُوهي[٨] الرَّطب،

---

[١٦٦]

(١) القمص السفاق: السفيق، ضد السخيف، والقميص من الملابس الداخلية يغطى به القسم الأعلى من الجسم، كما يغطي السروال القسم الأدنى. (دوزي، معجم الملبوسات).

(٢) الدبيقي: نسبة إلى دبيق في مصر، التي اشتهرت بانتاج هذا النوع من النسيج.

(٣) الجنابي: نسبة الى جنابة، بلدة صغيرة من سواحل فارس، ينسب اليها ابو سعيد الجنابي أحد زعماء القرامطة.

(٤) المبطنات التاختج: المبطنة رداء يلبس فوق الثياب مبطن وهو من ملابس الكتاب وكبار رجال الأدارة. والتاختج: فارسيتها تاختة، أي المفتول. وردت في المنسوجات التي تختص بها نيسابور (ابن الفقيه، مختصر البلدان ٢٥٤، المقدسي، أحسن التقاسيم ٣٢٣) ويوردها الثعالبي في خصائص نيسابور (ثمار القلوب ٥٤٠) ووردت في الرسالة البغدادية ١٣٣.

(٥) دراريع الدرجرد: أحسبها دراريع دار ابرجد أو دار بجرد وهما من بلاد فارس وهذه المقاطعة مشهورة بقماشها، والصوف منها مخصص للسلطان (صورة الأرض ٢٦١).
والدراعة: جبة مشقوقة من قدام. والدر بجردية منها تتميز بفروجها الواسعة وجرباناتها العريضة وجيوبها كدراريع الكتاب (صورة الأرض٢٥٣). ولم تكن الدراعة من ملابس الفرس.

(٦) الاسكندراني: نسبة الى الاسكندرية في مصر وقد ورد ذكر الاسكندرانية في (مختصر البلدان ٢٥٢). وأورد الجاحظ (التبصر بالتجارة ٢٥) الوشي الاسكندراني الكتاني البحت. ونقل الثعالبي (ثمار القلوب ٥٣١) قول الجاحظ في جودة كتاب مصر.

(٧) الملحم الخزي: الملحم ما سداه ابريسم (حرير) ولحمته من غيره. والخزي من الخز، نسيج=

وأزُر القَصَب الشُّرب[9]، والأردية المحَشَّاة المَدَنية، وطَيالسة المُلحَم النَّيسابُورية[10]، والمُصمتة الدَّبيقيَّة[11]، والجِباب[12] النَّيسابوريَّة، والمُصْمتة الطِّرازيَّة[13]، والوشْي السعيديَّة[14]، والخزوز الكوفية[15]، والمَطارف

= الحرير لحمته من الصوف (Dozy, diction. 6)، والملحم الخزي، النسيج الذي سداه حرير ولحمته من الصوف.

(8) القوهي: نسبة الى قوهستان ناحية بين هراة ونيسابور. ويرد ذكر القوهي في الأغاني ١: ٢٤٤ (ط. الهيئة العامة) حيث كتب عمر بن أبي ربيعة رسالة في قوهية الى حبيبته الثريا. ودخل ابن سريج على فتية من بني مروان فرآهم في القوهي والوشي يرفلون (المصدر نفسه ٣٢٠). ويصف المقدسي (أحسن التقاسيم ٣٢٤) الثياب القوهية بأنها بيضاء تشبه الخراسانية. ووردت في شعر نصيب: قميص من القوهي بيض بنائقة (سمط اللآلي ٧٢٠).
وكوهستان فارسية بمعنى الجبال أو موضع الجبال وذلك لأنها تبيضّ من الثلج المتجمع عليها.

(9) القصب الشرب: القصبة نسيج يتخذ من الكتان رقيق وناعم. والشرب: قماش كتاني رقيق جداً وثمين جداً.

(10) طيالسة: مفردها طيلسان وهو قطعة من القماش مربعة أو مدورة أو نصف دائرية، تلقى على الكتف فوق الملابس، ولا يضعه الا القضاة والفقهاء (Dozy P.278).

(11) المصمتة: المصمت نسيج رقيق من الحرير الخالص بوجه خاص، وقد ينسج من القطن.

(12) الجباب: الجبة من ملابس الرجال عموماً وهي رداء مفتوح يوضع فوق الرداء الأول وهو القفطان، ولها اكمام واسعة (Dozy, 107).

(13) الطرازية: نسبَة الى دار الطراز، وهي مؤسسة حكومية كانت تتولى انتاج المنسوجات الخاصة للخليفة ومؤسسات الخلافة.
والطراز مشتقة من الطرز والتطريز. واصبحت تعني نموذجاً خاصاً قبل أن يصير اليها انتاج المنسوجات الخاصة بالخلفاء.

(14) الوشي السعيدية: الوشي، نقش الثوب. وردت السعدية. واعتبرها سارجنت (Islamic TEXTILE'S) السُّعيدية قال عنها البستاني في (محيط المحيط) إنها بروديمانية منسوبة الى سعيد بن العاص. أما دوزي فقد أورد المئزر الأسود السُّعيدي (P.39) وهو منسوب الى بني سُعيد، مدينة صغيرة على عشرين مرحلة من القاهرة، على الضفة الغربية للنيل. ويمتد حول هذه المدينة سهل واسع جداً، يزرع فيه القطن والكتان، ثم يصنعان في الاسكندرية ويصدران للخارج. وفي (مختصر البلدان ٢٥) ترد: الثياب السعيدية من صناعات اليمن.

(15) الكوفية: نسبة الى الكوفة في العراق.

السُّوسية[١٦]، والأكسية الفارسية[١٧]، والطَّيالسة القومسية الزُّرق السَّلولية[١٨]، وكلّ ما أشبهَ ذلك وقاربَه، ودنا منه وصاحبَه.

[١٦٧] وليس يُستحسَنُ لُبسُ الثيابِ الشَّنِعةِ الألوان، المصبوغةِ بالطِّيب والزَّعفران[١]، مثل المُلحَمِ الأصفر، والدَّبيقي المُعَنبَرِ، لأن ذلك من لُبسِ النساء، ولبسِ القَينَات والإماء. وقد يَلبسونَ في القَصدِ والعِلاجات، ووقتِ الشَّرابِ والخَلَوات، الغَلائلَ الممسَّكةَ، والقُمُصَ المُعَنبرة، والأرديةَ الملوَّنة، والأُزُرَ المُعَصفَرة[٢]، وربَّما استعملوها لفَرشهم، ولَبسوها في وقت قَصفِهم، وتَظرَّفوا بها في مجالِسهم، وتخفَّفوا بها في منازِلهم، والظهورُ فيها قبيحٌ بالسُّوقةِ[٣] والظُّرفاء،

---

(١٦) المطارف السوسية: المطرف ثوب مربع له اعلام (ابن سيده، المخصص ٤: ٦٨، لسان العرب ٩: ٢٢٠). والسوسية: نسبة الى السوس، في الأهواز، ولعل مادة صنعه كانت من الخز.

(١٧) الاكسية الفارسية: الكساء غامض المعنى، ويفهم منه اللباس بوجه عام. الا أن الكساء ذو مفاهيم خاصة أحياناً منها المعطف الصوف (أنظر: دوزي كساء P.383).

والفارسية: نسبة الى اقليم فارس.

(١٨) القومسية: وردت في الأصل القومسية. وصوابه ما أوردناه وقومس كورة كبيرة(إقليم) تشتمل على مدن وقرى ومزارع وهي في ذيل جبال طبرستان، وقصبتها دامغان (معجم البلدان ٤: ٤١٤).

وقد أشاد المقدسي بانتاج قومس من المنسوجات (أحسن التقاسيم ٣٦٧). كما وأن اهل قومس كان لهم جالية في شهرستان في درب القومسيين (نفسه ٣٥٨). كما أن أهل بيار القريبة في قومس يسمون القومسيين (نفسه ٣٧١).

والسلولي: لم يتيسر لنا الاطلاع على علاقتها بالطيالس القومسية. وسلول بطن من هوازن من العدنانية، ينسبون إلى أمهم سلول بنت ذهل بن شيبان منهم السلولي الشاعر (نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ٢٧٣).

[١٦٧]

(١) الزعفران: نبات بصلي، زهره أحمر إلى صفره، يستخدم في الطيب وفي الوان من المرق والحلويات.

(٢) المعصفرة: المصبوغة بالعصفر، وهو أصفر اللون منه البري ومنه الريفي الذي يزرع. وكلاهما ينبت بأرض العرب، وليس في البري منه منفعة (ابو حنيفة الدينوري، كتاب النبات ١٦٧ رقم ٦٣٦).

(٣) السوقه: المقصود هنا العامة. ولا تعني الكلمة أهل السوق، فقيل: سوقة، لأن السلطان يسوقهم (سعد، العامة في بغداد).

مستحسنٌ من أهل النِّعم وأبناء الخُلفاء. وليس يُجيزُ أهلُ الظَّرفِ والأدب لُبس شيء من الثِّيابِ الدَّنِسَة مع غَسِيل، ولا غَسيلاً مع جديد، ولا الكتَّانَ مَع المَروي[4]، ولا البابياف[5] مَع القُوهيِّ أيضاً. وأحسن الزِّيِّ ما تَشاكل وانطبقَ، وتَقاربَ واتَّفق.



---

(٤) المروي: نسبة الى مرو الشاهجان. قال الثعالبي: كانت العرب تسمي كل ثوب ضعيف يحمل من خراسان المرويّ، وكل ثوب رقيق يجلب منها الشاهجاني. لأن مرو عندهم أم خراسان، ومما تختص به خراسان الملحم (ثمار القلوب ٥٤٢٠).

(٥) البابياف: قال عنه سارجنت إنه القطن.

باب

زِيّ الظراف في التّكك

والنّعال والخِفاف

[١٦٨] ومن زيِّهم لُبسُ النِّعالِ الزّيجيَّةِ(١)، والتُّخانِ الكَنْبَاتِيَّةِ(٢)، والمُشعرةِ(٣) اليمانيَّةِ، والحَذْوِ(٤) اللِّطافِ، والمُختَّمةِ الخِفافِ(٥) ويُشرِكُ أسودُها بأحمرَ، وأصفرُها بأسودَ. ويلبَسون الخِفافَ الهاشميةَ(٦)، والمكسورةَ الكُتَّابيَّةِ(٧)، ومن

---

[١٦٨]

(١) النعال الزيجية: يقترح سارجنت أن تقرأ الكلمة: الزنجية(ISLAMIC TEXTILE'S214)ويذكر أن الأحباش كانوا يشتهرون بهذه النعال.

(٢) الكنباتية: نسبة الى كنبة أو كنبايت من بلاد الهند. (رحلة ابن بطوطة، الفهرست) وقال عنها المقدسي بأنها من صادرات المنصورة وهي غالية الثمن (احسن التقاسيم ٤٨١).

(٣) المشعرة اليمانية: المكسوة بالشعر من داخلها، واصلها من اليمن.

(٤) الحذو: نوع من النعال (الهمداني، تكملة تاريخ الطبري ٣٣).

(٥) المختمة: أي التي عليها اختام (ابن الفقيه ٢٥٥) وأرى أنها المخثمة (بالثاء) وهي العريضة الرأس (ابن سيده، المخصص ٤: ١١١).

(٦) الخفاف الهاشمية: المنسوبة الى بني هاشم. وترك لنا التنوخي خبراً عن هارون الرشيد وقد أراد ترك مجلسه، فقدمت إليه النعل، وجعل الخادم يصلح عقب النعل في رجله. فقال له الرشيد: ارفق ويحك احسبك قد عقرتني. فقال جعفر البرمكي: قاتل الله العجم، لو كانت سنديه، ما احتاج أمير المؤمنين الى هذه الكلفة. فقال له الرشيد: هذه نعلي ونعل آبائي، ما تدع نفسك والتعرض لما تكره (الفرج بعد الشدة ٣: ٣٠٥). وأحسب هذه القصة تلقي الضوء على الخفاف الهاشمية، علماً ان الرواية تتحدث عن نعل وليس عن خف. وتوصف الخفاف بأنها ذات رقبة عالية تخبأ فيها الرسائل وحافظات النقود (الفرج ٣: ٢٢٢ - ٣، SERJEANT, P.24).

(٧) المكسورة الكتابية: لعل المقصود بالكتابية تلك المجمعة سيورها بالخرز، أما إذا كانت كتابية فهي من كتب نوع من الليف أو الخيوط المجدولة أو هي الغليظة الخف (كتاب النبات، القاموس، لسان العرب).

الأدَم[٨] الثَّخين، والأسودِ الرَّزين، بالجَوارِبِ الخَزِّ، والمِرعِزِّي[٩] والقزّ، ويعيبون لُبسَ الأحمرِ من الخِفاف[١٠]، ولُبسَ الدارشيَّة[١١] الخِفاف. ويَتخذون التِّكَكَ الإبريسَميَّةَ، والتِّكَكَ الخَزِّيَّةَ، والمطارِف القُطنيَّة، والمَنقوشَة الأرْمنيَّة[١٢].



(٨) الأدم: الجلد.

(٩) المرعزي: من المرعز، وهو الزغب الذي تحت شعر العنز وقيل هو اللين من الصوف.

(١٠) الخف اغلظ من النعل (لسان العرب: خفف).

(١١) الدارش: الجلد الأسود. واعتبر ابن الفقيه (مختصر البلدان: ٢٥٢) الدارش واللكاء من عجائب بغداد. فالدارش ذي اللون الأسود يتخذ من جانب، واللكاء المصبوغ بناب الملك من الجانب الآخر، ولا يمكن ان يكون كل نوع إلا في الجانب الخاص به.

أما سبب عيبهم للأحمر والدارش، فلا يذكر الوشاء سببه. ولعله يحصر لبس الخفاف من هذه الألوان في الخليفة. (رسوم دار الخلافة ٧٥، الأحذية والنعال ٣١).

(١٢) المنقوشة الأرمنية: المنقش اي المزينة أطرافه بالديباج (المغرّب في ترتيب المعرب ١٥٩).

باب
زِيّهم المخصوص في الخواتيم والفصوص

[١٦٩] التختم بالعَقيقِ الأحمر[1]، والفيرُوزَجِ[2] الأخضر، والفضّة المُحرَقة[3]، والياقوت الأسمانْجُوني[4] والبَجاذيّ[5] الخُراسانيّ، والمغْرانيّة[6] الحمر، والياقوتيّةِ الصفر واليمَانيّةِ السودِ، الحسَنةِ القَدودِ، على الخواتيم المِهْرانية[7]، والمضروبة المتوكّلية[8]، ولا يتختمون بالذّهب، وليس من زِيّ ذوي الأدب، وإنما هو من لُبس النساء، ولُبس الصّبيان والإماء.

---

[١٦٩]

(١) العقيق الأحمر: اعتبر القاني منه أفضل أنواع العقيق (الدمشقي، الاشارة، ٥٠).

(٢) الفيروزج الأخضر: فارسي، معرب بيروزه، عرفه الجوهريون بأنه حجر النصر (البيروني، الجماهر، ١٧٠)، ولا يعتبر الفيروزج الأخضر من الأصناف الجيدة منه (الاشارة ٤٨).

(٣) الفضة المحرقة: لعل المقصود بها الفضة النقية.

(٤) الياقوت الأسمانجوني: الاسمانجوني فارسي معرب. مؤلف من اسمان، أي السماء. وجوني: بجيم مصرية أو كاف فارسية بمعنى اللون. ومعنى الكلمة السماوي اللون.

(٥) البجاذي الخراساني: حجر كريم ينسب إلى جبل البيجاذي، ببذخشان في فارس. وأصله في الفارسية بيجاده وسماه الاتراك بزاديا، ولما استعمل بالعربية عربوه البزادي والبجاذي (الجماهر ٨٩، ١٩٥).

والبجاذي يعرف بالبنفش أيضاً (البنفشة البنفسج) للونه البنفسجي. حجر يشبه الياقوت، والخراساني منه يوجد في أوزان كبيرة تصل حتى المن ٧٩٤,٥ غرام. (التيفاشي أزهار الأفكار ١٠٠، ابن الأكفاني، نخب الذخائر ١٧).

(٦) المغرانية الحمر: بسكون الغين. طين أحمر يصبغ به (لسان العرب ٥: ١٨١). وقد وردت في الأصل المعرانية.

(٧) المهرانية: نسبة إلى مهران موضع لنهر السند (معجم البلدان ٥: ٢٣٢).

(٨) المضروبة المتوكلية: لعلها نقود ضربها المتوكل على رسم خاص.

باب

زِيِّهم في التعطر والطيب

الذي من خالفه كان غير مُصيب

[١٧٠] ومن زِيِّهم في التَّعطُّر والطِّيبِ بالمِسك المَسحول[1] بماء الوَرد المحلول، واستعمال العُودِ المُعَنبَر بماء القَرَنْفُل المُخمَّر، والنَّدّ السلطاني[2]، والعَنبَر البَحْراني[3]، والعبير[4]، والذَّرائر المفتُوقةِ[5] بالعبائر، وسوى ذلك من الطِّيب لا يقرَبونه. والكافور لِعلَّةِ بَرده[6] لا يستعملُونَه إلا من حَرارة ظاهرة، أو من عِلَّة غَالبة، أو موضوعاً على الجَمرِ، مخلوطاً بعَبيرِ المسك وزَعْفَرانِ الشَّعرِ[7]، وهو بهذه الصفَة أطيبُ البخور، وليس البَرمكيَّة[8] وما أشبهَها عليهم بمَحظورٍ، وإن

---

[١٧٠]

(١) المسحول: المسحوق.

(٢) الند السلطاني: ذكر صاحب الرسالة البغدادية (١٣٩) الند المقتدري، نسبة الى الخليفة المقتدر (٢٩٥ ـ ٣٢٠هـ)، ولعل السلطاني هو المختص بالخلفاء.

(٣) العنبر البحراني: نسبة الى البحرين. وتتحدث المصادر عن جودة العنبر الشحري. وقد يكون هو المقصود، إذ أن الجغرافيين اختلفوا في تحديد المنطقة التي تنتمي اليها البحرين.

(٤) العبير: هو عند العرب الزعفران والخلوق (أبو حنيفة، كتاب النبات ١٧٣، رقم ٦٥٣).

(٥) الذرائر المفتوحة: الذريرة نوع من الطيب (انظر لاحقاً: البرمكية).

(٦) الكافور: شجرة في الصين، أزهارها بيضاء تضرب الى الصفرة، يستخرج منها الكافور. وهو مادة عطرية تستعمل في العطور والمستحضرات الطبية.

وحول علة برده: لم يشر التركماني إلاّ الى نتيجة سلبية للكافور تتعلق بالطاقة الجنسية (المعتمد ٤٠٤ وما بعدها).

(٧) زعفران الشعر: يفهم منه أنه خاص بصباغ الشعر، فيكسبه لوناً وجفافاً. انظر حول خواص الزعفران: (أبو حنيفة الدينوري، كتاب النبات ١٧٣).

(٨) البرمكية: نوع من الطيب، تشتمل على عشرة أصناف من الطيب وتعجن في ماء الورد وماء القرنفل=

الجَيِّدِ مِنَ البَرمَكيَّة ومِنَ البَخورِ[9] الذَّكيَّة[10]، وإنما يَكره استعمالَها المتظرِّفون إذ هي مما يستعمِلُه المتقلِّلون.

وكذلك أجتنَبوا ماء الخَلُوقِ[11] لأنَّه من طيب النساء، والغاليةَ إذ هي من طيب الصِّبيان والإماء، ولا يستعملون شيئاً من الطِّيب الذَّفِرِ[12] ممَّا يَبدو له لَونٌ ويبقَى له أثرٌ؛ وفي ذلك حديث مأثورٌ عن النبي، ﷺ، أنه قال[13]: «طِيبُ الرجالِ ما ظهرَ رائحتُه». ومتى استعملوا شيئاً مِن الغَالية، أو طيبِ النساء، كانت في أصول الشعرِ، بحيثُ يُشمُّ ولا يُرى له أثر.



= والنمام وماء الماس. (مطالع البدور ١: ٦٤). والنسبة إلى البرامكة الذين اشتهروا في عهد هارون الرشيد وقضى عليهم.

(٩) البخور: صمغ يخرج من جذع الشجر، وعند احتراقه تفوح منه رائحة طيبة، ومنه اصناف عديدة. ولعل اطيبها ريحا بخور شجر الصنوبر.

(١٠) هنا تعاني الجملة من التشويش ربما كان ناتجاً عن سقوط بعض الكلمات.

(١١) الخلوق: نوع من الطيب، أصفر اللون، أهم عناصره الزعفران.

(١٢) الطيب الذفر: ذو الرائحة القوية.

(١٣) الحديث في اللباس والزينة ٣٩٦، انظر تخريجه هناك.

باب

[زيّ] متظرّفات النساء

في اللّباس المخالف لزيّ الظُّرفاء

[١٧١] لُبسُ الغلائل الدُّخانية[١]، والأرْدِية الرَّشيدية، والشُّروب المُزنَّرة[٢]، والأرْدِية الطُّبرِيَّة[٣]، والقَصَبِ المُلوَّن، والحرير المعيَّن[٣ب]، والمَقانع[٤] النَّيسابورية، وأُزُرِ المُلْحَمِ الخُراسانيَّةِ، والجُرْبَّانات المَخانِقيَّة[٥]، والكِمام المَفتوحة[٦]، والسَّراويلات[٧] البيض المُذَيَّلة، والمعاجِرِ السود المُسَنْبَلة[٨]، ولا يَلبَسن شيئاً من التِّكَكِ، ولا شيئاً من المَرشُوشِ والمُطيَّبِ، ولا النَّقيَّةِ الألوانِ، ولا منَ الثِّيابِ

---

[١٧١]

(١) الدخانية: التي لها لون الدخان.

(٢) الشروب المزنرة: مفردها الشَّرْب، وهو قماش كتاني رقيق جداً وغالي الثمن. والمزنرة: التي حولها زنار عليه أصناف الزينة.

(٣) الأردية الطبرية: الرداء: لباس البدن الخارجي يلتحف به أو يفصل على الجسم. ويفهم أن الرداء كان لباس جميع الفئات الاجتماعية ويختلف من حيث طوله ولونه وقماشه.

(٣ب) المعين: الذي عليه شكل العين والطبرية: من طبرستان.

(٤) المقانع: مفردها مقنعة، وهي القناع. غطاء اتخذته النساء للرأس والوجه معاً. (ابن سيده، المخصص ٤: ٣٨، لسان العرب ١٠: ١٧٥).

(٥) الجربانات المخانقية: الجربان، وهو طوق القميص أو ياقته أو قبته. والمخانق عقود توضع حول العنق.

(٦) الكمام المفتوحة: الكم وهو الردن. ويفضل العرب الكمام الواسعة إذا استخدمت محل الجيب في ثيابنا اليوم.

(٧) السراويلات: مفردها سراويل. فارسيته شلوار، لباس يستر النصف الأسفل من البدن.

(٨) المعاجر المسنبلة: المعجر هو ثوب تلف به المرأة رأسها. والمسنبلة المطية بالسنبل وهو ثلاثة أنواع: الهندي والرومي والجبلي (التركماني ٢٤٤، أبو حنيفة الدينوري، النبات رقم ٨٣٢ و٨٣٤).

البياضِ الكتّانِ، إلا ما كانَ مُلوَّناً في نفسِه، أو مصبوغاً من جنسه، أو مُغيَّراً بلونٍ من أجناسِ المُمَسَّكِ، والمُصَنْدَلِ[9] وأجناسِ المُعَنبرِ والمُسَنْبل، ليحولَ بالطِّيبِ عن تِلك الحالِ، إذ لُبس البياضِ عندَهم من زيِّ الرِّجالِ.

ولا يَلبَسن أيضاً من الثِّيابِ الأصفرَ والأسودَ والأخضرَ والموردَ والأحمرَ، إلاَّ ما كان جنسُه الصُّفرَةَ، والتَّزْرِيقِ، والخُضرة، والتَّوريدَ، والحمرةَ مثل اللاذِ[10]، والحرير، والقَزّ، والدِّيباجِ، والوَشْي، والخَزّ، لأن لُبس المُوَرَّدِ والأحمرِ والسِّنيزي[11] الأخضرِ، إنما هو من لُبس النَّبطيَّاتِ، ولُبس الإماءِ المُقَيِّناتِ[12]. والبياضُ عندَهم من لُبس المُهجورات، والأزرقُ والحِدادُ من لُبس الأراملِ والمقرَّعات[13]. وأحسنُ الذي عندهم ما ذكرناه، وليس يتجاوزُ حَدَّ ما رسمناه.



---

(٩) المصندل: المعجون بالصندل. والصندل شجر هندي طيب الرائحة يشبه شجر الجوز، يحمل ثمراً في عناقيد.

(١٠) اللاذ: الحرير الأحمر.

(١١) السنيزي: نسبة الى سنيزو سينيز، بلد على ساحل بحر فارس، أقرب الى البصرة من سيراف، وتقرب من جنّابة. (معجم البلدان ٣: ٣٠٠). وذكر المقدسي صادرات سينيز وثيابها التي تشاكل القصب (احسن التقاسيم ٤٤٢).

(١٢) المتقينات: الاماء اللواتي يعملن في القيان.

(١٣) المقرعات: المهمومات (لسان العرب).

باب

زِيّهن المخالف لزِيّ الرّجال

في لبس التّكك والخِفاف والنّعال

[١٧٢] لُبسُ النِّعالِ الكَنْباتيَّةِ المُشَعَّرةِ، والمَدهونةِ المُخصَّرة[١]، والخِفاف الزَّنانيَّة[٢]، والمكسورة[٣]، والرَّهاويَّة[٤]، والتِّكك الإبْرِيسَميَّة. والرجالُ يَشرَكُونهن في التِّكك الإبْرِيسَميَّة، ولا يَشرَكن الرجالَ في التِّكك الدِّيباج المنسوجة، وشرَّابات الإبْريسَم المَفتولة، والزَّنانيرِ العِراض، ولا يَذهبْنَ في ألوانِها إلى البياض، ولا ما كان منها كثيرَ الألوانِ والتَّخْطيط، ويتطيَّرْنَ من الألوانِ، وقد يَلبَسن أيضاً التِّكك الخزِّيَّة والمُطْرَفة القُطْنيَّة.

[١٧٣] ومِن زِيِّهِن أيضاً في الطِّيبِ الذي ليسَ للرجال فيه نَصيب، استعمالُ اللَّخالِخ[١] والصَّندل، والصِّياح[٢] والقرنْفُل، والسَّاهريَّة[٣] والأدفال[٤]

---

[١٧٢]

(١) المخصرة: النعال المخصرة لها خصران. وخصرها: استدقّها من قدام الأذنين، ويمكن تخصيرها من الوسط.

(٢) الزنانية: لعلها التي لها قرنان شبيهة بقرني العقرب (لسان العرب) ولعلها تلك التي تشبه الجزمة ذات العنق القصير. وقد كانت الخفاف مثار نقمة الحاكم بأمر الله إذ أمر بتقصير عنقها حتى الكعبين (دوزي: خف) أنظر ايضا ما ذكرناه سابقاً.

(٣) المكسورة: ترد أيضاً لدى الاصطخري المكسّرة ويصفها بانها لطيفة (مسالك الممالك ١٣٨).

(٤) الرهاوية: نسبة الى الرها.

[١٧٣]

(١) اللخالخ: مفردها لخلخة. وهي من أنواع الطيب وتختلف ألوانها باختلاف الأصناف التي تشتمل عليها. وتتألف عادة من العود والمسك والكافور واللادن.

(٢) الصياح: هو عطر أو غسل (القاموس ١ : ٢٤٤).

والمَعجُونات[٥]، والزَّعفران، والخَلوق، وماءِ الخَلوق، والكافور، وماء الكافور، والمُثَلَّثةِ الخَزَائِنِيَّة[٦]، والبَرْمكيَّة السُّلطانية، وسائرِ صنوفِ الأدهانِ من البَنَفْسَج، والزَّنْبَق والبانِ، الاّ أنَّهن اجتَنَبن استعمالَ الترشنام[٧]. والرجالُ لا يستعملون شيئاً من ذلكَ، والنِّساءُ يَستَعملن جميعَ طيب الظُّرفاء، والظُّرفاء لا يستعملون شيئاً من طيب النساء.

[١٧٤] ومن زِيِّهن في لُبسِ الحَلْيِ المَنظوم لُبسُ مَخانِقِ القَرَنْفُل المُخمَّر، ومراسلِ[١] الكافورِ والعَنبر، والقلائد المُفصَّلة. والمعاذَات[٢] المخرمة بشرَّابات الذَّهَب المُشبَّكة، والإبريسَمية المُسَلسَلة، واتخاذُ السَّبَج[٣] اللِّطافِ من المَخروطةِ الخِفافِ، ومثلُ السَّبج الحَلِك[٤]، والكَوْهَر[٥]، والكَرَك[٦] والبَلُّورُ النقيُّ[٧]، وحَبُّ

---

(٣) الساهرية: من أصناف الطيب، سميت كذلك لأنه يسهر في عملها وتجويدها.

(٤) الأدقال: مفردها دقل، وهو الغليظ من الأدهان (أبو حنيفة ١٠١، رقم ٤٠٣ و٤٠٤). ووردت في الأصل الأدقال: وهي من التمر والنخل.

(٥) المعجونات: في عرف الأطباء والصيادلة يطلق على الأدوية المركبة. وهنا المقصود الطيوب المركبة.

(٦) المثلثة الخزائنية: نوع من البخور يتألف من ثلاثة أصناف منه.

(٧) الترشنام: الترش، الأخضر يخالطه البياض. ولعله نوع من الطيب الخاص بالنساء فقط، وفي الأصل: الترشتام.

[١٧٤]

(١) مراسل: عقود طويلة.

(٢) المعاذات: المعاذة الرقية والتعويذة.

(٣) السبج: الخرز الأسود. قال التيفاشي عنه: حجر أسود سريع الأنكسار تصنع منه المرايا والخرز (أزهار الأفكار، ١٨٦).

(٤) الحلك: الشديد السواد. والسبج الحلك هو الهندي، افضل انواع السبج.

(٥) الكوهر: فارسية، عربيتها جوهر. والجوهر يطلق على الكبير والصغير من اللؤلؤ. فما كان منه كبيراً فهو الدر، وصغيره هو اللؤلؤ.

(٦) الكرك: كذا، وأحسب أنها الكركي، من أجناس احجار الدَّهنج، وهو حجر أخضر تحلّى به الخواتيم والنصوص. والكركي نسبة الى الكرك في البقاع من لبنان أو في الأردن (نخب الذخائر ٧١، أيضاً الهامش الثاني، والملحق الثالث ١٢١). وقد سماه البيروني (الجماهر ٢١٥) بالكرك، وسماه التيفاشي ١٩٢ الخماهان.

(٧) البلور: يضبط على وزن سِنَّوْر، والمشهور ضبطه على وزن تَنُّور. هو ما يعرف اليوم بالكريستال=

اللؤلؤِ السَّريني[٨]. والحبُّ الأحمر[٩]، والكارَبا الأصفرُ[١٠]، وسائرُ صنوفِ الياقوتِ والجَوهرِ.

وينظِمن بالحبِّ وصُنوفِ الجَوهر كرازنَهن[١١]، وينقُشن بالإبريسَمِ والذَّهبِ عَصائِبَهن، ويتَّخِذن الخَواتيمَ المُقرَّنة والمناقيرَ المُطبَقة[١٢] بفصُوصِ الياقوتِ الأحمر، والزمـرُّد الأخضر[١٣]، والأسمانجونـيُّ، والأصفَر[١٤]، ولا يَحسُنُ بهنَّ التَّختُّمُ بالمينا[١٥] والعَقيقِ والفِضَّةِ والحديد. والملوَّح[١٦]، والفيرُوزَج، والبجاذيُّ، والمَسانيح[١٧]، وذلك من لُبس الرجالِ والإماء، وليسَ من لُبس مُتظرِّفات النساء، ولا يَتَّخِذن منها ما ضَاقَ وعَسُر، ولا ما جَفا وكبُرَ.

[١٧٥] وقد تطيَّر بعضُ الظُّرفاء من هَديَّةِ الخاتَمِ، وزَعموا أنَّه يَدعو إلى القَطيعة، وتهاداه آخرون، وأقاموه مَقامَ التَّذكِرَة والوديعة.

فأمَّا الذين تطيَّروا منه فينشدون: [من الطويل]

= الطبيعي الذي يستخرج من باطن الأرض. والنقي منه يستخدم في صناعة الخواتم والأواني والثريات. (نخب الذخائر ٦٣، ازهار الأفكار ٢٠٠، الجماهر ١٨١).

(٨) السريني: وردت السري. وتصويبه من نخب الذخائر ٣٠، نسبة الى مغاص السرّين قرب مكة (صفة جزيرة العرب، الفهارس).

(٩) الحب الأحمر: الحب نوع من الجوهر غير المثقوب.

(١٠) الكاربا الأصفر: حجر معروف، ويعرف بالكهربا. والأحمر منه أفضل وأثمن من الأصفر.

(١١) كرازن: مفردها كرزن. قيل إنه تاج مرصع بالذهب والجوهر. ولعله نصف تاج (ادي شير، الألفاظ الفارسية المعربة)

(١٢) المناقير المطبقة: مفردها منقار. والمطبقة التي ألبست طبقات ليعطيها شكلها المنحني والمدبب.

(١٣) الزمرد الأخضر: أو الذبابي. أفضل أنواع الزمرد وهو اخضر مغلوق جداً لا يشوب خضرته شيء آخر من الألوان، والذبابي لنسبة لونه بالخضرة التي تكون في الكبار من الذباب الربيعي الموجود في البساتين. (ازهار الأفكار ٨٢).

(١٤) الزمرد الأصفر: يعتقد الجوهريون أن الزمرد يكون اسما نجونياً ثم أصفر ثم أخضر، يتحول مادته مع الزمن (ازهار الأفكار ٨٠ ـ ٨١) وأن أصلها جميعاً من الياقوت الأحمر.

(١٥) الميناء: فارسية، بمعنى جوهر الزجاج (الألفاظ الفارسية المعربة ١٤٩).

(١٦) الملوّح: ما لوحته النار وغيرته، أو ما غير لونه أو المغشّى. (لسان العرب).

(١٧) المسانيح: السنيح، الدر والحلي. (لسان العرب ٢: ٤٩٢).

وما كانَ هذا الهجرُ من طُولِ بغضةٍ، ولكنَّ بَعضَ المَزحِ للمَرءِ قاتلُ
مَزَحتُ لِحَيني، مَرَّةً بخَواتِمٍ، لآخذِها، حلَّت عليَّ النَوازلُ
فصَدَّت، ولم تَعلم عليَّ خِيانةً، وطولُ صُدودِ الخلِّ للعقلِ ساحلُ

وينشدون أيضاً: [من البسيط]

إني مَزَحتُ، ولم أعلم بخاتَمهِ، فكانَ منه ابتداءُ الهَجرِ والغَضَبِ
قد كنتُ ما قالَ أهلُ الظُّرفِ أنكِرُه وكان قولُهمُ عِندي من اللَّعِبِ
إنَّ الخَواتيمَ فيها قَطعُ وَصلِكُمُ، فقلتُ: هذا لَعمْري غايةُ الكَذِبِ
حتَّى ابتُليتُ، فكانَ الحقَّ قَولُهُمُ، أخذُ الخَواتيمِ فيه أكثرُ العَطَبِ

وأنشدني صديقٌ لي في ضدّ ذلك: [من الطويل]

يقولُ أناسٌ في الخواتيم إنّها تُقطِّعُ أسبابَ الهَوى وأقولُ:
بأنَّ خَواتيمَ المِلاحِ وَصُولةٌ، وخاتَمُ من تَهوى المِلاحُ وَصولُ

[١٧٥ ب] والعِلَّةُ فيما كَرِهَه الظُّرفاءُ، وتَطيرٌ منه الأدباء، من هَديَّة التِّكَّة والخاتَمِ، حتى صارَ مُستفيضاً في العالَمِ، أنَّ هذين وحدَهما من جميع اللِّباس إنْ يُستطرَفا فيُستلَبا، ويُستَحسنا فيُستَوهَبا. وأن الواحدَ إذا أهدَى إلى خليلِه، وأرسلَ إلى حبيبِه بخاتَمِه أو تِكَّتِه، ففُقِد ذلك من يدِه أو حَوزتِه، بعثَه باعثٌ من غَيرتِه على قَطيعتِه وهجرِته. فأما من يَتَلقَّى هديةَ إخائِه بالقَبول، ويُنزلُها منه بالمنزِل الجَليل، ويحفَظُها كحِفظه لبصرِه، ويُشفق عليها من الدَّهر وغيرِه، فهو آمِنٌ من المُجانبةِ، مستريحٌ من المُعاتبة. وقد رأيناهم ربَّما أهدَوا ذلك فيُهدُونه على سَبيل البَيعِ، ويأخذون منهم الشيءَ الطَّفيفَ اليَسيرَ، كالدِّرهم الصغير، والقِطعةِ من البَخُور، فيُخرَجُ بهذا البيعِ عن حَدِّ الهديَّة، ويأمنون ما فيه من مكْروهِ البليَّة.

وقد بلَغني أنَّ أبا نُواس دخلَ على خالد خَيْلَويه، فنظَرَ في إصبعِهِ إلى خاتَم، فقال: أرِنيه، فدفَعه إليه، وكان علامةً بينه وبينَ جاريةٍ يُحِبُّها، فانصرفَ، فاستعملَ

واحداً على مِثالِهِ، ثم بعثَ به إليها، فأنكرت الفَصَّ، فبعثَت به إليه، ولم تأتِهِ، فدخلَ على حِيالِهِ، فلما رآه مثلَ بينَ يَديهِ، وأنشأ يقول[1]: [من السريع]

تَفديكَ رُوحِي، يا أبا جعفرٍ ... جاريةٌ كالقَمَرِ الأزهَرِ
تَعلَّقَتْني، وتَعلَّقتُها، ... طِفْلَينِ في المَهدِ إلى المَكْبَرِ
كنتُ إليها نتَهادَى الهَوى ... بخاتَمٍ لي غيرِ مُستَنكَرِ
فأنكرَتْهُ إذ رأت فَصَّهُ، ... فأدركَتْها غَيرَةُ المُنكِرِ
قالَت: لقد كانَ له خاتَمٌ ... أحمرُ أهداهُ إلينا سرِي
فاليومَ قد عُلِّقَ غَيري فقد ... أهدَى له الخاتَمَ، لا أمتري[2]
آمنتُ باللهِ وآياتِه ... إنْ أنَا لم أهجُرْهُ، فَلْيَصْبِرِ
أو يأتِ بالحُجَّةِ في تُهمتي ... إياه في خاتَمِهِ الأحمرِ
فارْدُدْهُ تَرْدُدْ وصلَها، إنَّها ... قُرَّةُ عَيني، يا أبا جعفرِ

فأخرَجَه من إصبعه فدفعه إليه. فهذا دليل على إجازة تَهادي الخواتيم، وحِفظِها لأربابِها، وشدةِ الغضَب والغَيرة عِندَ ذَهابِها.

فأمَّا الطَّعامُ فعيوبُه أشدُّ الأشياء على الظُّرفاء ضَرَراً، وهم من عيوبِهِ أشدُّ توقِّياً وحذَراً، لتكاثُفِ عُيوبِه، وكَثرةِ مَعيبِه، وأنا أُبينُ لكَ زِيهُم في ذلك، وما استحسنوه في ذلك واستعملوه، وما استقبحوه فاجتنبوه، إن شاء الله.

[١٧٥ ب]

(١) الأبيات في ديوان أبي نواس ٢٨٧ وفيها اختلاف بالأبيات التالية:
١ ـ روحي: نفسي ٢ ـ المكبر: المحشر. ٣ ـ كنت اليها: كنت وكانت، بخاتم لي: بخاتمينا ٥ ـ اهداه: يهديه، وفي الأصل يهديها. ٧ ـ امنت: كفرت. ٨ ـ الشطر يرد كما يلي: أو بات بالمخرج من تهمتي.
والأبيات في الاماء الشواعر ٢٨، والأغاني ٢٣: ٨٨ وفي الخبر فيهما: أحمد بن خالد حيلويه.

(٢) لا أمتري: لا اكذب.

باب

ذِكر زِيّ الظرفاء في الطعام

الذي بانوا به عن منزلة اللئام

[١٧٦] اعلَم أنَّ أوَّل ما استعملُوه تصغيرُ اللُّقَم، والتجالُلُ عن الشَّرَهِ والنَّهَمِ، وأكلُ الأوساطِ الرُّقاق[١]، والبَزْمَاوَرْد[٢] الدُّقاقِ.

وليسَ يأكلونَ العَصَبَةَ والعَضَلَةَ، ولا العِرقَ والكُلوةَ، ولا الكَرِشَ والقِبَّة[٣]، ولا الطِّحالَ والرِّئَةَ، ولا يأكُلون القَديد[٤]؛ ولا يأكُلون الثَّرِيد[٥]، ولا ما في القِدر من الورَقِ، ولا يتَحسَّون المَرق، ولا يتَتبعُون مواضعَ الدَّسَمِ، ولا يَملأون أيديَهم بالزَّهَم[٦]، ولا يُجلِّلُون المِلحَ، وهو عندَهم من أكبر القُبح، ولا يُكَوكِبون[٧] في

[١٧٦]

(١) الأوساط الرقاق: الأوساط مفردها وسط. لون من الطعام الناشف، شبيه بالسندويش، يبسط على خبز رقيق وتنثر عليه طبقة من لحم الدجاج، ثم تمد عليها صفوف من اللوز والجوز والزيتون والجبن والنعنع والطرخون. ثم تفرش عليها قطع مدورة من البيض المسلوق ويغطى برغيف رقيق أيضاً.

(٢) البزما ورد: نوع من الساندوتش. يؤخذ الشواء الحار ويجعل عليه ورق النعناع وقليل من الخل والليمون الحامض ولب الجوز، ويرش عليه قليل من ماء الورد، ويدق بالساطور دقاً ناعماً، ويسقى خلال ذلك خلاً. ثم يحشى ذلك الشواء حشواً جيداً، ويقطع بالسكين قطعاً متوسطة مستطيلة، ويؤخذ مركن فخار، يبل با' ماء وينشف ويرش فيه ماء ورد. ثم يفرش فيه نعناع طري، ويعبأ بعضه فوق بعض، ثم يغطى أيضاً بشيء من النعناع ويترك ساعة ويستعمل. (البغدادي، كتاب الطبيخ ٥٨).

(٣) القبة: هنة متصلة بالكرش ذات طبقات.

(٤) القديد: اللحم المقدد، الذي قطع وجفف.

(٥) الثريد: طعام مؤلف من اللبن والبرغل.

(٦) الزهم: الدسم والشحم.

(٧) يكوكبون: الكوكبة: المجموعة. ولعل المقصود الآ يمحنوا في الخل.

الخلِّ، ولا يُمعِنون في أكلِ البَقل[٨]، ولا يأكُلون الطَّلْع[٩] لشبهِ رائحته برائحةِ الماء الدافقِ، ولا يُمشّشون[١٠] من العِظامِ كراديس[١١] قصَبِ السـاقِ الغَليظ. وإنما مُشاشهم ما لانَ وصَغُر، لا ما غَلُظَ وكَبُر؛ ويأخذون ما ثقُلَ من المُشاش على ظهرِ الأصابع، ويَطرَحُونَه ناحيةً منَ الخِوانِ، ولا يُزَهِّمون ما بينَ أيديهم من الرُّغفان، ولا يَتعدَّون مواضعَهم، ولا يَلطَعُون[١٢] أصابعَهم، ولا يَملأون باللُّقَم أفواهَهم، ولا يُدَسّمون بكُبرِها شِفاهَهم، ولا يُقطِّرون على أكُفِّهم، ولا يعجلون في مَضغِهم، ولا يأكُلون بجانبي الشِّدقَين، ولا يُزاوِجون بينَ الإثنين، ولا يُجاوزون ما بين أيديهم شيئاً من الفُتات. ولا يأكُلون قِدراً بائتةً، ولا قِدراً مُسخَّنةً، ولا يَغمِسون في مرَقةٍ، ولا يَضَعون لُقمةً. ولا يأكُلون شيئاً من الكُوريج[١٣] والصَّحناةِ[١٤]، ولا الرُّبَيثاء[١٥] والسُّمَيكات[١٦]، ولا شيئاً من الكَواميخ[١٧] والمالِح[١٨]، وأكلُ ذلك عندَهم من الفضائح.

---

(٨) البقل: او البقول. النباتات العشبية التي يأكلها الانسان ومنها الفجل والخس والكرفس والرشاد والخيار والكسبرة والنعنع والهندباء...

(٩) الطلع: ما يبدو من تمر النخل عند طلوعه.

(١٠) يمششون العظام: يمصونها ويستخرجون نخامها.

(١١) كراديس: واحدتها كردوسة، كل عظمين التقيا في مفصل.

(١٢) لا يلطعون أصابعهم: لا يلحسونها ولا يلعقونها.

(١٣) الكوريج: الكرارجة سمك أخضر قصير. (محيط المحيط).

(١٤) الصحناة: ترد في المصادر أيضاً الصحناء. والصحناء: السمك الصغير المملوح (الحيوان ٣: ٢٩٥، ٦: ٨٤)، والصحناة أيضاً السمك المطحون (نشوار المحاضرة ١: ٩٦)، ووردت في الأصل: الصحنات.

(١٥) الربيثاء: سمك صغار (مفاتيح العلوم ١٠٠)، وهي السمك الصغير المطحون (مفردات ابن البيطار ٢: ١٣٥).

(١٦) السميكات: كذا، ولعلها السميكاء. سمك صغير يجفف ويقال له الحُساس (محيط المحيط) والسميكة، تصغير سمكة وهي دويبة تأكل ورق الكتابة. والسميكة لحم من نواحي الزور.

(١٧) الكواميخ: مفردها كامخ، ادام يؤتدم به، فارسيتها كامه.

(١٨) المالح: حول أنواع المالح، أنظر، «منافع الأغذية» في مواضع مختلفة.

[١٧٧] إلاَّ أنَّ القِيناتِ المُتَظرِّفاتِ، والنساءَ القَصريَّاتِ[١]، ربَّما تَظَرَّفْـن بأكلِ المالحِ والمملوحِ في منازل مُتعشِّقيهنَّ، وبيوتِ مُرابطيهن، فيَذهبـنَ بِهِ مذهَـبَ طَرْحِ المؤوناتِ، وخِفَّةِ النَّفقاتِ.

ولا يأكُلون الجَرادَ والإرْبيان[٢] لعِلَّةِ شبههِما بالأشياء القَبيحة من الحيوانِ. ولا يأكُلون الحبوبَ التي تهيِّجُ الأرياحَ وتُولِّدُ القَرْقَرَةَ والانتفاخَ. ولا يأكُلون في النهارِ أكثَر من أكلةٍ، ويُكثِرون القِيامَ في مجالِسهم[٣]. ولا يُكثرون من الضَّحِكِ والكلامِ عندَ المائدةِ والطَّعامِ، ولا يَتخَلَّلون[٤] على المائدةِ قبلَ أن تَفرُغَ، ولا يتحفَّـزون لمجيئها قبلَ أن تُوضَعَ. وإذا غَسلوا أيديَهم لم يَطلُبوا الغسلَ قَبْل طلب إنقائها من الوَسخ والكَدر، ولم يَقصِدوا التقصيرَ الذي يبقَى منه رائحةُ الغَمَرِ[٥]، وكذلك أيضاً إذا تَمَندلوا[٦] فعلُوا كفِعلهم إذا غَسلوا.

[١٧٨] فأمَّا النُّقـلُ[١] فإنَّهـم يُحضِرُونـه موائدَهـم، ويُطعِمونـه ولائِدَهـم، ولا يُكثرون من أكلِه، ولا يأتون على كُلِّهِ. وإنما يَعبثون منه بالشيءِ اليسيرِ من النَّعنعِ، ويَجتنبون من ذلك الهِندَبا والأُكشوث[٢] لبَردِهِما، والفُجلَ والحُرف[٣] لِنتنهِمـا،

[١٧٧]

(١) النساء القصريات: هن عادة مقصورات على أزواجهن. ويفهم من النص أنهن حبيسـات رجـال معينين، أي ما كان معروفاً في الجاهلية بالمضامدة والمخادنة.

(٢) الأربيان: نوع من الأسماك البحرية يعرف في منطقة الخليج بالروبيان وفي بلاد الشام بالقريدس، والجمبري المصري.

(٣) لعلها ولا يكثرون القيام في مجالسهم، لأن سياق النص يوحي بذلك.

(٤) التخلل: استعمال الخلال، وهي أعواد يتخللون بها لتنظيف ما بين الاسنان من بقايا الطعام.

(٥) الغمر: الزفر.

(٦) تمندلوا: مسحوا بالمنديل. وكان وضع المنديل حول العنق أو الخصر يعني التخايل.

[١٧٨]

(١) النقل: ما يؤكل على الشراب من فاكهة وخضار وفستق وجوز ولوز... وتعرف هذه الأخيرة اليوم بالنقولات أو المكسرات، وأورد الغزولي اسماء أنواع عديدة من النقل (مطالع البدور ١: ١٤١).

(٢) الأكشوث: أو الكشوث، نبات محبب مقطوع الأصل أصفر اللون يتعلق بأطراف الشوك، وكثيراً ما يفسد النبات الذي يتعلق به. (المعتمد ٤٢٥).

(٣) الحُرف: هو الثُّفَّاء أو حب الرشاد، ويسمى المقلياثا بالسريانية، وقيل ان المقلياثا هو المقلو خاصة. ـ

والكُرَّاثَ والبصلَ لرائحتِهما، والقَدَّاح[٤] والحَنْدَقُوقا[٥] لخشنِهما، ولأنَّهما أيضاً يُخضِّران الأسنانَ والعُمُور[٦]، ويُحدِثان الرائحةَ والتَّغيير. ولن يَقَعَ الثُّومُ في قِدْرٍ فيَذُوقُونه. ولا البصلُ فيقرَبونه. ولا يَلفِظون باسمِ الطَّرخونِ[٧] لابتداء اسمِه، وشَناعةِ لفظِه، فيكنُون عنه، فيُضيفونه إلى النَّعنع، وقد سماه بَعضُهم بَقلةَ الجِياع، وسمَّاه آخرون كافورَ الفُؤادِ، وكلٌ يقصِد إلى مَعناه.

[١٧٩] والخَسُّ لا يَقرَبونه لِموضِع تَفقِئتهِ[١]، والخيارُ لا يأكلونه لعلَّةِ بَردِه، والجزرُ يتَجالَلُون عن مَسِّه، ولا يَرَون النظرَ إليه دونَ أكلِه؛ وكذلكَ القِثاء، والهِلْيَونُ؛ ولموضع النَّوى[٢] أيضاً رغِبوا عن أكلِ الزَّيتونِ، ورَغبوا عن أكلِ ما خالطَه النَّوى من فاكهةِ الصَّيفِ والشِّتاء مثل القَسْبِ[٣] والبُسرِ[٤] والمشقَّح أيضاً والتَّمر؛ وكذلك سائرُ الأرطاب[٥] والمِشْمِش، والنَّبِق[٦] والعنَّابِ؛ وكذلك في الخوخ[٧]، والشَّاهلوج[٨] والإجَّاص، وهو عندَهم من أكل العَوامّ، لا من أكلِ الخَواصّ.

= (شرح اسماء العقار ٢٠، المعتمد ٩٣). وقد ورد ذكر الحروف المقلوة في الرسالة البغدادية ١٥٦.

(٤) القداح: الفصفصة الرطبة. ونور النبات قبل ان يتفتح، وأطراف النبات الغض. (لسان العرب ٢: ٥٥٧).

(٥) الحندقوق: ويعرف في المصادر بالحندقوقي. بقلة يقال لها الذرق.

(٦) العمور: بالجمع. لحم اللثة وما بين الأسنان.

(٧) طرخون: نبات طويل الورق، من بقول المائدة. وهو من أنواع الكرفس أو العلث. (المعتمد ٣٠٥، شرح اسماء العقار ٢١).

[١٧٩]

(١) تفقئته: سلخ أوراقه.

(٢) المقصود هنا بمعنى الفراق.

(٣) القسب: أو الكسب أو الجسب، التمر اليابس الذي جف دبسه.

(٤) البسر، المشقحة: واحدتها بسرة، الثمرة بعد أن تكون بغواً، وقبل انضاجها. والمشقحة التي تلونت بالأحمر. ووردت في الأصل: المشققة.

(٥) الأرطاب: مفردها الرطبة، البسر الناضج.

(٦) النبق: ثمر شجر السدر.

(٧) الخوخ: عرف لدى العرب بالدراقن والشعراء وأبي فروة (ابن سيده ١١: ١٣٨، المعتمد ١٤١).

(٨) الشاهلوج: أو الشاهلوك هو البرقوق. والملاحظ ان التسميات تختلف لدى العرب في كل من=

ولا يَنفُقُ عندَهم الرُّمّان والتِّينُ، وهذانِ عندَهم والبِطِّيخُ من التهجين؛ خاصةً إذا انشقَّت الـرُّمَّانةُ، وتصدَّعتِ البِطِّيخـةُ، وإذا انكسَـرت جَوزةٌ ولَـوزةٌ، وتينـةٌ وموزةٌ. ولا يَدفع بعضُهم إلـى بعض وردةً واحـدةً، ولا نَبقـةً واحـدةً، ولا لَوزةً واحدةً، للتَّسفيلِ، ولِمَا يقعُ فيه من التمثيل.

ولا تقـولُ متظرِّفـةٌ لأخـرى هذه وردتُـكِ، ولوزتُـكِ، ونبقتُـكِ، وجَوزتُـكِ، ورُمَّانتُكِ، وتينتُكِ، وذلك عندَهم أجلُّ العيُوبِ، تَشمئِزُّ منه القلوبُ، ويَجتنبونـه أشدَّ الاجتنابِ، ويكتَئِبون له أمرَّ اكتِئابِ.

وكذلك لا تقولُ واحدةٌ لأخرَى: ارفَعي رجلَكِ، ولا ذَيلَكِ، ولا اقعُدي عليه، ولا أدخِليه وأخـرِجيه، ولا أصعِـديه، ولا صبِّيهِ، ولا انفُخيه، ولا سيبِـي، ولا سرِّحي، ولا شيلي، ولا انتحي، ولا أعملَي، ولا قد عَملت. ويَجتنبون ذلك وما أشبَهه من الكلامِ، مما كثُر استعمالُه في خطابِ العَوامِّ، ولا يكادون يلفِظون به، ولا يُطيف بألسِنَتِهم، ولا يُجيزونه في شيءٍ من مُخاطبتِهِم، ويَحذَرونه، ويتَوقُّون منه، ويَعيبون المُتكلِّمَ بِهِ، ويُعرِضون عنه.

▪ الخوخ والاجاص والدراق.
ففي بلاد الشام الاجاص هو الكمثرى، والدراق ثمرته كبيرة فيها نواة كبيرة قشرته يعلوها الشعر أو الفرو. اما الخوخ بلونيه الأحمر والأبيض، فهو حامض الطعم قبل نضجه. نواته صغيرة وحبته عادة أصغر من الدراق والاجاص.

باب

ذكر زِيّهم في الشراب

الذي يتخيَّره ذوو الألبابِ

[١٨٠] أمَّا ما عليه الظُّرفاءُ، وأهلُ المروَّةِ والأُدباء، فإنَّهم لا يَشرَبون من الشَّرابِ أسودَه، ولا يَشربون إلاَّ أجودَه، مثلَ المشمَّسِ، والزَّبيبيِّ[1]، والمُعسَّلِ، والمَطبوخِ، والطِّلاء[2]، والمُعدَّلِ[3]. ولا يقرَبون ما لاءمَه الخثَرُ[4]، ولا ما خالطَه الكَدَرُ؛ ولا يشرَبون إلا ما صفَا من الشَّراب، ويتَجاللون عن المَسحورِ[5] الدُّوشابِ، إذ هو من شَراب العامَّةِ والرُّعاعِ، وشُربِ السُّوقةِ والأتباعِ. ولا يتَنقَّلون[6] على شَرابِهم بالأشياء الرُّذْلةِ مثل الباقِلّى[7] والبَلُّوطِ[8]، والبُسرِ المَقلُوِّ، والقَريثاء[9]، والحنطة، والغُبيراء[10] والشاهبَلُّوط[11]، والخُرنُوب الشّامي[12]، وما أشبه ذلك مِنَ الأنقال.

---

[١٨٠]

(١) الزبيبي: نبيذ الزبيب المجرد (الرازي، منافع الأغذية ١٧).

(٢) الطلاء: الخمر عموما. والطلاء موع من الخمر وهو عقيد دبس العنب (المخصص ١١ : ٧٣).

(٣) المعدل: غير الصرف (الرازي، منافع الأغذية ١٧).

(٤) الخثر: تجبر الدبس وثقله. (المخصص ١١ : ١٣٠).

(٥) المسحور: المفسود.

(٦) يتنقلون: يتناولون النقل.

(٧) الباقليّ: أو الباقلاء وهو النول.

(٨) البلوط: شجر معروف من عائلة السنديان، يعطي ثماراً يابسة، وتؤكل الثمار مشوية أو مسلوقة، ويعرف بأنه كستناء الفقراء.

(٩) القريثاء: وتقرأ قرّاثاء أو كريثاء، نوع من البسر (المخصص ١١ : ١٣٣).

(١٠) الغبيراء: شجرة معروفة بالمشرق وتكثر في العراق والشام ثمارها على قدر حبة الزيتون المتوسطة. ـــ

[١٨١] وأكثرُ ما يَتَنَقَّلُ به المُتظرِّفون، ويَعبَثُ به المُتَزَيِّكون(١)، مملوحُ البُندُقِ، ومُقشَّرُ الفُستُق، والمِلْحُ النِّفْطِيُّ(٢)، والعُودُ الهِنديُّ، والطِّينُ الخُراسانيُّ(٣)، والمِلحُ الصَّنْعانيُّ(٤)، والسَّفَرجَلُ البَلخيُّ(٥)، والتُّفَّاحُ الشَّاميُّ(٦)، ويتَّخذون من كلِّ شيءٍ مِنَ الآنيةِ أسراه، ومن الزُّجاج أجودَه وأنقاه..

وأمَّا ما اجتَنَبوه من الهَدايا، وتخوَّفوا من هَدِيَّتِه البَلايا، فأشياء يكثُرُ بها العَدَدُ، ويَطولُ بها الأمدَ؛ وأنا أذكُرُ مِن يَسيرِها ما يُستَدل به على كثيرِها.



= وفي دمشق تسمى الشجرة غير المثمرة منها بالزيزفون. (مفردات ابن البيطار ٣: ١٤٨).

(١١) الشاهبلوط: هو الكستناء.

(١٢) الخرنوب الشامي: شجرة دائمة الخضرة، تعطي ثماراً تشبه قبضة السكين، يستخرج منها الدبس الأسود السكري الطعم.

[١٨١]

(١) المتزيكون: المتبخترون.

(٢) الملح النفطي: قال ابن البيطار: سمي بالنفطي لسواد في معدنه وليس لوجود نفط فيه (المفردات ٤: ١٦٥).

(٣) الطين الخراساني: ويسمى طين الأكل. وكانوا يتنقلون به. (الرسالة البغدادية ١٨٥، منافع الأغذية ٤٩).

(٤) الملح الصنعاني نسبة الى صنعاء في اليمن حيث يوجد في جبل الملح من بلاد مأرب. وهو ملح لا نظير له، ذو جوهرية وصفاء كالبللور، وهو الملح البري. وكان النبي ﷺ اقطعه الأبيض بن حمّال السبائي يوم وفد عليه (الهمداني صفة جزيرة العرب، ٣٦٢).

السفرجل البلخي: نسبة إلى بلخ، مدينة مشهورة بخراسان.

(٦) التفاح الشامي: نسبة الى تفاح بلاد الشام.

باب
ذكر الأشياء التي يتطير الظرفاء
من إهدائها ويرغبون عنها لشناعة أسمائها

[١٨٢] فمن ذلك الأُتْرُجُ(١)، والسَّفَرْجَلُ، والشقائقُ(٢)، والسُّوسَنُ(٣)، والنَّمَّامُ(٤)، وأطباقُ الخِلافِ(٥)، والغَرَبُ(٦)، والبَانُ(٧). فأمَّا الأُتْرُجَ فإنَّ باطنَه خِلافُ ظاهرِه، وهو حَسَنُ الظاهرِ، حامضُ الباطِنِ، طَيِّبُ الرَّائحةِ، مُختَلِفُ الطَّعمِ، ولذلك يقولُ فيه الشاعر(٨): [من الكامل]

أهدَى له أحبابُه أُتْرُجَّةً ... فبكَى، وأشفَقَ من عِيافةِ زاجرِ
خافَ التَّلوُّنَ، إذ أتَتْهُ، لأنَّها ... لونانِ باطنُها خلافُ الظَّاهرِ
فَرِقَ المُتَيَّمُ مِن حُموضةِ لُبِّها ... واللَّونُ زَيَّنَها لعَينِ الناظرِ

---

[١٨٢]

(١) الأترج: نوع من الليمون، لعله ما يسمى بلبنان بالكباد.

(٢) الشقائق: هي شقائق النعمان، زهور ربيعية حمراء اللون، حول اسمها تحاك قصص كثيرة.

(٣) السوسن: زهر مشهور، ازهاره كبيرة لامعة بنفسجية وبيضاء وصفراء.

(٤) النّمّام: نبات له رائحة كرائحة المردكوش (ابن البيطار ٤: ١٨٢).

(٥) الخلاف: صنف من الصفصاف، ثمره ذكي الرائحة ناعم الملمس بخلاف ثمر الصفصاف، (المعتمد ١٣٤).

(٦) الغرب: شجر لا صلابة في خشبه، ورقه وعصارته تفيد في تضميد الجراح.

(٧) البان: شجر معتدل القوام، ويستخرج من حبه دهن طيب يستعمل في العطور.

(٨) الأبيات في زهر الآداب ١٠١٧، وهي في بهجة المجالس ١: ٩٣ والاولان في ديوان العباس بن الأحنف ١٥٠ وفي صدر البيت الثاني اختلاف.

وأمَّا السَّفَرْجَلُ فلأنَّ فيه اسمَ السَّفر، وقد قال فيه الشاعر[9]: [من مجزوء الخفيف]

مُتحفِي بالسَّفَرْجَلِ، لا أُريدُ السَّفَرْجَلا
اسمُهُ، لو عَرَفْتَهُ، سَفَرٌ جَلَّ، فاعتَلَى

وقال آخر[10]: [من الكامل]

أهدَت إليه سَفَرْجَلاً فتطيَّرا منهُ وظَلَّ مُتيَّماً مُستَعْبِرا
خافَ الفِراقَ لأنَّ أولَ إسمِهِ سَفَرٌ فحُقَّ له بأن يَتطَيَّرا

[۱۸۳] وأما الشَّقائِقُ، فلِشَطْرِ اسمِهِ، ولقولِ الشاعر فيه: [من مجزوء الخفيف]

لا تَراني طَوالَ دهْـ ريَ أهْوَى الشَّقائِقا
إنْ يكُن يُشْبِهُ الخُدو دَ، فنِصفُ اسمِهِ شَقَا

وقال آخر: [من مجزوء الخفيف]

لا يُحِبُّ الشَّقائِقَا كلُّ مَن كانَ عَاشِقا
إنَّ نِصفَ اسمِهِ شَقَاءٌ، إذا فُهتَ ناطِقَا

وأما السَّوسَنُ، فَلأنَّ اسمَهُ السَّوء، وقال فيه الشاعر[1]: [من السريع]

سُوسَنَةٌ أعطيتِنيها، وما كُنتِ بإعطائِكِها مُحْسِنَهْ
شَطرُ اسمِها سُوءٌ، فإن جِئت بالـ آخِرِ منها، فهو سُوءُ سَنَهْ
وأنتِ إن هاجرتِني ساعةً، قلتُ: أتتْ من قِبَلِ السُّوسَنَهْ

---

(٩) البيتان في ألف باء ١: ١٦٣ منسوبان للحصري وهو ما استبعده، وهما في نهاية الأرب ١١: ١٧٠ دون نسبة.

(١٠) البيتان في ألف باء ١: ١٦٣ منسوبان لعباد بن ماء السماء. وفيهما اختلاف. اهدت: أهدى. متيما مفكراً. أول اسمه: شطر هجانه.

وهما أيضاً في بهجة المجالس ١: ٢٥١.

[١٨٣]

(١) البيتان ١و٢ في نهاية الأرب ١: ٢٧٦ باختلاف يسير.

وقال آخر[2] : [من السريع]

يا ذا الذي أهدى لنا سوسَنَا ما كنتُ في إهدائِه مُحسِنا
أوَّلُه سُوءٌ، فقد ساءَني، يا ليتَ أني لم أرَ السَّوسَنا

وأما الياسَمِينُ فلِمَبْدإ اسمِه تُطُيِّرَ منه، ولقول الشاعر[3] : [من البسيط]

إنـي لأذكُرُ بالرَّيحانِ رائحةً منها، فلِلْقلبِ بالرَّيحانِ إيناسُ
وأمنَحُ الياسَمينَ البُغضَ مِن حذَري للْيأسِ، إذ كانَ في بعضِ اسمِه يَاسُ

وقال آخر: [من المنسرح]

أبصرْتُه في المَنامِ ناولَني من كفِّهِ الياسَمينَ والغَرَبا
فكانَ يأسٌ في الياسَمين، وفي الـ ـغَربِ اغترابٌ، يا شُؤمَ ما وَهَبا

وقال آخر: [من السريع]

أهدَى حبيبي ياسَميناً، فبي من شِرَّةِ الطِّيرة وسواس[4]
أرادَ أن يُوئِسَ مِن وصلِه، إذ كان في شَطرِ اسمِه الياسُ

وأما النَّمَّام فلِشَناعة اسمِه، وقول الشاعر فيه[5] : [من الكامل]

حَيَّيْتُها بتَحيَّةٍ في مَجلِسٍ، بقضيبِ نَمَّامٍ مِنَ الرَّيحانِ
فتَطيَّرَت منه، وقالت: أقصِه لا تَقْرَبَنْ مُضَيِّعَ الكِتمانِ

وأما الآسُ، فقد تَطَيَّرَ مِنه قومٌ، وزَعموا أنَّه إياس، وتفاءل به آخرون، وزعموا أنَّه مُؤاساةٌ وأساسٌ؛ قال الشاعر: [من البسيط]

ما أحسنَ الآسَ في عَيني وأطيَبَه، لولا اتِّصالُ حُروفِ الآسِ بِاليَاسِ

---

(٢) في نهاية الأرب ١١ : ٢٧٦ دون نسبة، وفي الحكايات العجيبة ٢١٨، باختلاف في البيت الثاني.
(٣) في ديوان العباس بن الأحنف ١٨٦، وفيهما اختلاف وهما في نهاية الأرب ١ : ٢٣٨ دون نسبه.
(٤) شرة: الشر.
(٥) البيتان في نهاية الأرب ١١ : ٧١.

ما ضرَّ من كانَ أهــدَى الآسَ مِن يده ... لو قالَ: رَيحانـةٌ، يُعنـى بِه الأسي[٦]
لولا الـذي أتَّقِـي من طِيرتــي بهِما، ... ما فارَقـا أبــداً تاجــاً علــى راسي

[١٨٤] كذلك تَطَيَّروا مِنَ الخِلاف لِمَوضع الخُلف؛ والغَرَب للاغتراب، والبَانِ للتَّبَايُن.

ورُوِي عن كُثيِّر عَزَّة أنه بلَغه أنَّها عَليلةٌ، وأنها تَتَشَوَّقُه، فخرج يُريدها، وهي بمصرَ، فرأى غُراباً ساقطاً على بانةٍ يَنتفُ رِيشَه، ويُطايرُه على رأسِه، فتطيَّر من ذلك، وأتى عَرَّافاً من نَهد[١] أخبرَه بِما رأى فآيَسه من حَياتها، وأخبرَه بوفاتِها. فلما وصَلَ إلى مِصرَ خُبِّرَ بمَوتِها، فأنشأ يقول[٢]: [من الطويل]

فَمـا أعيَفَ النَّهـديَّ، لا دَرَّ دَرُّهُ، ... وأعلمَـه بالزَّجـرِ، لا عَزَّ نَاصرُه
رأيتُ غُرابـاً ساقطـاً فوقَ بانةٍ، ... يُنَتِّفُ أعلَـى ريشِــه ويُطايرُه
فأمَّا غُرابٌ، فاغتـرابٌ مِـن الهوَى، ... وبـانٌ فبَينٌ مِن حبيبٍ تُعاشرُه

وقال أبو الشَّيص[٣]: [من المتقارب]

أشاقَــكَ، والليلُ مُلقـي الجِرانِ، ... غُرابٌ يَنـوحُ علـى غُصـنِ بَانِ؟
أحَصُّ الجَنـاحِ، شديدُ الصِّياحِ، ... يُبَـكِّي بعَينينِ ما تَدمَعانِ
وفـي نَعَبـاتِ الغُـرابِ اغترابٌ، ... وفـي البَـانِ بَيْنٌ بَعيدُ التَّداني

وقال بعض الأعراب[٤]: [من الوافر]

---

(٦) الأسي: الطبيب.

[١٨٤]

(١) نهد: نهد بن زيد بن ليث، من قضاعة: جد جاهلي يماني، كان ينزل قرب بحران. كثرت ذريته في عهده وكانت منهم بطون كثيرة. (الاعلام ٨: ٤٩).

(٢) في ديوان كثير ٤٦٢، باختلاف البيت الأخير الذي يرد كما يلي:

فقـال غراب لاغتـراب من الهوى ... وفـي البين بان من حبيب تجاوره

وراجع تخريجه في الديوان.

(٣) الأبيات في طبقات ابن المعتز ٧٨. منها اختلاف احصّ: اهمُّ، ما تدمعان. لا تهملان.

(٤) يبدو ان البيتين الثالث والرابع مقحمان. فالأبيات ١ و٢ و٥ في الوحشيات ١٨٣ دون نسبة، وهي في القالي ١: ٢٨٢ وفي الكامل ١: ٨٥ لجحدر العكلي اللص.

وكنتُ قَدِ اندَمَلْتُ فهاجَ شَوقي بكاءُ حَمَامتينِ تَجَاوبانِ
تَجاوبَتا بلَحنٍ أعجَميٍّ، على غُصنَينِ مِن غَرَبٍ وبانِ
فقلتُ لِصاحبيٍّ، وكنتُ أحرَى بزَجرِ الطَّيرِ: مَاذا تُخبرانِ؟
فقالا: الدارُ جامعةٌ بسُعدى، فقلتُ: بَلَ انتُما مُتَيمنَّانِ
وكانَ البانُ أنْ بانَتْ سُلَيمَى، وفي الغَرَبِ اغترابٌ غيرُ وانِ

وقال نُصَيب(٥): [من الطويل]

ألا راعَ قلبي من سَلامةَ أنْ غدَا غُرابٌ على غُصنٍ مِنَ البانِ يَنعَبُ
فأزجُرُ ذاك البانَ بيناً مُواشِكاً، وغُربةَ دارٍ ما تَدانَى فيَصقَبُ

[١٨٥] وقد استحسنُوا هَدايا كثيرة، وتفاءلوا فيها بقول الشاعرِ، وإن كان بعضُها ممَّا ذكرناه أنَّهم لا يَتهادَونه من طريقِ الظَّرف، واجتَنَبُوه لعِلَّة التَّسفيلِ، وأحبُّوه من حُسن التَّفوُّلِ.

فمن ذلك الرّمانُ، وهو مما ذَكَرناه أنهم لا يَتهادونه لِما فيه من التَّسفيل وما يقع فيه من التمثيل، وكذلك الشَّاهَلُّوج، والنَّبَق، والوَرد، والبَنَفسج.

فأما الرّمان فقد قال فيه الشاعر: [من الكامل]

أهدَت إليه بظَرفها رُمَّانا تُنبيهِ أنَّ وِصالَها قد آنا
قال الفَتى لمَّا رآه تَفوُّلاً: وَصْلٌ يكونُ متمَّماً أحيانا
رُمٌّ يَرُمُّ تَشَعُّثي بوِصالها لَقد التفوُّلُ صادقاً قد كانا(١)

وأما الشَّاهَلُّوج، فهو مما فيه النَّوى. وقد تَهاداه قومٌ لِمَوضع تَفوُّلِ الشاعر به إذ يقول: [من الكامل]

أهدَت إليه الآنَ شَاهَلُّوجا، تُنبيهِ أنْ لو جاء كانَ وَلُوجا

---

(٥) البيتان في شعر نصيب ١٤ ومصدرها الوشاء.

[١٨٥]

(١) عجز البيت الثالث فيه قلق واقترح أن يكون العجز على الشكل التالي: إن التفولّ صادق قد كانا.

فمضَى على فألِ الهديةِ جاسراً عَمْداً، فصار مُداخِلاً خِرِّيجا

وأما النَّبقُ، فهو يُستقبَل، وقد قال فيه الشاعر: [من الهزج]

أيا أحسنَنَا خلْقا، ومَن فاتَ الورى سبْقا
تَفاءلْتَ بأنْ تبقَى، فأهديت لنا النَّبْقا
فأبقاكَ إلهُ النَّاسِ ما سرَّك أن تبقَى
وأشقَى الله شانيكَ، وحاشَى لكَ أن تَشقَى[2]

وأما البَنفسج أيضاً، فقد قال فيه الشاعر: [من الكامل]

أهدَت إليه بَنَفْسَجاً يُسليهِ، تُنبيهِ أنَّ بنفسِها تَفديهِ
فارتاحَ بعدَ صَبابةٍ وكآبةٍ، ورَجا لِحُسنِ الظَّنِّ أن تُدنيهِ

[١٨٦] وأمَّا الخَوخُ، فقد أطنَبُوا في وصفِه، وأكثَروا من مَدحِه، وزعَموا أنه أشبَهُ شيءٍ بالخدودِ من التفَّاحِ، وأقربُ شبهاً بالوَجَنَاتِ المِلاحِ، لأنَّه يُشارِكُها في البَياضِ والسمْرَةِ، والأدمةِ والصفْرةِ، والتَّوريدِ والحُمرةِ، والزَّغبِ اللَّيِّنِ البَشَرةِ[1]، وهو أطيبُ مَلْثَمٍ وأعذبُ مُقَبَّلٍ، وأذكى مَشَمٍّ، وهو عندَ طائفةٍ من أهلِ الهوى أجلُّ مَرتبةً من التُّفَّاحِ لولا ما خالَطه من النَّوى الذي يَشمئِزُّ منه الظُّرفاء، ويَشناهُ الأدباء، وأنَّه مفقودٌ والتفاحُ موجود.

وأمَّا الوَردُ، فقد تفاءل به كثيرٌ من الظُّرفاء، وذكره كثير من الشعراء، أنشدني بعض الأدباء: [من الكامل]

أهدَى له وَرداً فأخبرَ أنَّه في الوَارِدينَ، ولم يكن وَرَّادَا
فارتاحَ من فَرَحٍ بطِيبِ وُفودِه، وعَدَا له وَرْدُ الحياء، فَزَادا[1]

وليسَ عندَهم في الروض شيءٌ يُشبِهُهُ، ولا في عُروض الرَّوضِ ما يُدرِكُه، وقد ذكرتُ في بابٍ لطيفٍ لرَغبتي في اقتصادِ التأليفِ، فقِفْ عليه، واعرِفه.

(٢) شانيك: مبغضك.

[١٨٦]

(١) كذا ورد عجز البيت الثاني.

باب
ما قيل في صفة الورد
ومحلّه في قلوب ذوي الوجد

[١٨٧] اعلَم أنَّ أهل الظَّرف قد أكثَروا من تفضيلِ الوَردِ، ومدَحَته الشعراء، وقد أطنبوا فيه، وأفرطوا في نعت حُسنِه، واشتَهوا رائحتَه، حتى شبَّهوه بالوَجَناتِ الحمرِ، وقَايسوه إلى الخَمْرِ، ومثَّلوه بالأشياء المِلاح، كفعلِهم بالتفَّاح، وهُما عندَهم في مرتبة واحدة.

قال العباس بن الأحنف[١]: [من الخفيف]

أُبغِضُ الآسَ والخِلافَ جميعاً ... لمكَان الخِلافِ واليأسِ منها
وأُحِبُّ التُفَّاحَ والوَردَ حتَّى ... لو وَزَنتِيهِ بالجِبال وَزَنْها
أشبَها رِيقَها ونكهةَ فِيها ... فهُما يُنبِئانِ بالطِّيبِ عنْها

وقال آخر[٢]: [من الطويل]

عشيَّةَ حيَّاني بوَردٍ كأنَّه ... خدودٌ أُضيفَت بعضُهنَّ إلى بَعضِ
وولَّى، وفِعلُ الخَمرِ في حَرَكاتِه، ... فِعالُ نَسيمِ الرِّيحِ بالغُصُنِ الغَضِّ

وقال آخر: [من مجزوء الرمل]

يَضحَكُ الوَردُ إلى وَر ... دٍ بخَدَّيكِ مُقيمِ

---

[١٨٧]

(١) الأبيات في ديوانه بعناية الخزرجي ٢٨٣ ومصدرها الوشاء.

(٢) البيتان منسوبان لخالد بن يزيد الكاتب في الديارات ١٧ وفي فوات الوفيات ١: ٤٠٢، والأول في ديوان المعاني منسوب لابن المعذل.

جَمعَا شكلَين وَفْقَيـ ـنِ لألحاظِ النَّديمِ
غيرَ أنَّ المِسكَ أولَى بِكَ في كُلَّ نسيمِ

وقال آخر: [من البسيط]

سَيَعْلَمُ الوَردُ أني غيرُ ذاكرِهِ، إذ الخُدودُ أعارَت حُسنَها بصَري
كم بَينَ وردٍ مُقيمٍ في أماكِنِه، وبينَ وردٍ قليلِ المَكْثِ في الشَّجرِ
هذا جَنيٌّ مَصونٌ في مَنابِتِه، وذاكَ مُمتَهَنٌ في كلِّ مُحتَضَرِ

وقال عبيد الله[3] بن عبد الله بن طاهر: [من البسيط]

مَرَّت، وفي كفِّها وَردٌ، فقلتُ لها: حَيِّي مُحبَّك، قالت: عَنهُ لي شُغُلُ
فقلتُ: بُخلاً، فقالت: قد وهَبتُ لَهُ وَرْداً جَنِيًّا، وذا بالكَفِّ يُبتَذَلُ
إنْ كانَ لم يَجنِه منه أنامِلُهُ، فقَد جَنَتْهُ لَه الألحاظُ والمُقَلُ

وقال آخر: [من مجزوء الرمل]

وَرْدُ خدَّيكَ مُقيمٌ أبداً، ليس يَريم[4]
أنا مِنهُ في نَعيمٍ ما بَدا منه نعيمُ

وقال آخر: [من الطويل]

تَمتَّع مِنَ الوَردِ القليلِ بَقاؤُه، فإنَّك لم يَفْجَعْكَ إلاَّ فَناؤُهُ
وَوَدِّعْهُ بالتَّقبيلِ والشَّمِّ والبكا، وَداعَ حَبيبٍ بعدَ حَولٍ لِقاؤُهُ

وقد تطيَّر منه آخرون، وسمَّوه الغدَّار، وغَضُّوا دونَه الأبصار، لِقِلَّةِ لَبْثِهِ، ويَسيرِ مُكْثِه، وسُرعة زَوالِه، وتَغيُّرِه، وانتقالِه.

[١٨٨] وخُبِّرتُ أنَّ قَينةً أهدَت إلى رَبيطِلها غصن آسٍ، فسُرَّ به، وأنشأ يقول: [من البسيط]

والآسُ يبقَى، وإن طالَ الزمانُ بهِ، والوَردُ يفنَى، ولا يَبقَى على الزمَنِ

---

(٣) عبيد الله بن عبد الله بن طاهر: ورد في الأصل عبد الله.
(٤) يريم: يفارق.

وأهدَت له ورداً تطيَّر منه، وقال: [من الرمل]

أنــتِ وردٌ وَبقــاءُ الـ ـوَردِ شهــرٌ لا شُهُورُ
يذهَــبُ الــوَردُ ويَفنَى، وإلــى الآسِ نَصِيرُ

فكتب إليه بعضُ إخوانه: [من الرمل]

سُــرَّ بالآسِ الــذي أهــدَت له، ثم لمَّــا أهــدَتِ الــوَردَ جَزِعْ
ذاكَ أنَّ الآسَ باقٍ دائمٌ، ولأنَّ الــوَردَ حينــاً يَنْقَطِعْ

وقال لعض الشعراء: [من الطويل]

وَصَلَتْ، وكانَ الــوَردُ أوَّلَ ما بَدا، فلمَّــا تولَّــى الــوَردُ ولَّــتْ معَ الوَردِ
فيا ليتَ أنَّ الــوَردَ آسٌ فإنَّه يدُومُ علــى الحــالَينِ في الحَرِّ والبَردِ

وفضائل الوَردِ أكثرُ من أن يُحصَى عدَدُها، أو يُبلَغَ أمدُها، وقد أفردتُ لذلك كتاباً بَوَّبتُهُ أبواباً، وترجمتُه «بكتاب العقد»، وشَحنتُه بفَضلِ الوَردِ، فأغنَى ما في ذلِك الكِتاب عن إعادةِ ذكره في هذا الباب.

والتُّفَّاحُ أعظمُ عندَهم قدراً، وأجلُّ أمراً، وأعلى درجةً، وأرفعُ رُتبةً لسَلامتهِ من البَياضِ والتَّوريدِ. وقد ذَكَرتُ فضائلَ التفَّاح في «كتاب التفاحة» في غيرِ بابٍ، فأغنَى عن إعادتِهِ في هذا الكتاب. غيرَ أني أذكر في كتابنا هذا جملةً مما وصَفَته به الأدباءُ ومَدَحَته به الشعراء، ولست أذكُر في عرض هذا الكتاب شيئاً مما في ذلك الكتاب لِئلاً يبتلى بشيء من المِحَن، فينسبَ ألى ضيق العَطَن، وبالله التوفيق.

باب

ذكر التفاح

وما كَرِه الأدباء من أكله

[١٨٩] اعلَم أنَّ التُّفاحَ عندَ ذوي الظَّرفِ والعشّاقِ ، وذوي الاشتياق ، لا يَعدلُه شيء من الثَّمرِ، ولا النَّوْر والزهر. كيف وبهِ تهدأ أشجانُهم ، وبوردِه تَسكُنُ أحزانُهم ، وعندَه يَضعون أسرارَهم ، وإليه يُبدون أخبارَهم ، إذ كان عندَهم بمنزِلة الحبيبِ والأنيسِ ، وبموضع الصاحب والجليس. وليسَ في هَداياهم ما يُعادلُه ، ولا في ألطافِهم ما يُشاكلُه ، لغلَبَةِ شَبَهِهِ بالخُدودِ المُورَّدة ، والوجَناتِ المُضرَّجة. وهو عِندَهم رهينةُ أحبابِهم ، وتذكُرُ أصحابِهم إلى وردته يتطربون وبرؤيته يستبشرون.ولهم عند نظرهم إليه أنين، وعند استنشاقِ رائِحته حَنين، حتى إنَّ أحدهم ، إذا غلبَ عليه القلَقُ ، وأزعجَه الأرَقُ ، لم يكن له مُعَوَّلٌ إلاَّ عليه ، ولا مُشتكىً إلاَّ إليه.

وأنشدني بعضُ أهلِ الأدبِ: [من السريع]

لمَّا نأى عن مَجلِسي وجهُه، ودارتِ الكأسُ بمَجراها
صيَّرتُه تُفّاحةً بينَنا، إذا ذكَرناهُ شَمَمْناها
واهاً لَها تُفّاحةً أشبَهت خَدَّيهِ في بَهجتِها، واهَا

وقال الحَكَمي[1]: [من السريع]

---

[١٨٩]

(١) البيتان ليسا في المطبوع من ديوان ابن نواس.

تُفاحةٌ جاءت وقد عُلِّقتْ، ورُكِّبت بالوَرْدِ والآسِ
أشربُ مِن كأسي على رِيحِها، بالرَّغمِ مِن أهلي وجُلاَّسي

وقال آخر: [من البسيط]

تُفَّاحةٌ أُهدِيتْ، ظَرْفاً، مُعَضَّضَةٌ، وقد جرَى ماءُ ثَغري في ضَواحِيها
بيضاءُ في حُمْرةٍ عُلَّت بغَالِيَةٍ، كأنَّما جُنِيَتْ من خدِّ مُهدِيها
قد أتحفَتني بِها في النَّوم جاريةٌ، رُوحِي مِنَ السُّوء والأسقامِ تَفدِيها
لو كنتُ مَيتاً، ونادتني بِنَغمتِها لخِلتُ للصَّوتِ مِن لَحْدي أُلَبِّيها

وقال آخر: [من السريع]

حيَّاهُ مَن يَهوَى بتُفاحةٍ، قد عَضَّ أعلاها بأسنانِه
جادَ، ولم يبخَل بِها، بعدَمَا عَذَّبَه دهراً بهِجرانِه

وقال آخر[2]: [من السريع]

تُفَّاحةٌ تأكُلُ تفاحةً، يا لَيتَني كُنتُ الذي يُوكَلُ
فألثُمُ الثَّغرَ لكي أشتَفي بعلَّةِ الأكلِ ولا أوكَلُ

وقال آخر: [من السريع]

تفَّاحةٌ مِن عندِ تُفاحةٍ قريبةُ العَهدِ بكفَّيها
أحِببْ بِها تفاحةً أشْبَهتْ حُمرتُها حُمرةَ خَدَّيها

وقال آخر: [من السريع]

تفاحةٌ حمراءُ مَنقوشةٌ ركَبْتُها في خُضرةِ الآسِ
فلَم تَزل في كَفِّ نَدمانِنا تَدورُ من كأسٍ إلى كاسِ

وقال آخر: [من السريع]

تفَّاحةٌ من عِندِ تفَّاحةٍ ضَمَّخَها المُهدي لها بالعَبيرْ

---

(2) البيتان في مصارع العشاق 1: 65 دون نسمة.

يا مُهْدِيَ الحَسْرةِ يا قَاتلي   أهديْتَ لي واللهِ قَصمَ الظُّهورْ
قد كُنتُ في بَحرَينِ من حبِّكم   فصِرتُ مُذْ أُهديتُها في بُحورْ

وقال آخر: [من الوافر]

فلو أني اشتكَيتُ لأجلِ حُزني   وما ألقاهُ في دارِ الخُلودِ
وكان طَعامُنا فيها جَنِيًّا   من التُّفّاحِ والوَردِ النَّضيدِ
لقُلتُ دَعُوا لها حِصَصي فإني   أشبِّهُها بألوانِ الخُدودِ

وقال آخر: [من السريع]

حيَّاه مَن يَهوَى بتفَّاحةٍ   قد جُنِيَت باللَّحظِ من خَدِّهِ
مَعضُوضةٍ باللَّحظِ مَحفُوفةٍ   بعَسكرِ الآجالِ من صَدِّهِ
لو شَمَّها الخَلْقُ لماتُوا معاً   لعُسرِ ما يَلقاهُ مِن جُهدِهِ

وقد مضَى من هذا الباب مُقنِعٌ، وهو كثير مُتَّسِعٌ. ولهم أشياء من زِيِّهم جليلةٌ، ونُتَفٌ مِن مَناقِبِهم نبيلةٌ، أنا أصِفُها لك في مَوضِعِها، وأقطعُها من مَقاطِعِها. منها السِّواكُ الذي صيَّروه كأحدِ الفُرُوضِ الواجبةِ والأمورِ الإرادِيَّةِ، وقد شَرَحتُ فيه باباً لتَقِفَ عليه، إن شاء الله.

باب

ما جاء في السواك

وما قيل في عود الأراك[1]

[١٩٠] اعلَم أنَّ من زِيِّ الظُّرَفاء، وأهلِ المُروَّةِ والأدباء، وأربابِ الدِّيانة والتَّرفُّلِ، استعمالَ السِّواكِ والتَّسوُّكَ. فهو أنبلُ النَّظافةِ، وأحسنُ الطَّهارةِ، وأكملُ المُروَّةِ، ويَرغبُ فيه أهلُ الظَّرفِ والفُتوَّةِ. وله خِصالٌ مُستَحسَنَةٌ، وهو أيضاً من السُّنَّة.

وقد رُوي في الخبر المأثورِ عن النَّبيِّ ﷺ، أنَّه قال: «طهِّروا أفواهكم فإنَّها مسالكُ التَّسبيح»[2].

وعن أبي بكرٍ الصِّدِّيق، رضي الله عنه، أنَّه قال: «السِّواكُ مَطْهَرَةٌ للفَمِ مَرضاةٌ للرَّبِّ»[3].

وحدَّثنا أبي قال: حدَّثنا ابنُ أبي شَيبةَ[4] عن عبدِ الله بن إدريس[5] عن

---

[١٩٠]

(١) السواك: ويقال أيضاً مسواك: وتجمع مساويك وسوك. من شجر يستخدم لتطهير الفم والأسنان. والأرك والأراك، اشهر الشجر الذي تتخذ منه المساويك، فتوخذ من عروقه وفروعه (كتاب النبات ٢٢٣ ـ ٢٢٥).

(٢) لم أهتد إلى هذا الحديث رغم وجود ما يتحدث عن فضل السواك.

(٣) الحديث في نثر الدر ١ : ٢٥٠ وتخريجه في الهامش. وهو في لسان العرب ١١ : ٤٤٦.

(٤) ابن أبي شيبة: لقب يعرف به عبد الله بن محمد (توفي ٢٣٥هـ) وأخوه عثمان.

والامام عبد الله بن محمد، أبو بكر، واسم أبي شيبة ابراهيم بن عثمان العبسي، مولاهم الكوفي. =

محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر[6] عن عُمْرَ عن عائشة قالت: قال رسول الله، ﷺ: «السِّوَاكُ مَطْهَرَةٌ للفَمِ مَرضاةٌ للرَّبِّ».

وعَن علي بن أبي طالبٍ، عليه السلام: أنَّ النبيَّ، ﷺ، كان إذا قامَ من اللَّيلِ تَسوَّكَ[7].

وعن أبي المَليحِ[8] عن واثِلة بن الأسقَع[9] قال: قال رسول الله، ﷺ: «لقد أمرتُ بالسِّواكِ، حتَّى حَسِبتُ أن يكونَ يكتب عليَّ»[10].

وعن ابن أبي مُلَيكة[11] قال: [كانت] عائشةُ تقول: ماتَ رسول الله، ﷺ، في بيتي وليلَتِي ويومي، وبين سَحْرِي ونَحْرِي، وخَلَطْتُ رِيقَهُ بريقي. فقلت: يا أمَّ المؤمِنين، وكيفَ خَلَطتِ رِيقَه بريقِكِ؟ قالَت: دخَل عبدُ الرَّحمن بنُ أبي بكر وبيدِهِ سِواكٌ، فنظَرَ إليه النبي، ﷺ، فقلتُ: قد اشتهَى السِّواكَ، فأخذتُ سِواكَه فمَضغتُه

= سمع القاضي شريك وأبا الأحوص وعبد الله بن ادريس وغيرهم. كان متقناً حافظاً (الوافي بالوفيات ١٧: ٤٤٢، تاريخ بغداد ١٠: ٦٦).

(٥) عبد الله بن إدريس، (توفي ١٩٢هـ): روى عن كثيرين وروى عنه كثيرون، أقدمه الرشيد ليوليه قضاء الكوفة ولكنه امتنع (الوافي ١٧: ٦٤، سير أعلام النبلاء ٩: ٤٢، تاريخ بغداد ٩: ٤١٥).

(٦) عبد الله بن أبي بكر الصديق (توفي ١١هـ): أمه وأم اسماء واحدة. شهد الطائف مع رسول الله ﷺ. فرماه أبو محجن الثقفي فدمل جرحه حتى انتقض فمات منه. شهد أيضاً الفتح وحنين (فوات الوفيات ١٧: ٨٥).

(٧) ساق هذا الخبر مسلم في صحيحه ١: ١٥١.

(٨) ابو المليح، الحسن بن عمر (وقيل ابن عمرو) بن يحيى الفزاري الرقي، كان يكنى أبا عبد الله، وأبو المليح لقب. وكان ممن جالس الزهري زمانا، توفي ١٨٩هـ (مشاهير علماء الأمصار ١٨٦، الكنى والأسماء ٢: ١٢٩، الأعلام ٥: ٩٤).

(٩) واثلة بن الأسقع، (توفي ٨٣هـ): ليثي كناني، صحابي من أهل الصُفَّة (الاعلام ٨: ١٠٧، مشاهير علماء الأمصار ٥١).

(١٠) لم اعثر على هذا الحديث بهذه الصيغة، انما هناك صيغة اخرى تفيد اقبال الرسول على السواك.

(١١) ابن أبي مليكة، (توفي ١١٧هـ): هو عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة، ابو بكر وأبو محمد التيمي المكي. مؤذن الحرم، قاضي مكة لابن الزبير. روى عن جده أبي مليكة وعن عائشة وأم سلمه وابن عباس وابن عمرو وابن عمر. ادرك ثلاثين (وقيل سبعين) من الصحابة، وروى له الجماعة. (الوافي ١٧: ٣٠٤، مشاهير علماء الأمصار ٨٢ رقم ٩٧، سير أعلام النبلاء ٥: ٨٨)

ثم أعطيتُه، فاستاكَ، عليه السلام[١٢].

فلم يشغَلِ النّبيَّ ﷺ، نزولُ الموتِ عَن طلبِ السّواكِ، إذ هو أظرفُ ما استُعملَ، وأنبلُ ما استُحسن، لأنه يُبيِّض الأسنانَ، ويُصفّي الأذهانَ، ويُطيِّبُ النكهةَ، ويُطفِىء المِرَّةَ، ويُنشِّفُ البَلْغَمَ، ويَشُدُّ اللِّثَةَ، ويُقوِّي العُمورَ، ويَجلو البَصرَ، ويُحِدُّ النَّظرَ، ويفتَح السُّدَدَ، ويُشهِّي الطَّعامَ.

[١٩١] وقد استَعملوا أمرَ المَساويك الأراكَ وقَصَبَ السكَّر، وأصولَ السُّوسِ[١]، وعُودَ المَحلَبِ[٢]، وعُروقَ الإذخِرِ[٣]، وعُقَدَ العاقِرْ قَرحا[٤]، وكلَّما أغرَبوا في اتخاذِ ذلك كان أكملَ لظَرفِهم، وأبلغَ في معاني وصفِهم.

وللمَساويكِ أوقاتٌ مَعلوماتٌ، ومواضعُ محدوداتٌ، ولا تُستعمَلُ في غيرِ أوقاتِها، ولا يُتجاوَزُ بِها عن ساعاتِها. فجائزٌ استعمالُها بالغَدَوَات والعَشيَّاتِ، وأوقاتِ الظُّهيراتِ، وقبل الغَداةِ، وبعدَ الصلاة، وعلى الرِّيق، وعندَ النَّومِ، وفي نَهارِ الصَّومِ.

ولا يجوزُ السِّواكُ عندَهم في مواطنَ شتّى، منها: الخَلاء، والحَمّامُ، وقارعةُ

---

(١٢) الخبر في سيرة ابن هشام ٤ : ٦٥٤ ـ ٥، وفيه اختلاف. ولدى ابن سعد، الطبقات ٢ : ٢٦٠ ـ ١ برواية ابن أبي مليكة وفيها اختلاف . والكلمة التي أضفناها اقتضاها السياق.

[١٩١]

(١) أصول السوس: يعرف اليوم بالعرقسوس. أو عرق السوس. وفي تذكرة داود أصل السوس، وفي المعتمد عود السوس، تستحلب شراباً مبرداً. (المعتمد ٢٤٨).

(٢) عود المحلب: شجر يابس أبيض النور. وهو أنواع: أبيض وأسود وأخضر. صغير الحبة وكبيرها مثل الجلبان (المعتمد ٤٨٦).

(٣) عود الأذخر: يعرف بالمغرب بتبن مكة، وفقاعة يعرف بالجوزجبنا. (القرطبي، شرح أسماء العقار ٥ رقم ٨).

(٤) العاقرقرحا: قال عنه التركماني لا يعرف في أيامه (القرن ٧هـ) وقبلها بغير بلاد المغرب وهو نبات يشبه في شكله وقضبانه وورقه وزهره جملة نبات البابونج الأبيض الزهرة. (المعتمد ٣١٥). وذكر القرطبي ان الطرخون هو ورق العاقر قرحا، وقيل انه نوع من انواع الكرفس (شرح أسماء العقار رقم ١٧٣، ٢٩٩).

الطَّريقِ، ومَحفِلُ الناس. ولا يَستاكُ أحدُهم وهو قائمٌ، ولا مُتَّكِىءٌ، ولا نائمٌ، ولا حيثُ يَراه أحدٌ؛ ولا يَستاكُ ويَتكلَّمُ.

والسِّواكُ في الخَلاء والحَمَّام مِن فِعلِ السِّفْلَةِ والعوامِّ، وهو أيضاً يُرخي اللِّثَةَ، ويُغَيِّرُ النَّكهة، وليسَ ذلك عندَهم من فِعلِ الأدباء، ولا من فِعلِ ذوي المُروءةِ والظُّرفاء.

وقد اتخذ أهلُ الظرف للمساويك طُسوتاً لِطافاً، وأباريقَ الشَّبَهِ الخِفافَ، وكراسي الآبنُوس المُصدَّفةَ، والخَيْزُرانِ المُشبَّكَة، والأحقاق[٥] المَخروطةَ، والمِسواكْدانَاتِ المَدهونةَ، والسُّنوناتِ المَعمولة؛ ووقَّتُوا لهُ الأوقاتَ المعلومةَ، التي جَعلُوها كالفَرائضِ المكتوبةِ، والسُّنَنِ المفروضة، يتأهَّبون لوَقتِه.

ولا يَستعملون رأسَ المِسواكِ مدةً طويلةً، وذلك عندَهم من الأفعالِ الذَّليلةِ، ويتَّخذون لها لَفائِفَ الخَزِّ، وعصائبَ القَزِّ ليصونوها بذلك عن الدَّنَسِ، ويُوقُّوها من الغُبار والنَّجَسِ.

[١٩٢] وقد تَهادى أيضاً أهلُ الظُّرفِ المَساويكَ، وأقاموها مَقامَ الرَّهينةِ والتَّذكِرةِ والوَديعةِ، والقُبلةِ، كما فعلوا بالُّلبان المَمضوغِ، والتُّفّاحِ المَعضوضِ. وقال العبَّاسُ بن الأحنف[١]: [من الخفيف]

طالَ ليلي بجانبِ المَيدانِ   مع جَواري المَهديِّ والخَيْزُرانِ[٢]

---

(٥) الاحقاق: مفردها حقة وتعرف أيضاً بالحُق. وهو وعاء للطيب، ويستعمل للدلالة على الأوعية الصغيرة بوجه عام.

[١٩٢]

(١) الأبيات في ديوانه ٢٩٢ط. صادر. وفيها اختلاف. في البيت الأول الميدان: البستان. ويرد عجز البيت الثاني كما يلي: فوق تفاحة على ريحان.

(٢) الخيزران: زوج المهدي وأم الهادي والرشيد. كانت على جانب من الحنكة والحزم والفقه. يمانية الأصل. وبعد وفاة زوجها المهدي عملت على التدخل في أمور السياسة فهددها الهادي وطلب اليها التزام منزلها والاشتغال بمغزلها. اتهمت بتدبير قتل الهادي لأنه رغب في إزاحة أخيه الرشيد.

أرسلَت باللُّبانِ قد مَضغَتْه	بينَ تُفّاحتَينِ في رَيحانِ
وبِمسواكِها الذي اختارَه اللـ	ـه لفيها من طيِّبِ الأغصانِ
فكأنّي وَجَدتُ ريحاً مِنَ الفِرْ	دَوس فاحَت من ريحِ ذاكَ اللُّبانِ

وقال أيضاً[3]: [من الطويل]

ولمَّا وَهَبْتُم خاتَماً فرَددتُه	لِمَعرفتي أنَّ الخَواتيمَ تَقْطَعُ
فأهدي سِواكاً مسَّ فاكِ فإنَّه	يُسكِّنُ ناراً في جوَى القلبِ تَلذعُ

وقال بشّار بنُ برد العُقَيلي يذكر ذلك أيضاً[4]: [من البسيط]

تَسوَّكَتْ لي بِمسواكٍ لِتُعلِمَني	ما طَعمُ فِيها وما همَّت بإصلاحِ
لما أتاني على المِسواكِ رِيقَتُها	مَثلوجةً، كزُلالِ الماء بالراحِ
قَبَّلتُ ما مسَّ فاها ثم قُلتُ له:	يا ليتَني كنتُ ذا المسواكِ يا صاحِ

وقال أيضاً[5]: [من البسيط]

يا أطيبَ الناسِ ريقاً غيرَ مختبرٍ	لولا شَهادةُ أطرافِ المَساويكِ
إنَّ الذي راحَ مَغبوطاً بنعمتِهِ	كفٌّ تَمَسُّكِ أو كَفٌّ تُعاطيكِ
ولو وَهَبتِ لنا يوماً نعيشُ بِهِ	أحييتِ نفساً وكانَت مِن مَساعيكِ
يا رحمةَ اللهِ حُلّي في مَنازِلنا	حَسْبي برائحةِ الفِرْدَوسِ من فيكِ

وقال أيضاً[6]: [من البسيط]

يطيبُ مسواكُها من طيب نكهتها	وإن ألمَّ بجلدٍ جلدها طابا

وقال آخر[7]: [من الطويل]

= اخبارها في كتب التاريخ والأدب مشهورة توفيت ١٧٣هـ، ومشى الرشيد في جنازتها حافيا. (الاعلام ٢: ٣٤٨، تاريخ بغداد ١٤: ٤٣٠).

(٣) في ديوانه ١٨٠ باعتناء عاتكة الخزرجي، ومصدرها الظرف والظرفاء.

(٤) في ديوان بشار ٦٥ والظرف من مصادره.

(٥) الأبيات في ديوانه ١٧٣، وهي في الحماسة البصرية ٢: ٢١٠.

(٦) البيت في ديوانه ٢٦ ومن مصادره الظرف والديوان التونسي.

(٧) البيتان ٢ و٣ في كتاب النبات ٢٢٤ دون نسبة. وفيهما اختلاف. في البيت الثاني ترد: أنابيب من =

وبرّاقةٍ تفترُّ عن متبسّمٍ	كنَورِ الأقاحي طيّبِ المتذوّقِ
إذا مضغَت بعدَ امتناعٍ من الضُحا	أنابيبَ عيدانِ الأراكِ المُخلّقِ
سقَتْ شُعَبَ المِسواكِ ماءَ غمامةٍ	فضيضاً بممزوجِ العُقارِ المُصفّقِ[8]

وقال جرير[9]: [من البسيط]

ما استوصفَ الناسُ من شيءٍ يَروقُهُمُ	إلا أرى أمَّ نوحٍ فوقَ ما وصفُوا
كأنّها مُزنةٌ غرّاءُ رائحةٌ	أو دُرّةٌ لا يُواري لونَها الصَدَفُ
مكسورةُ الثَّدْيِ في لُبٍّ يُزيّنُها	وفي المَناصبِ من أنيابِها عَجَفُ
تسقي غَمامٍ نَدَى المِسواكِ ريقتَها	كما تَضمّنَ ماءَ المُزنةِ الرَّصَفُ

وقال الفرزدق[10]: [من الطويل]

دَعَونَ بقُضبانِ الأراكِ التي جَنى	لها الرّكبُ مِن نَعمانَ أيامَ عرّفُوا[11]
فَمُجْنَ به عَذْبَ الرُّضابِ غُروبُهُ	رِقاقٌ وأعلى حيثُ رُكّبنَ أعجَفُ

وقال ذو الرُّمّة[12]: [من الطويل]

= قُضب الأراك وفي الثاني: فضيض بخرطوم المدام المروّق. الأبيات منسوبة لأبي حية النميري في زهر الآداب ٢٧٢.

(٨) المخلق: المضمخ بالخلوق، والمروّق أو المصفق هو المصفى.

(٩) الأبيات في ديوانه ٣٥. وفيها اختلاف في البيت الأول ورد في صدره: برزتهم.
وفي عجزه: أم نوح: أم عمرو.
في الثاني: رائحة: واضحة. لونها: ضوءها.
في الثالث: مسكورة الثدي: مكسوّة البدن.
في الرابع: تسقي غمام: تسقى امتيلحاً.

(١٠) في ديوان الفرزدق ٢ : ٢٤. ويرد صدر البيت الثاني على النحو التالي: فَمِمّن به عذبا رضاباغروبه.
وهو أقرب الى الصواب

(١١) فمجن: المائج، رافع الماء من البئر القليل الماء. والغروب: من أدوات رفع الماء. والغُروب: كثرة الريق. وعرفوا في البيت الأول: وقفوا على عرفه. ونعمان بفتح النون الأولى: جبل. أنظر: صفة جزيرة العرب ١٠٦ ومعجم البلدان ٥: ٢٩٣.

(١٢) ديوان ذي الرُّمة ٤٣٣.

جَرَى الإِسْحِلُ الأحوَى بطَفلٍ مُطرّفٍ ... على الغُرِّ من أنيابِهـا، فَهْي نُصَّعُ[١٣]

وقال آخر: [من الطويل]

نَظَـرَتْ بعَيْنَـيْ شادنٍ وتبسَّمَتْ ... بظَمياءَ عن غُرٍّ لهـنَّ غُروبُ[١٤]

جَرَى الإِسحِلُ الأحوَى عليهنَّ أو جرَى ... عليهِـنَّ مِن ماء الأراكِ قَضيبُ

[١٩٣] وقال جرير[١]: [من الكامل]

يجـري السِّـواكُ علـى أغـرَّ كأنّهُ ... بَرَدٌ تَحـدَّرَ مِن مُتـونِ غَمامِ

إقـرا السـلامَ علـى سُعـادَ وقُـل لها ... يومـاً تَرُدُّ رَسولَنـا بسَلامِ

وقال أيضاً[٢]: [من البسيط]

إنَّ الشَّقـاءَ وإن ضَنَّـت بنائِلِها ... فَرعُ البَشـامِ الـذي تجلُـو به البَرَدا

ما في فؤادِكَ من داءٍ يُخامِرُهُ ... إلا التي لَو رآهـا راهِـبٌ سجَدا

وقال جميل بن مَعْمَر[٣]: [من الوافر]

بثَغْـرٍ قد سَقَيْنَ المِسـكَ منه ... مَسـاويكَ البَشـامِ ومِـن غُروبِ

ومِـن مجـرَى غواربِ أقحُوانٍ ... شَتيتِ النَّبـتِ في عامٍ خَصيبِ

وقال آخر[٤]: [من الطويل]

وغَـادِينَ بالقُضبـانِ كُلَّ مُفَلَّجٍ ... به الظَّلْـمُ لم يُفلَلْ لَهُـنَّ غُروبُ

---

(١٣) الإسحل: شجر تتخذ منه المساويك. الأحوى: الذي فيه السواد يميل الى الخضرة او الحمرة التي تميل الى السواد، ويعتبر الاسحل أشد وألطف أنواع المساويك (النبات: ٢٢٨).

(١٤) بظمياء: الشفاه الظمياء: الذابلة في سمره.

[١٩٣]

(١) البيت الأول في ديوانه ٤٥٣، وفيه: تُجري السواكَ..

(٢) البيتان في ديوانه ١٢٥.

والبسلم: شجر يستاك به.

(٣) في ديوان جميل ١٠٣.

(٤) البيتان في معجم الأدباء ٢: ١٥ منسوبان لثعلب وفي البيت الأول، يغادين: يغايين، ويرد عجز البيت الأخير على الوجه التالي: لحاج ولا اشتعلت برد حبوب.

رُضاباً كطَعمِ الشَّهدِ يَجلو مُتونَه مِنَ الأيكِ أو غَضِّ البَشامِ قَضيبُ
أولئكَ لولاهُنَّ ما سُقتُ نِضْوَةً ولا قابلَتْني في البلادِ جَنوبُ

وقال أيضاً[5]: [من الطويل]

إذا الريحُ مِن نَحوِ الشَّمالِ تنسَّمَت وَجَدتُ لريَّاها على كَبِدي بَرْدا
تَخيَّرتُ من نَعمانَ عُودَ أراكةٍ لهِندٍ ولكن من يُبلِّغُه هِندا

[١٩٤] وأنشدني أبو علي الحسن بن عُليل العنزيُّ قال: أنشدني الزبير بن بكَّار قال: أنشدني أبو مُسلم الكلابي لمهدي بن الملوَّح الكِلابي[1]: [من البسيط]

تَبيتُ ليلى وقد كنَّا نُبخِّلُها، قالت: سَقَى اللهُ ذاكَ المَرْبَعَ الجَدْبا
يا حبَّذا راكباً كنَّا نهشُّ له، يُهدي إلينا من أراكِ [المَوْصِ قُضُبا]

وقال القَطامي[2] [من الطويل]

مُنَعَّمةٌ تَجلو بِخُوطِ أراكةٍ ذُرَى بَرَدٍ عَذْبٍ شَتيتِ المَناصِبِ
كأنَّ فضيضاً من غَريضِ غَمامةٍ على ظَمَإٍ جادَت به أمُّ غالبِ
لمُستَهلِكٍ قد كادَ مِن شِدَّةِ الهَوى يموتُ ومن طُولِ العِداتِ الكَواذبِ

وقال بعض الأعراب، ويُروى للأُمَيلِس: [من الطويل]

منعَّمةٌ هَيفاءُ عَجزاءُ خَدلَةٌ تَمَسُّ مَثاني شعرِها قضباً خَزْلا[3]
وتَجلو بِمِسواكِ الأراكِ مُفَلَّجاً عِذابَ الثَّنايا، لا قِصاراً ولا ثُعْلا

---

(٥) البيت الأول في سرور النفس ٣١٠ منسوب لمهدي بن الملوح، والثاني في حماسة ابي تمام ٣: ١٦١ والمستطرف ٢: ١٨ دون نسبة. وهو في الحماسة البصرية ٢: ١٨٤ منسوب لورد بن الورد الجعدي.

[١٩٤]
(١) مهدي بن الملوح: قيل هو قيس بن الملوح. وهناك خلاف حول اسمه، انظر البيان والتبيين. فهرس الأعلام، أيضاً، معجم الشعراء ٤٧٦ ووردت آخر البيت في الأصل: الموص القضبا. وبه يختل العروض، ولا معنًى له. والموص: للسواك.
(٢) الأبيات في ديوان القطامي ٤٣.
(٣) خدلة: ممتلئة الساق. الثعلاء: السن الزائدة خلف الأسنان. والقضب: الرطبة، أو شجر أغصانه سبطة. والخزل: مشية فيها تقطُّع.

وقال العَطَوي[٤]: [من الخفيف]

عنـدكُنَّ الفُـؤادُ والقلـبُ رَهْنٌ ... في يَديْ ذاتِ دُمْلُـجٍ ووِشاحِ
وثَنـايا رَقِيقـةٌ كغـديرٍ ... من مُدامٍ وروضـةٍ من أقاحِ
فمساويكُهـا بهـا كلَّ يَومٍ ... في رياضٍ من اصطبـاحِ الرَّاحِ

وقال علي بن الجَهم[٥]: [من البسيط]

حَجُّـوا مواليكِ يا بُرهـانُ واعتَمَرُوا ... وقـد أتتـكِ الهـدَايا من مَواليكِ
فأتحِفِينـيَ ممَّـا أتحفُـوكِ به ... ولا تكُن تحفتـي غيرَ المَساويكِ
ولسـتُ أرضـاه حتَّـى تُرسِلِينَ به ... ممَّـا جَلا الثَّغـرَ أو ما جالَ في فيكِ

ولأبي الطيِّب في ذلك: [من الطويل]

شَهيدي علـى طيِّبِ اللِّثـات وريقِها ... أنـابيبُ عيدانِ الأراكِ المُفَرَّعِ
كأنَّ حَبـابَ الـرِّيق حينَ تَمُجُّهُ ... علـى شُعَـبِ المِسـواكِ غيرَ ممزَّعِ
رَشـاشُ ذكيٍّ المِسـكِ شيبَ بعَنبرٍ ... أو الراحِ من صَفْـوِ العُقَارِ المُشَعشَعِ[٦]

وقال مروان بن أبي حَفصة[٧]: [من الطويل]

شِفاءُ الصدى ماءُ المسـاويكِ والـذي اجتـ ... ـنَى الـرِّيقَ من خَمْـلٍ ينازِلُهـا طفلُ
فيا حبَّـذا ذاكَ السِّـواكُ وحبَّذا ... به البَرْدُ العَذْبُ الغَـريضُ الـذي يجلو

وأحسن محمد بن عبد الله بن طاهر حيث يقـول[٨]: [من الكامل]

---

(٤) الأبيات في شعر العطوي، القطعة ٢٢، بعناية محمد جابر المعيد، مجلة المورد، مجلد١، عدد١-٢، ١٩٧٢.

(٥) ديوان علي بن الجهم ١٦١، والمستطرف ٢: ٦١ منسوبة للحمدوني.
وبرهان اسم علم مؤنث.

(٦) المشعشع: الممزوج بالماء.

(٧) ديوان مروان بن أبي حفصة ٩١.
وماء المساويك: الريق. والبرد: الأسنان. والغريض: الأبيض.

(٨) الأبيات في زهر الآداب ٢٨٢ منسوبة لأخيه عبيد الله.

وإذا سألتُكِ بعضَ ريقِكِ قلتِ لي أخشَى عقوبةَ مالِكِ الأملاكِ
أيجوزُ عِندَكِ أن يكونَ مُتَيَّمٌ يَهواكِ عِندَكِ دُونَ عُودِ أراكِ
ماذا عليكِ، جُعِلتُ قبلَكِ في الثرى، مِن أنْ أكونَ خَليفةَ المِسواكِ

وهذا باب تَطَنَّب[9] فيهِ الشعراء، ويتَّسعُ لها القَول في ذكرِه، وقد مضى من بعضه ما أغنَى عن شرح كلّه، وأنا أصِفُ لك جُملةً مِن جميل مناقبهم، وما تُؤثَر من حُسن مذاهِبهم، إن شاء الله تعالى.



(٩) تطنب فيه الشعراء، توسعوا.

باب
صفة ذوي التظرف
ومباينتهم لذوي التكلُّف

[١٩٥] أعلَم أنَّ مِن كمالِ الأدباء، وحُسن تظرُّف الظُّرفاء، صبرَهم على ما تولَّدت به المكارمُ، واجتنابَهم لخسيس المآثمِ، وأخذَهم بالشِّيَمِ السَّنِيَّة والأخلاق الرضيَّة، وأنَّهم لا يُداخلون أحداً في حديثه، ولا يَتطلَّعون على قَارٍ في كتابِه، ولا يَقطعون على متكلِّم كلامَه، ولا يَستمعون على مُسِرِّ سِرَّه، ولا يسألون عما وُرِّي عنهم عِلمُه، ولا يتكلمون فيما حُجِبَ عنهم فهمُه. يَتسرَّعون إلى الأمور الجليلةِ، ويَتبطَّؤون عندَ الأشياء الرَّذيلةِ، فهم أمراءُ مجالسِهم، بهم يُفتَحُ عَسِرُ الأغلاقِ، وبهم يَتألَّفُ مُتنافِرُ الأخلاقِ. تَسمو إليهم الآماقُ وتنثني عليهم الأعناقُ، ولا يطمعُ في عَيبِهم العائب، ولا يَقدِر على مَثالِبِهم الطالبُ. ألا تَرى أنَّهم لا يَتنخَّعون، ولا يَتَبصَّقون، ولا يتثاءبون، ولا يَستنثِرون، ولا يتجشَّؤون، ولا يتمطُّون، وذلك عيبٌ عند الظُّرفاء، مكروه عندَ العُلماء، وفيه حديثٌ مأثورٌ حدَّثنيه عُبيد بنُ شريك[1] قال: حدثنا ابن أبي[2] مَرْيمَ قال: أخبرني يحيى[3] بن أيوب قال: أخبرني ابن عَجلان[4] عن

[١٩٥]

(١) عبيد بن شريك: لم اعثر على ترجمة له. وهناك عبيد بن عبد الواحد البزار في عداد من رووا عن ابن ابي مريم (سير أعلام النبلاء ١٠: ٣٢٧) ولعله أحد أحفاد شريك المتوفي ١٧٧هـ.

(٢) ابن أبي مريم: هو سعيد بن أبي مريم، فقيه علامة، محدث الديار المصرية، أبو محمد سعيد بن الحكم الجمحي مولاهم. توفي ٢٢٤هـ (سير أعلام النبلاء ١٠: ٣٢٧، الوافي ١٥: ٢١٥).

(٣) يحيى بن أيوب: امام عالم شهير، أبو العباس الغافقي المصري، ينسب في عداد موالي مروان بن الحكم. حدث عن كثيرين منهم ابن عجلان، وحدث عنه سعيد بن أبي مريم. توفي ١٦٨هـ =

سعيد المَقبري[٥] عن أبي هُرَيرة عن رسول الله ، ﷺ ، أنه قال: «إنَّ الله يُحبُّ العُطاس، ويكرَهُ التَّثاؤبَ، وإنَّ أحدكم إذا قال هَاهَا، فإن ذلك الشيطانُ يَضحكُ في جَوفِه»[٦]! والظُّرفاء لا يَتَثاءبون، ولا يَتمطُّون، ولا يُوقِّعون أكفَّهم ولا يُشبِّكون أصابعهم، ولا يَمُدُّون أرجلَهم، ولا يَحكُّون أجسادَهم، ولا يَمَسُّون آنافَهم، خاصةً إذا كانَ أحدُهم بين يدي خليلِه، أو ربيطِه، أوحبيبِه، أومن يحتَشمُه، ومن يكرمه.

[١٩٦] ولا يَدخلُ أحدُهم الخلاء من حيثُ يَرَاه أحدٌ، ولا يَبُولُ بين يدَي أحدٍ. وليسَ من زيِّهم الإقعاء في الجلسةِ، ولا السُّرعة في المِشية، ولا الالتفاتُ في طريقِ قصَدوه، ولا الرُّجوع في طريق سَلَكوه. ولا يَنفضون الغُبارَ عَن أرجُلِهم في المواضِع المكنوسةِ، ولا يَستريحون في الأماكن المَرشُوشة، ولا يَجلِسون في مجلِس فينتَقِلون منه، ولا يَقعُدون بحيثُ يُقامون عنه، ولا يَشربون ماء الأحبَاب[١]، ولا الماء في دكاكين الشُّراب، ولا ماء المساجد والسبيل، وذلك مُشنَّى[٢] عند ذوي العقول. ولا يَدخلون دكّان هرّاس[٣]، ولا دكّان روّاس[٤]. ولا يجتازون بدكّان مرّاق[٥]، ولا يأكلون شيئاً مما يُتَّخَذُ في الأسواق،

= (مشاهير علماء الأمصار ١٩٠ رقم ١٥٢٨، سير أعلام النبلاء ٨: ٥ طبقات خليفة ٢٩٦).

(٤) ابن عجلان، محمد، (توفي ١٤٨هـ): وصف بأنه امام قدوة. ابو عبد الله القرشي المدني. كان عجلان مولى لفاطمة بنت الوليد بن عتبة القرشية. وكانت لابن عجلان حلقة في مسجد المدينة. وأيد ثورة محمد بن عبد الله بن الحسن (١٤٥هـ) ضد أبي جعفر المنصور. وبعد مقتل محمد همّ والي المدينة جعفر بن سليمان بمعاقبة ابن عجلان، فقام فقهاء أهل المدينة بتخليصه (طبقات ابن سعد، القسم المتمم ٣٥٤، سير اعلام النبلاء ٦: ٣١٧، الوافي بالوفيات ٤: ٩٢).

(٥) سعيد المقبري، (توفي بين ١٢٣ و١٢٥ و١٢٦هـ): هو ابن أبي سعيد كيسان مولى بني ليث. كان يسكن بالقرب من مقبرة فنسب اليها. راوية مشهور (اللباب ٣: ٢٤٥، الوافي ١٥: ٢٥٠).

(٦) الحديث في الأدب المفرد ٣٠٧ وفيه بعض الاختلاف.

[١٩٦]

(١) الأحباب: أو الحباب، مفردها الحب، وعاء كبير كالخابية لتبريد الماء.

(٢) مشنى: مكروه.

(٣) هراس: بائع الهريسة.

(٤) رواس: بائع الرؤوس.

(٥) مرّاق: بائع المرق.

ولا يأكُلون على قارعةِ الطريقِ، ولا في مسجد، ولا في سوق. وفي ذلك حديثٌ مأثـور، وخَبرٌ مشهورٌ، حدثَّنيهِ أحمدُ بنُ الهَيْثَم المُعدلُ(٦) قال: حدثَّني سهلُ بنُ نَصر(٧) وإسحاقُ بنُ المُنذر قالا: حدثَّنا محمدُ بن الفُرات قال: حدثَّني سعيدُ بن لُقمان بن عبد الرحمن الأنصاري عن أبي هُرَيرة عن رسول الله ، ﷺ ، قال: «الأكلُ في السوقِ دَناءَةٌ(٨)». والظريفُ لا يأخذُ شَعْرَه في دُكَّان حجَّامٍ، ولا يَدخُـل بغير مِئزَرٍ إلى الحمَّام.

[١٩٧] وقد حدثَّني أحمدُ بنُ محمد بـن غالـب، صاحـب الخليل(١)، قال: حدثني أحمد بن عبد الله بن هُشَيم عن مُغيرة(٢) عن إبراهيم(٣) قال: النظرُ في مِرآة الحجَّام دناءةٌ.

---

(٦) أحمد بن الهيثم المعدل: لدينا عدة اسماء لأحمد بن الهيثم. ولم أجد من تلحق به أو بأبيه صفة المعدل، أي الموصوف بعدالته من قبل القاضي. ولعله أبو فراس المعروف بابن عطاء الشامي. كان احد الرواة والشعراء المكثرين، جلم من شيعة بني العباس. (الخطيب البغدادي ٥: ١٩٢، الوافي ٨: ٢٢٨، معجم الأدباء ٥: ٨٧) وانظر حول أحمد بن الهيثم المصادر نفسها.

(٧) سهل بن نصر: لم اهتد الى ضبط الأسم. ولعله سهل بن نصر بن ابراهيم بن ميسرة، أبو محمد المصخي. عاش في القرن الثالث الهجري، ولم يذكر الخطيب البغدادي تاريخ وفاته (تاريخ بغداد ٩: ١١٦).

(٨) اسحاق بن المنذر، ومحمد بن الفرات، وسعيد بن لقمان بن عبد الرحمن الانصاري. لم اهتد الى تراجم لهم. ومحمد بن الفرات لعله والد الوزير علي بن محمد بن الفرات المتوفى ٣١٢هـ.

(٩) الحديث في نثر الدر ١: ٤٢٤.

[١٩٧]

(١) احمد بن محمد بن غالب (توفي ٢٧٥هـ): بن خالد بن مرداس، أبو عبد الله الباهلي البصري المعروف بغلام الخليل سكن بغداد وحدث فيها. شكك في حديثه ابو حاتم الرازي والدارقطني. عند وفاته أغلقت أسواق مدينة السلام وكانت له جنازة موصوفة وأصدر الى البصرة ليدفن فيها. (ابن الجوزي، المنتظم ٥: ٩٥). وهشيم السلمي المتوفى ١٨٣ هـ. والرواية هنا فيها انقطاع إلاّ أن يكون فيها خطأ في رسم الأسماء.

(٢) مغيرة [بن مِقسم] الامام العلامة الفقيه. ابو هشام الضبي، مولاهم كان اعمى. توفي ١٣٣هـ أو ١٣٤هـ (اعلام النبلاء ٦: ١٠).

(٣) ابراهيم [النخعي]: ابراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي اليماني ثم الكوفي، ففيه العراق، امام حافظ. توفي ٩٦هـ (اعلام النبلاء ٤: ٥٢٠).

وحدَّثنا أحمد بن محمد بن غالب قال: حدثنا إسماعيل بن محمد بنِ راشد بنْ سعيد عن عِكرِمة[4] عن ابن عباس قال: من قِلَّة مُرُوَّةِ الرَّجلِ نظرُه في مرآةِ الحجَّام، واطلاعهُ في بيت الحائك.

وقد يَنبغي للظريفِ أن يدخل الحمَّامَ على خَلوقٍ، لئلا ينظر فيهِ إلى سَوءة، ولا يَمدُّ عينَه إلى أحد، ولا يُعلِّق ثوبَه على وتَد، ولا يُدلِّي رِجلَه في البِئرالتي ينصبُّ إليها الماء، فإن ذلك ممَّا يفعلُه الأدنياء. ولا يَدلُك يدَيه بخرقةٍ، فإن ذلك ممَّا يستعمله السخفاء، ولا يتمرغ على حرارة أرض الحمام، فإن ذلك ممَّا يَفعلُه سِفْلَةُ العَوامّ. بل ينبغي له أن يَدخُلَه مُتَّزِراً، ويقعُد فيه معتزلاً، ولا يقعد مستوفزاً على رِجله، فإن ذلك طَعْن على عقلِه، ولا يميل مُضطجعاً، بل ينتصِبُ متربِّعاً، حتى إذا نضب العَرَقُ من بدَنِه، وتحدَّر على جسده، وكان عرقُه بين الكَثير والقَليل، نشَّفه عن بدنِه بِمنديلٍ، ثم دعا لرأسه بالغَسول، والأُشنانِ[5] المنخول. فإن كان من أهلِ المرُوات والنِّعَمِ، وأهلِ البُيُوتاتِ والقَدرِ ممَّن لا يُنسَبُ في فعلِه إلى شيء ليسَ من شكلِه فليبتدىء دُخولَه الحَمَّام بالإمساك عن الكَلام، والتجرُّع مِن الماء الحارِّ ثلاثَ جُرَعٍ، وليَقعُد للعَرَقِ فوقَ نِطْعٍ[6]، حتى إذا عَرِقَ سَلَتَ بدنَه، وجمعَ عرقه فوزنه، وهذا الفعلُ لا يصلُح إلا لذي نِعمةٍ، أو شريفٍ، أو متأدِّب فَيلسوف، وأمَّا سائرُ الناسِ من أهل الظَّرف، فإنَّهم يُنسَبُونَ بهذا الفعلِ إلى السُّخْف.

[١٩٨] ولا ينبغي لظَريف أن يمشي بلا سَراويلَ، ولا يتَّزِر بِمنديلٍ. ولا يَمشي محلولَ الإزارِ، ولا مُسبلَ الإزارِ. ولا يماكِس في الشِّرَى، ولا يركَب حِمارَ الكِرَى.

---

(٤) عِكرِمة (توفي بين ١٠٤ أو ١١٠هـ)، أبو عبد الله القرشي، مولى ابن عباس، بربري الأصل. علاّمة حافظ. مديني قدم من مصر كان كثير الأسفار، ورحل الى مصر وخراسان واليمن واصبهان والمغرب (شذرات الذهب ١: ١٣٠، سير أعلام النبلاء ٥: ١٢).

(٥) الأشنان: بضم الهمزة وكسرها. الحُرُض، وهو أنواع ألطفها الابيض ويسمى بخرة العصافير، والأخضر ويسمى بالفاسول وكلاهما جلاء فيق.

(٦) نطع: بساط من جلد.

ولا ينزِل في خَراب، ولا يقبِض على كِتاب. ولا يُشارط صانعاً، ولا يُصاحِب وضيعاً. ولا يُشاتم رفيقاً، ولا يغتاب أحداً، ولا يذكر بسوء أخاً، ولا يَنُمّ بسَريرة، ولا يُظهِر خَبيئة. ولا يَخون عَهداً، ولا يُخلِف وَعداً. ولا يُضرِّب بينَ اثنين، ولا يُفسد بينَ خَليلَين. ولا يسعَى إلى سلطانٍ، ولا يغمِز بإنسان[1]، ولا يهتِك حُرمةً، ولا يتعرَّض لِسرقة. ولا يتحلَّى بالكَذِب، ولا يستهدف للرِّيَب. ولا يجاهِرُ بالزِّنى، ولا يَنطِق بالخَنا. ولا يُفسِد حُرمَةَ الأخِ الصديقِ، ولا حُرمة الجارِ اللزيق.

وأجودُ ما في هذا المعنى قولُ الأحوصِ بن محمَّد الأنصاري[2]: [من الكامل الأحذّ]

قالَت وقلتُ: تَحرَّجي وصِلي	حَبلَ امرىءٍ بوصالِكم صَبِّ
صاحِبْ إذاً بَعلسي، فقلتُ لها:	الغَدرُ منِّي ليسَ من شِيَمي
ثِنتانِ لا أدنو لِوَصليهما:	عِرسُ الخليلِ وجارةُ الجَنْبِ
أمَّا الخليلُ فلستُ مُخلِفَهُ	والجارُ أوصاني بهِ ربِّي

[١٩٨ب] ومن تكامُل ظَرف الظريف ظهورُ بِزتِه، وظهورُ طيب رائحتِه، ونَقاء درنه، ونظافةُ بدنِه. ولا يتَّسِخ له ثوبٌ، ولا يَدرَن له جَيب[1]. ولا ينفَتق له ذَيل، ولا يُرى في دخاريصه[2] مَيل، ولا سَراويلهِ ثقب. ولا يطول له ظُفْرٌ، ولا يَكثُر له شَعر. ولا يفوحُ لإبطِه دَفَر[3]، ولا لبدنه غَمر[4]. ولا يسيل له أنف، ولا يَسودُّ له كفٌّ،

---

[١٩٨]

(١) الغمز: أي أن يدل أحدهم السلطان على أصحاب الثروات لمصادرتهم.

(٢) الأبيات في شعر الأحوص ٨٢ ـ ٨٣.

[١٩٨ ب]

(١) الجيب: القبة أو الياقة.

(٢) دخاريص: الواحد دخريص، أي البنيقة واللبنة، وهي ما يوسع به الثوب من الشُعب. قيل أصله فارسي.

(٣) الدفر: الرائحة النتنة.

(٤) الغمر: الدسم.

ولا يظهر له شُقَاق[٥]، ولا يُرشَّش له بصاق. ولا يقف في مأقِه رَمَد، ولا صِوارِه زَبَد[٦].

[١٩٩ أ] ومِن زِيِّهم في مُصاحبة الأوِدَّاءِ، ومُعاشرة الأخِلاَّءِ، حفظُ العُهود، وإنجازُ الوعودِ، والدوامُ على الوفاء، وقلّةُ الرَّغبَةِ في الجَفاء؛ وحسنُ المؤاتاة لأوِدَّائِهم، والمساعدة لأخِلاَّئِهم، والبِشرُ بمَن لَقُوا، والتَّفَقُّدُ لمن فقَدوا، والمساعفةُ بأبدانِهم، والمَعونة بأموالِهم، وتحفيفُ المُؤَن على إخوانِهم، وكفّ الأذى عن جيرانِهم، والصَّفحُ عن المسيء لهم عند إساءَته، ومقابلةُ المُحسنِ بإحسانه، والترحيبُ بالصغيرِ، والتَّبجيل بالكبير.

وقد حَدَّثني محمد بنُ يُونُس القَيسي قال: حدثَّنا يزيدُ بنُ بَيان قال: حدثَّنا أبو الرِّجال[١] عَن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من شابّ أكرمَ شيخاً عندَ سنِّه إلا قيَّض اللهُ له من يُكرِمُه عند سنِّه».

[١٩٩ب] وقد يجب أيضاً على أهلِ المُرُوَّةِ مثلُ الذي يجبُ على أهلِ الظَّرفِ والفُتوَّةِ والأدبِ. لأنّهما لَيسا باللَّذاذةِ والقَصفِ، ولا بالمُفاخرة والحَسَب، وإنَّما هما بكمال المُرُوَّةِ والأدبِ. ولن يعرِف الفتَى جميلَ مواهِب الفُتُوَّةِ، إلاَّ بسلُوك طرائقِ المُروّة.

وقد ذُكرت الفتوَّة عندَ بعضِ العُلماء فقال: إن الفُتوَّةَ ليسَت بالفِسقِ والفجورِ، ولَكنها طَعامٌ موضوعٌ، وأذًى مرفوعٌ، ونائلٌ مبذولٌ، وبِشرٌ مقبول، وعَفافٌ معروفٌ، واجتنابٌ للقبيح، وأدبٌ ظاهرٌ، وخُلق طاهرٌ، وتَركُ مُجالسةِ أهل

---

(٥) الشُقاق: تشقق يصيب اليدين والرجلين.

(٦) الصوار: صمغ الفم وملتقى الشفين.

[١٩٩أ]

(١) أبو الرجال: محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حارثة بن النعمان. . . محدث. كني بأبي الرجال بولده الذي كانوا عشرة ذكور (طبقات ابن سعد، القسم المتمم ٢٨٧، مشاهير علماء الأمصار رقم ١٠٤٧).

الشرورِ، والسُّمُوِّ إلى معالي الأمورِ، والإحسانُ إلى من أساء، ومُكافأةُ من أحسن، وقضاءُ حوائج الناسِ[1].

فهذه جملة مِن زِيِّهم في حُسنِ مَناقِبِهم، ومُستَحسَنِ جميلِ مذاهِبِهم، ولهم أيضاً رِقَّةُ الطَّبعِ، والتَّلطُّفُ في كُلِّ الأمورِ، والمُداراةُ، والتَّملُّقُ، والتأنِّي، والترفُّقُ. ومِن ذلك قولُهم: من حَبَّ طَبَّ[2]، أي رَفِقَ ودارَى، ومِن ذلك سُمِّيَ الطَّبيبُ طبياً لترفُّقِه ومُداراتِه؛ والعربُ تقولُ: هو طَبٌّ بالأمورِ، أي عالِمٌ رفِيقٌ.

قال عمر بن أبي ربيعة[3]: [من الرمل]

فأَتَتْهَا طَبَّــةٌ عالمةٌ تَخلِطُ الجِدَّ مِراراً باللَّعِبْ
تَرفَعُ الصَّوتَ إذا لانَت لَها وتَراخَى عندَ سَوْراتِ الغَضَبْ

ولهم حسنُ التأنِّي فيما يُريدونه، ولطيفُ الحِيلَ فيما يحاولونه، وخَفِيُّ التلطُّفِ لما يطالبونَه؛ حوائجُهُم سَرِيَّةٌ، وسرائرُهم مَخفيَّةٌ، وأمورُهم باطنَةٌ، وحِيَلُهم لطيفَةٌ، يُورِدون الأمورَ مواردَها، ويُصدِرونها مَصادِرَها. ولَهُم فيما استحسنوا من الهَدايا بينهُم، والبرِّ والمُلاطفة والمكاتبة، والتحفة من غيرِهم، ما يُستَصغَرُ. ومن ذلك أنَّهم ربما أهْدَوا الأُترُجَّةَ الواحدةَ، والتفاحَةَ الواحِدةَ، والدَّستَبُويَةَ[4] اللَّطيفةَ، والشَّمَّامَةَ اللطيفةَ، والغُصنَ مِنَ الرَّيحانِ، والطاقةَ من النَّرجِسِ، والرَّطلَ من الشَّرابِ، والقِطعةَ مِنَ العُودِ، والمَخْزَنةَ مِنَ الطِّيبِ، والشَّيءَ اليسيرَ، والوَهْطَ الصغيرَ، ونظيرَ ذَلك من الأشياء القليلةِ، الحقيرةِ والذَّليلةِ، التي لا قدرَ لها عند ذوي العُقولِ، فيُستكثَرُ ذلك منهم، ويُتلَقَّى بالقَبولِ، وتُستَحسنُ هَداياهم وتُستظرَفَ، ويُفرَحُ بها وتُستطرَفُ. ورَغبَةُ غيرِهم مِنَ الناسِ في الأشياء الجليلةِ،

[١٩٩ب]

(١) هذه الأقوال ورد معظمها في باب المروءة، وأورد أكثرها البيروني في الجماهر ١٠.

(٢) وارد في لسان العرب ١: ٥٥٣ بصيغة أخرى وبنفس المعنى.

(٣) ديوانه ١٥.

(٤) الدستبويه: أو الدستنبويه، نوع من البطيخ الأصفر، صغير مضلع جميل الرائحة.

والهدايا النبيلةِ، والتطرَفِ السرِيّةِ، والتحَفِ السنيّةِ، غيرَ أهلِ الظُرف، فإنهم اقتصَروا على اللُطفِ اللَطيفِ، والبرِّ الخَفيف.

[٢٠٠] ومن ذلك كُتُبُهم المِلاحُ، وألفاظُهم الصِّحاحُ، التي يستعطفون بها القلوبَ، ويَسترون بها العُيوبَ، ويَستقيلون بها العثراتِ، ويَستدركون بها الهفَوات، التي قد استخلَصوها من بديعِ الحريرِ الصينيِّ، ومَليح المُلحَم النَيسابُوريِّ، وصفيقِ الدَّبيقي الحَفي، ونَقيِّ التَّاختَجِ والقُوهي. وتَغلغلُوا إلى الكِتابةِ في ذلك بالذَّهب والمِسكِ والزَّعفرانِ، والسُّكِّ[1]، واتَّخذُوا لَها طَرائفَ المَناديلِ الرِّقاقِ، وجِيادَ الزنانير الدِّقاقِ، وطَيَّبوها بالمِسك والنِّراثِ، وعَنْوَنُوها بمُتَطَرِّفاتِ الأمثالِ والنَّوادرِ، وختَمُوها بالغَاليةِ المُستمسِكة، وطَبعوها بنُتَفِ الألفاظِ المُهلِكة، وشكيل المُداعبةِ، ما يُقرِّبون به البعيدَ، ويُهوِّنون به الشَّديدَ.

وقد بيَّنتُ ذلك أحسنَ البيانِ، وشرحتُه بأخصِّ المعاني، ووَصفتُ ما يتوصَّلون به من الوَسائِل، وما يُضَمِّنونه كُتبَهم من الرَّسائِل، في كتابٍ مُفرَدٍ، وكلام مُجرَّدٍ، ترجمتُه: (كتاب فَرَح المُهَج)، وجعلتُ ما فيه ذَريعةً إلى الفرَج، فأغنى عن تَطويلِ هذا البابِ، ما مرَّ في ذلك الكتاب. وأنا أصِفُ لك أيضاً في كتابنا هذا جُملةَ ما استحسنُوه بينَهم من المكاتبةِ، وما استعملوه بينَهم من المُعاتبة، وأقصدُ في ذلك إلى مُداعبة الكُتَّابِ، ومُعاتبةِ الأحبابِ، ومَا تعاتَبُوا به من الأبياتِ، واختارُوه من المُقطَّعاتِ، وما ذكروا على العُنوانات من الكلامِ، وما ضَمَّنُوه في كُتبهم من السَّلامِ، على غير نَقصٍ منِّي لكلِّ ما في ذلك من الأشعارِ، إذ كان قَصدي في كلِّ أبوابِ الكِتابِ إلى الاختصار. وبالله أستعينُ وأستكفي، وإياه أسترشد وأستهدي.

---

[٢٠٠]

(١) السك: الأصلي منه هو الصيني الذي يتخذ من الأملج. وقد يتخذونه من العفص والبلح في حال انقطاع الأملج، ويعمل على نحو الرامك. والأملج ثمرة سوداء تشبه عيون البقر، لها نوى مدورة حادة الطرفين (المعتمد ٢٣٤، ٧).

باب

ما اختير من ألفاظ الأدباء في المكاتبات
واستُحسن من الظُّرفاء من مَليح المُعاتبات

[٢٠١] أخبرني الوضَّاحُ بنُ ثابتٍ الكاتبُ قال: كنتُ عندَ بعضِ الكُتّابِ، إذ دخلَت عليه وَصِيفةٌ كأنها قمَر، تَتثنّى في مِشيتِها كأنها جَانٌّ، أو كأنَّها غُصن بانٍ ريانُ، حتى وقفَتْ بينَ يديه، فقالت: مولاتي تَقرأ عليكَ السَّلام، وتقولُ لك: يا أخي! جفَوتَنا من غيرِ استحقاقٍ للجفَاء، ومِلتَ إلى غيرِ مَذاهبِ الظرفاء، وأنّي لم أزَل واثقةً بإخائِك، راجيةً لحُسنِ وفائِك. وتحقيقُ ظَنِّ مُؤمِّلِكَ، أولى بكَ من الوُقوفِ على تَجنِّيك. فقال لها: اقرئي عليها السلامَ، وقولي لها: يا أختي، أنا مِن وُدك على أحسنِ عهدِك، ومِنَ الأملِ لكِ على أضعافِ ما عندَك، ولقد استوحَشنا من فَقدِكِ، فاجعلي لنا حظًا مِن أُنسِك. فسألتُه عنها، فقال: جاريةُ علي بن الجَهم.

وأخبَرني محمَّد بن إبراهيم الهمداني قال: أخبرني مولى لمحمد بن عبد الله بن طاهر قال: قرأتُ رُقعةً لمولاي إلى بعضِ إخوانه: يا أخي مددْتَ يداً إلى المودَّة مُبتدئاً فشكَرناك، وشفعتَ ذلك بشيء من الجَفاء فعذَرناك، والرجوعُ إلى محمود الوداد أولى بك من المُقام على مَكروه الصدِّ.

وكتبَ بعضُ الظُّرفاء إلى صديق له: أيَّدَكَ اللهُ بوفَاء الأدبِ من النَّزعِ إلى الجَفاء، وجعلَ آخرَ سخطِك موصولاً بأوَّلِ الرِّضاء.

وكتبَ بعضُ الأدباء إلى صديق له يستَعتبُه على جَفاء كان منه: ليسَ من تَدبيرِ

من شَمَلَته أُبّهةُ الحِكَم، وسَمَت به معالي الهِمَم، أن يَعطِفَ على عُهـودِ صديقٍ بعُقوقٍ، ولا تَضمحِلَّ واجباتُ الحُقوقِ، ولا تُغيِّره نُوَبُ أيامِه عن رِعاية ذِمامه، والسلام.

وكتب آخر إلى صديق له: بدأتَنا بمودةٍ عَن غيرِ خيرةٍ، وهجرتَنا من غيرِ سببٍ يُوجِبُ طولَ الهِجرةِ، وقد أطمَعنا أولُك في إخائـك، وآيَسنا آخـرُك مِن وفائِك، فسبحانَ مَن لو شاء كشَفَ باليقينِ مِن الرأيِ عن غيرِ سِمةِ الشكوكِ في أمرِنا، فأقَمنا على ائتلافٍ، أو افترَقنا على اختلافٍ، والسلام.

وكتب سعيد بن حُمَيد[1] إلى بعض الكتّاب: بلَغَني حُسـنُ مَحضـرِك، فغيرُ بديعٍ من فضلِك، ولا غريبٍ عندي من بِرِّكَ، بل قليلٌ اتَّصلَ بكثيـر، وصغيـرٌ لحِقَ لكبيـر، حتى اجتمَعَ في قلبٍ قد وُطِّن لِمودّتِك، وعُنُقٍ قد ذَلّت لطاعتِك، وليسَ أكبرَ سؤلِها وأعظَمَ أرَبِها، إلا طولُ عمرٍ بقَاء النِّعمةِ عليك، والسلام.

وكتبَ بعضُ الكتّاب الى صديقٍ له: ما زالَ ما أحمَدُ من عَواقبِ رأيك، وأشبَّهُ مِن وفائِك، حتّى وثَِقَ في ضَميري من مودّتِك، ما استجدَني لطاعتِك؛ واستوَى عليَّ من مُوافقتِك، ما سهَّل عليَّ سبيلَ عَتبك، فما أسلُكُ بِغَلَبَةِ الهَوى طريقاً إلا إلى رِضاك، ولا أستعينُ بِهواك مِنك عليك إلا كانَ عوناً عليَّ لك، ولنِعمَ المستعبِدُ لي أنتَ على المحامِد، واكتسابِ سنَا الفوائدِ، ولذلك أقول: [من الطويل]

علـيَّ رَقيبٌ مِن هواكَ يَقودُني	إليكَ على الحالاتِ في السُّخطِ والرِّضَى
وليسَ هواي حيثُ لا يَستحقُّه	ولـكن هَواي حيثُ كانَ لك الهَوى
لِسانـي رَهينٌ بالـذي أنـتَ فاعلٌ	ورأيي مَوصـولٌ بمـا كُنْهَـهُ تَرى

[٢٠١]

(١) سعيد بن حميد: ابو عثمان. من أولاد الدهاقين، وولاؤه في بني سلمة بن لؤي. ولد ببغداد في أخريات القرن الثاني. كتب لأحمد بن الخصيب وزير المنتصر ٢٤٧هـ، وقلده المستعين ديوان الرسائل حتى خلع المستعين توفي في ٢٥٢هـ أو بعدها. (الأغاني ١٨: ١٥٤، الهيئة العامة).

ومـا زِلـتَ لي عونـاً برأيٍ مُوَفَّقٍ   على صِلةِ القُربَى بهَـدْيِ أُولـي النُّهى

وكتبَ الحسنُ بنُ وهب[2] إلى محمد بن عبد الملك[3]: سُروري، أعارني الله حياتَك، إذا رأيتُك كوحشتي لك إذا لم أرَك، وحفظـي لك في مَغيبك، كمودَّتي لك في مَشهدِك، وإني لَصافي الأديمِ غيرُ نَغِلٍ[4] ولا مُتغيِّر. فامنَحني من مودَّتِك، مُزْنَ لذاذةِ مَشرَبِك. وكن لي كأنَا، فوالله ما عُجتُ عَن ناحيتِكَ، إلا وأنا محنيّ الضُّلوعِ إليك، والسلام.

فكتب إليه محمد: يا أخي ما زُلتُ عَن مودَّتِك، ولا حُلتُ عن أُخُوَّتِك، ولا استبطأتُ نفسي لك، ولا استزدتُها في محبتِّك. وإنَّ شخصَك لماثلٌ نُصبَ طَرفي، ولقَلَّ ما يَخلُو من ذِكرِك قلبي، ولله درُّ الذي يقول[5]: [من الطويل]

أما والـذي لو شاء لم يَخْلُـقِ النَّوى   لئِن غِبتَ عن عَيني لَما غِبتَ عن قَلبي
يُذَكِّرُنِيكَ الشَّـوقُ حتَّـى كأنني   أُناجيكَ مِن قُربٍ وإن لم تكُن قُربي

وكتـب بعضُ الكتَّـابِ إلـى صَديـقٍ له تبيَّن منه جَفـوةً: سيِّدي، ألزمتَـني الخُضوع، وحـرَّمت علي الهُجوع، وأضرمتَ ناراً بين الضُّلوع، فتركتَني فيك لائذاً بالعَدوّ، وممنوعاً من السُّلوّ، مُنخفِضاً مِن العُلوّ، بمنزِلـة من خان وُدّاً، أو نقض

---

(٢) الحسن بن وهب: أبو علي، كان يكتب لمحمد بن عبد الملك الزيات وقد ولي بعد ذلك ديوان الرسائل كان شاعراً بليغاً فمترسلاً فصيحاً واحد الظرفاء المولعين بالغلمان. وكان يعنى بأبي تمام، وولاه بريد الموصل ٢٣٠هـ. مدحه البحتري وأبو تمام، مات في أواخر أيام المتوكل بالشام وهو يتقلد البريد بنواحيها. (معجم الأدباء ٣: ٢٢١).

(٣) محمد بن عبد الملك الزيات: أبو جعفر، يعرف بابن الزيات لأن جده كان يبيع الزيت في بغداد. استوزره المعتصم والواثق وكان مخاصماً للمتوكل. فلما ولي هذا الأخير نكبه وعذبه في التنور الذي كان اتخذه ابن الزيات لتعذيب المصادرين من الوزراء والكتاب إلى أن مات ٢٣٣هـ. توثقت علاقاته برجال الأدب واشهرهم الجاحظ. اخباره منثورة في كتب التاريخ والأدب (الأغاني ٢٠: ١٤٤ الهيئة العامة، معجم الشعراء ٣٦٥، الوافي ٤: ١٣٢).

(٤) نَغِل الأديم: فساد في الدباغ.

(٥) البيتان في ديوان صريع الغواني ٥٧، وفيهمـا اختـلاف في البيت الثاني. يذكرنيك: يوهمنيك. كأنني: كأنما. اناجيك مَن: أناجيك عن.

عَهداً، أو أخلف وعداً، أو أظهر صداً، أو جحَد يداً، أو كفَر عارفةً، أو غَمَطَ نِعمةً سافةً. سيِّدي! لمَّا اشتغلَت بك النفسُ القَلِقةُ، والعينُ الأرِقةُ، حلُتَ عن محمود

سيِّدي: لمَّا اشتغلَت بك النفسُ القَلِقةُ والعينُ الأرِقةُ، حُلتَ عن محمود الوفاء، وزلَّتَ عن غيرِ إذنٍ يوجب عقُوبة المُجترِم، وغيرِ سبب يَقدحُ في مودَّة العبدِ المُهتضَم، الذي تُوقِعهُ جَريرتُه، وتوبِقُه خطيئتُه، وتَحُلُّ به إساءتُه، وتَلزَمُه هفواتُه.

سيِّدي: أوقَعَني يسيرُ جَفائِك، وإعراضُ لَحَظاتِك، في بحارِ هُمومٍ، غريقُها غريقُ صبابةٍ وغُمومٍ. أخاطبُك بلِسانٍ يَعجزُ عَنِ المُخاطبةِ، وأكاتبُك بيدٍ لا تجري إلى المكَاتبة، وأناجيك بضمير الهيبةِ المُشاهدِ لك في الغَيبةِ، مناجاةَ مُغرَمٍ وصريعِ تجلُّدٍ، وحليفِ تَلدُّد[6].

سيدي: كلُّ عَذابٍ ووجدٍ جديدٍ، وسقَام عَتيدٍ، فهو في محبَّتك، والدَّوامُ على مودَّتك، يسيرٌ. فأما السبيلُ إلى وجه السرورِ فمتعذِّر، والخلاصُ في طُرقِ السلامةِ إلى الراحةِ فمستوعِرةٌ. قد غلَبَ الظَّماُ، وبَعُدَ الموردُ، وقلَّ العَزاءُ، وفُقِدَ الصَّبرُ، وانحلَّتِ العَزيمةُ، وبطَل الرأيُ، وثَبَتَ الهَوى، فتمكَّنَ في الحَشا. فلا مَحيصَ لعبدك عنك. ولا بدَّ له في حالة السُّخطِ والرِّضى منك.

سيدي: الرجوعُ إلى مَحمودِ الشِّيمةِ أشبهُ مِن العَودِ بالفضلِ، والتَّطوُّلِ بالوَصلِ أولى بالمَولَى من الوُقوفِ على الصَّدِّ الذي يَقدَحُ في النيَّةِ، ويُزيل عقدَ الطَّويةِ. وشَفيعي إليك، الذي أرجو نجاحَ الشَّفاعةِ، خُضوعي لك، واعتصامي بك، وانحطاطي في طاعتِك، ووقوفي بين يَدَيك مُستكيناً، مُتحيِّراً، مُعترِفاً. فإنَّ ذلك أبلغُ شَفيعٍ، وأنتَ فيما تَراه في أمري أكرمُ مولًى في كل حال، فأنَّه يتوقَّعُ جَوابَ كِتابه بما يَسكُن إليهِ، وتَتجدَّد بهِ النِّعمةُ عليه، فَحقِّقْ تأميلَه، وأكرِم صَفَدَه، وأقِم أوَدَه، وعُد في جَفائِه، إلى دوامِ صَفائه، والسلام.

---

(٦) تلدد: تلفت.

باب
ما ضمَّنوه كتبهم من الأشعار
وتكاتب به ذوو الظَّرف والأخطار

[٢٠٢] أنشدني بعض الأدباء: [من مجزوء الكامل]

هــذا كـتـابُ مُتيَّمٍ خطَّـتْ إليـك أناملُــهْ
مـزَج المِـدَاد بدَمعِـه فبـكتْ عليهِ عَواذلُــهْ
أنـتَ الـطبيـبُ فَداوِه يا مُبتَليهِ وقـاتلُـهْ

[٢٠٣] وقال آخر(١): [من الكامل الأحذّ]

هذا كتـاب فتىً له هِمَمٌ عطفَـت إليكَ رجـاءه هِمَمُهْ
غَلَّ الزَّمـانُ يَدَي عزيمته ورمـى به من حالـقٍ قَدَمُــهْ
أفضــى إليكَ بسِـرِّهِ قلمٌ لو كانَ يَعقلُـهُ بكَى قَلَمُهْ

[٢٠٤] وقال آخر(١): [من مخلع البسيط]

هذا كتابـي بدَمـعِ عيني أمــلاه قلبـي علـى بَنَاني
إلـى غَزالٍ كنَيتُ عَنه يَجِـلُّ عَن إسمــهِ لساني

---

[٢٠٣]

(١) الأبيات منسوبة لأبي الشيص في الشعر والشعراء ٧٢٢ (ط. الثقافة). وفي الأول والثاني اختلاف يسير. وهي في ديوان أبي تمام ٣٨٠.

[٢٠٤]

(١) في ديوان العباس بن الأحنف ٣٠٥.

[٢٠٥] (١) وقال آخر: [من الكامل]

هذا كتـاب أخـي هوًى وصبابةٍ   لا يستـطيعُ لِمَـا بهِ كِتمانَا
لاقَ الـدَّواةَ بعَبـرةٍ مَسفوحةٍ   كانـت لمُضمَـرِ لاعـجٍ عنْوَانا
قَرِحَ الفُـؤادُ تَعـودُه أشجانُه   لمَّـا بهِ بَخِـلَ الـطبيبُ وخَانا

[٢٠٦] وقال آخر(١): [من مجزوء الكامل]

هـذا كتـابُ متَيَّمٍ   يَشـكو الصَّبابَـةَ في كِتابِهْ
فـارددْ عليه جَوابَه   كي يستـريحَ إلـى جَوابِهْ
لـو كانَ يَنطِـقُ ذا الكتا   بُ شكَا إليك عظيمَ مَا بِهْ

[٢٠٧] وقال آخر: [من الكامل الأحذ]

هذا كتـابُ فتًـى شكَا سقَماً   ألِفَ السُّهـادَ فَشفَّـه سقَمُهْ
يَبـكي عليه جُفـونُ مُقلتِه   عددَ الحـروفِ وقـد بكى قَلَمُهْ
لولا مُراقبـةُ العَـدوِّ ومَن   أضحَـى مِنَ الرُّقبـاء يَتَّهِمُهْ
لبـكَى علانيةً وقـالَ لهم   بَرِحَ الخَفـاءُ وبـاحَ مكتَتِمُهْ

[٢٠٨] وقال آخر: [من مخلع البسيط]

هَذا كتابي إليكَ أشكُو   إن لم تَجُـدْ لي فَمـا احتيالي
كتبـتُ أشـكو إليكَ ما بي   مِمَّـا أقاسـي فمـا تُبالي
يا حَسَـنَ الوَجـهِ كُنْ شَفيعي   إليكَ إنْ لم أبُـحْ بحالي
ما ذكرَ القلـبُ منـكَ شيئاً   إلا تمثَّـلـتَ لي خيالي

[٢٠٩] وقال آخر(١): [من الكامل]

---

[٢٠٦]

(١) البيتان الأول والثاني في الحكايات العجيبة ٢١٥ وفي الثاني فاردد، ترد: ردوا.

[٢٠٩]

(١) البيتان في ديوان العباس بن الأحنف ٢١٠ وفي الأول اختلاف، مستهام: يا ظليمةُ.

هذا كتـابُ فتًـى لغَيبِـكَ حافظٍ صبٍّ بذِكرِك مُستهـامٍ مُدنَفِ
إنْ غِيـتَ آنسَ طرفَـه بدُموعِهِ وإذا أصابَـك طرْفُـهُ لم يَطرِفِ

[٢١٠] وقال آخر: [من الكامل]

هذا كتـابُ أخـي هوًى مُشتاقِ قَرِحِ الجُفُـونِ بدَمعِـه المُهرَاقِ
أملَـى هواه علـى بَنَـان يمينِه فأبـانَ كيفَ مَصَـارعُ العُشَّاقِ
وكأنَّـه يُنبـي بمـا في نفسِه من طولِ شَوقٍ واكتئـابٍ باقِ

[٢١١] وقال آخر: [من الكامل]

هذا كتـابُ مُتيَّمٍ مُشتاقِ يشـكو إلـى مُستظـرفٍ ذوَّاقِ
أهـدَى له الهِجـرانَ بعـدَ تَواصُلٍ وكذاك فِعـلُ الخائـنِ المَذَّاقِ
ما هكَذا فِعـلُ الـكِرامِ فأجمِلي وتحرَّجـي أن تَنقُضـي ميثاقي
وارثِـي لصَـبٍّ هائـم قَد شفَّه طولُ النَّحيبِ وشـدَّةُ الإقلاقِ

[٢١٢] وأنشدني إبراهيم بن محمد لنفسِه: [من الكامل]

هذا كتـابُ مُتيَّمٍ في قلبِه نارٌ تَضَـرَّمُ بُكرةً وأصيلا
فإذا قرأتَ كتابَـه فاجعَـلْ لَه بعدَ الصُّدودِ إلـى الوِصـالِ سَبيلا
فلقَـد تركتَ فؤادَه في غَمرةٍ وتركتَ في الأحشـاء منـه غَليلا
ولقَـد تبـرَّمَ بالحَياةِ وطُولِها وعسَـى مَداه أن يكون قَليلا
لا تُغـرِينَّ به رَدَاهُ وَحَيْنَهُ حاشـاكَ أن تُردي يَداك قَتيلا
حاشـاكَ من قَلَـقٍ أطـارَ رُقادَه فأبَـى الرُّقـادَ فمـا يَلَـذُّ مَقيلا

وأنشدني أيضاً لنفسه: [من مخلَّع البسيط]

هذا كتابـي إليكَ فاقْرأ كتَـابَ ذي صَبـوةٍ عَميدِ
أقلَقَـه شوقُـه المُعنِّي وهَـدَّهُ لَوعَـةُ الصُّدودِ
لكنَّـه في الظَّـلامِ يَبكي بُكاءَ ذي الفَقْـدِ للفَقيدِ
إن كنـتَ غَضبـانَ فارضَ عني رِضَـى الموالـي عَنِ العَبيدِ

[٢١٣] ولأبي الطيّب في هذا المعنى: [من مخلع البسيط]

هذا كتابي إليكَ فاقرأ كتابَ من شفّهُ السّقامُ
وارثِ لسقمي وطُولِ صَبري فقد وَهَت مِنّي العِظامُ
ولا تُرِد قتلتي وهَجري فقتلُ حِلفِ الهَوى حَرامُ

[٢١٤] وقال آخر: [من الخفيف]

أثرُ المَحوِ في سُطورِ كتابي شاهدٌ لي بعَبرةٍ وانتحابِ
وبكائي يَدُلّ أنّي سقيمٌ خاضعٌ للهَوى طويلُ العَذابِ
أنا بينَ الرجاء واليأسِ وَقفٌ لستُ أدري بما يكون جوابي
فإذا اشتقتُ أن أراكَ أناجي فرجَ الله لي مِن الحُجّاب

[٢١٥] وقال آخر: [من الكامل]

غَضِبَتْ لِمَحوٍ في الكتابِ كثيرِ قالت أرادَ خيانتي وغُروري
كَتْبَ الكُتّابَ على خلافِ ضَميرِهِ والمحوُ فيه لعِلّةِ التّغييرِ
ما كانَ دَمعيَ للغُرور وظَنّكم كلّا ولا للسّهو والتّقصيرِ
كَتَبَتْ يَميني والدُّموعُ هَواطلٌ حذَرَ الفِراقِ لما يُجِنّ ضميري
فالمحوُ من قِبَلِ الدُّموعِ وإنّما تَجري دموعُ العاشقِ المَهجورِ

[٢١٦] وقال آخر: [من المنسرح]

ما زِلتُ أبكي وفي يَدي قلَمٌ حتّى استهلّت مَدامعُ القَلَمِ
أكتُمُ وَجدي والدمعُ يُظهرُهُ بِواكفٍ كالجُمانِ مُنسَجِمِ
ما زِلتُ خِلواً مِنَ الهَوى فلقَد عذّبني من هَوِيتُ بالسَّقَمِ
يا سيّداً تاهَ ما يكلّمُني نِمتَ وعينُ الشّجيّ لم تَنَمِ
أنا قتيلُ الهَوى وميّتُهُ لا عذّبَ اللهُ قاتلي بدمي

[٢١٧] وقال آخر: [من الكامل]

إنّي رَفعتُ إليكِ قِصّةَ عاشقٍ ورجوتُ عدلَكِ فانظُري في قصتي

ولقـد كتبـتُ ودمـعُ عينـي ساكبٌ فإذا قرأتِ فأحسِنِـي وتَثَبَّتِي
إنَّ الدمـوعَ تفجَّـرت فتَحدَّرَتْ منهـا فنـونٌ في صِفـاتِ مودَّتي
لا فرَّجَ اللهُ الصَّبابـةَ والهَوى عنـي، ولا زَالَـت عليكِ مَجَنَّتي

[٢١٨] وقال آخر[1]: [من الكامل]

أمـا الرسـولُ فقَـد مضَـى بكتابي يا ليتَ شِعـري ما يكون جَوابي!
وتَعجَّلَـت رُوحـي الظُّنـونَ وأُشرِبَتْ طمـعَ الحـريصِ وخَشيةَ المُرتابِ

[٢١٩] وقال آخر: [من الخفيف]

أسـألُ اللهَ خيرَ هذا الكتابِ قد أتانـي برَحمـةٍ وعذابِ
أشتهـي فَكَّهُ فأفـرَقُ مِنهُ ففُـؤادي مُفـرَّقُ الأسبابِ

[٢٢٠] وقال آخر: [من مخلع البسيط]

كتـابُ صبٌّ بدَمـعِ عينٍ يُمِلُّـهُ قلبُـه الكئيبُ
يكتُبُـه كفُـهُ بضَعفٍ ومـا لَهـا في الهَـوى نَصيبُ

[٢٢١] وقال آخر: [من الكامل]

أمَّـا الكِتـابُ فقَـد مضَـى وأمامَهُ خوفُ الـرَّقيبِ وسَطـوَةُ الحُجَّابِ
طَلَـبَ الجـوابَ فأحسِنُـوا في وُدِّكم لا تَبخَلـوا عنـي بردِّ جَوابِ
هل تُنقِـذون مُتيَّمـاً ذا صَبوةٍ أضحَـى أسيرَ تذكُّرٍ وتَصابي؟
جُودُوا عليه برَحمـةٍ وتَعَطُّفٍ فلقَـد أطلتُـم بالصُّـدودِ عَذابي
أمَّـا الكتـابُ فمِـن كَئيبٍ عاشـقٍ كَلِفِ الفُـؤادِ مُواصَـلِ الأوصابِ
لكنَّـه غـادٍ إلـى ذي سَلوةٍ مُتعتِّبٍ في غيرِ كُنـهِ عِتابِ

---

[٢١٨]

(١) البيت الأول في معجم الشعراء ٢٨٨ مقلوب الشطرين، وينسب لعلي بن يقطين مولى بني أسد. وهما من خمسة أبيات منسوبة لمحمد بن أمية في الاماء الشواعر ٥٦. ويرد الأول مقلوباً والثاني على النحو التالي:

وتقسمـت نفسـي الظنـون وأشعرت طمـع الحـريص وخيفـة المرتـاب

[٢٢٢] وقال آخر: [من البسيط]

لولا الكتابُ الذي جاء الرَّسولُ به ... مِنَ الحبيبِ لَذابَ القلبُ واحترَقا
جاء الرَّسولُ على يأسٍ بموعِدِهِ ... وقد قَضيتُ فأحيَا لي به رَمَقا

[٢٢٣] وقال آخر: [من الوافر]

صلِيني بالكِتابِ وبالسَّلامِ ... وزُوري زَورَةً في كلِّ عامِ
وجُودي بالكِتابِ وعَنْوِنيهِ: ... إلى الصَّبِّ الكئيب المستهامِ
من الشمسِ المنيرةِ يوم دجنٍ ... وبدرٍ لاحَ من بين الغمامِ
وناحِلةٍ فَديتُكِ يا مُناي ... أماناً للفُؤاد من الغَرامِ

[٢٢٤] وقال آخر: [من الوافر]

كتبتَ إليَّ يا روحي كِتاباً ... فوافَقَ مُنيتي وبُلوغَ سُولي
ولولا العيبُ هِمتُ إليك لمَّا ... تَناولتُ الكتابَ مِنَ الرَّسولِ
مخافةَ نظرةٍ من عينِ واشٍ ... وتَشنيعِ المَقالةِ بالخليلِ

[٢٢٥] وقال آخر: [من الخفيف]

لم يزِدني الكتابُ ألا اشتياقاً ... واشتعالاً مِنَ الهَوى في ضميري
بأبي أنتِ يا حبيبةَ قلبي ... ومُناي وغايَتي وسُروري

[٢٢٦] وأنشدني أبو عبد الله الواسطي لنفسه: [من الوافر]

كتبتَ إليَّ تَذكُرُ ما تُلاقي ... مِنَ الشَّوقِ المُبرِّحِ والفراقِ
لعَمْرُكَ ما اتَّهمتُك في وِدادٍ ... ولكِن لم تُلاقِ كما أُلاقي
فؤادي هائمٌ والعينُ تَذري ... دموعاً تَستَهِلُّ من المآقي
وقد ذُقتُ الفِراقَ وكان مُرًّا ... كريهاً طَعمُه عندَ المَذاقِ
على أني وإن أبديتُ صَبراً ... على حَدِّ الصَّبابةِ غيرُ باقِ

[٢٢٧] وقال آخر[1] : [من الكامل]

قُولا لِمَن كتبَ الكتابَ بكفِّهِ إرحَم فَدَيْتُك ذِلَّتي وخُضوعي
ما زِلتُ أبكي مُذ قرأتُ كِتابَها حتَّى محَوتُ سُطورَه بدُموعي

[٢٢٨] وقال آخر: [من السريع]

الدَّمعُ يَمحُو ويَدي تَكتُبُ عن الهَوى وامتنعَ المَطلبُ
أمارَ خدِّي قمرٍ زاهرٍ إليهِ من زَهرتِه المَذهَبُ
لقَد بَراني سَقَمٌ قاتلٌ وهَدَّ جِسمي دَنَفٌ مُنصِبُ

[٢٢٩] وقال الحسن بن وهب[1]: [من مجزوء الرمل]

يا مُناي وسُروري جُهدُنا غيرُ يَسيرِ
والذي نشكوه في الكُتْبِ قليلٌ مِن كَثيرِ
لم تُطِقْ التنا مِن وَصفِه عُشرَ عَشيرِ
فثِقي يا بابي أنتِ بمكنونِ الضَّميرِ
ثُمَّ قولي مَطلعَ الجوزاءِ والشِّعرَى العَبورِ[2]
حَفِظَ اللهُ فتًى باتَ لها خيرَ سَميرِ

---

[٢٢٧]

(١) البيتان في ديوان العباس بن الأحنف ٢٠٢ وفي الثاني ترد: كتابكم عوضاً عن كتابها.

[٢٢٨]

في ديوان علي بن الجهم ١٠٨ دون الثالث.

[٢٢٩]

(١) هذه الابيات في الشعراء الكتّاب في العراق ٢٥٥، ومصدرها الوحيد الظرف والظرفاء. ولعلها مثل الكثير من الأبيات التي يوردها الوشاء دون غيره.

(٢) الجوزاء: أحد الأبراج. الشعرى: الكوكب الذي يطلع في الجوزاء. وفيهما قال ابن المعتز، (سرور النفس ١٣٩):

ولاحت الشعرى وجوزاؤها كمثل زجٍ جرّهٌ رامحُ

[٢٣٠] ولبعض المُحدثين: [من الطويل]

من الوَهـم مِن آثـار قبـرٍ مُسَنَّمٍ وهـامٍ تَرَى قبـرِ القتيل المُتَيَّمِ (١)
ومِن طللٍ للشَّـوقِ لم يَعفُـه البِلى ونُـؤْيٍ وَفـاءٍ ليسَ بالمُتَهدِّمِ
إلـى زينـةِ الـدنيـا ومُنيةِ أهلِها وأحسَـنِ مَن يَزهـو بطَـرفٍ ومِبسَمِ
وأملـحِ خَلـقِ اللهِ قَدّاً وصُورةً ودلّاً وإدلالاً على حُبِّ مُغرَمِ
سلامٌ علـى مَن شَفَّنـي وأذابني وأسـكنَ قلبـي كُلَّ وَجـدٍ ومأْلمِ
ووكَّلنـي بالنجـمِ أرعَـى أُفولَه وأندُبُـه بالدَّمعِ طَوراً وبالـدَّمِ
واحمَـدُ مَن أبلَـى شَبابـي بحُبِّكُم علـى البُـؤسِ والسَّراءِ حينَ التَّنعُّمِ
وبعـدُ فَقَـد واللهُ يا سُولَ عَبدِها ومولاته أنضَجـتِ أحشـايَ فاعلَمي



---

[٢٣٠]

(١) الهـام واحدتها هامة: نوع من البوم تألف القبور والأماكن الخربة. وللهامة جذور ميثولوجية.

ومما ضمَّنوه كتبهم من السلام

وجعلوه تِلواً للشعر والنِّظام

[٢٣١] [من الطويل]

عَليكِ سلامٌ لا سلامَ مُودِّعٍ ... ولـكن سلامٌ لم يكُن آخِـرَ العَهدِ
سلامُ مُحِـبٍّ خانَـه حُسْـنُ صَبره ... فأصبـحَ في كربِ الحياةِ وفـي جُهدِ

[٢٣٢] آخر: [من الطويل]

عليكِ سلامُ اللهِ ما هَبَّـتِ الصَّبَا ... ومـا قرقَـرَ القُمْـريُّ في وَرَقِ السِّدرِ[1]
سلامُ سَقيمٍ مُدنَفِ القلـبِ مُقرَحٍ ... مَشُومٍ عليلٍ مُشعَلِ القلـبِ بالجمرِ

[٢٣٣] آخر: [من الطويل]

عليكِ سلامُ اللهِ ما لاحَ كَوكَبٌ ... بأُفقٍ لِسـاري الليلِ واستوسَقَ البَدرُ
سلامُ غريبٍ شَفَّـه الوجـدُ والهَوى ... وبَيل حَشـاه الهـمُّ والـذِّكرُ والعُسرُ

[٢٣٤] آخر: [من الطويل]

عليكِ سلامُ اللّـهِ هل أنـا مَيّتٌ ... بداء هَواثِيكِ الشقـيُّ المُقلقِلِ
فعيشـي بخَيرٍ واسلمـي ليسَ حبُّكُم ... ولا الوَجـدُ عنـي ما حَيِيتُ بمُنجلي

---

[٢٣٢]

(١) الصَّبا: ريح، ومهبها المستوي أن تهبَّ من موضع مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار ونحتها الدبور (الصحاح).

القمري: نوع من الحمام. والسِّدر: النبق.

[٢٣٥] آخر[1]: [من الطويل]

عليكِ سلامُ اللهِ أمَّا قلوبُنا فمَرضَى وأمَّا وُدُنا فصَحيحُ
نَبِيتُ بوُدٍّ خالصٍ وصبابةٍ ونَغدُو بحُبٍّ صادقٍ ونروحُ

[٢٣٦] آخر: [من الطويل]

عليكِ سلامُ اللهِ قد شطَّتِ النَّوى وقد كدتُ ألقى الله من كمدٍ جُهدا
أموتُ بوَجدٍ مُضمَرٍ وصبابةٍ وأزدادُ إن زِدتُّم على نأيِكم صَدّاً

[٢٣٧] آخر: [من الطويل]

عليكِ سَلامُ اللهِ قد مُتُّ صَبوةً وما لي عَزاءٌ مُذ نأيتِ ولا صَبْرُ
أرَى الصَّبرَ عنكم كاسمِه مُذ نأيتُمُ فقَد، وجَلالِ اللهِ، ضاقَ بهِ الصَّدْرُ

[٢٣٨] آخر: [من الطويل]

عليكِ سلامُ اللهِ قلبي مُتَوَّقٌ وجِسمي نَحيلٌ والمَدامعُ تَذرِفُ
ومثلُ الهَوى أضنى الحَشا وبمثلِ مَا بُليتُ به تُشكَى القُلوبُ وتُشعَفُ

[٢٣٩] وقال آخر: [من الطويل]

عليكِ سلامُ اللهِ قَدْرَ صَبابتي إليك وشَوقي انَّني مُدنَفُ القَلبِ
أبيتُ حليفَ الهمِّ والوجدِ والأسَى رهينَ يَدِ الأحزانِ والشَّوقِ والكَرْبِ

[٢٤٠] آخر: [من الطويل]

عليكِ سلامُ اللهِ ما حن آلفٌ وما اشتاقَ ذُو وجدٍ وما طَلَعَ الفَجرُ
سلامُ مَشوقٍ نحوكم متطَلِّعٍ أخي حسَراتٍ خانَه فيكُم الصبْرُ

---

[٢٣٥]

(١) البيتان في في الوحشيات ٢٩٣ دون نسبة.

باب
ما كتبوه على العنوانات
وسلكوا به سبيل المداعبات

[٢٤١] [من الوافر]

إلـى سِتّي ومالـكتـي ورُوحي   من الجسـدِ الطّـريحِ بغيرِ رُوحِ

[٢٤٢] آخر: [من الوافر]

إلـى الشـمسِ المُنيرةِ حين تَبدُو   غَداةَ الدَّجـنِ مِن بينِ الغُيومِ
من الصَّبِّ الـكئيبِ أخـي التَّصابي   حليفِ الشَّـوقِ مُختَبسِ الغُمومِ

[٢٤٣] آخر[1] [من الوافر]

من الـدَّنِفِ الـذي يُضحـي حزيناً   وبينَ ضُلوعِـهِ قلـبٌ مُصابُ
إلـى الخَـودِ التـي أبلـت شبابي   فأضحَـى ما يَسيغُ ليَ الشَّرابُ

[٢٤٤] آخر: [من الطويل]

[و] مِنّـي إلـى قلبـي ولـمْ أرَ كاتباً   يَخُـطّ بأقـلامٍ إلـى قلبِـهِ قَبلي
أرَى كلَّ شيءٍ بالياً مُتغيِّراً   وحبُّـكِ لا يَبلَـى ولكنّـه يُبلي

[٢٤٥] آخر: [من البسيط]

مِنّـي إليكِ فإنّـي هائـمٌ دَنِفُ   حِلفُ السَّقامِ برنـي الشَّـوقُ والأسَفُ

---

[٢٤٣]

(١) البيتان في ديوان العباس بن الأحنف ٥٦ .

النَّفسُ ذاهبةٌ والعقلُ مُختَلَسٌ والقلبُ مُختَبَسٌ والروحُ مُختَطَفُ

[٢٤٦] آخر: [من البسيط]

مِنّي إليكِ فما وَجدي بمُنصرِمٍ حتّى المماتِ وما قلبي بمَعذورِ
ولو رأيتُكِ يوماً لانقضَى حزَني وعادَ عيشي صفواً بعدَ تَكديرِ

[٢٤٧] آخر: [من البسيط]

مِنّي إليكِ فإنّي هائمٌ قَلِقٌ حليفُ هَمٍّ قرينُ العَينِ بالسَّهَدِ
اللهُ يعلمُ ما بالقلبِ من قَلَقٍ إذا نأيتِ وما ألقاهُ مِن كَمَدِ

[٢٤٨] وقد مضَى من هذا الباب ما فيه كِفايةٌ، ولو ذهبتُ إلى تطويلِه لم يكن لآخرِهِ نِهايةٌ. وقد أحبَبتُ أنْ أختِمَ كتابَنا بأشياء يَستحسِنُها الظّرفاء، ويَميلُ إليها الأدباء، ممّا يُكتَبُ على الأقلام مِن النُّتَفِ ومَليحِ المُقطَّعات والظُّرَف. وأنَا ذاكرٌ في ذلك بَعض ما استَحسَنتُهُ، ومُلَحاً ممّا استَرقَقتُه، إنْ شاء الله. وقد جمَعنا في هذا الفصل أشياء من مستظرَفات الأشعارِ، ومُستحسَنِ الأخبار، ومُتنخَّلِ الأبيات، ومُنتَخَبِ المُقطَّعات، ونوادر الأمثال، ومُلَحِ الكلام الذي يجوز كتابتُه على الفُصوصِ والتُّفّاح، والقناني والأقداح، وفي ذُيول الأقمصة والأعلام، وطُرُزِ الأرديَة والكِمام، والقَلانس، والكَرازن[1]، والعَصائِب والتكك والوِقايات. وعلى المَناديلِ والوَسائِدِ والمخادّ والمقاعِد، والمناص[2] والحُلَل، والأسرّة [والكلل][2]، والرَّفارف ووجوهِ المُستظرَفات، وفي المجالِس والإيوانات، وصُدور البيوت والقِباب، وعلى السُّتورِ والأبوابِ، والنِّعال السِّنديَّة، والخِفاف الزّنّانيّة، وعلى الجِباه والطُّرَر[3]، وعلى

[٢٤٨]

(١) الكرازن: مفردها كرزن. وهو التاج المرصع بالذهب والجواهر.

(٢) المناص: واحدتها منصة، المكان المرتفع يوقف فيه، أو الدكة او الكرسي تجلس عليه العروس في جلوتها. والكلل: في الأصل والتكك، وأبدلت الكلمة بما يقتضيه السياق.

(٣) الطرر: واحدتها طرة من الشعر تقطع للجارية من ناصيتها أو هي الشعر على الجبين (فقه اللغة).

الخُدود بالغاليةِ والعنَب وعلى الوَطأة[4] والوِشاح، وفي تَفليجِ الأُتْرُجّ والتُّفاح، وممّا يُعْدَل به مِن تَنضيدِ الوردِ والياسَمين، ويُكتَب على أواني الذّهب، والفِضّة والسّكاكين، وقُضبان الخيزُرانِ المَدْهُونةِ، والمَخادّ الصينيّة، والمَراوح، والمَذابّ، والعيدان، والمَضارِب، والطُّبول، والمَعازِف، والنّايات، والأقلام، والدّنانير، والدّراهِم، وجعلنا ذلك أبواباً مُبَوَّبةً، وحدوداً مبيَّنةً، لِتَقفَ على أصولِها، وتَتبينَ حُسن فصولِها.



(٤) الوطأة: بساط أو ما شاكله توضع على الأرض يقعد عليها.

باب
ما يكتب على الفصوص

[٢٤٩] نقَش بعضُ الظّرفاء الصوفيّة على خاتمَه: [من الرمل]

أنَـا للّـهِ وبـاللّـهِ أنَـا، أنـا واللّـهِ مُقِـرٌ بالفَنـا

[٢٥٠] آخر: [من السريع]

قـد فاز بالطّاعـةِ من نالَها نَعِّمَـتِ الطاعـةُ عُمّالَها

[٢٥١] آخر: [من مجزوء الخفيف]

أعـددتُ لـذنبي حُسْنَ ظني بربـي

[٢٥٢] آخر: [من الرمل]

ختـم الله بخيرٍ عملي وتوفّانـي علـى حُبِّ علي

[٢٥٣] آخر: [من السريع]

حبُّ علـيّ بن أبـي طالبِ فَرضٌ علـى الشّاهـدِ والغائبِ

[٢٥٤] آخر: [من مجزوء الكامل]

[و] بحُبّ آلِ محمّدٍ ألقى إلهَ مُحمّـدِ

[٢٥٥] آخر[من مجزوء الخفيف]

انـا باللـهِ قانعٌ ان ربـي لصانعُ

[٢٥٦] آخر: [من مجزوء الخفيف]

أنـا باللّـهِ واثـقٌ إنّ ربـي لَـرازِقُ

[٢٥٧] آخر: [من مجزوء الرمل]

اتـرُكـانـي والمَعاصـي وعلـى اللّـهِ خَلاصـي

[٢٥٨] آخر: [من مجزوء الرمل]

مـــا علينَـــا مِن جُناحٍ فِي هَوى البِيضِ المِلاحِ

[٢٥٩] آخر[1]: [من مجزوء الرجز]

أُحِـــبُّ مَـــن يَهـوَانـي بِرُغـمِ مَـــن يَنهانِـــي

[٢٦٠] آخر: [من مجزوء الرمل]

آفَـةُ عقلـي بَصَـرِي ولَــه عَقلـي نظَــري

[٢٦١] آخر[1]: [من السريع]

تحـت ثِيابـي بَدَنٌ ناحِلٌ وفـي فُؤادي شُغُـلٌ شاغِلُ

[٢٦٢] آخر: [من السريع]

أمسيتُ عبـداً لكَ لا أجحَدُ أنـا مُقِـرٌّ والهَـوى يَشـهَدُ

[٢٦٣] آخر: [من مجزوء الخفيف]

أنــا مَولـىً لأهـلِ «هَلْ» من تَوالاهُـمُ عَقَلْ

يعني: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسانِ﴾[1] لأنّها نزلت في عليّ.

---

[٢٥٩]

(١) في مصارع العشاق ٢: ٧، وفيه: احببت.

[٢٦١]

(١) البيت في حماسة الظرفاء ٢: ١١٩ وفي الوافي ٧: ٢٩٧ لأحمد بن قرة.

[٢٦٣]

(١) الانسان، آية ١، وتمامها: ﴿هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً﴾.

ومما ينقشه أهل الحزم على خواتيمهم

[٢٦٤] القَناعةُ خيرٌ مِنَ الضَّراعةِ.

التقلل خيرٌ مِنَ التذلُّل.

السَّلامةُ خيرٌ مِنَ النَّدامةِ.

الأسفُ أهونُ مِن التكلُّفِ.

بادِرِ الفرصةَ قبلَ أنْ تكونَ الغُصَّةُ.

الهَرَبُ قبلَ الطَّلب.

الفِرارُ قبلَ الحِصار.

الرُّجوعُ قبلَ الوقُوع.

[٢٦٥] وفي ضرب آخر

لكلِّ حقٍّ حقيقةٌ، ولكل زَمانٍ خَليقةٌ.

القَصدُ أقربُ منَ التعسُّفِ.

الكفُّ أحرى من التكلُّف.

الموتُ مُعتَبَرٌ، والسبيل مُحتضَر.

الحق يُنجِي، والبَاطل يُردي.

النُّصحُ مَلامة، والتَّصريح سلامةٌ.

الأمَلُ يُلوي، والشَّيطان يُغوي

لكلِّ امرِىءٍ طريقةٌ، ولكل عاملٍ وثيقةٌ.

بطُولِ التَّجاربِ تكَشَّفُ المآرب.

طولُ الاعتبارِ مِن حُسن الاختيارِ.

فوْتُ الأمَلِ أشدُّ من حضورِ الأجلِ.

[٢٦٦] ومما ينقشه أهل الهوى على خواتيمهم

مَن كثُرَت لَحظَاتُه دامَت حسَراتُه[١].

مَن تَداوَى بدائِه لم يَصل إلى شِفائه[٢].

من قدَّمَ هَواه دام أساه[٣].

العَقل عندَ الهَوى أسيرٌ والشَّوقُ عليهما أميرٌ[٤].

إذا كثُرَ الجفَاء قلَّ الوَفاء.

إذا صحَّ الظَّفَر وقَعَت الغِيَر[٥].

إذا صحَّت القلوبُ اغتُفِرَتِ الذُّنوبُ.

قلَّ مَن سَلا إلا استفزَّه الهَوى[٦].

من مُنِعَ مِنَ النَّظرِ اقتصرَ على الأثر[٧].

مَن مُنِعَ مِنَ الوِصال قَنِعَ بالخَيال[٨].

[٢٦٧] وفي ضرب آخر

الحَينُ خير مِنَ البَين.

---

[٢٦٦]

(١ ـ ٨): هذه الأقوال المشار إليها واردة جميعاً في كتاب الزهرة عناوين لفصول منه. وهي في فهرست المحتويات، وفي الصفحات ٨، ٢٩، ٣٣٠، ١٨، ٤٤، ١٦٣، ٢٦٦، ٩٧.

القبرُ أفسحُ مِنَ الهَجر.

الموتُ خيرٌ مِنَ الفَوت.

غُصَصُ الفِراقِ شرٌّ مِنَ السِّباق.

كأسُ الهَجرِ أمرُّ من الصبّر.

طولُ الجَفاء يُكدِّرُ الصفـاء

حُسنُ الوَفاء رُكنُ الإخاء.

آفةُ الحَبيبِ نظرُ الرَّقيب.

آفةُ الغَزَل سُرعةُ المَلَل.

الهَوى ثوبُ الضَّنى.

نَصَبُ الفِراقِ [illegible].

[٢٦٨] وفي ضرب منه آخر

حفيَ فلفيَ.

أَلِفَ فتلِفَ.

حَنَّ فأنَّ.

حَظِيَ فرَضِيَ.

عَشِقَ فزَهِقَ.

هَوِيَ فضَنيَ.

صُرِمَ فظُلِمَ.

صُدَّ فجدَّ.

صبرَ فقَدَرَ.

مُنِعَ فَجزعَ.

نالَ فاستطالَ.

باحَ فاستراحَ.

سَلا فقَلا.

مَلَكَ ففتَكَ.

عدلَ فقتَلَ.

عفَّ فَكَفَّ.

[٢٦٩] وكانَ الحَسنُ بنُ وَهب تعشَّق جاريةً يقال لها ناعمُ، فنكسَ اسمَها ونقَش على خاتَمه: مُعان، وذَكرَ ذلك في أبياتٍ يقُول فيها: [من المتقارب]

نَقَشتُ «مُعاناً» على خاتَمي لِكيمَا أعانَ على ظالمي

كذَا اسمُ مَن هامَ قَلبي بهِ وأصبحَ في حالةِ الهائمِ

نكستُ الهِجاءَ فأعلنتُهُ بطَرفي لِيَخفَى على الحازمِ

[٢٧٠] وكانَ مُحمَّد بن عبد الملك الزيَّات يُحبُّ بَعضَ جواري القِيان، ثم تَنكَّر لَها فَكتبت على خاتَم لفظاً تُعرِّضُ لهُ فيه بالعِتاب، فبلغه ذلك فكتَب على خاتَمهِ ضِدَّ ما كتَبَت، فبلغَها، فمَحت ما كانَ على خاتَمها وكتَبَت ضدَّ ما كتَبَ، فبلَغهُ ذلك فمَحا ما كانَ على خاتَمه، وكتَبَ ضِدَّ ذلك في أبْياتٍ يقولُ فيها[1]: [من الكامل الأحذ]

كَتَبَت على فِصٍّ لِخاتَمِها: مَن ملَّ مِن أحبَابِه رَقَدا

فكتبتُ في فَصِّي لِيَبلُغَها: مَن نامَ لم يَشعُرْ بمَن سَهِدا

فمَحَتْه واكتَتَبت لِيَبلُغَني: مَا نامَ من يَهوى ولا هَجَدا

فمَحوتُه ثم اكتَتَبتُ: أنا واللهِ أوَّل ميِّتٍ كمَدا

قالَت: يُعارضُني بخاتَمِهِ واللهِ لا كلَّمتُه أبدا

---

[٢٧٠]

(١) الأبيات ١، ٢، ٥ لابن الزيات في سرور النفس ٣٢. وهي جميعاً في ديوان ابي نواس ٢٠٠، ووفي مصارع العشاق ٣ أبيات باختلاف في الشطور.

باب
ما وجد على التفاح
من الألفاظ المِلاح

[٢٧١] قرأتُ على تفّاحة مكتوباً بماء الذّهب: [من مجزوء الرمل]

قبلَ تُهدُوني فخطُّوا فيّ سطراً مِن ذَهَبْ
إنَّني أعطِفُ مَن صدَّ ليصفي ذا كُرَبْ

[٢٧٢] وعلى أخرى بالفِضة: [من مجزوء الرمل]

ليسَ شيء يُتهادَى مثلَ تفّاحٍ مُكتَّبْ
خُطَّ بالفِضة . . . . نحريرٍ مُهذَّبْ[1]
يا مُنَى قَلبيَ ما تَرْ ثي لذي عِشقٍ مُعذَّبْ؟

[٢٧٣] وعلى أخرى: [من مجزوء الرمل]

أنا للأحبابِ بالسِّـ رِّ وبالوصلِ رَسولُ
أتهادَى فأرِقُّ الـ قلبَ والقلبُ مَلُولُ

[٢٧٤] وعلى أخرى: [من مجزوء الرمل]

وإذا ما مُرسِلٌ نَـ مَّ فما أنتِ نَمُومَه
أنتِ رَيحانةُ قلبي ثمَّ للسِّرِّ كتُومَه

---

[٢٧٢]
(١) كذا ورد البيت ناقصاً.

[٢٧٥] وعلى أخرى: [من مجزوء الخفيف]

أنـا شمَّامـة الكريـ .... لمجلسه[1]
ورسـولٌ مباركٌ مُذْهـبٌ صدّ مؤنِسِه

[٢٧٦] وعلى أخرى: [من السريع]

إشـرَبْ علـى حُمـرةِ تُفّـاحٍ يا مُؤنِسـي من باردِ الرّاحِ
حيـاكَ مَعشـوقٌ لَه زَهرةٌ وقَينـةٌ بالعُـودِ مِفصاح

[٢٧٧] وعلى أخرى: [من مجزوء الرمل]

مـا تُحيًّا ببـلاء الـ ناسِ مُذ كانـوا بمِثْلِي
لـيَ طِيبٌ وبقاءٌ ومَلاحـاتٌ تُسـلِّي

[٢٧٨] وعلى أخرى: [من مجزوء الرمل]

لـي طَراواتٌ وريحٌ ثم ماءٌ ونَضارَهْ
ليسَ للياقـوتِ فضلٌ كلُّ ياقـوتٍ حِجارَهْ

[٢٧٩] وعلى أخرى: [من مجزوء الرمل]

جـرحَ اللهُ الـذي يَجـ ـرح بالسِّكِّين لحمي
فَلْجُـوا حامضـةٌ إنـ ـي كمِثْـل الشُّهـدِ طَعْمي

[٢٨٠] وعلى أخرى[1]: [من مجزوء الرمل]

أنـا حمـراءُ دَعُـونـي لمُحِـبٍ وحَبيـبِ
وكُـلُـوا ذاتَ بياضٍ أكلُهـا غيـرُ مَعيـبِ

[٢٨١] وعلى أخرى : [من السريع]

حيَّاكِ إنسـانٌ له رَونقٌ نُوَّارةٌ دانيةٌ تَزْهَرُ
تُفّاحـةٌ حمـراءَ منقوشةٌ يخجَـلُ مِن حُمرتِهـا الجَوهرُ

---

[٢٧٥]
(١) كذا ورد هذا البيت ناقصاً.
[٢٨٠]
(١) وردت في الأصل وعلى الأخرى. وكذلك في [٢٨١].

باب

ما وجد على ذيول الأقمصة والأعلام

وطُرُز الأردية والأكمام

[٢٨٢] قالَ الماوردي[١]: رأيتُ جاريةً، ونحنُ عندَ محمَّد بنِ عمرو بنِ مسعَدة[٢]، لم أشكَّ أنَّه عاشِقٌ لها؛ وإليها مائلٌ، لِما رأيتُ مِن حرَكاته إذا نظرت وسُرورِه إذا نطقَت، وتهلُّلِه إذا غنَّت. وكانَت فوقَ وصفِ الواصفِ من الحُسن والجَمال، وعليها قَميصٌ موشَّحٌ، ورِداءٌ مُعَيَّنٌ، مكتوبٌ في وِشاحِ القَميصِ[٣]:

[من البسيط]

أغيبُ عنكَ بوُدٍّ لا يُغيِّرُهُ ... نأيُ المَحَلِّ ولا صَرفٌ مِنَ الزَّمَنِ
تَعتَلُّ بالشُّغلِ عنّا ما تُكلِّمُنا ... الشُّغلُ للقَلبِ ليسَ الشُّغلُ للبَدَنِ

وعلى طِراز الرِّداء: [من الوافر]

أقلُّ الناسِ في الدُّنيا سُروراً ... مُحبٌّ قد نأى عنه الحَبيبُ

[٢٨٣] قال: ورأيتُ جارِيةً لبعضِ الهاشميِّين يُقالُ لها (عَريبُ)[١]، عليها

---

[٢٨٢]

(١) كذا. ولعله الماردي.

(٢) محمد بن عمرو بن مسعدة: هو ابن عمرو بن مسعدة الصولي وزير المأمون واحد الكتاب البلغاء توفي ٢١٧هـ (الاعلام ٥: ٨٦).

(٣) البيتان في ديوان العباس بن الأحنف ٣٠٧، وهما في أخبار النساء ١٨١.

[٢٨٣]

(١) عريب: جارية المأمون قيل إنها تنتمي إلى البرامكة كانت شاعرة مجيدة ومغنية محسنة، توفيت ٢٧٧هـ (نساء الخلفاء ٥٥ وانظر الهامش).

قَميصٌ مُلْحَمٌ، موشّحٌ بالذّهبِ، مكتُوبٌ في وِشاحِهِ[٢]: [من الطويل]

وإنـي لأهــواهُ مُسيئـاً ومُحسناً ... وأقضـي على قَلبـي لَهُ بالـذي يَقضي
فجتى متّى رَوْحُ الرِّضَــى لا يَنالُني ... وحتّى متى أيامُ سُخطِـكَ لا تَمضي

وعلى طِراز كُمِّهِ: [من الطويل]

إذا صَدَّ مَن أهـوَى وأسلَمَنــي الغَري ... ففُرقَةُ مَن اهــوَى أحـرُّ مِنَ الجَمرِ[٣]

[٢٨٤] ورأيتُ على (ماجِن) جاريةِ مُكاتمَ المغنيَّةِ قميصاً في وشاحِهِ بالذّهب: [من مجزوء الرمل]

زَفَراتــي ليسَ تَفنَى ... وفُــؤادي بك مُضنَى
أتَرَضّــاكَ وأبدي ... لك . . . ـــــنا[١]
بأبــي كم اتمنّى ... وإلــى كم اتمنّى
بعدَمــا أصبــحَ قَلبي ... في يدِ الأحــرارِ رَهنا

[٢٨٥] قالَ: ورأيتُ في صَدرِ قَميصِ جاريةِ (تَباريح) الكُوفيةِ مكتوباً بالفِضّةِ والذّهَب سطراً وسطراً[١]: [من الخفيف]

يا فتى، قلـتُ إذ دعانــي هَواهُ ... مستجيبــاً لصَوتِــه لبيّكا
مــا بكَت مُقلتــي لفَقْــدِك إلا ... جَزَعــاً أن أمــوتَ شوقــاً إليكا

[٢٨٦] قال: ورأيتُ مرةً أخرى علَيها دُرّاعَـةَ مُلْحَـمٍ بتَـرانين[١] إبْرِيسَـم ولَبِنَـة

---

(٢) البيتان في ديوان العباس بن الأحنف ١٩١ وفيهما اختلاف ويرد في البيت الأول: واني لأخشاها . . . نفسي لها بالذي تقضي.

(٣) الغري: المتمادي في غضبه.

[٢٨٤]

(١) ورد في الأصل ناقصاً.

[٢٨٦]

(١) ترانين: لم اعثر عليها. ويقال: تُرني للمرأة الفاجرة. وابن ترنى هو ابن الفاجرة، ولعل الترانين تلك←

سُوسَنْجِرْد[2] وفي دَوْر اللَّبْنَة مكتوبٌ: [من البسيط]

يا رامياً ليسَ يَدري ما الـذي فعَلا ... أمسِـك عليكَ فأنَّ السَّهـمَ قَد قَتلا

أصبـتَ أسـودَ قلبـي إذ رَمَيتَ فَلا ... شُلَّـت يمينُـك أن صيَّرتَنـي مثَلا

[٢٨٧] وكتَبت (بَنانُ) جاريةُ الخيزُرانِ على تَرائِبن دُرّاعـةٍ لهـا بذهَـب: [من الرمل]

لـم تَقُـلْ قَولاً ولـكِن حلَفَت ... أنَّهـا أحـنُ عَينٍ أطرِفـتْ

زَعـمَـت أنّـي قد لاحظتُها ... أيُّ عينٍ لحَظَـت فاعترَفَت

أظهَـرَت حُجَّـةَ مَن يَعشَقُها ... واستباحَـت غفلـةً وانصرَفَت

وعلى طِراز كُمِّها: [من الرمل]

ليسَ بي صبـرٌ ولا بي جَلَدٌ ... قد نفَـى حُبُّك عنـي جَلَدي

[٢٨٨] وأخبرني بعضُ أصحابِنا قال: أخبرني من رأى في ذَيلِ جاريةِ الحسَن ابن قارِنٍ منسوجاً في العَلَم: [من مجزوء الرجز]

أحسـنُ ما قد خلَـقَ اللّـ ... ـهُ ومـا لم يَخلُقَهْ

شَـكوَى فتـاةٍ وفتًى ... يَعشقُهـا وتَعشَقَهْ

نـارُ الهَـوى دانيـةٌ ... تَحرُقُهـا وتَحرقُهْ

يا حبَّـذَا الحُـبُّ إذا ... دامَ ودامَـت حُرَقُهْ

[٢٨٩] وكتَبت راهـي جاريةُ الأحـدبِ قبـلَ أن يشتريهـا إسحاقُ بـنُ إبـراهيمَ المَوصِلي على وِشاح قميصِها[1]: [من البسيط]

---

* القطعة التي تخرج بها الثياب التي ليست من اصل القماش.

(٢) سوسنجرد: قال عنها ياقوت انها من قرى بغداد (معجم البلدان ٣: ٢٨١) وورد في الرسالة البغدادية ١٣٧ ذكر الطراحات السوسنجردية.

[٢٨٩]

(١) البيتان في زهر الآداب ٢٠٩ منسوبان لعروة بن اذينة، وفيهما اختلاف لهيب: اوار. طفئت: بردت. لحر: لنار يتقد: تتقد.

إذا وجَدتُ لهيبَ الشَّوقِ في كَبِدي أقبلتُ نحوَ سِقاءِ القَومِ أبترِدُ
هَبني طَفِئتُ ببَردِ الماءِ ظاهرَه فمَن لِحرٍّ على الأحشاءِ يتّقِدُ

[٢٩٠] وكتَبت جاريةُ لِقَبيحةَ على رِداء لها رشيدي[١]: [من الوافر]

أراهُم يأمُرون بقَطعِ وَصلي مُريهِم في أحبَّتِهِم بِذاكِ
فإن هُمْ طَاوعُوكِ فطاوِعيهِم وإن عاصَوكِ فاعصَي مَن عَصاكِ

[٢٩١] وكتَبت جاريةُ أبي حَرب على رِداء لها مُمسَّك: [من مجزوء الرجز]

مَن ألِفَ الحُبَّ بكَى مَن شَفَّه الشَّوقُ شكا
من غابَ عنه إلفُه أو صَدَّ عنه هلَكا
يا مالكاً عَذَّبَني بجَورِه إذ مَلَكا
رِفقاً بِمَملوكِكَ ما يَحِلُّ ذا الظُّلمُ لكا

[٢٩٢] وكتَب بعضُ الظُّرَفاء على طِرازِ مُطْرَفِ خزّ[١]: [من الطويل]

وهبَّت شمالٌ آخرَ الليلِ قَرَّةٌ ولا ثوبَ إلاَّ بُردها ورِدائِيا
فما زالَ ثوبي طَيِّباً من ثِيابِها إلى الحَولِ حتى أنهجَ الثوبُ باليا[٢]

[٢٩٣] وكتَبت دبسيَّةُ جاريةُ زُوزُور على قَباء مُعَصفَر: [من الوافر]

وما البدرُ المُنيرُ إذا تَجلَّى هُدُوّاً حينَ يَنزِلُ بالعِراقِ
بأحسنَ من بُثَينةَ يومَ قامَت تَهادَى في مُعَصفَرةٍ رِقاقِ

---

[٢٩٠]

(١) البيتان في معاهد التنصيص ١: ١٦١ منسوبان لابن الدمينة، وهما في معجم البلدان ٥: ٢٩٤ منسوبان لأبي العميثل.

[٢٩٢]

(١) البيتان في ديوان سحيم عبد بني الحسحاس ٢٠.

(٢) انهج الثوب: بلي.

باب
ما وجد على الكرازن والعصائب
ومَشادّ الطُّرر والذّوائب

[٢٩٤] وكتَبَت عَلَلُ على قلَنسُوة لهـا، دِيباجٍ، وهـي جارية مُحمّدِ بـن المأمُون: [من الخفيف]

مـا يَمَـلُّ الحَبيب طولَ التَّجَنّي لِبَلائـي به ولا الصَّـدُّ عَنّي
كلَّ يومٍ يقـولُ لي: لَكَذبتِ، بتَجنِّـى ولا يَرى ذاكَ منّي
ربَّمـا جِئتُـه لأسـلِفَه العُذ رَ لِبَعضِ الذُّنـوبِ قَبـلَ التَّجنّـي

[٢٩٥] وكتَبَت جاريةُ المارِقي على قلَنسُوَةٍ لها بذَهب[1]: [من الخفيف]

كَتَـبَ الشـوقُ في فؤادي كِتاباً هو بالشّـوقِ والهَـوى مَختومُ
رَحِـمَ اللهُ مَعشَـراً فارَقُوني لا يُطيعـون في الهَـوى مَن يَلومُ
ساقَ طَرفـي إلـى فُؤادي بَلائي إنَّ طَرفـي علَـى فُؤادي مَشُومُ

[٢٩٦] وكان على قَلَنسُوَة جارية محمّد بـن سَعيد الفارسـي مكتوبـاً: [من الخفيف]

أنـا بعـدَ القَضـاء سمـتُ فُؤادي وأصبـتُ الغَـداةَ عينـي بعَيني
لم تَزَل بي حوادثُ الدّهـر حتى فرَّقَـت بينَ مَن أُحِـبُّ وبَيني

[٢٩٥]

(١) ديوان العباس بن الأحنف ٢٦٢ وفيهما اختلاف يسير. ووردت في العقد الفريد ٦: ٤٢٥ باختلاف اسم الجارية منال. وفي محاضرة الأبرار ٢: ٤٢٩ البيتان الأول والأخير منسوبان لخالد بن يزيد.

[٢٩٧] وكتَبَت جاريةُ الحَباب على قَلَنسوتِها: [من الكامل]

اللهُ يَحفظُــهُ علــى شَحــط النَّوى ما كانَ أوصَلَــه إلــى تعذيبِهِ

[٢٩٨] وكتَبَت جاريةُ ابن السُّلَمي على كَرْزِنها: [من الكامل]

الشَّــمسُ تَطلُــعُ للمَغيبِ ولا أرَى شَوقِــي إليكَ علــى الزَّمــانِ يَغيبُ

[٢٩٩] وكتَبَت بَنَان الشَّاعرةُ على قَلَنسوةٍ لجاريتِها: [من البسيط]

إنْ كنــتُ خُنــتُ ولــم أُضمِرِ خيانَتَكُم فاللهُ يأخــذُ مِمَّــن خانَ أو ظلَما
سماحــةً مِن مُحــبٍّ خانَ صاحبَهُ ما خانَ قطُّ مُحــبٌّ يَعــرِفُ الكَرَما
واللهِ لا نَظَــرتْ عَينــي إليكَ ولا سالَــت مَسارِبُهــا شوقــاً إليكَ دَما

[٣٠٠] وقال الجاحظُ: رأيتُ نَشوانَ جاريةَ زَلزَل وعلَيها عِصابةٌ مكتوبٌ علَيها: [من البسيط]

عينٌ مُسَهَّــدةٌ في مائِهــا غَرِقَت يا ليتَهــا ذَهَبت لو لم تكُن خُلِقَت
لم تَذهبِ النفسُ إلاَّ عِنــدَ لَحظَتِها ولا بكَت بدمٍ إلا لِمــا أرِقَت
يا مقلــةً سوفَ أبكيهــا ويا كَبِداً بها أحاطَ الهَوى والشَّوقُ فاحتَرَقَت

وكانَ على كَرزَنها: [من الكامل]

الحُــبُّ يُعــرَفُ في وُجوهِ ذَوي الهَوى باللَّحــظِ قبــلَ تَصافُــحِ الأجفان

قالَ: ورأيتُ على قَلَنسوة تَباريح: [من السريع]

أهــلُ الهَــوى في الأرضِ تَلقاهُمُ يَمشُــون أحياءً كأمواتِ

[٣٠١] وكتَبَت شادنُ جاريةُ خَنَث قَيِّمة جَواري المأمُون على وِقَايةٍ تجمَع بهــا ذوائبها[1]: [من الكامل]

---

[٣٠١]

(١) البيتان منسوبان لبكر بن النطاح في الأمالي البصرية ٢: ١٨١ وفي امالي القالي ٢: ٢٢٥ وفي زهر =

بيضـاءُ تَسحَـبُ مِن قِيامٍ فَرعَها ... وتَغيبُ فيهِ وهُـو جَثْـلٌ اسْحَمُ
فكأنَّهـا فيهِ نَهـارٌ مُشرِقٌ ... وكأنَّـه ليلٌ عليهـا مُظلِمُ

[٣٠٢] وقال علي بن الجَهْم: حضَرتُ مجلِس بعض الظُّرَفاء فخرَجَـتْ علينا جاريةٌ كأنَّها تِمثالٌ، وعلَيها عِصابةٌ قد أرْسلَت لها طرَفَين، على صَدرِها مكتُوبٌ[1]:
[من مجزوء الرمل]

مَـنْ يكُن صَبّـاً وَفيّاً ... فزِمامـي في يَديهِ
خُـذْ مليكي بعِناني ... لا أُنازِعْـكَ عَلَيهِ

قال: فوَثَبتُ فأخَذتُ بطَرَفَي العِصابة وقلتُ: أنا واللهِ صبٌ، وأوفى خلْقِ اللهِ لمُحبٍ! قالَت: إنَّه لا بدَّ للفَرَسِ مِن سَوطٍ. قُلتُ: يا غُلامُ، هاتِ السَّوطَ. قالَت: هَيهاتِ! ذاكَ سَوطُ الدَّوابّ وسوطُ مِثلي شَيبةُ فِضةٍ، وعِلاقتُه ذَهَب.

[٣٠٣] وكانَ على قَلَنسوة زَينَ مُغنّيَة إسماعيل: [من الطويل]

أُقيمُ علـى الأصـالِ مُنتظِـراً لها ... وقد أشرَفَت مـن هَولِ ذاكَ على نحبي
أمـوتُ وأسْـتَحيي الهَـوى أن أذُمَّهُ ... وإنْ كُنتُ مِنه في عنَاء وفـي كَرْبِ

[٣٠٤] وقال الزُّبير بن بكّار: رأيتُ على قَلَنسوة بعضِ المُغنِّيات: [من الكامل الأحذ]

أدمَيتَ باللَّحَظـاتِ وَجنتَها ... فاقْتصَّ ناظِرُهـا مِنَ القَلبِ

وعلى عِصابتِها:

فـإذا نَظَـرتَ إلـى مَحاسِنِها ... أخرَجْتَهـا عُطُـلاً مِنَ الذَّنْبِ

= الآداب ٦٥٠، وفي ديوان المعاني ١: ٢٤٥ دون نسبة. وفي معجم الأدباء ٤: ٩٨ للحسين بن مطير. والجثل: الكثير الملتف.

[٣٠٢]

(١) في مطالع البدور ١: ٢٧٩. وفي الرواية: حضرت مجلس اسحاق بن ابراهيم الموصلي.

[٣٠٥] وقالَ الماردِيُّ: رأيتُ جاريةً لِبعضِ ولدِ المأمُونِ، وعلَيها قَلَنْسوة علَيها مكتُوبٌ: [من السريع]

يا تاركَ الجِسمِ بِلا قَلبِ إنْ كانَ يَهواكَ فمَا ذَنبي؟
يا مُفرَداً بالحُسنِ أفردَتَني منكَ بطُولِ الشّوقِ والكَرْبِ

وعلى كَرزَن لها[1]: [من الوافر]

أنا العَبدُ المُقِرّ بطُولِ رِقٍّ وليسَ عليك من عَبدٍ خِلافُ

[٣٠٦] قال: ورأيتُ على جارية لاهي كَرزَناً مكتُوباً علَيه[1]: [من السريع]

عَذَّبَه بالْهَجرِ مَولاهُ وزادَهُ شوقاً وأضناهُ
فدمعُه يَجري على خَدّهِ ولَمْ تَنمْ للوَجدِ عَيناهُ
قد كتَبَ الحُبُّ على قلبِه: مُتْ كمَداً يَرحَمُكَ الله

[٣٠٧] وكتَبَت جاريةٌ لعيسَى بنِ جَعفرِ بنِ المَنصُور، وكانَت قَيِّمةً له، على كَرزَنها: [من الكامل]

ليتَ النِّقَابَ على القِباحِ مُحرّمٌ[1] وعلى المِلاحِ خطيئةٌ لا تُغفرُ

وكتَبت على وِقايةٍ تجمَعُ بها ضَفائِرها: [من الوافر]

جَزى اللهُ البَراقِعَ مِن ثِيابٍ عَنِ العَينَينِ شراً ما بَقِينا
يُغَطِّينَ المِلاحَ فلا تَراهُم ويَستُرنَ القِباحَ فيَستوِينا

[٣٠٨] وكتَبَت عارمُ جاريةُ جَناح على كَرزَنها، وكانَت تَتعشّقُ بعض ولَد

---

[٣٠٥]
(١) البيت في ديوان ابي نواس ٤٢١.
[٣٠٦]
(١) البيتان الأول والأخير في الكشكول ٣: ٣٠٣ وورد عجز البيت الأول على النحو التالي: وملّه ظلماً وأقصاه.
[٣٠٧]
(١) البيتان في بهجة المجالس ٢: ٢٨ باختلاف يسير.

الحسَن بن وَهب[1]: [من الطويل]

وإنـي لأخلُـو مُذ فَقَدتُـكَ دائباً ... فأنقُشُ تِمثـالاً لوجهِـكَ في التُّربِ
فأسـقِيه مِن دَمعـي وأبـكي تَضرُّعاً ... إليه كمـا يَبـكي العَبيدُ إلـى الـرَّبِّ

[٣٠٩] وكتَبَت ابنةُ الرُّصافيَّة، وكانَت تَتعشّقُ ابنَ الرَّشيد، على كَرزَنها[1]: [من البسيط]

قالوا: عَليكِ سَبيلَ الصَّبر، قُلتُ لهم: ... هَيهـاتِ إنَّ سَبيلَ الصَّبـرِ قد ضَاقا
ما يَرجِـعُ الطَّـرفُ عَنـه حينَ يُبصِرُهُ ... حتّـى يعـودَ إليه الطَّـرفُ مُشتاقا

[٣١٠] قالَ الفضلُ بنُ الرَّبيع، قال أبي: رأيتُ على عِصابة دبسيَّةَ جاريةِ أبي حَرب: [من المتقارب]

محاسِنُ وَجهِكَ تَمحـو الـذُّنُـوبـا ... وتَعمَـلُ في القَلـبِ شيئـاً عَجيبا
فَمِـنْ ثَمَّ تَهجُرُنـي ظَالِمـاً ... تَجَنّـى وتُحصِـي علـيَّ الذُّنُـوبا

[٣١١] وكتَبت شَمْسَة الطُّنبُوريَّةُ[1] على عِصابتها، وكانت تُغنّي الرَّشيدَ: [من الخفيف]

لا لِصَبـرٍ هَجَرتُـكم عَلِـمَ اللّـ ... ـهُ ولـكِن لِشِـدَّةِ الاشتِياقِ
رُبَّ سِرٍّ شاركتُهُ فيهِ ضَميري ... وطَـواهُ اللّسـانُ عنـدَ التَّلاقي

---

[٣٠٨]
(١) ديوان مسلم ٢٨٨.
[٣٠٩]
(١) في العقد الفريد ٦: ٤٢٦ باختلاف الجارية. وفي عجز البيت الأول ورد في الأصل: هيهات اين سبيل... وصوابه ما أثبتناه.
[٣١١]
(١) الطنبورية: التي تضرب على الطنبور، وهو آلة موسيقية وترية.

[٣١٢] وكانَ على قَلَنْسُوة شمائِلَ جاريةِ الماهانية : [من مجزوء الكامل المرفل]

ليلـي بوَجهِـك مُشرِقٌ وظَلامُـه في اللَّيلِ ساري
فالنـاسُ في سَدَفِ الظَّلا مِ ونحـنُ في ضَوء النَّهارِ

[٣١٣] وكانَ على كَرزنِ مُشتاقَ جاريةِ إسحاق بن علي(١) الهاشِمـيُّ مكتُوبـاً بالذَّهب سَطران : [من البسيط]

إن كانَ قَلبـيَ يَهـوَى وَصـلَ غيرِكُمُ إذاً فعاقَبَنـي الرَّحمـنُ في بَصَري
أوْ لَم يكُنْ بكمُ ما عِشـتُ ذا كَلَفٍ فأنـزَلَ اللهُ بي يا سيِّدي حَذَري

وكان على عِصابتِها مكتوباً بالذَّهَب: [من مجزوء الرجز]

مـا كُنـتَ إلاَّ حُلُماً رَآتـهُ عينـي في الوَسَنْ
يا سَمـحَ الفِعـلِ ويا أحسـنَ مِن كلِّ حسَنْ

[٣١٣]

(١) اسحاق بن علي الهاشمي: هو ابن علي بن عبد الله العباسي (انساب الأشراف ٣: ٧٢، نسب قريش ٢٩ ـ ٣٠).

باب

ما وجد على الزنانير

والتِّكَك والمناديل

[٣١٤] قالَ عليُّ بنُ الجَهم: رأيتُ في مِنطَقَةِ واجدَ الكُوفيّةِ زُنّاراً مَنسوجاً مكتوباً فيه[1]: [من الخفيف]

لَسـتُ أدرِي أطـالَ لَيلـيَ أم لا   كيفَ يَدري بِذاكَ من يَتقلَّى!
لـو تَفَرَّغـتُ لاستطالـةِ لَيلي   ولرَعْـي النُّجـومِ كنـتُ مُخِلاً

[٣١٥] ورأيتُ جاريةً في بِيعةِ ماري مريم، في دارِ الرُّوميِّين[1]، بمَدينة السلامِ، كأنَّها فِلْقَةُ قمرٍ، خارجةً من الهيْكل، في وسَطها زُنّارٌ عليه بيتان: [من السريع]

زُنّارُهـا في خَصرِهـا يَطرَبُ   وريحُهـا مِن طِيبهـا أطْيَبُ
وَوجهُهـا أحسـنُ من حَلْيِها   ولونُهـا من لونِهـا أعجَبُ

[٣١٦] وقرأت في زُنّار وِقايةٍ لبَعضِ القَصريَّات[1]: [من الطويل]

أليسَ عجيبـاً أنَّ بيتـاً يَضمُّني   وإيّاكَ لا نَخلُـو ولا نَتكلَّمُ

---

[٣١٤]

(١) الشعر في العقد الفريد ٦: ٤٢٥ والخبر فيه اختلاف بالرواية.

[٣١٥]

(١) دار الروميين: أو دار الروم، في الجانب الشرقي من بغداد، سميت كذلك نسبة إلى الموضع الذي فيه أنزل المهدي أسرى من الروم. وأصبحت محله كبرى فيما بعد. معجم البلدان ٢: ٥١١.

[٣١٦]

(١) البيت في مروج الذهب ٢: ٣٣٥، وفي مطالع البدور ١: ٢٧٩ وفي ديوان أبي تمام ٤١٢.

[٣١٧] ورأيت جاريةً أُبُلِّيَّة[1] لبعضِ المُخنَّثينَ، وقد علَّقت طبلاً في عُنقِها بزُنَّارٍ عليه مكتُوبٌ[2]: [من المديد]

آوَّنَاهُ من بدني كُلِّهِ فتَّتَ مني مفصلاً مَفْصِلاَ

وعلى تِكَّتِها مكتوبٌ[3]: [من السريع]

غابُوا فأضحَى الجِسمُ مِن بَعدِهم لا تُبصِرُ العينُ له فَيَّا

واخجلَتَا مِنهم ومِن قَولِهم ما ضرَّكَ البُعدُ لنا شيَّا

بأيِّ وَجهٍ أتلَقَّاهمُ إذا رأَوني بعدَهم حيَّا

[٣١٨] وكانَ على تِكَّةِ هاتفَ جاريةِ العاجي مكتوباً: [من الطويل]

ولي عاذِلٌ قَد شفَّ قَلبي بعَذلِه وواشٍ بنَبلِ الحُبِّ يرمي مَقاتلي

كفَى حَزَناً والحمدُ للهِ أنَّني تقَطَّعَ قلبي بينَ واشٍ وعاذلِ

[٣١٩] وكتبت خاضعُ المُغنِّية على زُنَّار كانت تشد به طُرَّتها: [من السريع]

ما أتْيَهَ المَعشوقَ في نفسِه وأبْيَنَ الذلَّ على العاشقِ

[٣٢٠] وأخبرني من قرأ على طَرَفِ تِكَّةٍ لقَينةٍ: [من مجزوء الرمل]

ما أراني حُلَّتِ التكَّـةُ إلاَّ لِهنَاتِ[1]

وإنَّما حلِّي للتِّكَّةِ إنجازُ العِدَاتِ

[٣٢١] وأخبرني آخرُ أنَّه قرأ على تكَّةٍ لبعضِ المَواجن: [من مجزوء الرمل]

---

[٣١٧]

(١) أبلية: نسبة الى الابلة. ويقال أيضاً البليات. راقصات ومغنيات في البيوت. وفي صبح الأعشى ١٤: ٣٦٣ اشارة الى وضعهن.

(٢) البيت في ديوان أبي نواس ٥٠٦ باختلاف.

(٣) الأبيات في روضة التعريف بالحب الشريف ٦٦١ دون نسبة. وفي صدر البيت الأول: ساروا فصار الجسمُ... ويرد البيت الثالث قبل الثاني. وهي في معجم الأدباء ١: ٤٢ - ٣ منسوبة لثعلب.

[٣٢٠]

(١) كذا ورد في الأصل، وفيه خلل. ولعله: ما أراني حللت التكة الالهنات

إقطَعِ التِّكَّةَ حتّى تذهبَ التِّكةُ أصلا
ثم قُل للرِّدفِ أهلاً بِكَ يا رِدفُ وسَهلا

[٣٢٢] وكَتَبت سَلْمِ جارِيةُ لَمَم إلى فتًى كانت تحبُّه في مِنديل دبيقي بالذَّهب: [من السريع]

ها أنذا يُسقِطُني للبِلى عن فُرُشي أنفاسُ عُوّادي
لو يَجِد السِّلكُ على دِقَّةٍ خَلْقاً لأضحى بعضَ حُسَّادي

فكتبَ إليها[1] في مِنديل آخر: [من البسيط]

لا تَسألي كيفَ حالي بعدَ فُرقتِكُم ها فانظُري واجهلي طَرْفَ مُمتَحِنِ
تَرَي بِلًى لم يدَع مِنِّي سِوى شَبَحٍ لو لم أقلْ ها أنا للنّاسِ لم أبِنِ

[٣٢٣] وقرأتُ على منديلٍ لبَعض الظرفاء وقد أدرج فيه كِتاباً[1]: [من الطويل]

وإني لتَغشاني لذِكراكِ فَترَةٌ كما انتفضَ العُصفورُ بلَّلهُ القَطرُ
عجِبتُ لسَعْيِ الدهرِ بيني وبينَها فلمّا انقضَى ما بينَنا سكَنَ الدَّهرُ

وكتَب آخر على مِنديل: [من الخفيف]

إنَّ بعضَ العِتابِ يَدعو إلى العَتْـ ـبِ ويُودي به الحَبيبُ الحَبيبا
وإذا ما القلوبُ لم تُضمِرِ الحـ ـبَّ فلن يَعطِفَ العِتابُ القُلوبا

[٣٢٤] وأخبرني من رأى على مِنديل مُمسَّك لبَعض الظُّراف: [من مجزوء الرمل]

أنا مَبعوثٌ إليكِ أنسُ مَولاتي لدَيكِ
صنَعَتني بيَدَيها فامسحي بي شَفَتَيكِ

---

[٣٢٢]

(١) في الأصل: فكتبت إليه.

[٣٢٣]

(١) البيتان في أمالي القالي ١: ١٤٨ وفي نهاية الأرب ٤: ٣٣٤ منسوبان لأبي صخر الهذلي.

[٣٢٥] وكتَب آخرُ على مِنديل أهداه: [من الرمل]

أنـا مِنـديلٌ مُحـبٌّ لم يزَل ناشفـاً بي من دُمـوعِ مُقْلَتَيهِ
ثُـمَّ أهدَانـي إلـى محبوبةٍ تَمسـحُ القَهـوةَ بي من شفَتَيهِ

[٣٢٦] وقرأتُ على مِنديلٍ لبَعضِ الظُّراف: [من الرمل]

إن يكُنْ حبلُكِ من حبلـي وَهَى وإلـى شوقـي إليكِ المُنتهى
لـم يُذكِّرْنيكِ شَوقٌ حادثٌ إنَّمـا يَذكُرُ مَن كانَ سَها

[٣٢٧] وكتَبت أسماءُ بنت غَضيض جاريةُ حَمدونةَ ابنةِ المَهدي على تِكَّتِها من الوَجهين: [من مخلع البسيط]

جِلْـدٌ علـى أعظُـمٍ دِقاقِ مُسْـكَنُ أنفاسِـهِ التَّراقي
تُوقِـدُ أحشـاؤه فيُطفي حُرقتَهـا هاطـلُ المآقي
لـولا تَسـلِّيهِ بالتَّبكِّي إذاً جَنَينـاهُ بانحـراقِ
يا ربُّ عَجِّـلْ وفـاةَ رُوحي قبـلَ هُجومـي علـى الفِراقِ

وكتَبت على مِنديلها: [من السريع]

إليكَ أشـكو ربِّ ما حلَّ بي من صَدِّ هذا العاتـبِ المُذنِبِ
صَـدٌّ بلا جُرمٍ ولـو قالَ لي لا تَشـربِ البـاردَ لم أشرَبِ

[٣٢٨] وكتب آخرُ على مِنديل أهداه: [من الوافر]

أيا مَن لا أُرجِّـي مِنـه رِفقا ولا مِن رِقِّـهِ ما عِشـتُ عِتْقا
لقَـد انفـدتُ دَمْـعَ العَينِ حتَّى بكَيتُ دمـاً لفَقـدِكَ ليسَ يَرقَا

[٣٢٩] وكتَبت عِنانُ جارية الناطفيُّ على مِنديل وجَّهـت به إلـى أبـي نُواس، وكانت تحبُّه: [من الهزج]

أمـا يُحسِـنُ مَن أحسَـنَ أن يغضَـبَ أن يَرضَى
أمـا يَرضَـى بأنْ صِرتُ علَـى الأرضِ لهُ أرضَا

باب

ما وجد على الستور والوسائد والبُسط والمرافق والمقاعد

[٣٣٠] قالَ عليُّ بنُ الجَهم: قرأتُ على سِترٍ لبعض أمّهاتِ ولَد المأمُون: [من البسيط]

هَجَرتني كي أجارِيكُم بفعلِكُمُ ... لا تهجُريني فإني لا أجاريكِ
قلبي مُحبٌّ لكُم راضٍ بفعلِكُمُ ... استَرزِقُ اللهَ، قلبٌ لا يُجانيكِ
أصبحتُ عبداً لأدنى أهلِ دارِكُمُ ... وكنتُ فيما مضى مولى مواليكِ

[٣٣١] وكتَب بعض ولَد المتوكِّل على سِترِه: [من البسيط]

يا أيُّها اللائمي فيها لأصرِفَها ... أكثرتَ لو كانَ يُغني عنكَ إكثارُ
إرجِعْ فلستَ مُطاعاً إذْ وَشَيتَ بها ... لا القلبُ سالٍ ولا في حُبِّها عارُ

[٣٣٢] وكتَب موسى الهادي بن المهدي على سِترِه[1] [من السريع]

يا أيُّها الزَّاعمُ الذي زعمَا ... أنَّ الهوى ليسَ يُورثُ السَّقَما
لو أنَّ ما بي بكَ الغَداةَ لَما ... لُمتَ مُحبّاً إذا شكا ألَمَا

[٣٣٣] وكتب بعضُ الظُّرفاء على مِخدَّةٍ له: [من البسيط]

يا راقدَ الليلِ مِمَّن شفَّه السَّقَمُ ... وهَدَّهُ قَلَقُ الأحزانِ والألَمِ
جُد بالوصالِ لِمَن أمسيتَ تَملِكُهُ ... يا أحسنَ الناسِ من قَرنٍ إلى قدَمِ

---

[٣٣٢]

(١) البيتان في تزيين الأسواق ٥٣٨ ـ ٩، وفي مصارع العشاق ١: ٦٤.

[٣٣٤] أخبرَني مَن قرأ على مِخَدَّةٍ لبَعض الظُّرفاء: [من مجزوء الرمل]

لــم أذُقْ يا سُولَ قلبي للـكَرَى مُذْ غِبــتَ طَعْما
تــرَكَ الدَّمــعُ علــى خدَّ يَّ لمَّــا فاضَ رَسْما

[٣٣٥] وقرأتُ على وِسادةٍ لبَعضِ الكُتّاب[1]: [من الطويل]

تَشـكَّى المحبُّـون الصَّبابَـةَ ليتَني تحمَّلـتُ ما يَلقَـونَ مِن بينِهـم وَحْدي
فكانَـت لِرُوحـي لذّةُ الحُـبِّ وحدَها فلـم يَلْقَهـا قبلـي مُحِـبٌّ ولا بَعدي

[٣٣٦] وأخبر بعضُ الكُتّاب أنَّه قرأ على بِساطٍ لبَعضِ أهـلِ الهَـوى: [من مخلع البسيط]

أحسَـنُ مِن قَهـوةٍ وعُودٍ تَوريدُ خَدَّيكِ يا وحيدُ
نـأيتِ عنـي فذاب جِسمي وهَـدَنـي الشـوقُ والصـدودُ
وطـالَ سُقْمـي لبُعْـدِ حِبِّي ومَلَّـني الأهـلُ والبَعيدُ

[٣٣٧] وكتبَ بعضُ الظرفـاء على مُصَلَّاة[1]: [من الكامل]

وقَفَ الهَوى بي حيثُ أنـتِ فَليسَ لي مُتأخَّـرٌ عَنـه ولا مُتَقَدَّمُ
أجِـدُ الملامـةَ في هَواكِ لذيذةً حُبًّـا لذِكْرِكِ فَلْيَلُمْنـي اللُّوَّمُ
وأهَنتِنـي فأهَنْـتُ نفسـي عامداً ما مَن يَهـونُ عليكِ مِمَّـن أُكرِمُ
أشبهـتِ أعدائـي فصِـرتُ أُحِبُّهم إذ صار حظـي منـك حظـي منهم

---

[٣٣٥]

(١) في شرح حماسة ابي تمام ٣: ١٣٢ وفي محاضرات الأدباء ٤: ٤٦ دون نسبة.

[٣٣٧]

(١) الأبيات معروفة لأبي الشيص في القالي ١: ٢١٨، وفي العقد ٢: ٣٧٤ وفي محاضرات الأدباء ٢: ٤٧، والأول في الأمالي البصرية ٢: ١٤٩، وشك البكري في نسبة الأبيات الى أبي الشيص ويعتقد بأنها لعلي بن عبد الله الطالبي (ذيل الأمالي ٦٧).

[٣٣٨] وكتَب سعيد بنُ قَيس على مُصَلاّه: [من الطويل]

سأمنَـعُ عَيْنَـي أن تَلَـذَّ بنَظرةٍ واشْغَلُهـا بالدَّمـع عَن كُلِّ مَنظَرِ
وأشكرُ قلبـي فيكِ حُسْـنَ بَلائِهِ أليسَ به ألقـاكِ عنـدَ التذكُّرِ

[٣٣٩] وكتَب بعضُهم على بِساط: [من البسيط]

كتمـتُ حُبَّهُـمُ صَوناً وتكرِمةً فمـا درَى غيرُ إضمـاري به وهُمُ
قومٌ بذَلـتُ لَهـم صفـوَ الـوِدادِ فما جازَوا عليهِ ولا كافَـوا ولا رَحِموا
هم علّمـوني البكا لا ذُقتُ فَقدَهُمُ يا ليتَهـم عـلّمونـي كيفَ أبتَسِمُ



باب

ما وجد على المناصّ والحجل والأسرّة والكِلَل

[٣٤٠] قرأتُ على كلّةٍ[1] مُعَصْفَـرة، لبعضِ الكُتّابِ، بالذَّهَب: [من السريع]

مـن قِصَـرِ اللَّيلِ إذا زُرْتِني   أبـكي وتَبـكِينَ مِنَ الطُّولِ
عَـدُوُّ عَيْنَيْكِ وشانِيهِما   أصبَـحَ مشغـولاً بمَشغولِ

[٣٤١] وأخبرني بعضُ الظُّـرفاء أنّـه قرأ علـى مِنصّـةٍ لبَعض المُجّـان: [من الطويل]

تقـول، وقـد جَرَّدتُهـا مِن ثِيابِها: ألَسـتَ تخـافُ اليومَ أهلَكَ أو أهْلي؟
فقُلـتُ: كِلانـا خائفٌ بمكانِهِ   فهـل هو إلاّ قَتلُكِ اليومَ أو قَتلي

[٣٤٢] وقرأتُ على كِلّةِ حريرٍ اسمانجوني بالذَّهب[1]: [من المتقارب]

سَهِـرتُ وعانقتُهـا ليلةً   علـى مِثلِهـا يَحسُـدُ الحاسدُ
كأنّـا جميعـاً وثـوبُ الدُّجـى   علَينـا لمُبصِرِنـا واحدُ

[٣٤٣] وقرأت على كلةٍ لبعضِ الظّرفاء[1]: [من الطويل]

---

[٣٤٠]
الكلّة: قطعة من القماش توضع فوق السرير لمنع البرغش من الوصول إلى النائم.
[٣٤٢]
(١) في امالي القالي ١: ٢٢٦ لابن ابي فنن.
[٣٤٣]
(١) في ديوان صريع الغواني ٣١٧.

فبِتنا على رُغمِ الحَسودِ وبيتَنا ... حَديثٌ كريحِ المِسكِ شِيبَ بهِ الخَمرُ
حَديثٌ لَو أنَّ المَيتَ يُوحَى ببعضِهِ ... لأصبحَ حيًّا بعدَما ضَمَّه القَبرُ

[٣٤٤] وقرأت على وَجهِ أريكةٍ لبَعض الهاشميين: [من الوافر][1]

جَعَلتِ مَحلَّةَ البَلوَى فُؤادي ... وسلَّطتِ السُّهادَ عَلى رُقادي
دَعيني لا أبوحُ بكلِّ وَجدي ... أليسَ النارُ مِن طَرَفَيْ زِنادي
وبِتُّ خليَّةٌ وسَلَبتِ نَومي ... أما استَحيا رُقادُكِ مِن سُهادي

[٣٤٥] وكتَب بعضُ الظرفاء، على حَجَلةٍ[1] له مُعَصْفَرٍ، بالذَّهب[2]: [من الطويل]

دَعيني أمُتْ والشَّملُ لم يَتَشعَّبِ ... ولا تَبعُدي أفديكِ بالأمِّ والأبِ
سقَى اللهُ ليلاً ضمَّنا بعدَ هَجْعَةٍ ... وأدنَى فُؤاداً مِن فُؤادٍ معذَّبِ
فبِتنا جميعاً لو تُراقُ زُجاجةٌ ... مِنَ الرَّاحِ فيما بيننا لم تَسرَّبِ

[٣٤٦] وأخبرني بعضُ الكُتّاب أنَّه قرأ على حَجَلةٍ مكتوباً[1]: [من الكامل]

نَشَرَت عليَّ غَدائراً مِن شَعرِها ... حَذَرَ الفَضيحةِ والعَدُوِّ المُوبِقِ
فكأنَّه وكأنَّني وكأنَّها ... صُبحانِ باتا تحتَ ليلٍ مُطبِقِ

[٣٤٧] ودخلتُ على بعضِ الكُتّاب في يومٍ شديدِ الحرِّ، وهو على دكّانِ ساجٍ[1]

---

[٣٤٤]
(١) البيتان ١ و٣ في ديوان العباس بن الأحنف ١٢٦.
[٣٤٥]
(١) الحجلة: الأريكة أو الستر يضرب للعروس أو النساء.
(٢) لعلي بن الجهم في معجم الشعراء ٢٨٦ والأولان له في الشريشي ٣: ١٣، وفي أمالي القالي ١: ٢٢٦، وفي بدائع البداهة ٣٤٢، وفي ديوان المعاني ١: ٢٤٥، وفي ديوان ابن الجهم ٩٥.
[٣٤٦]
(١) في المحاسن والأضداد ١٢٦ دون نسبة. وفيهما اختلاف يسير. ويرد صدر البيت الثاني: فكأنني وكأنها وكأنه.
[٣٤٧]
(١) الساج: خشب التك والدكان: الدكة.

مكتوبٍ في وجههِ باللأزَوَرْدِ[٢]: [من الخفيف]

حَرُّ حُبٍّ وحـرُّ هَجْـرٍ وحَرٌّ   أيُّ شيءٍ يكونُ مِن ذَا أمَرُّ

وعلى الجانب الآخر[٣]: [من الطويل]

ثَلاثـةُ أحبـابٍ: فحُـبُّ عَلاقةٍ،   وحُـبٌّ تِمِـلاَّقٌ، وحُـبٌّ هوَ القَتلُ

[٣٤٨] وأخبرني بعضُ من قرأ حولَ سريرٍ لبعضِ الظُّرفاء[١]: [من الطويل]

ومجدولـةٍ أمَّـا مجـالُ وِشاحِها   فَغُصـنٌ وأمَّـا رِدفُهـا فكَثِيبُ

لها القَمَـرُ السَّاري شـقيق وأنَّها   تَطلُّـعُ أحيانـاً له فيَغِيبُ

أقـولُ لهـا والليلُ مُرخٍ سُدُولَه   علينا: بكِ العَيشُ الخَسِيس يَطِيبُ

فقالَت: نَعم إنْ لم يكُن لكَ غَيرُنا   بِبَغـدادَ من أهـلِ القُصـورِ حَبيبُ

[٣٤٩] وكتَبَ بعض الظُّرفاء على سريرٍ له أبَنُوسٍ بِعاجٍ: [من الخفيف]

إنَّ طَيفَ الخَيالِ أرَّقَ عَيني   ما لِعَيـني ومـا لِطَيفِ الخَيالِ

جمَـعَ اللهُ بينَ كُلِّ مُحِبٍّ   قد جَفَـاهُ الحبيبُ بعـدَ الوِصالِ

وكتَبَ على مِنصته بالذَّهب: [من الوافر]

يَنـامُ المُسعَـدونَ ومَـن يلومُ   وتُوقِظُنـي وتُوقِظُهـا الهُمومُ

صَـحيحٌ بالنَّهـارِ لِمَـن يَراني   وليلـي لا أنـامُ ولا أُنيمُ

---

(٢) في مصارع العشاق ٢: ٣٦، ويرد فيه الشطر الثاني: اين من ذا وذا يكون المفرُّ.

(٣) في حماسة أبي تمام ٣: ١٢٦ وفي مجالس ثعلب ٢٣ وفي محاضرات الأدباء ٢: ٣٩ وفي تزيين الأسواق ٣١ دون نسبة.

[٣٤٨]

(١) البيتان الأولان في أخبار النساء ٢٣٣.

باب

ما يكتب على المجالس والأبواب

ووجوه المستظرات وصدور القِباب

[٣٥٠] قال علي بن الجهم: رأيتُ في صَدر قبةٍ مكتوباً بألوانِ فُصوصٍ مُنضَّدةٍ: [من المنسرح]

لا تُطمِعِ النَّفسَ في السُّلوِّ إذا ... أحببتَ حتّى تُذيبَها كَمَدا

مَن لم يَذُق لَوعةَ الصُّدودِ ولَم ... يَصبِرْ على الذُّلِّ والشَّقا أبَدا

فذاكَ مُستَطرَفُ الفُؤادِ يرَى ... في كلِّ يومٍ أحبابَه جُدُدَا

[٣٥١] وأخبرني أبُو جَعْفَر القارىء قالَ: أخبرَني بعضُ شُيوخِنا أنّه قرأ في صَدرِ مجلِسٍ لأميرِ المؤمنين المأمون[1]: [من الكامل]

صِلْ مَن هَوِيتَ ودَع مَقالةَ حاسدٍ ... ليسَ الحسودُ على الهَوى بمُساعِدِ

لم يَخلُقِ الرَّحمَنُ أحسنَ مَنْظراً ... مِن عاشِقَينِ على فِراشٍ واحِدِ

مُتَعانِقَينِ عليهِما أُزُرُ الهَوى ... مُتوسِّدَينِ بمِعصَمٍ وبِساعِدِ

يا مَن يلُومُ على الهَوى أهلَ الهَوى ... هَل تستطيعُ صَلاحَ قلبٍ فاسِدِ

[٣٥٢] وقرأتُ على وجهِ مُستنظَرٍ لبعضِ الكُتّاب[1]: [من المنسرح]

---

[٣٥١]

(١) الأبيات في ألف ليلة وليلة ١: ٣٥٢ دون نسبة.

[٣٥٢]

(١) في ديوان المعاني ١: ٢٢٣ دون نسبة وفيه: هبت شمالاً فقال...

والشمال: ريح تهب من ناحية القطب.

هَبَّتْ شَمالٌ فقلتُ من بَلَدٍ أنتَ بهِ؛ طابَ ذلكَ البَلَدُ
وقبَّلَ الرِّيحَ مِن صَبابتِهِ هل قبَّلَ الرِّيحَ قبلَه أحَدُ

[٣٥٣] وأخبرَني أحمد بنُ الحُسين بن المُنجِّم المُقرِىء أنّه قرأ على مُستَظَرٍ لبَعض الكُتّاب[١]: [من الخفيف]

لي إلى الرِّيحِ حاجةٌ لَو قَضَتْها كنتُ للرِّيحِ ما حَيِيتُ غُلاما
حَجَبُوها عنِ الرِّياحِ لأنِّي قلتُ: يا رِيحُ بَلِّغيها السَّلاما
لو رَضُوا بالحِجابِ هانَ ولَكِن مَنَعُوها يومَ الرِّياحِ الكلاما

[٣٥٤] أخبرَني عبدُ الحَميد المَلَطي أنّه قرأ على بابِ مجلِسٍ بِمَلَطْيَةَ[١]؛ [من البسيط]

لا يَمنعنَّكَ خَفضَ العَيشِ في دَعَةٍ نزوعُ نفسٍ إلى أهلٍ وأوطانِ
تَلقَى بكلِّ بِلادٍ إن حَلَلتَ بها أهلاً بأهلٍ وجيراناً بجيرانِ

وفي صَدر المَجلِس أيضاً مكتوب[٢]: [من الطويل]

إذا كنتَ في أرضٍ غريباً فَرَجِّها ولا تكثرتْ فيها نزوعاً إلى الوَطَنْ
فما هيَ إلاّ بلدَةٌ مثلُ بلدةٍ وخَيرُهما ما كانَ عوناً على الزَّمَنْ

[٣٥٥] وقرأتُ على بابِ دارٍ خَدْشاً في الجَصِّ بعُودٍ[١]؛ [من الكامل]

---

[٣٥٣]
(١) الأبيات في حماسة الظرفاء ٢ : ١٠٢ وانظر تخريجها هناك. والبيتان الثاني والثالث منسوبان لأبي العتاهية في بدائع البدائه ١٤٤.

[٣٥٤]
(١) البيتان منسوبان لابراهيم بن العباس الصولي في معجم الأدباء ١ : ٢٧٤ وفي شرح مقامات الحريري ١ : ١٦٦ وفي بهجة المجالس ١ : ٢٤٤ لأبي تمام. وهما في ديوان علي بن الجهم ٢٦١ ، وفي ديوان المعاني ٢ : ١٨٦ ، وهما منسوبان لمسلم في ديوانه ٣٤١.
(٢) منسوبان لأبي نواس في محاضرات الأدباء ٢ : ٦١٣ وفيهما اختلاف يسير.

[٣٥٥]
(١) في ديوان العباس بن الأحنف ٢٢٥ باختلاف.

هَيلا رَحِمتُم مَوقِفي بِفنائِكم ... مُتعرِّضاً لِنسيمِكم أتنشَّقُ
مُتَلدِّداً أبكي لِمَا قد حلَّ بي ... مثلَ الغَريقِ بِما يَرى يتعلَّقُ

[٣٥٦] وأخبرَني صَديقٌ لي أنَّه قرأ على بابِ دار بالحِجاز: [من البسيط]

يا دارُ، إن غزالاً فيكِ عذَّبَني ... لِلَّهِ دَرُّكِ ما تَحوِين يا دارُ
الدارُ تَملِكُني ويحي وصاحِبُها ... قَلبي، مليكانِ: ربُّ الدارِ والدَّارُ
يا دارُ لولا غَزالٌ فيكِ عَلَّقَني ... ما كانَ لي فيكِ إقبالٌ وإدبارُ

[٣٥٧] وأخبرَني مَن قرأ على باب دارٍ بإصطَخرَ منقوشاً بحَجَر: [من الطويل]

أرى الدارَ مِن بعدِ الحبيب ولا أرى ... حَبيبي معَ الباقِين في عَرْصَةِ الدَّارِ
فيا عجباً إذ فارقَ الجارُ جارَه ... أليسَ شديداً فُرقةُ الجارِ للجارِ

باب

ما وجد للمتظرفات والظراف

مكتوباً على النِّعال والخِفاف

[٣٥٨] قال الماردي: كتَبَت جاريةٌ للمارقي على نَعلِها بالذَّهب[1]: [من الكامل]

لم ألْقَ ذا شَجَنٍ يبوحُ بحبِّهِ ... إلا حَسِبتُكَ ذلك المَحبوبا

حَذَراً عليكَ وإنني بكَ واثقٌ ... أنْ لا يَنالَ سِوايَ مِنكَ نَصيبا

[٣٥٩] وكان على نَعل جاريةِ سَعيد الفارسي: [من مجزوء الكامل]

لا تأنفنَّ مِن الخُضوعِ ... لِمَن تُحبّ ودارِهِ

إخضَعْ لَهُ فَلَطالَما ... مُلِّكتَ حلَّ إزارِهِ

[٣٦٠] وكتَبَت ملك جاريةُ ابنِ عاصمٍ على خُفٍّ لها رهَاوي بذَهب: [من الطويل]

وإنِّي لإشفاقِي عليكَ وصَبْوتي ... إليكَ كأنِّي في المَنامِ أراكَا

تُحدِّثُني نفسي إذا غِبتَ ساعةً ... بأنَّ لِقاءَ المَوتِ دونَ لِقاكَا

[٣٦١] وكتَبَت مُتيَّم المغنِّية على نَعلِها ؛ [من الرمل]

أقْسَمَت مُقلَتُه لا تَنثني ... عَن فؤادي أو تَراه قِطَعًا

فَلَقد برَّت فهَل مِن مَطمَعٍ ... أن تَرى ما قَطَّعتْ مُجتَمِعًا

---

[٣٥٨]

(١) البيتان للعباس بن الأحنف في ديوان الصبابة ٩٤، وهما في ديوانه ٥١.

[٣٦٢] وأهدى سعيدُ بنُ حُمَيد نعلاً إلى صَديقٍ له وكتَبَ عليها[1]: [من الكامل الأحذّ]

نعلٌ بَعَثْتُ بها لِتَلبَسَها قَدَمٌ بها تَسعَى إلى المَجدِ
لو كانَ يَصلُحُ أن أُشرِّكَها خدِّي جعلتُ شِرَاكَها خدِّي

[٣٦٣] وكتَبت جاريةُ علي بن عيسى بن يزْداد كاتب إسحاق بن إبراهيم على خُفِّها: [من السريع]

تُؤلِمُه الألحاظُ لمَّا بدَا مُحتجِباً عنْ لَحَظَاتِ العِبادْ
مَنزِلُه ناءٍ ولَكِنَّه يَسكُنُ مِنّي في سَوادِ الفُؤادْ

[٣٦٤] وأهدَى بعضُ الكُتّاب نعلاً وكتَب على شِراكِها: [من مجزوء الرمل]

لي فُؤادٌ شفَّه الحزُ نُ وأضناهُ الصُّدُودُ
وهَوايَ كلَّ يومٍ هُوَ يَنمى ويَزيدُ

[٣٦٥] وكتَبَ بعضُ الظرفاء على خُفٍّ له مُحالسي بالذَّهب[1]: [من البسيط]

لَولا شَقَاوةُ جَدِّي ما عرَفتُكُمُ أنَّ الشَّقيَّ الذي يَشقَى بمن عرَفا
طافَ الهَوى بعِبادِ اللهِ كلِّهمُ حتَّى إذا مرَّ بي مِن بينِهم وَقَفا

[٣٦٦] وأخبرَني من رأى نَعلاً مِن فِضة أُهديت لبَعض الظُّرفاء عليها مكتوب: [من الخفيف]

بأبي أنتَ سيِّدي ومُنايَ جَعَلَ اللهُ والذيَّ فِداكا
لكَ خَدِّي مِن الثَّرى لكَ نَعلاً قُدَّ للنَّعلِ من فؤادي شِراكا

[٣٦٧] وقرأتُ على نَعلٍ سِنديٍّ مَدهون: [من السريع]

جَعلتُ خدِّيَ له أرضاً فقُلتُ: طَأ مِن فوقِها وارْضَى
فقالَ: لا، قلتُ: بَلَى سيِّدي صبراً على الحُبِّ وإنْ مَضَّا

---

[٣٦٢]

(١) في عيون الأخبار ٣: ٣٩، ووفي العقد الفريد ٦: ٢٨٥ وفي بهجة المجالس ١: ٢٨٣ منسوبان لأبي العتاهية، وفي البيان والتبيين ٣: ١٢١ بعث أبو العتاهية إلى المأمون...

[٣٦٥]

(١) البيتان في ديوان ابن الأحنف ٢٠٥.

باب

ما يكتب بالحناء في الوطأة والوشاح

وعلى الأقدام والراح

[٣٦٨] كتَبت ذُوَيْت جاريةُ حَمدونة على وطأتِها اليمنى(١): [من الخفيف]

إعلَمـي يا أحـبَّ منِّـي إليّاً ... أنَّ شوقـي إليكَ يَقضِـي عليّاً

وعلى اليسرى:

إنْ قَضَـى اللهُ لي رُجوعـاً إليكُم ... لم أعُـد للفِـراقِ ما دُمْـتُ حيّاً

[٣٦٩] وكتَبت لُبنَى جاريةُ عبّاس النديم على راحتِها بسُكٍّ وعنبر في اليمنى: [من الكامل الأحذ]

قالـوا: تَمـنَّ وقُـل، فقُلـتُ لهم: ... يا ليتَهـا حَظِّـي مِنَ الدُّنيا

وعلى اليُسرى:

لا أبْتغـي سُقْيا السَّحـابِ لَها ... في عَبرتـي خَلَفٌ مِنَ السُّقيا

[٣٧٠] وكتَبت جاريةُ السَّعديَّة على راحتها اليُمنى بالحِناء: [من الخفيف]

رفعَـتْ للـوَدَاع كَفّـا خَضيباً ... فتَقَبَّلتُهـا بدَمـعٍ خَضيبِ

وعلى اليُسرى:

وأشـارَت إلـيَّ غَمـزاً بحُقٍّ ... نَعتُـه مثـلُ فعلِـهِ في القُلوبِ

[٣٧١] وكتَبت جاريةُ ابن السَّاحر على وطأتِها اليمنى: [من الطويل](١)

ومـا أنَـا عَن قلبـي براضٍ لأنَّه ... أشـاطَ دَمـي ممـا أتَـى مُتطوِّعا

---

[٣٦٨]

(١) في ديوان علي بن الجهم ١٩١.

[٣٧١]

(١) البيتان في ديوان العباس بن الأحنف ١٩٥.

وعلى اليُسرى:

تَمنَّـى رجـالٌ ما أحَبُّـوا وإنَّما تَمنَّيتُ أنْ أشْـكو اليهـا وتَسمَعَا

[٣٧٢] قالَ الماردِيُّ: رأيتُ على راحةِ قائِدَ جاريةٍ لِبَعضِ جَواري المأمونِ اليُمني بالحنَّاء[1]: [من الوافر]

فَدَيتُـكَ قد جُبِلْـتُ علـى هَواكا فَقَلبـي ما يُنازِعنـي سِواكا

وعلى اليُسرى:

أُحِبُّـكَ لا ببَعضـي بل بِكُلِّي وإن لم يُبـقِ حُبُّـكَ بي حَراكا

[٣٧٣] وقرأتُ في كَفَّيْ جاريةٍ بالنَّقش: [من الطويل]

إذا قيلَ ما تَشكو أشارَ الى الحَشا فَأوَّلُ ما تَشـكو وآخِـرُه الهَجرُ
فيا ليتَ قلبي صارَ صخـراً كقَلبِه ولـم يُبلِه الشَّوقُ المُبَرِّحُ والفِكَرُ

[٣٧٤] وأخبرَنـي من رأى جاريةً لبعضِ آل طاهـر قَد كتَبَـت في وشاحِهـا وقدَمَيها: [من الكامل]

عَزَمُـوا المُقامـةَ أم تُراهـم أزمَعـوا يا طُول وجـدي إن هُمُ لم يَربَعُوا
ومُراعـةِ اللَّـبينِ تحسَـبُ أنَّنا شَمسٌ على غُصـنٍ يَغيب ويَطلُعُ
كتَبـت إلـيَّ علـى شَقائِـقِ خدِّها سَطـراً مِنَ العَبَـرات: ماذا تَصنَعُ
فأجَبتُهـا بلسـانِ صِدقٍ ناطقٍ: ما في الحَياةِ مِنَ التَّفـرُّقِ مَطمَعُ

[٣٧٥] وكتَبَت الماهانيَّةُ على كفِّ جارِيَتِها شَماريخَ بالحِنَّاء: [من الطويل]

أبَـى الحـبُّ إلاَّ أن أكونَ مُعذَّبا ونيرانُـه في الصَّـدرِ إلاَّ تَلَهُّبا
فواكَبِـدا حتَّـى متَـى أنـا واقفٌ ببـابِ الهَـوى ألْقَـى الهَـوانَ وأنْصَبا

---

[٣٧٢]

(١) في ديوان أبي نواس ٤٧٣، وتصحيح العجز منه.

باب
ما يكتب على الجبين والخد
ويُطرَف به ذوو الصبابة والوجد

[٣٧٦] قرأتُ على جَبينِ جاريةٍ لِنَخَّاسٍ بالغالية، وقد أخرجها للعَرْض: [من السريع]

وشادنٍ أحسنِ خَلْقِ اللهِ في كفِّه سيفُ رسولِ اللهِ
قد كتبَ الحُسنُ على وَجْهِهِ سَطرَينِ بالعَنبرِ باسمِ اللهِ
على يَدَيْ رِضوانَ مَنسوجةٌ صنعةُ حُسنٍ في طِرازِ اللهِ
أنا غريقٌ في بحارِ الهوى شِبهُ قَتيلٍ في سبيلِ اللهِ

[٣٧٧] وأخبرني من رأى على جَبينِ جاريةِ نخَّاسٍ مكتوباً في سطرين[1]: [من الطويل]

إذا حُجبَت لم يكفِكَ البدرُ فَقدَها وتكفيكَ فَقْدَ البدرِ إن حُجِبَ البَدرُ
وحسبُكَ مِن خمرٍ تفوتُكَ رِيقُها وواللهِ ما مِن رِيقِها حَسبُكَ الخَمرُ

[٣٧٨] وقالَ عليُّ بنُ الجَهْم: رأيتُ على خَدِّ جاريةٍ لفاطمةَ بنتِ محمَّدِ بنِ عِمرانَ الكاتب مكتوباً بالمِسكِ: [من الطويل]

رضيتُ علَى رُغمي بحبِّكِ فاعدِلي ولا تُسرفي إذْ صارَ في يدِكِ الحُكْمُ
متَى يَظفَرُ المَظلومُ منكِ بحقِّهِ إذا كنتِ قاضيه وأنتِ لهُ خَصْمُ

---

[٣٧٧]

(١) في زهر الآداب ٤٥٤ منسوبان لأعرابي. وفي عجز البيت الأول: وتكفيك ضوء البدر.

[٣٧٩] قالَ المازني: كانَ على جَبينِ جاريةٍ شريطٌ مكتوبٌ بالغاليةِ[1]: [من البسيط]

صَرَمْتَني ثمّ لا كلَّمْتَني أبداً   إن كنتُ خُنتُكَ في حالٍ مِنَ الحالِ
ولا هَمَمْتُ ولا نَفْسي تحدّثني   قلبي بذاك ولا يجري على بالِ

[٣٨٠] وقالَ الجاحظ: كتبَت مُؤلَّفُ جاريةُ الصخري على جبينِها: [من الطويل]

ومَحسودةٍ بالحُسنِ كالبدرِ وجهُها   وألحاظُ عَينَيها تَجورُ وتَظلِمُ
مَلَكتُ عليها طاعةَ الشّوقِ والهَوى   وعلّمتُها ما لم تكُن منه تَعلَمُ

قالَ: وقرأتُ على جَبين قَينةٍ بالعَسكرِ، مكتوباً بغاليةٍ وعنبر: [من مخلع البسيط]

يا قمراً لاحَ في الظلامْ   عليكَ من مُقلتي السّلامْ

[٣٨١] وكتَبت ظَلومُ على جَبينِها بالمِسْكِ: [من البسيط]

العينُ تَفقِدُ من تَهوى وتُبصِرُهُ   وناظرُ القَلبِ لا يَخلو مِنَ النَّظَرِ

وظَلومُ هَذهِ كانَ يُحبُّها العباس بن الأحنف، وفيها يقول[1]: [من الخفيف]

إنَّ بالكَرخِ مَنزِلاً لِغَزالِ   بينَ قَصرِ الأميرِ والخيزُرانِ
والهَوى قائِدي إليه، وشَوقي   ليسَ بالشّوقِ والهَوى لي يدانِ
لَستُ أنساكِ يا ظَلومُ وعهدِ الـ   له حتّى أُلَفَّ في أكفاني
فَثِقي بي فأنتِ أعرَفُ مِنّي   بحِفاظِي في السِّرِّ والإعلانِ

[٣٧٩]

(١) البيتان في الوحشيات ١٨٤ منسوبان لعبد الله بن جحش وفي البيت الثاني اختلاف كبير. ومطلع البيت الأول صارمتني.

[٣٨١]

(١) الأبيات ليست في المطبوع من ديوان ابن الأحنف (صادر) وهي في ديوانه ط. الخزرجي ٢٨٢ ومصدرها الظرف والظرفاء.

باب

ما يفلَّج به التفاح والأترج والدستبويات

ويعدل به تنضيد الورد والياسمين والخيريَّات

[٣٨٢] أخبرَني بعضُ شيوخِنا من الكتَّاب بالعسكرِ(١) قالَ: قرأتُ على طبَقين أهدَاهما بَعضُ الفُرس إلى بَعضَ الكتَّابِ قد نُضِّد بأنواعٍ من السُّوسَنِ والياسَمين والشَّقائِقِ والرَّياحينِ على أحدِهِما مكتوب: [من الخفيف]

شادنٌ راحَ نحوَ سَرحةِ ماءٍ مسرعـاً وجُنَتـاهُ كالتفَّاح

وَرَدَ الماءَ ثم راحَ وقَدْ أضـ ـحى دَرَهُ المـاءُ في غلالـةِ رَاحِ

وعلى الآخر: [من الخفيف]

رقَّ حتَّى حَسِبتُه وَرَقَ الور دِ نديًّا يرِفُ بينَ الرِّياضِ

وَرَدَ المـاءَ ثم راحَ وقـد ألْـ بَسَهُ الماءُ حُمرةً في بَياضِ

[٣٨٣] قال: ورأيتُ بينَ يَدَي بعضِ الكتَّابِ طَبَقَ وَردٍ أحمرَ مكتـوبٍ فيه بالأبيَض(١): [من البسيط]

لم يَضحَكِ الـوَردُ إلاَّ حينَ يُعجبُه زَهْـرُ الـربيعِ وصـوتُ الطائـرِ الغَرِدِ

بدَا فأبـدَت لنـا الـدُّنيا مَحاسِنَها وراحـتِ الـراحُ في أثوابِهـا الجُدُدِ

[٣٨٢]

(١) العَسْكر: كانت تطلق على القسم الشرقي من بغداد الذي عرف اولاً بعسكر المهدي. وعسكر مُكْرَمٍ بنواحي خوزستان. وعسكر المعتصم بسر من رأى. وأطلق في وقت متأخر على مدينة المنصور (بغداد المدورة). انظر: المشترك وضعاً والمختلف صقعاً ٣٥٩ - ٣٦٠.

[٣٨٣]

(١) البيتان في ديوان علي بن الجهم ٨٩ باختلاف.

[٣٨٤] وأخبرَني مَن رأى طبَقَ رَيحانٍ مكتوبٍ في دَورِه بياسَمينَ ونِسرين[١]:
[من الطويل]

فمَا ريحُ رَيحانٍ بمِسكٍ وعنبرٍ بنَدٌ وكافورٍ بدُهنةِ بانِ
بأطْيَبَ رَيّاً من حبيبي لَو أنَّني وَجدتُ حَبيبي خالياً بمَكانِ

[٣٨٥] وقرأتُ في تَفليجِ أترُجَّةٍ أهدِيتَ لبعضِ الظُّرفاء: [من مجزوء الرمل]

هـي في العَالَـمِ كالشَّمـ ـسِ أضاءَت في البِلادِ
وَهْـي في كلِّ كمَالٍ قد علَت فوقَ العِبادِ

[٣٨٦] وأخبرَني مَن قرأ في تَفْليج تُفّاحةٍ:[من السريع]

أنـا إلَـى العاشـقِ مَنسوبَةْ أُهـدَى لمحبـوبٍ ومَحبوبَةْ

وعلى تفاحةٍ أخرى مفلَّجة: [من السريع]

خطَّت يَميني فوقَ تُفاحَةٍ أقلَقَنـي هَجـرُكَ يا قاتلي

[٣٨٧] وحضَرتْ هَديةٌ لبعضِ مُتظَرِّفاتِ القِيانِ إلى بعض ظُرَفاء الكُتّابِ وفيها تفّاحَةٌ في تفليجِها مكتوبٌ: [من الخفيف]

ليسَ تُفاحـةٌ بأطيَبَ طِيباً مِن حبيبٍ مُعانِـقٍ لِحبيبِ

وأترُجّةٌ في تَفليجِها مكتوبٌ: [من مخلّع البسيط]

أهـدَى هلالٌ لِكـلِّ يومٍ إذا بدَا الثَّغـرُ بابتِسامْ

وطبَق خِيريّاتٍ[١] مكتوبٌ في تَعديلِه: [من البسيط]

يا طِيبَ رائحـةٍ فاحَـت ببُستانِ مِن بين وَردٍ ونِسرينٍ ورَيحانِ
وياسَـمينٍ ذَكِيٍّ زادَنـي طَرَباً حتّـى تكشَّفَ عنـي كلُّ أحزاني

---

[٣٨٤]
(١) في المحاسن والأضداد ١٢٨ . وهما في مجالس ثعلب ٥٣١ منسوبان لامرأة من بني سليم . وفيهما: برندٍ وكافور وفي التالي: بأطيب من ريا حبيبي . . .
[٣٨٧]
(١) الخيري: المنثور الأصفر.

باب

ما يكتب على القناني والكاسات

والأقداح والأرطال والجامات

[٣٨٨] قرأتُ على كأسٍ لبَعضِ الظُّرفاء: [من الوافر]

إذَا فَكَّرتُ خَاطَبَنِي مِثالٌ ... وإن أغْفَيتُ نَبَّهنِي خَيَالُ

ولِي حالٌ إذا ما الكأسُ طابَت ... لِشارِبِها ولِلنُّدمانِ حالُ

[٣٨٩] وقرأتُ على كأسٍ لبَعضِ الكُتاب: [من البسيط]

إشرَبْ على ذِكرِهِم إذ حِيلَ دونَهُمُ ... عَيناك منهُم على بالٍ إذا شَرِبوا

تَدعُو المُنَى قُربَهم والدارُ نازِحةٌ ... حتَّى يُناجِيَهمْ قَلبِي وما قَرُبُوا

[٣٩٠] وعلى كأسٍ: [من الوافر]

إذا لم يَمزُجِ النُّدمانُ كأسي ... جعَلتُ مِزاجَها ماءَ الجُفونِ

وإن ضَحِكُوا بكَيتُ وإنْ تَغنَّوا ... أجَبتُهُمُ بألوانِ الحَنينِ

[٣٩١] وكتَبَ عُبيدُ الماجن على كأسِه: [من السريع]

إشرَبْ هنيئاً لا تخَفْ طائفاً ... قد آمنَ الطُّوَّافَ أهلُ الطرب

[٣٩٢] وكتَبَ بعضُ الكُتَّاب على قَدَحٍ لَهُ:[1] [من الطويل]

وما لَبِسَ العُشّاقُ ثوباً مِنَ الهَوى ... ولا أخلقُوا إلاَّ بَقِيَّةَ ما أُبلي

ولا شَرِبوا كأساً مِنَ الحُبِّ حُلوةً ... ولا مُرَّةً إلاَّ وشُرْبُهُمُ فَضلي

---

[٣٩٢]

(١) البيتان للعطوي في طبقات ابن المعتز ٣٩٤.

[٣٩٣] وبعثت نَشوانُ الكرَّاعة[1] إلى علي بنِ عيسى بنِ عبد الله الهاشمي برَطلٍ عَلَيهِ مكتوبٌ: [من البسيط]

يا باعــثَ السُّــكرِ مِن طرفٍ يُقلِّبُهُ هاروتُ لا تَسقِنــي خمــراً بكأسَينِ
ويا مُحَــرِّكَ عَينَيهِ لِيَقتُلَني إنــي أخــافُ عليكَ العَينَ مِن عَيني

[ذا؟] وأخبرَني من قَرأ على قِنِّينَة بين يَدَي أبي دُلَف العِجْلي[1]: [من السريع]

وقَهــوةٍ كَوكَبُهــا يَزهَرُ يفــوحُ منهــا المِســكُ والعَنْبَرُ[2]
يَسقِيكَهــا مِن كَفِّــهِ أحْوَرُ كأنهــا مِن خَدِّهِ تُعصَرُ

[٣٩٥] وكتَبَ آخر على طاس[1]: [من البسيط]

لا تحسَبــي أنَّ طُولَ الـدهـرِ غيَّرني بلْ زادَنــي كلفــاً يا أمْلَــحَ الناسِ
لم يَجـرِ ذِكرُكِ في لَهْــوٍ ولا طَرَبٍ إلاَّ مَزَجْــتُ بدَمعــي عِنــدهُ كاسي
كمْ عَاذِلٍ قد لحَانــي فيكِ قُلــتُ لهُ شُلَّــت يَمينُك هل بالحُــبِّ من باسِ

[٣٩٦] وأخبرَني يحيى بن محمَّد المُسلمي أنَّه قَرأ على كأسٍ لقَينَة :[من الرمل]

إشرَبِ الكأسَ علــى صَرفِ الـزمَنْ قَلَّ ما دامَ سرورٌ أو حَزَنْ
إنَّمــا كانَ لمثلــي سكَنٌ من جَميعِ الخلــقِ طُرًّا فظَعَنْ

---

[٣٩٣]

(١) الكرَّاعة: مغنية تغني عل طبلٍ صغير

[٣٩٤]

(١) أبو دلف العجلي، (توفي ٢٢٦هـ): القاسم بن عيسى، من بني عجل بن لجيم. أمير الكرج، وسيد قومه وأحد الأمراء الشجعان الأجواد. قلده الرشيد أعمال الجبل، وكان من قادة المأمون أخبار أدبه وكرمه وشجاعته مشهورة. (الاعلام ٥: ١٧٩).

(٢) البيتان في ديوان أبي تمام ٣٩٣ والأول في الشريشي ٢: ١١٢ لأبي تمام.

[٣٩٥]

(١) البيتان الأول والثالث في ديوان العباس بن الأحنف ١٨٩.

[٣٩٧] وقرأتُ على قدَح: [من المنسرح]

إشـرَبْ وَسـقِّ حَبيبَـك الراحا وبُـحْ مِنَ الوجـدِ بالـذي بَاحا

وعلى آخر[1]: [من المنسرح]

إشـرَبْ وَسـقِّ الحبيبَ يا ساقي وَسقِّنـي فَضـلَ كاسِـه الباقي
وَسقِّنـي فضـلَ ما تخلَّفَ في الكأ سِ بعَمْـدٍ بغَيرِ إشفاقِ

وعلى آخر: [من المنسرح]

فـدَيتُ مَن لَمْ يَزَلْ علـى طَرَبٍ يُديرُ بَينـي وبَينَـهُ الكَاسَا
ألثَمَنـي خدَّهُ وقـالَ: ألا دونَـكَ ما قد منَعتُـه النَّاسَا

[٣٩٨] وكتَبت بنتُ المَهدي على قدَح بالذَّهب[1]: [من مجزوء الرجز]

إشـرَبْ علـى وَجـهِ الغزالِ الأغْيَدِ الحَسَـنِ الدلالِ
إشـرَبْ عليهِ وقُـلْ لهُ: يا غُلَّ ألبـابِ الرِّجالِ

[٣٩٩] وكتَب بعضُ الظرفاء على قِنِّينة: [من الوافر]

فقلـتُ لهـا، وقـد أبـديتُ سكري: ألا رُدّي فُؤادَ المُستهامِ
فقالَـت: مَنْ؟ فَقُلـتُ: أنـا، فقالت: متَـى ألقَيتَ نفسَـك في الزِّحامِ

[٤٠٠] وقرأتُ على قِنِّينة مَدهونة مكتوبٍ علَيها بالذَّهب[1]: [من المنسرح]

أحسـنُ مِن مَوقِفٍ علـى طَلَلٍ كأسُ عُقـارٍ تَجـري علـى ثَمِلِ
يُديرُهـا أهيفُ بهِ حَوَرٌ مُعتـدِلُ الخَلْـقِ راجِـحُ الكَفَلِ
إذا تَمشّـى بهـا مُصفَّقَةً رأيتَ فيهـا تَلَهُّـبَ الشُّعَلِ

---

[٣٩٧]
(١) البيتان في ديوان ابي نواس ٤٣٦.
[٣٩٨]
(١) في أشعار أولاد الخلفاء ٧١ منسوبة لعلية بنت المهدي.
[٤٠٠]
(١) الأبيات في ديوان أبي نواس باختلاف يسير.

وعلى جام: [من السريع]

أشـرَبْ هَنيئـاً في أتـمّ النّعيمْ طابَ لك العَيشُ بطيبِ النّديمْ

وعلى آخر: [من الخفيف]

وكؤوسٍ كأنّهـنّ نجومٌ طالِعـاتٌ، برُوجُهـا أيدينا

طالعـاتٌ معَ السُّقـاةِ علَينا فإذا ما غَرَبْـنَ يَغرُبْـنَ فينا



باب
ما يكتب على أواني الفضة والذهب
ومَدهون الصِّيني المُذهب

[٤٠١] قال العبّاسُ بن الفَضْل بن الرَّبيع: حدَّثني أبي قال: رأيتُ على صِينِيَّةٍ بينَ يَدَيِ المأمونِ مكْتوباً فيها(١): [من البسيط]

لا شيءَ أملحُ مِن أيّامِ مَجْلِسِنا إذ نَجْعلُ الرُّسْلَ فيمَا بينَنَا الحَدَقَا
وإذ جوانحُنا تُبدي سَرائِرَنا وشكلُنا في الهَوى تَلقاهُ مُتّفِقا
ليتَ الوُشاةَ بنا والعاشِقِين لنا في لُجّةِ البَحْرِ ماتُوا كلُّهُم غرَقا
أوْ لَيتَ مَن ذَمّنا أو عابَ مَجلِسَنا شُبَّت عليه ضِرامُ النّارِ فاحتَرَقا

[٤٠٢] وأخبرَني بعضُ الكتّاب أنّه قرَأ على صِينِيّة بينَ يَدَيِ الحَسَن بن وَهْب مُفَصَّلَةٍ بالفُصوص بألوانٍ شتّى(١): [من السريع]

من كانَ لا يَزعُمُني عاشقاً أحضرَتُهُ أوضحَ بُرهانِ
إني على رَطْلَينِ أسقاهُما أروحُ في أثوابِ سكرانِ
وكنتُ لا أسكَرُ مِن تِسعَةٍ يَتْبَعُها رَطْلٌ ورَطْلانِ
فصارَ لي من غَمَراتِ الهَوى والسكرِ سكرانِ عَجيبانِ

[٤٠١]
(١) الأبيات في مصارع العشاق ١: ٦٤.
[٤٠٢]
(١) الأبيات في قطب السرور ٣٢٠ دون نسبة. وفيها اختلاف. في البيت الثالث سبعة عوضاً عن تسعة. وفي الرابع من مسكرات. عوضا عن غمرات. والرابع سكران عوضا عن والسكر سكران.

والشِّعرُ للحسَن بنِ وَهْب.

[٤٠٣] وكتبَ بعضُ الظُّرفاء على صينِيّةٍ له صينيّ: [من المنسرح]

حُثَّ النّدامَى بعاجِلِ النُّخَبِ وحُثَّ كأسَ النَّدمانِ يا بأبي
إنْ لَمْ تُدِرْها والكَـأسُ مُترَعةٌ حتّى تُميـتَ الهُمومَ لَمْ تَطِبِ

[٤٠٤] وكتَبَ آخر على صينيّةٍ له: [من المنسرح]

قَدْ قُلـتُ لما صبَـا بِي اللّعِبُ وباكَـرَتْني الشّمولُ والطَّرَبُ

[٤٠٥] وكتَبَ آخر على قضيب مَدْهون: [من مخلع البسيط]

أصبَحْتُ يُشْبِهُني القضيبُ وأنْتَ يُشْبِهُكَ القَضيبُ
غُصنانِ إلاَّ أنّ ذا بَالٍ وذا غُصْنٌ رَطيبُ[١]

[٤٠٦] وقرأتُ على مِذَبّةٍ لبَعضِ الكُتّاب:[١] [من الطويل]

تَعلّمتُ أنواعَ الرِّضـا خوفَ سُخْطِهِ وعلّمهُ حُبّي له كيفَ يَغضَبُ
ولـي ألفُ وَجهٍ قَدْ عَرَفتُ طَرِيقَهُ ولَـكِنْ بلا قَلْـبٍ إلـى أيْنَ أذْهَبُ؟

وعلى أخرى: [من البسيط]

دلَّ البُكـاءُ علَـى عَيني فأرّقَها ظَبْيٌ يُطيلُ البُكـا مِنْ ظِلِّـهِ فَرَقَا
لو مَسَّ غُصناً مِن الأغصان مُنجرِداً لاخْضَرَّ في كفِّهِ واستَشْعَرَ الوَرَقَا

[٤٠٧] وأخبرَني أبو جعفر القارىء قال: أخبرَني مَن قرأ علـى مِرْوحةٍ بيتين

---

[٤٠٥]

(١) في البيت الثاني خلل عروضي.

[٤٠٦]

(١) البيتان في تاريخ بغداد ١: ١١٦ لابراهيم بن العباس الصولي والأول في المستظرف ١٢، وفي نساء الخلفاء ٩١. وهما في معجم الشعراء ٢٢٠ لعمرو بن مسعدة.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

تَستَنطقِينَ بحُسنِ صوتك أعجماً يَدعُو بذاكَ صَوابَه فيُجيبُ
فالعُودُ يَشهدُ والغناءُ بأنّه لولاكِ لم يكُ في الأنامِ مُصيبُ

[٤١٥] وقالَ عليّ بن الجَهم: قرأتُ على مِضرابِ لقَينةٍ: [من الطويل]

أُحبّك حبًّا لَستُ أبلُغُ وَصفَه ولا عُشْرَ ما أصبحتُ أُضمِرُ في صَدْري
وأكتُمُ ما ألقاه منك تَشَجُّعاً لعلّ إلـهَ الخَلـقِ يُدنيك من نَحْري

وعلى مِضراب آخر: [من السريع]

يا ذا الـذي أنكـرَني طَرْفُه إذ ذابَ جِسمي وعَلاني شُحُوبْ
ما مَسَّني ضُرٌّ ولَكنّني جَفَوتُ نَفسي إذ جَفاني الطَّبِيبْ

وعلى آخر: [من المنسرح]

نِضوُ هُمومٍ بكَـى وحُقّ له، دمعُ حَدَاهُ الضَّنى فأسبَلَهُ
وطالَ ليلُ الهَوى عليـه وما أمرُّ ليلَ الهَوى وأطْوَلَهُ

[٤١٦] وكتَبت كرّاعةُ على طبلٍ لها: [من المنسرح]

يـا نَفَساً ليسَ يَنقضي أمَدُهْ ويـا فُؤاداً أذابَهُ كَمَدُهْ
ويـا مُحبًّا جَفَاهُ سيّدُهُ تَقطّعت من جَفَائِهِ كَبِدُهْ

وكتَبت أخرى على ناي: [من البسيط]

فكيف صبري وبئس الصبـرُ لي فرجٌ والطـرفُ يعشـق من في طرفـه غنَجُ

[٤١٧] وقرأت على مِعزَفة[1]: [من مخلّع البسيط]

إن كنتَ تَهوَى وتَستطيلُ فإنّني عبدُكَ الذَّليلُ
أعرضتَ عني وخُنتَ عَهدي وجُرْتَ في الصَّدِّ يا مَلولُ

---

[٤١٧]

(١) معزفة: آلة موسيقية وترية وصفها كشاجم بأنها مكسوة الأحشاء بجلد أبيض من جلد الغزال وأوتارها ستة أو تسعة (انظر: الديارات ٢٦٢).

كيفَ احتيالـي وليسَ يأتي مِنْكَ كِتابٌ ولا رَسولُ

وعلى أخرى: [من مخلع البسيط]

ألـذُّ عِندي مِن الشّرابِ تَقبيلُ أنيـابكِ العِذابِ
ولَثمُ خدٍّ كلَـونِ خمرٍ قد شَفَّهُ كثرةُ العِتابِ

[٤١٨] وقرأت على دفّ: [من مجزوء الرجز]

يـا بِدَعاً في بِدَعٍ جارَت عَلـى مَن مَلكَتْ
أرثي لِصَبٍّ نفسُهُ مِمّا بهِ قد تَلِفَتْ

وعلى آخر: [من السريع]

ما سرّني أنّ لساني ولا أنّ فؤادي مِنكِ يوماً خَلا
وأنّ لي مُلكَ بني هاشمٍ يُجبى إلـيَّ أولاً أولاَ

[٤١٩] وقرأت على طُنبور: [من البسيط]

يا أوّلَ الحُسنِ يا مَن لا نَظيـرَ لَهُ هلّـت سَحائبَ عيني نَغمةُ الزّيرِ
وأيّ مُزنةِ غَربٍ لا تَسُحّ دماً من عاتقٍ عندَ نَغْمَاتِ الطّنابيرِ

وعلى طُنبور آخر[1]: [من البسيط]

بكَيْـتُ من طَرَبٍ عندَ السّماعِ كَما يَبكـي أخُو قصَصٍ مِن حُسنِ تَذكيرِ[2]
وصاحبُ العِشقِ يَبكـي عندَ شَجوتِهِ إذا تَجاوَبَ صوتُ البَمّ والزّيرِ

[٤١٩]

(١) البيتان في ديوان العباس بن الأحنف ١٣٧.

(٢) كان القصاص والمذكّرون يلقون في مجالسهم أنواعاً من المواعظ يبكي لها المستمعون.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

باب
ما يكتب على الدراهم والدنانير التي ضربت للملوك في المقاصير

[٤٢٤] قال علي بن الجَهم: قَرأتُ على دينارٍ في خِلافةِ المتوكّلِ مِن ضَربِ الدارِ: [من الطويل]

وأصفرَ صَاغَتهُ الملـوكُ تطرُّباً بأسمائِها فيـه المُـروَّةُ والفَخرُ
باسمِ أمينِ اللهِ زِينَت سُطورُهُ كما زِينَ بالتّفصيلِ في نَظمِهِ الدُّرُّ
هو المَلِكُ المأمونُ مِن آلِ هاشمٍ بهم إن أغبَّ القطرُ يُستنزَلُ القطرُ
له غُرّةٌ فينانَةٌ جَعفَريّةٌ بها تضحكُ الشمسُ المضيئةُ والبدرُ

[٤٢٥] قال: ورأيـتُ علـى دينار مِن ضَربِ المتوكّلِ أيضاً. . . دِرهم ودينار مكتوباً عليه[١] [من المتقارب]

وأصفرَ مِن ضَربِ دارِ المُلوكِ يلـوحُ علـى وجهِهِ جَعفرُ[٢]

وقرأت على دِرهمٍ مِن ضَربِ المُنتصِر[٣]: [من الخفيف]

---

[٤٢٥]

(١) الخبر في محاضرات الأدباء ١: ٥٠١ وفيه: ووجدت في خزانة جعفر بن يحيى مائة مثقال ومثقال نقشه وفي سير أعلام النبلاء ٩: ٦٣ في خزائن جعفر كان زنة الواحد مائة مثقال يزيد على مائة واحداً حتى يعطه معسر يوسر. والخبر في الأغاني ١٠: ١٨٨ في أخبار علية بنت المهدي.

(٢) البيت في المصادر السابقة.

(٣) المنتصر بالله: محمد بن جعفر المتوكل. اشترك مع الجند الأتراك في مؤامرة لقتل والده ٢٤٧ هـ. ولم تدم خلافته سوى ستة أشهر.

دِرهَمٌ أبيضُ مليحُ المَعاني بسطورٍ مُبيِّناتٍ حِسانِ
صاغَهُ الصائغُ المُمَوَّهُ بالحُسـ ـنِ لِيُهدَى صبيحَةَ المِهرَجانِ[1]
فيه إسمُ الإمامِ أكرَمَهُ اللّـ ـهُ ووقّاهُ نائباتِ الزّمانِ

وقرأتُ على درهم: [من الطويل]

أخي دِرهمي ما دامَ والناسُ إخوتي فإن غابَ عني غابَ كلُّ صديقِ



(1) المهرجان: عيد فارسي الأصل، يعلن بدء فصل الشتاء وفيه يغير الناس أثاثهم وكثيراً من ملابسهم استعداداً لفصل الشتاء (سعد، العامة في بغداد ٢٥٥).


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الإصابة في تمييز الصحابة: ابن حجر العسقلاني، دار صادر، بيروت.

الأعلام: خير الدين الزركلي. ط ٥، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠.

الأغاني: أبو الفرج الأصبهاني، علي بن الحسين. ط. بولاق، ط. دار الكتب المصرية، ط. الهيئة المصرية العامة.

ألف باء: البلوي، ابو الحجاج يوسف بن محمد، عالم الكتب، بيروت.

ألف ليلة وليلة: مجهول، ط. بولاق.

ألقاب الشعراء: محمد بن حبيب، نوادر المخطوطات.

الاماء الشواعر: أبو الفرج الأصبهاني، عالم الكتب، بيروت ١٩٨٤.

الأمالي: القالي، أبو علي اسماعيل بن علي. دار الآفاق، بيروت، ١٩٨٠.

الأمالي الخميسية: يحيى بن الشجري. عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٣.

أمالي المرتضى: علي بن الحسين الموسوي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٧.

الأمالي اليزيدية، أبو عبد الله محمد بن العباس، عالم الكتب، بيروت.

أمثال العرب: المفضل بن محمد الضبي. باعتناء إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨١.

أنساب الأشراف: البلاذري، أحمد بن يحيى.

جـ ١، باعتناء حميد الله، دار المعارف بمصر.

جـ ٢ ـ ٣، باعتناء المحمودي، بيروت.

جـ ٣، باعتناء عبد العزيز الدوري، بيروت.

جـ ٤، باعتناء احسان عباس، بيروت.

بانت سعاد. شرح، بعناية كرنكو، دار الكتاب الجديد، بيروت.

بدائع البداثة: علي بن ظافر الأزدي، القاهرة، ١٩٧٠.

بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: عبد الرحمن السيوطي. باعتناء محمد أبو الفضل ابراهيم، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩.

بهجة المجالس وانس المجالس: القرطبي، يوسف بن عبد الله، باعتناء الخولي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢.

البيان والتبيين: الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. باعتناء عبد السلام هارون. طبعه باعتناء حسن السندوبي

تاريخ الأدب العربي: بروكلمان، دار المعارف بمصر.

تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، دار الكتاب العربي، بيروت.

تاريخ خليفة بن خياط العصفري، باعتناء العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٧.

تاريخ الرسل والملوك. محمد بن جرير الطبري، دار المعارف بمصر.

التذكرة الحمدونية، ابن حمدون محمد بن الحسن، باعتناء إحسان عباس، معهد الانماء العربي، بيروت، ١٩٨٣.

تزيين الأسواق في اخبار العشاق، داود الانطاكي، دار حمد ومحيو، بيروت، ١٩٧٣.

تمثال الأمثال: العبدري، محمد بن علي، باعتناء أسعد ذبيان، دار المسيرة، بيروت، ١٩٨٢.

التمثيل والمحاضرة: الثعالبي، عبد الملك بن محمد، باعتناء عبد الفتاح الحلو، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦١.

ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، الثعالبي، باعتناء أبو الفضل ابراهيم، القاهرة، ١٩٦٥.

الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، عبد الرحمن السيوطي، دار الفكر، بيروت، ١٩٨١.

الجامع لمفردات الأدوية والأغذية: ابن البيطار، عبد الله بن أحمد، مكتبة المثنى، بغداد.

الجماهر في معرفة الجواهر: أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني، عالم الكتب، بيروت.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

شعر المطوي: باعتناء المعيبد، مجلة المورد، مجلد ١، عدد ١ ـ ٢ بغداد، ١٩٧٢.

ديوان الامام علي بن أبي طالب: (منسوب اليه) باعتناء عبد العزيز سيد الأهل، دار صادر، بيروت، ١٩٨٠.

ديوان علي بن الجهم: باعتناء خليل مردم بك، دار الآفاق، بيروت، ١٩٥٩.

ديوان عمر بن أبي ربيعة: الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٧٨.

شعرعمرو بن أحمر الباهلي: باعتناء حسين عطوان، مجمع اللغة العربية بدمشق.

ديوان الفرزدق، دار صادر، بيروت

ديوان القطامي: بعناية ابراهيم السامرائي وأحمد مطلوب، دار الثقافة بيروت، ١٩٦٠.

ديوان كثيّر عزة: باعتناء إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧١.

شعر الكميت بن زيد: باعتناء داود سلوم، بغداد، ١٩٦٩.

ديوان مجنون ليلى: باعتناء عبد المتعال الصعيدي، ط٢، مكتبة القاهرة.

ديوان المعاني: ابو هلال العسكري، مكتبة القدسي، ١٣٥٢هـ

شعر نصيب بن رباح: باعتناء داود سلوم، بغداد، ١٩٧٠.

شعر النمر بن تولب: باعتناء نوري حمودي القيسي، بغداد.

ديوان المفضليات: المفضل الضبي، بعناية لايل، بيروت، ١٩٢٠.

ذم الهوى: أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، القاهرة، ١٩٦٢.

رسائل الجاحظ: باعتناء ع. س. هارون، مكتبة الخانجي، ١٩٦٥.

رسائل الجاحظ: دار النهضة الحديثة، بيروت.

الرسالة البغدادية، أبو حيان التوحيدي، (منسوبة)، باعتناء الشالجي، بيروت، ١٩٨٠.

روضة التعريف بالحب الشريف، ابن الخطيب، لسان الدين، باعتناء محمد الكتاني، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٠.

روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، محمد بن حبان البستي. باعتناء محمد محي الدين عبد الحميد وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٧.
روضة المحبين ونزهة المشتاقين: ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٦٧.
زهر الآداب: الحصري القيرواني، ابراهيم بن علي، باعتناء زكي مبارك، دار الجيل بيروت، ١٩٧٢.
الزهرة: محمد بن داود الظاهري الاصبهاني، باعتناء لوليس نيكل، بيروت ١٩٣٢.
سرور النفس بمدارك الحواس الخمس: التيفاشي، باعتناء إحسان عباس، المؤسسة العربية، بيروت، ١٩٨٠.
سمط اللآلي في شرح أمالي القالي: أبو عبيد البكري. باعتناء الميمني، دار الحديث، بيروت، ١٩٨٤.
سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث، باعتناء محمد محي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
سيدات البلاط العباسي: مصطفى جواد، دار الفكر للجميع، بيروت.
سير أعلام النبلاء: الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، باعتناء شعيب الارناؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨١.
السيرة النبوية: ابن هشام، عبد الملك. باعتناء السقا والأبياري وشلبي، دار الكنوز الأدبية، بيروت.
شرح أسماء العقار: القرطبي، أبو عمران موسى بن عبيد الله. باعتناء مايرهوف، مكتبة المثنى، بغداد.
شرح مقامات الحريري: الشريشي، أحمد بن عبد المؤمن، المكتبة الشعبية، بيروت، ١٩٧٩.
شعر: أنظر: ديوان.

الشعر والشعراء: ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم. ـ نسخة عالم الكتب، بيروت نسخة الثقافة، بيروت، ١٩٦٤.
شعراء عباسيون: غرونباوم، باعتناء محمد يوسف نجم واحسان عباس، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٥٩.
صحيح البخاري: دار إحياء التراث العربي، نسخة مصورة.
صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي.
صفة جزيرة العرب: الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، باعتناء الأكوع، دار اليمامة، الرياض، ١٩٧٤.
صورة الأرض: ابن حوقل. دار مكتبة الحياة.
الطبقات: خليفة بن خياط العصفري. باعتناء العمري، دار طيبة الرياض، ١٩٨٢.
طبقات الشعراء: عبد الله بن المعتز، باعتناء فراج، دار المعارف بمصر، ١٩٦٨.
طبقات القراء: الجزري، أبو الخير محمد، باعتناء برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢.
الطبقات الكبرى: محمد بن سعد، دار صادر، بيروت.
القسم المتمم: باعتناء زياد منصور، المدينة المنورة، ١٩٨٣.
العامة في بغداد: في القرنين الثالث والرابع الهجريين: فهمي سعد، الأهلية للنشر، بيروت، ١٩٨٣.
العقد الفريد: ابن عبد ربه، أحمد بن محمد، لجنة التأليف والترجمة، مصر، ١٩٤٩.
عيون الأخبار: ابن قتيبة، دار الكتب المصرية، القاهرة.
عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير: ابن سيد الناس، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
غاية النهاية في طبقات القراء: انظر، طبقات القراء.

غرر الخصائص الواضحة، أبو إسحاق برهان الدين الكتبي الوطواط، دار صعب، بيروت، دون تاريخ.
الفاضل في اللغة والأدب: المبرد، محمد بن يزيد، باعتناء الميمني، نسخة مصورة.
فصل المقال في شرح كتاب الأمثال: أبو عبيد البكري. باعتناء إحسان عباس وعبد المجيد عابدين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧١.
فوات الوفيات: محمد بن شاكر الكتبي، باعتناء إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٣.
قيان بغداد: عبد الكريم العلاف، دار البيان، بغداد، ١٩٦٩.
الكامل في اللغة والأدب: المبرد، محمد بن يزيد، مؤسسة المعارف، بيروت.
الكشكول: بهاء الدين محمد العاملي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٨٣.
لباب الآداب: أسامة بن منقذ، دار الكتب العلمية، بيروت، نسخة مصورة.
اللباب في تهذيب الأنساب، أبو الحسن علي بن أبي الكرم، ابن الأثير دار صادر ١٩٨٠.
اللباس والزينة في الشريعة الإسلامية، محمد عبد العزيزعمرو،مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٣.
لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت.
مجالس ثعلب: أبو العباس أحمد بن يحيى، باعتناء هارون، ط٣، دار المعارف بمصر، ١٩٦٩.
مجمع الأمثال: الميداني، أحمد بن محمد، مطبعة السنة المحمدية.
المحاسن والأضداد: منسوب للجاحظ، دار صعب، بيروت، ١٩٦٩.
محاضرات الأدباء: الراغب الأصبهاني، حسين بن محمد، مكتبة الحياة، بيروت.
محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار: محي الدين بن عربي، دار صادر، بيروت.
المحبر: محمد بن حبيب، باعتناء شتيتر، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

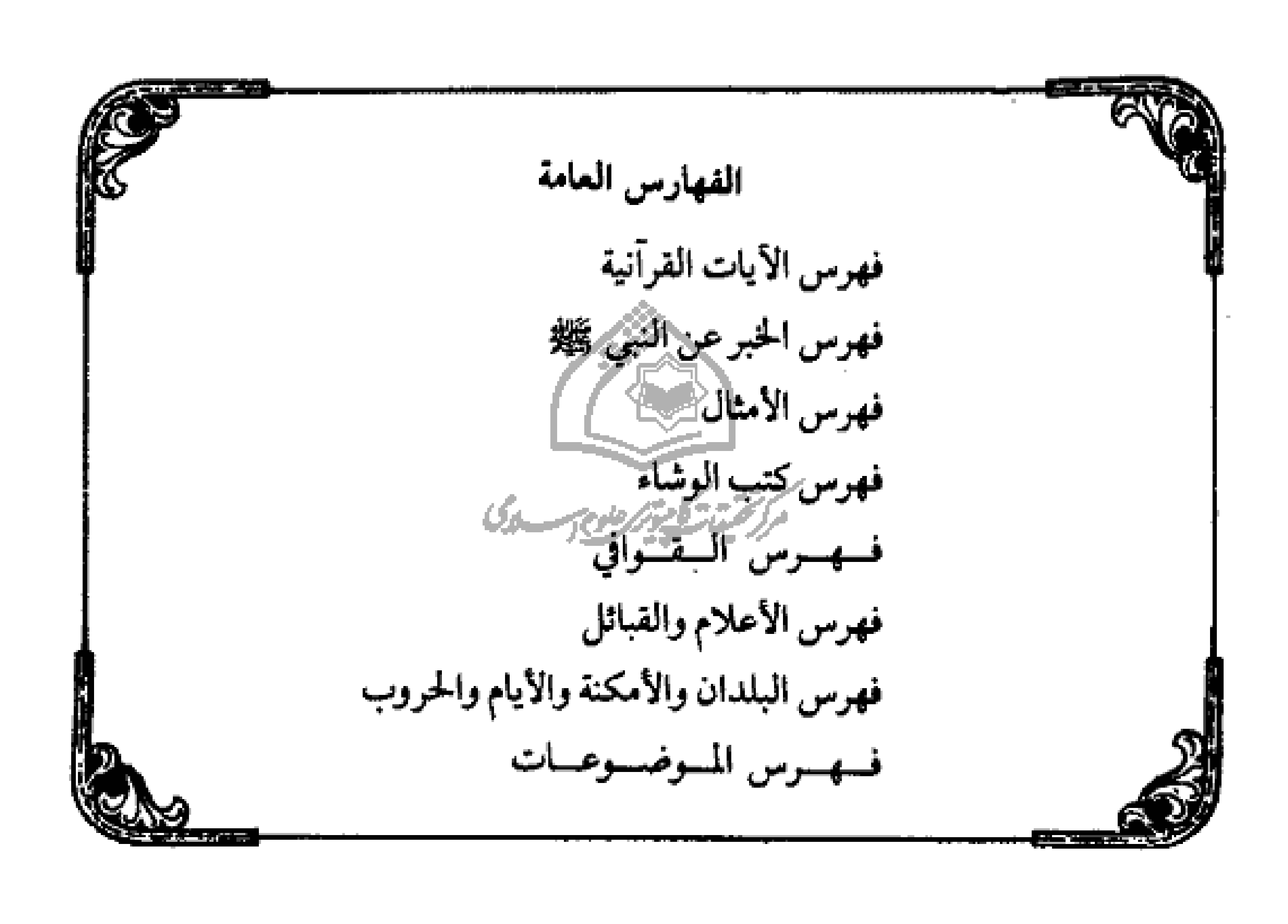
مختصر التاريخ: ابن الكازروني، علي بن محمد، باعتناء مصطفى جواد، بغداد، ١٩٧٠.
المخصص، ابن سيده، دار الآفاق، بيروت.
المخلاة: بهاء الدين محمد العاملي، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٩.
المردفات في قريش: المدائني، علي بن محمد: ضمن نوادر المخطوطات.
المستطرف من أخبار الجواري: جلال الدين السيوطي. باعتناء صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧٦.
مسالك الممالك: الاصطخري، ابراهيم بن محمد، باعتناء دي خويه.
مشاهير علماء الأمصار: البستي، محمد بن حبّان. باعتناء فلايشهمر. القاهرة، ١٩٥٩.
مصارع العشاق: أبو جعفر السراج، دار صادر، بيروت.
مطالع البدور في منازل السرور: الغزولي، علي بن عبد الله. القاهرة ١٢٩٩هـ.
معاهد التنصيص على شواهد التلخيص: العباسي، عبد الرحيم بن أحمد. باعتناء محمد محي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت.
المعتمد في الأدوية المفردة: التركماني، يوسف بن علي بن رسول، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٥.
معجم الأدباء: ياقوت الحموي، عبدالله، بعناية مرغليوث.
معجم البلدان: ياقوت الحموي. دار صادر، بيروت، ١٩٥٧.
معجم الشعراء: المرزباني، محمد بن عمران، بعناية كرنكو، مكتبة القدسي.
معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع: البكري، عبد الله بن عبد العزيز، باعتناء السقا، عالم الكتب.
من نسب الى أمه من الشعراء: محمد بن حبيب، ضمن نوادر المخطوطات.
منافع الأغذية ومضارها: أبو بكر الرازي، محمد بن زكريا. دار صادر، بيروت.
المنتظم في تاريخ الأمم والملوك: ابن الجوزي، عبد الرحمن. حيد آباد الدكن.
المؤتلف والمختلف: الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر. في مجلد واحد مع

معجم المرزباني.
النبات، أبو حنيفة الدينوري، أحمد بن داود، باعتناء برنهاردلفين، دار القلم، بيروت، ١٩٧٤.
نثر الدر: الأبي، أبو سعد منصور بن الحسين، باعتناء محمد علي قرنة الهيئة المصرية العامة، ١٩٨٠.
نخب الذخائر في أحوال الجواهر: ابن الأكفاني، محمد بن ابراهيم، عالم الكتب، بيروت.
نساء الخلفاء، ابن الساعي، علي بن أنجب. باعتناء مصطفى جواد، دار المعارف بمصر.
نسب قريش: مصعب بن عبد الله الزبيري، باعتناء بروفنسال، دار المعارف بمصر، ١٩٧٦.
نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، القلقشندي، أحمد بن علي باعتناء علي الخاقاني، بغداد، ١٩٥٨.
نهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب النويري، دار الكتب المصرية.
الوافي بالوفيات: الصفدي، صلاح الدين خليل بن إيبك. المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت.
الوحشيات، أو الحماسة الصغرى: أبو تمام حبيب بن أوس الطائي. باعتناء الميمني، دار المعارف بمصر.
الوسيط في الأمثال: الواحدي، علي بن أحمد. مؤسسة دار الكتب الثقافية، الكويت، ١٩٧٥.
وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى: السمهودي، علي بن أحمد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٤.

SERJEANT, ISLAMIC TEXTILE'S.
Librairie du Liban

DOZY
Dictionnaire détaillés des noms des vetements Arabes
Librairie du Liban





الفهارس العامة


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

١ ـ فهرس الآيات القرآنية

٢ ـ فهرس الخبر عن النبي ﷺ

٣ - فهرس الأمثال

٤ - فهرس مؤلفات أبي الطيب الواردة في المتن

٥ - فهرس القوافي


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

٦ - فهرس الأعلام والقبائل

ب

ت

ث

ج

ح

غ

ف


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

٧ ـ فهرس الأمكنة والبلدان والأيام والحروب


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ثبت الموضوعات

